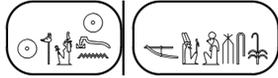


رعمسيس الثاني



(١) اشتراك «رعمسيس الثاني» في الملك مع والده «سيتي الأول»

من الموضوعات المعقدة التي كانت ولم تزال تعترض المؤرّخ عند فحص تاريخ «رعمسيس الثاني» لأول وهلة، مسألة اشتراكه في الحكم مع والده «سيتي الأول» قبل أن يتربع على عرش البلاد منفردًا مدة طويلة بلغت أكثر من جيلين من الزمن، وقد تناول بحث هذا الموضوع أخيرًا الأثري «كيث سيلي» في مقال رائع فصل القول فيه على ضوء الآثار العدة التي أقامها هذا الفرعون هو ووالده «سيتي الأول»، وقد وصل فعلاً إلى بعض نتائج تستوقف النظر، وسنتكلم عنها هنا بعض الشيء ليرى القارئ مقدار ما فيها من صواب.^١ فقد دلت الوثائق التي وُجِدَت على آثار «رعمسيس الثاني» التي أقامها، أو اشترك في إقامتها في أثناء حكمه مع والده، على أن ادعاء هذا الفرعون باشتراكه مع والده في الحكم كان ادعاء حقيقياً لا غبار عليه، غير أن هذه الحقيقة قد أنكرها الأستاذ «برستد»، وشايعه في رأيه بعض المؤرخين^٢ مثل الأستاذ «زيتيه»، وغيره.

^١ راجع: The Coregency of Ramses II, with Seti I, and the Date of the Great Hypostyle

.Hall at Karnak p. 23 ff.

^٢ راجع: Breasted A. R. III. §§ 123-131

فقد فسر الأستاذ «برستد» — كما ذكرنا آنفاً — إضافة «رعسيس الثاني» صورته إلى بعض نقوش المناظر الحربية التي لوالده على جدران معبد الكرنك بأنها غش وتزوير في الوثائق التاريخية الأصلية، وأن غرض «رعسيس» من ذلك قلب الحقائق؛ ليبرهن للعالم مقاسمته لوالده في الحروب التي قام بها، وأن والده قد أشركه منذ نعومة أظفاره معه في عرش الملك مدة حياته، ثم انفرد به من بعده، ولكن التحليل والفحص الدقيق لنقوش المعابد من حيث موضوع مادتها، وطراز نقشها، وترتيبها قد أسفر عن ظهور صورة واضحة تتفق في معظم تفاصيلها مع الاقتباس الذي يدعى «رعسيس الثاني» أنه مقتبس من كلمات والده التي فاه بها، كما وردت في نقش الإهداء العظيم الذي حفره «رعسيس» على جدران معبد «العرابة المدفونة» بعد موت والده، وقد أُرِّخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون، وهو أعظم وثيقة وصلت إلينا عن فاتحة حكمه، عندما انفرد بالملك بعد وفاة والده. وفي هذه الوثيقة يدعى «رعسيس» أن والده قد عينه «الابن الأكبر» والأمير الوراثي، ورئيس المشاة والفرسان». ثم يستمر قائلاً: «وعندما ظهر والدي للملأ كنت لا أزال طفلاً بين ذراعيه، وقد قال عني: توجوه ملكاً حتى أستطيع رؤية جماله وأنا عائش معه». وعلى ذلك اقترب (؟) رجال البلاط ليضعوا التاج المزدوج على رأسي، وقد تكلم عني، وهو لم يزل على الأرض قائلاً: «ضعوا له التاج على رأسه».

ونجد مثل هذا الادعاء في نقوش لوحة «كوبان» المؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه عندما خاطب رجال البلاط «رعسيس» قائلين: «لقد وضعت خططاً حينما كنت لم تزال في البيضة في وظيفة طفل أمير، وكانت تلقى عليك شئون البلاد حينما كنت صبياً تتحلى بالصفيرة، ولم يُنفذ أثر إذا لم يكن تحت سلطانك، ولم يُقطع بأمر إلا كنت تعلمه، وكنت رئيس الجيش منذ أن كنت طفلاً في العاشرة».^٣ ومع ما في هذه العبارات من مبالغات، فإن نواة الحقيقة ظاهرة فيها؛ إذ الواقع أن «رعسيس» اشترك في شئون والده الفعلية، وهو في سن العاشرة، فقد أعلن ولياً للعهد في سن مبكرة، وتُوج شريكاً لوالده في الملك، وعلى أثر ذلك كلف القيام ببعض مسئوليات الدولة وشئونها كإقامة المباني وغيرها، ولا نعم — على وجه التأكيد — التاريخ الذي تُوج فيه على التحديد، غير أن حوادثه ظاهرة وواضحة، فقد ذكر لنا «رعسيس الثاني» حوادث الاشتراك في الملك بألفاظه هو، وكذلك مثل أمامنا

^٣ راجع: Breasted. Ibid. § 288.



شكل ١: تمثال رعميسيس الثاني في عنفوان شبابه (محمفوظ في متحف تورين).

حادث تتويج^٤ «رعميسيس» على يد الإله «آمون» في حضرة الفرعون «سيتي الأول» والده، الذي كان يقف خلف الإله «خنسو» في المنظر، ويقبض على القضيب المعقوف، والسوط في يده اليسرى، وعلامة الحياة في يده اليمنى، وهذا المنظر ممثل في معبد «سيتي الأول» «بالقرنة» بنقوش بارزة، وقد لُقّب فيه «رعميسيس الثاني» بلقبه البسيط «وسر ماعت رع»؛ أي رع قوي العدالة.^٥

^٤ راجع: Breasted. Ibid

^٥ راجع: L. D. III, 150 c

ولدينا منظر تتويج له آخر حدث في مدينة «هليوبوليس» على يد الإله «آتوم» كما سيأتي بعد.

والواقع أن «رعمسيس الثاني» قد أعلن اشتراكه في الملك مع والده في أثناء حياته، وكتب اسمه ولقبه في طغرائين. وقد اتخذ «رعمسيس» لنفسه اللقب الرسمي التالي: «وسر ماعت رع»؛ أي رع قوي العدالة، مقلداً في ذلك والده الذي كان يحمل اللقب الرسمي «من ماعت رع» (رع ثابت العدالة)، ولكن «رعمسيس» كان يضيف في حالات خاصة إلى لقبه هذا نوعاً مختلفاً مثل: «مري رع» (محبوب «رع»)، أو «تيت رع» (صورة «رع»)، أو «أعورع» (وارث «رع»)، أو «ستبن رع»، (مختار «رع»)، وكان في هذا كله مقلداً والده أيضاً، وقد استمر في استعمال هذه النعوت كلها مدة قصيرة بعد وفاة والده مع اللقب القصير «وسر ماعت رع» الذي كان له غالبية الاستعمال على كل الألقاب الأخرى الطويلة التي كان يتألف كل منها من هذا اللقب القصير، مع إضافة نعت من النعوت السابقة، وفي النهاية اتخذ لقب «وسر ماعت رع، ستبن رع» (رع قوي العدالة، ومختار رع) لقباً مختاراً، ونبذ كل النعوت الإضافية التي كانت تضاف إلى اللقب «وسر ماعت رع».

من أجل ذلك يمكن القول بأن اللقب البسيط «وسر ماعت رع» كان من مميزات مدة اشتراك «رعمسيس الثاني» في الملك مع والده، هذا بالإضافة إلى استعماله مع النعوت السالفة بدرجة قليلة في تلك الفترة، مع مراعاة أنه كان يستعمل نادراً مع النعت «ستبن رع»، أما اللقب «وسر ماعت رع، ستبن رع» فكان يحمله «رعمسيس الثاني» فقط على الآثار التي تُنسب إلى عهد حكمه المنفرد بعد وفاة والده.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على كثير من المعابد التي كان العمل مستمراً فيها خلال السنين الأخيرة من حكم «سيتي الأول»، ظهر لنا واضحاً حقيقة اشتراك «رعمسيس» مع والده، فإن «سيتي الأول» كان يستعمل بوجه عام النقش البارز طرازاً رئيسياً لتزيين جدران معابده.

ويظهر أن «سيتي» قد وكل أخيراً لضرورة حربية تزيين معابده لابنه الصغير، وشريكه في الملك «رعمسيس الثاني»، وربما كان هذا هو السبب الذي نجد من أجله رجال بلاطه يخاطبونه كما جاء على لوحة «كوبان» المؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، واصفين بعض نواحي حياته الملكية الأولى قائلين: «وإنه لم يُنفذ أثر إذا لم يكن تحت سطانك». وقد قفا «رعمسيس» في بادئ الأمر تقاليد والده الهندسية باستعمال النقش البارز، ولكن بعد فترة من الزمن — لا يمكن تحديد مداها — نبذ استعمال هذا الطراز من النقش كلية،

وأتخذ بدلاً منه طراز النقش الغائر، وجعله طرازاً سائداً متبعاً في مبانيه كلها؛ ولذلك محا عندما انفرد بالحكم كل نقوشه، وقليلًا من نقوش والده البارزة، وأعادها بالنقش الغائر، وهذا التحول في طراز النقش من بارز إلى غائر، يمكن الاهتداء إليه بسهولة عظيمة على جدران المعابد التي أقامها.

ويمكن القول بأن التدرج الذي حدث مدة حكمه من هذه الناحية قد مر في أربعة أطوار تاريخية متتالية معلمة، من حيث الألقاب التي كان يحملها، ومن حيث نقش المعابد، وهي:

الطور الأول: كان «رعمسيس» يحمل اللقب القصير «وسر ماعت رع»، وكان يضيف إليه أحياناً نعتاً من النعوت السالفة الذكر، هذا إلى أن النقش البارز كان هو الطراز الشائع الاستعمال.

الطور الثاني: كان «رعمسيس» يحمل فيه نفس أشكال لقب الطور الأول المختلفة، غير أن النقوش التي استعملها كانت من الطراز الغائر كلها، والطوران الأول والثاني كانا في عهد اشتراكه في الملك مع والده، هذا إلى أن الطور الثاني قد امتد بعض الشيء في مدة حكمه المنفرد.

الطور الثالث: يبدو فيه جلياً أن «رعمسيس الثاني» قد حول طراز النقش من بارز إلى غائر، وبخاصة في «معبد العرابة»، وقاعة العمدة العظمى في الكرنك، وكذلك نشاهد أنه زاد في لقبه القصير «وسر ماعت رع» بإضافة النعت «ستبن رع»؛ أي مختار رع.

الطور الرابع: نجد أن «رعمسيس» حفر نقوشاً جديدة من الطراز الغائر فقط، واستعمل اللقب «وسر ماعت رع ستبن رع»، ويجب أن نضع الطورين الثالث والرابع في فترة انفرداه بالحكم، ومن الجائز أنهما كان يتداخلان تاريخياً.

ومن أهم الشواهد التي قد تبرهن لنا على صحة اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده «سيتي الأول» ما نجده محفوراً حفرًا غائرًا على جدران معبد «بيت الوالي» الواقع في منتصف الطريق بين الشلال الأول والشلال الثاني، وكله منحوت في الصخر، فنشاهد منظر جزية بلاد النوبة يقدمها للفرعون «رعمسيس» طائفة من وجهاء المصريين، ومن بينهم ولده البكر المسمى «أمون حرونمف» الذي مات قبل إتمام نقش هذا المنظر، وكذلك «أمنمأبت» الذي كان يحمل لقب نائب الملك في بلاد النوبة، وقد أشار الأستاذ «ريزنر» عند درسه نواب الفرعون في بلاد النوبة، إلى أن ابن الملك صاحب «كوش» «أمنمأبت»

ابن «باسر» شغل هذه الوظيفة نحو عشرين عاماً، قضى معظمها في خدمة «سيتي الأول»، وأنه قد مثل بلقبه نائب الملك في منظر «بيت الوالي»، الذي يقدم فيه الجزية، وقد أخذ بعد ذلك «ريزتر» يقول: «إنه كان يوجد ابن ملك صاحب «كوش» يُدعى «يوني» ممثلاً على جدران معبد «وادي مياه»، أو «وادي عباد»، وهو المعروف عند الأثريين بمعبد «الرديسية»، ومعه نقوش ذُكر فيها «سيتي الأول»، وأنه كان لم يزل على قيد الحياة، وأن «يوني» هذا نفسه قد مثل ثانية بوصفه «ابن الملك صاحب كوش» على لوحة منقوشة في الصخر تقع شمال معبد «بو سمبل» الصغير، في عهد «رعمسيس الثاني». ثم يقرر بعد ذلك «ريزتر» أنه لم يكن في مقدوره أن يجد بين نواب الملك في «كوش» مثلاً واحداً لنائبين حكما في وقت واحد في بلاد النوبة مدة أربعة القرون التي أمكنه خلالها بحث تاريخ هذه الوظيفة، وبذلك يقرر «ريزتر» أنه إذا كان «أمنمأبت» نائباً للملك في بلاد «كوش» في عهد كل من «سيتي»، و«رعمسيس»، فمن الواضح جداً أن يكون «يوني» قد خلف «أمنمأبت» في مدة اشتراك الملك «سيتي» مع ابنه في حكم البلاد.^٦ ولما كان «أمنمأبت» قد ظهر ممثلاً في النقش الذي في «بيت الوالي» — وهو الذي كان قد نُحت في مدة الطور الثاني، عندما كان «رعمسيس» يستعمل لقب «وسر ماعت رع» — فلا شك في أن هذا اللقب القصير كان من مميزات عهد اشتراك الملكين في الحكم، وإذا كان «سيتي» على قيد الحياة عندما زين معبد «بيت الوالي»، كانت الحملات الحربية التي شنّها على «سوريا»، و«لوبياء»، وبلاد «النوبة»، وهي الممتلئة على جدرانه قد حدثت في عهد اشتراك الوالد والابن في حكم البلاد؛ ولذلك يمكن العدول عن التفسير الذي ذكره «برستد»، وهو الذي يقول فيه: «إن «رعمسيس الثاني» قد أقحم صورته في نقوش حروب «سيتي الأول» التي حفرها على جدران معبد الكرنك؛ إذ الواقع أن «رعمسيس» قد أضاف صورته لاشتراكه فعلاً في بعض الحملات، ومن المحتمل أنه كان — كما جاء في لوحة «كوبان» — رئيس الجيش عندما ... كان طفلاً في العاشرة من عمره.»

وللبرهان الذي عثرنا عليه في نقوش معبد «بيت الوالي» نتائج أخرى؛ إذ لم يقتصر الأمر على أن «رعمسيس» كان مشتركاً في ثلاث حملات على الأقل في حياة والده وحسب، بل إن اثنين من أولاده كانا يصحبانه، وهذا يضع أمامنا مسألة بحث عمره عندما اشترك في الملك مع والده «سيتي».

^٦ راجع: J. E. A. VI, pp. 39-40.

ولما كنا نعلم أن حكم «رعمسيس» قد امتد نحو سبع وستين سنة — على أقل تقدير، فمن المعقول أنه كان لم يزل حدث السن نسبياً عندما اشترك في الحكم مع والده، وتدل موميته بوضوح على أنه كان رجلاً طاعناً في السن عند وفاته، ولكننا مع الأسف لا نستطيع من فحصها تقدير سنه على التحديد. ومن نقوش السنة الأولى من حكمه — وهي التي عثر عليها في مقبرة الكاهن الأعظم «نب وننف»، وما يتبعها من رسوم — نعلم أنه كان في هذا الوقت قد بنى بزوجته المحببة إلى قلبه الملكة «نفتاري».

ولما كانت نقوش معبد «بيت الوالي» قد مثل فيها ابناه الأميران «أمون حرونمف»، و«خعمواست» فلا بد أنهما قد ولدا بطبيعة الحال قبل ذلك ببضع سنين؛ وبذلك يجوز لنا أن نحكم بأن الملكة «نفتاري» قد تزوجت من «رعمسيس» في صباه المبكر جداً، ويحتمل أن ذلك كان قبل اشتراكه مع والده في الحكم، وأنها كانت أم ولديه السالفي الذكر. والآن يتساءل الإنسان، كم كان عمر «رعمسيس» وقتئذ، وبخاصة أنه كان قد أنجب ولدين في مقدورهما أن يشتركا معه في ساحة القتال، ويقودا العربات، ويقدمَا الجزية عند الاحتفال بالنصر النهائي، وهو لم يبدأ السنة الأولى من حكمه المنفرد؟

والجواب على مثل هذا التساؤل يقتضي — كغيره من الأسئلة التي يُطلب تفسيرها في التاريخ المصري — أن يكون مبنياً إلى حد بعيد على الظن والاستنباط، يضاف إلى ذلك ما قد يكون لدينا من الحقائق الثابتة التي تسعفنا بها الآثار، ومع ذلك فإن لدينا براهين تستحق النظر، غير أنها مع ذلك مبهمة لا يعتمد عليها اعتماداً تاماً. ففي مناظر معبد «بيت الوالي» نشاهد كلاً من الأميرين ولدي «رعمسيس» قد رُسم محلّى بصفيرة جانبية، وهذه الصفيرة تعد في الفن المصري، والتقاليد المصرية رمز صغر السن والطفولة، غير أنه كان يحتفظ بها أحياناً عند الأمراء لمدة طويلة بوصفها شارة لرتبة ملكية، ولكنها أقل من رتبة الملك الحاكم، ومن المحتمل إذن أنهما كانا صغيري السن. وقد ذهب «إدوردمير» إلى أبعد من ذلك، إذ قال: «إنهما ماتا في طفولتهما». وإذا كانا قد تبعوا والدهما في ساحة القتال، فكما يفعل الأطفال حين يتبعون مربياتهم،^٧ وليس هناك ما يمنع من أن يكون قد سُمح للطفلين الصغيرين بالظهور أمام الملأ في الحفل الذي أقيم تكريماً لانتصار والدهما، كما يحتمل أن يكون ظهورهما لأجل أن يقدموا لوالدهما بصورة رسمية الجزية التي

^٧ راجع: Ed. Meyer Gèsch. II, 1 p. 547. Note. 1.

جُبيت من بلاد العدو المقهور، أما رسمهما وهما يقودان عربتيهما في ساحة القتال فيمكن التجاوز عنه؛ لأن الصورة لا تمثل إلا الكبرياء الفرعوني، والمبالغة المعهودة في فراعنة مصر عند تمثيل الحوادث. ولا أدل على ذلك مما نشاهده في صور الحروب التي مثلت على غطاء صندوق «توت عنخ آمون» وهو يحارب الأعداء، ولم يكن بعد قد تجاوز سن العاشرة. وعلى ذلك يمكن القول بأن ابني «رعمسيس» كانا في طفولتهما عند تمثيلهما على جدران معبد «بيت الوالي»، ومن الجائز كذلك أنهما كانا قد ماتا في طفولتهما على الرغم من أنهما رُسما بالحجم الطبيعي الذي يمثل الرجولة.

وعندما نطبق هذا القياس على صور «رعمسيس الثاني» نفسه في الصور التي ربما كانت تمثله من بداية مجال حياته، نجد فيه ما يمكن أن نعتمد عليه بحق في استنباط براهين على صدق ما نقول بوجه عام، حقاً إن هذه البراهين لا تخلو من الإبهام، ولكنها مقبولة، فمثلاً؛ في نقوش «الكرنك» التي اقتبسها «برستد» ليبرهن على أن «رعمسيس» لم يكن يوماً ما وارثاً للعرش إلا بعد أن أزال من الوجود أميراً آخر نجده (رعمسيس) قد رُسم عليها بصورة أصغر من أي شخص آخر معه، وتعليل ذلك: أن ضيق المكان هو الذي دعا إلى حشر كل صور «رعمسيس» في مساحات صغيرة جداً بالنسبة للصور الأخرى، وأغلب الظن أن هذه الأشكال المحشورة لا يمكن أن تعد معاصرة للنقش الأصلي؛ ومن الجائز أنها قد أضيفت إليه بأمر من «رعمسيس» بعد مضي سنين على الحوادث التي أراد تخليدها بنفسه. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على منظر التتويج الذي رسمه «رعمسيس» في معبد «القرنة»، شاهدنا أن «رعمسيس» نفسه قد رُسم بنفس الحجم الذي رُسم به والده «سيتي»، وبحجم الآلهة الثلاثة الذين أقيم هذا الحفل في حضرته. وإذا كان هذا المنظر يمثل فعلاً تتويج «رعمسيس» مشتركاً في الملك مع والده كما سنرى، فإن ذلك يدل على أنه قد بلغ سن الرشد على الأقل من حيث النمو الجسمي، اللهم إلا إذا اعترفنا — وذلك ممكن — أن «رعمسيس» لم يكن ليسمح أن تُنحت صورته في هذا المنظر بالذات بحجم أصغر من صور والده، أو الآلهة الذين كانوا معه، وعندنا على أية حال ثلاثة مناظر في معبد والده «بالعراية المدفونة» رُسم فيها «رعمسيس» بوصفه ولي عهد بصورة أصغر من صورة والده «سيتي الأول»، ويلاحظ في كل من هذه المناظر أن اسمه لم يُنقش في طغراء في نهاية سلسلة الألقاب التي لُقب فيها «رعمسيس» «بالأمير، بكر وأولاد الملك من صلبه».

وفي منظر آخر نشاهد الأمير يحمل الطغراءين اللذين يحتويان اسمه وألقابه على مقدمة رداؤه، ويلاحظ أن لقبه قد كُتب بالصيغة القصيرة؛ أي «وسر ماعت رع»، وعلى

أساس ما استنبطناه من براهين في نقوش معبد «بيت الوالي» كان «رعمسيس» فعلاً وقتئذٍ مشتركاً في الملك مع والده عندما حُفرت نقوش «العرابة»، وأنه كان لم يزل وقتئذٍ صغيراً لدرجة أنه مثل في هذه المناظر في صورة صبي صغير.

والآن يحق لنا بعد كل ما ذكرناه أن نذهب إلى أن «رعمسيس» عندما بدأ حكمه المنفرد الذي ظل نحو ٦٧ عاماً كان في نحو العشرين من عمره، وكان قد تزوج في الرابعة عشرة أو قبل ذلك من الملكة «نفرتاري»، ولما بلغ السادسة عشرة صار والدًا للأميرين «أمون حرونمف»، و«خعمواست»، وقد صحبه هذان الطفلان مع مربيتيهما في مغامراته الحربية على حسب ما جاء في حقائق مشابهة دونت في نقوش موقعة «قادش»^٨. والواقع أن الأولاد في الشرق ينضجون غالباً قبل السن المعتادة، فلسنا مبالغين إذا قلنا: إن ولديه قد اشتركا في الاحتفال بنصر والدهما، كما شاهدناهما مصوّرين على جدران معبد «بيت الوالي»، والظاهر أنهما قد لقيتا حتفهما وهما في السادسة والثامنة من عمرهما على التوالي، ومع أنهما قد اختطفا في سن الطفولة إلا أن حياتهما القصيرة قد خُلدت على نقوش جدران معبد «بيت الوالي» الذي نحته والدهما في صخور بلاد النوبة.

ولدينا مناظر ونقوش عديدة في معبد «القرنة» حُفرت في الطور الأول والثاني، وتمثل الموقف التاريخي الذي شاهدناه في معبد «بيت الوالي»، فقد رُسم — كما ذكرنا — على جدران هذا المعبد منظر تتويج «رعمسيس» مشتركاً مع والده في الملك، وقد نُقش الحفر البارز المميز للطور الأول من أطوار حكمه التي ذكرناها سابقاً. هذا ونشاهد في مناظر ثلاثة شعائر متتابعة من طراز الطور الثاني، اسم كل من «رعمسيس» و«سيتي» يُذكر بالتوالي في أحوال يمكن فهمها على الوجه الأكمل إذا كانا مشتركين في حكم البلاد بمرتبة متساوية. هذا، ويوجد إفريز محليّ بعلامات «خكر» أقيم فوق سلسلة المناظر السالفة الذكر، وقد كُرر عليه اسما الملكين بالتوالي؛ مما يدل كذلك على صحة مشاطرتهما ملك البلاد معاً. وفي «العرابة» نجد في كل من معبد «سيتي الأول»، ومعبد «رعمسيس الثاني» ما وجدناه من مادة في كل من معبد «بيت الوالي»، ومعبد «القرنة»؛ إذ الواقع أن جزءاً كبيراً من معبد «رعمسيس الثاني» كان قد تم بناؤه، وزخرفته قبل موت والده، أما في معبد «سيتي» نفسه فقد صُوّر «رعمسيس» بوصفه ولي العهد في حضرة والده لابساً رداء مزيئاً بطغراء نُقش فيه لقبه القصير الخاص بعهد اشتراكه في الملك مع والده، وقد أتم

^٨ راجع: 1. Ed. Meyer op. cit. p. 457. Note 1.

«رعمسيس» معبد «سي تي الأول» بعد وفاة والده؛ حيث نشاهد أنه قد حول نقوش والده البارزة في الردهة الثانية إلى نقوش غائرة باسمه، وقد استعمل لقبه الطويل كما كان المنتظر في هذا الطور من تاريخ حياته.

والآن نلقي نظرة على قاعة العمدة العظيمة «بالكرنك» التي كان الغرض الأساسي في طراز بنائها محاكاة قاعة عمد معبد «الأقصر»، وتدل شواهد الأحوال على أن العمل قد بُدئ فيها في عهد الفرعون «حور محب» كما أسلفنا، غير أن التصميم الأصلي قد غُيّر في عهد «رعمسيس الأول»، وقد تم تزيين الممر الشمالي في عهد «سي تي الأول»، وتم تزيين الممر الجنوبي في عهد «رعمسيس الثاني»، وكان إنجاز معظمه في عهد اشتراكه في الملك مع والده.

وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن كل الأتوار الأربعة التي تقلب فيها عهد «رعمسيس الثاني» — كما أسلفنا — ممثلة في زخرفة هذه القاعة الشاسعة الأرجاء وفي زينتها، فنشاهد أن أكثر من نصف الصور التي على الواجهة الشرقية لبرج البوابة الجنوبي، وكذلك أغلبية الصور التي على الجدار الجنوبي كانت كلها محفورة حفراً بارزاً من طراز الطور الأول، ويلاحظ أن هذه النقوش بعينها مضافاً إليها بعض مناظر «سي تي الأول» المحفورة حفراً بارزاً، قد حُولت إلى نقش غائر في الطور الثالث، عندما أضاف «رعمسيس الثاني» إلى لقبه البسيط نعت «ستبن رع»، وأصبح يلقب «وسر ماعت رع ستبن رع»، ويلاحظ أن النقوش الغائرة من الطور الثاني التي كانت تحمل اللقب القصير «وسر ماعت رع» قد بقيت كما كانت دون إحداث أي تغيير.

(١-١) منظر سفينة آمون المقدسة «وعيد الوادي» وصلتهما

بعهد اشتراك «رعمسيس» في الحكم

ومن المناظر التي لها علاقة هامة جداً بموضوع اشتراك «رعمسيس» مع «سي تي الأول» منظران رُسما على الجانب الجنوبي لقاعة العمدة العظيمة «بالكرنك»، وهما يمثلان سفينة «آمون» المقدسة، وقد صُوّر على محرابها صورة رمزية لكل من «سي تي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، أحدهما بالنقش البارز المميز للطور الأول الذي حول إلى نقش غائر، والثانية بالنقش الغائر الخاص بالطور الثاني، وقد حافظ «رعمسيس الثاني» عندما غيّر النقش في الصورة الأولى من بارز إلى غائر على لقب والده، وهذا يُعدُّ برهاناً ساطعاً على رغبته في المحافظة على ذكرى اشتراكه في الملك معه، وتمثل إحدى هاتين الصورتين

الاحتفال بعيد الوادي السنوي الذي تكلمنا عنه فيما سبق (راجع الجزء الثالث). وقد أخطأ الأستاذ «زيتة» في تفسير منظر هذا العيد، وقال عنه: إنه الاحتفال بعيد «إبت»؛^٩ أي عيد معبد «الأقصر» الذي ذُكر في كثير من نقوش «رعمسيس الثاني» الخاصة بالسنة الأولى من حكمه، وهذا المنظر في الواقع يمثل «رعمسيس الثاني» وهو يؤدي وظيفته المزدوجة بوصفه فرعوناً وبوصفه كاهناً، أكبر في حين أن والده «سيتي الأول» قد مثل في نفس المنظر يسير في موكب السفينة المقدسة، إمّا بشخصه، أو بنيابة تمثاله عنه، ويحتل أن هذا المنظر يمثل الاحتفال بعيد عام بعد تنويجه؛ أي في بداية عهد الاشتراك في الملك قبل موت «سيتي» ببضع سنين. ويلاحظ هنا أن اسم «سيتي» لم يُنعت بعبارة «صادق القول» — أي المتوفى — في كل الأحوال؛ مما يدل في هذا النقش وغيره من نقوش الطور الأول والثاني على وجود عبادة لهذا الملك في «الكرنك» في أثناء عهد الاشتراك في الملك؛ ولذلك كان يظهر «سيتي» بشخصه في خلال إقامة الشعائر الدينية عندما يكون موجوداً في طيبة، وكان ينوب عنه تمثاله إذا غاب، وعلى ذلك يمكن أن نعطي أهمية لاستعمال عبارة «صادق القول» بعد اسمه إذا كانت تستعمل باعتبار ما سيكون من إقامة الأفعال لعبادته عندما يكون حضوره بنفسه أمراً مستحيلاً. والواقع أن «سيتي الأول» كان مؤلهاً في معبده «بالعرابة» كما ذكرنا آنفاً، وأخيراً يتساءل الإنسان في هذا البحث: لماذا نبذ «رعمسيس الثاني» في أوائل عهد اشتراكه في النقش البارز المميز لحكم «سيتي الأول» حياً في النقش الغائر الذي يميز الطور الثاني من أطوار حكمه، وهو في ذوقنا أقل جمالاً من سابقه؟ والجواب على هذا السؤال لا يخرج عن دائرة التخمين والحدس، فمن الأشياء التي تلفت النظر هو أن هذه الظاهرة توجد في كل المعابد التي أقامها «رعمسيس الثاني» التي استعرضناها حتى الآن،^{١٠} وكذلك من الأمور التي لها أهمية، ما نلاحظه في كل المعابد

^٩ راجع: A. Z. LXII, p. 113.

^{١٠} ويجد الأستاذ «حمزة» بك الجواب عن دهشته عندما وجد «رعمسيس الثاني» يغير نقوشه من بارزة إلى غائرة في النقوش التي عثر عليها في «قنتير»، وربما كان ذلك من البراهين التي تدل على أن «برعمسيس» قد بدأ العمل في إقامتها في عهد «سيتي الأول»، وهذا محتمل جداً، وبخاصة عندما نعلم أنه كان لـ «سيتي» قصر هناك، بل يحتمل أنها كانت قد تمت قبل وفاته، وأن «رعمسيس الثاني» قد اتخذها عاصمة الملك في الوجه البحري في أثناء اشتراكه مع والده، كما قد يدل على ذلك ما جاء في لوحة الإهداء التي نقشها في معبد «سيتي» «بالعرابة المدفونة».

التي له فيها أثر، وهو أن هذا التحول قد ظهر في عهد اشتراك الملكين في الحكم عندما كان «سيتي» لا يزال حياً، ومن ذلك يتضح لنا أن تغيير الطراز لم يحدد لنا موت «سيتي»، وكذلك لما كان «رعمسيس الثاني» قد حفر عددًا عظيمًا من النقوش البارزة في أوائل عهد اشتراكه في الملك، فإنه من الواضح أن اتخاذ طراز الحفر الغائر لا ينطبق مع اشتراكه مع والده في الملك.

وإذا أردنا أن نبحث في المصادر المصرية لتفسير ذلك كان جديرًا بنا أن نولي وجهنا ثانية نحو ما ينطق به «رعمسيس» نفسه حين يقول: «لا يوجد أثر أنجز لم يكن تحت سلطاني (حرفياً تحت سلطانك)»؛ وبذلك نجد «رعمسيس» يؤكد عن قصد تسلطه على عمليات البناء وقتئذ؛ مما يجعل الإنسان يميل إلى الاعتقاد بأنه كان صاحب اليد الطولى شخصياً في تصميم أمثال هذه المباني وإنجازها. ومن المحتمل أنه في عهد اشتراك الملكين كان «سيتي» في غالب الأحيان غائباً عن مصر في حروبه المختلفة، في حين كان «رعمسيس» مقيماً في البلاد يدير شئون الملك على وجه عام.

ومن الجائز إذن أنه في مثل هذه الأحوال قد تأثر بمبادئ مدرسة جديدة للنحت كانت تعتقد أن طراز النحت البارز من بقايا عصر باند، ولا بد من التجديد. وعلى أية حال، فإن «رعمسيس» الشاب لم يكن بعيداً عن عصر «إخناتون» الذي كان قد بدأ يظهر فيه النقش الغائر بصفة واضحة، ومهما يكن تأثير العوامل الخارجية على فكره، فإننا نعلم أنه خضع لنفوذ هذا الطراز من النقش، ولا بد أنه قد اعتنق هذا التجديد عن عقيدة قوية كانت تزداد كل يوم؛ لأنه لم ينبذ النقش البارز حباً في النقش الغائر فحسب، بل إنه بعد مدة قصيرة ذهب في حبه لهذا الطراز إلى حد أنه — على الأقل في «العرابة»، و«الكرنك» — كشط كل نقوشه البارزة، ونقشها من جديد بالحفر الغائر، ومن الجائز أنه كان هناك دوافع أخرى قد شجعت على ذلك، منها أن النقش الغائر يمكن إنجازه بسرعة، وهو أبقي على الزمن من الحفر البارز. وعلى أية حال، فإننا نعجب بحماسة وغيرته في هذا الصدد أكثر مما نعجب بذوقه، ولن نحيد إذن عن الصواب إذا قلنا: إن «رعمسيس الثاني» قد وجد الطراز الجديد في عينه أكثر جمالاً من القديم، وأنه كان مقتنعاً بحكمة شبابه أكثر من أي ملك قديم محنك.

هذا ملخص عام للآراء التي أوردها «كيث سيللي» في كتابه عن عهد اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم، وهي بلا شك تُعد مقدمة لا بد منها لمن أراد أن يدرس تاريخ «رعمسيس الثاني» من الآثار، وعلى الرغم مما فيها من فروض — قد تصيب وقد تخطئ —

فإنها في مجموعها تُعد أساساً صالحاً لدرس حياة هذا الملك العظيم الذي ملأ الإمبراطورية المصرية بآثاره التي — كما هي الآن — يخطئها العد. والآن نبتدئ بعد درس الوثائق التي خلفها لنا هذا الفرعون عندما أخذ مقاليد الحكم في يده منفرداً بعد أن ألقينا نظرة عامة على ما قام به في عهد اشتراكه في الحكم مع والده، وأهم هذه الوثائق من الوجهة التاريخية والدينية والهندسية وثيقة الإهداء التي دونها على جدران الجزء الذي أضافه لمعبد والده «بالعرابة المدفونة»، وهي التي أرخت بالسنة الأولى من تربيعة على عرش الملك بعد وفاة والده.

(أ) وثيقة الإهداء الكبرى في معبد العرابة المدفونة

(١) خطاب أوزير للملك: خطاب «أوزير» رب الأبدية لابنه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»: إن قلبي في راحة بفضل ما فعلت لي، وإني لمبتهج بما قد أمرت به لي، وإني لفرح بتقديمك العدالة لي قرباناً؛ لأنني أعيش بأعمال الخير التي أهديتها مدة أمد السماء، وإن أعمالك الصالحة تشبه أعمال قرص الشمس، وستبقى أنت ما بقي «أتوم»؛ لأنك تسطع على عرشه، وكذلك ما دام «رع» مزدهراً عندما يخترق السموات العلا حيثما تكون أنت ملكاً على الوجه القبلي والوجه البحري بفضل أعمالك الصالحة داخل قصرك، وخططك محببة إلى قلبي، وما فعلته في الأفق كان مقبولاً، والمحراب يكون في حبور عندما يسمعك تلقي قصة أعمالك الصالحة، والإله «تاتنن» إله الآخرة قد منحك مئات ملايين السنين.

(٢) خطاب «إزيس»: خطاب «إزيس» العظيمة والدة الإله: يا بني العزيز محبوب «آمون رعمسيس»، إن طول أمد حياتك مثل ١١ طول أمد حياة ابني «حور»، فهكذا أنت، وهكذا سيكون من خرج من بطني، وإنك بار بنا مثله، وإن مدة أجل السماء، وممالك السيد المهيمن «أوزير» جميعها، وسني «حور» و«ست» ستمنح لك بوصفك ملكاً على الأرض.

(٣) خطاب «سيتي الأول»: خطاب «أوزير» الملك «من ماعت رع» (صادق القول): فليفرح قلبك يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»؛ لأن «رع»

إله الشمس يهيك الخلود، و«آتوم» يبتهج باسمك «حور» الغني بالسنين، تأمل إني في حبور يوميًا؛ لأنني أعود إلى الحياة من جديد، وإني لفي سرور لما فعلته لي منذ أن دعيت صادق القول؛ أي توفيت، ولقد عظمني «وننفر» (أوزير) لما فعلته لي.

(٤) خطاب «رعمسيس الثاني»: خطاب ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» لوالده «أوزير»: إني أتضرع لوجهك كما كان يفعل ابنك «حور»، وإني أفعل ما يفعله فأعمل لك آثارًا في المكان المقدس (الجبانة)، وأضعف الأوقاف لروحك، وإني أنا المجيب عن والدي وهو في عالم الآخرة السفلي، وإني تحت تصرفك، وتحت سلطانك، ولما كنت أعرف أنك تحب العدالة فإني أقدمها لجمالك حاملاً إياها على راحتني أمام وجهك حتى تجعل الأرض ملكًا لي في سكينته، وحتى تهبني الخلود بوصفك ملكًا، والأبدية بوصفك راعياً للأرضين، وإني على استعداد لتنفيذ ما يحبه قلبك كل يوم بلا انقطاع.

(٥) رحلة رعمسيس الثاني إلى «طيبة»، وسرد أعماله التي قام بها تكريمًا لوالده: لقد كان ولدًا بارًا بأبيه مثل «حور» عندما انتقم لوالده «أوزير»، فهو الذي صور من سواه، ونحت تمثال من أنجبه، وأحيا اسم من وضع بذرتة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس الذي يحبه، ورب التيجان «أمون مري رعمسيس» معطي الحياة مثل «رع» مخلصًا «أوزير» سيد «العرابة»، فقد ظهر سيد الأرضين ملكًا ليحافظ بتقى على ذكرى والده في السنة الأولى في أثناء سياحته الأولى إلى «طيبة»، وقد نحت تماثيل لوالده الملك «من ماعت رع»، أحدهما في «طيبة»، والآخر في «منف» في المعبدتين اللذين أقيما لهما هناك، وزاد في جمال ما كان موجودًا في «تاور» في ضاحية «العرابة»؛ لأنه كان يحب ما يميل إليه قبله (أي قلب والده) منذ أن وُجد على الأرض؛ أي على تربة «وننفر» (أوزير)، وقد جدد إصلاح آثار والده التي في الجبانة ليجعل اسمه باقياً، وقد بدأ في نحت تماثيله، وتخصيص قربان ثابت لروحه المبجل، وإمداد معبده، وتموين قربانه، وإصلاح ما كان قد تخرَّب في المثوى الذي يعزه. وكذلك أقام العمد في معبده، وبنى جدران سوره، وأخذ في تدعيم أبوابه، وفي إقامة أنهار في مثوى والده في بقعة «أوزير» (؟) ... والبوابة المزدوجة المقامة في الداخل (؟)، ويرجع الفضل في ذلك لأعمال الملك الشجاع ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع مري أمون رعمسيس»، معطي الحياة لوالده «أوزير من ماعت رع» صادق القول، وقد أسس له أملاكًا وأمدها بالأرزاق لما له من سمعة بين الملوك، وكان قلبه رقيقًا بمن أنجبه، ولبه شفيقًا على من نشأه.

(٦) وصف حالة آثار العرابة التي وجدها عليها الملك عند عودته من «طيبة»: واتفق ذات يوم في السنة الأولى في الشهر الثالث من الفصل الأول في اليوم الثالث والعشرين أنه منذ العيد (?) ... بعد أن سار في ركاب «أمون» حتى «الكركن» طلع الملك مغمورًا بالثناء من «أمون-آتوم» في «طيبة» لشجاعته وبطشه، وقد كافأه هذا الإله بملايين من السنين أكثر عددًا من سرمدية «رع» في السماء، وعندما سمع ... هادئًا (?) في خلود الزمن والأبدية، وقد رفع ذراعه حاملًا المبخرة نحو أفق الذي يستقر في الحياة (?)، ولقد كانت قرباته طيبة ومقبولة عند والده رب الحب، وعاد جلالته من البلدة الجنوبية (طيبة) ... «رع»، وقد بدأ السير في طريقه بعد أن أعدت العدة، ومخرت السفينة الملكية عباب الماء متجهة صوب الشمال إلى مكان الشجاعة بيت «مري أمون رعمسيس»، العظيم الشجاعة. وقد دخل جلالته ليرى والده مقلعًا في مياه قناة «تاور» ليقرب القرايين للإله «ونفر» في المكان الجميل الذي يحبه روحه، وليسلم على ٦ ... أخاه «أنحور» ابن «رع حقا»، وهو مثله تمامًا.

وقد وجد مباني الجبانة التي من عهد الملوك الأقدمين، وكذلك مقابرهم التي في «العرابة» آيلة للخراب، ولا يزال البناء جاريًا في نصفها ... ساقطًا على الأرض، وجدرانها منبوذة على الطريق، ولم تكن لبناتها متماسكة، وقد درس ما كان قائمًا منها، ولم يكن هناك إنسان ليبنى ... ما كان قد عمل تخطيطه أبدًا (?) منذ أن طار إلى السماء أصحابها، ولم يكن هناك ابن يقوم بإصلاح ما تركه والده من آثار في الجبانة.

أما معبد الفرعون «من ماعت رع»، فكان البناء جاريًا في واجهته ومؤخرته عندما دخل الملك السماء، وكانت مبانيه لم تُتجز بعد، ولم تكن قواعد عمده قد أقيمت، وكان تمثال الفرعون ملقى على الأرض، ولم يكن قد نُحت بعد على حسب القواعد المتبعة في محاجر «حتنوب» (?)، وكانت قد انقطعت قرباته وكهنته غير المحترفين أيضًا، وقد استولى على ما كان قد جُلب إليه؛ لأن حقوله وحدودها لم تكن قد ثبتت تمامًا على الأرض.

(٧) «رعمسيس الثاني» يعقد مجلسًا من رجال بلاطه وموظفيه: تحدث جلالته لحامل خاتم الوجه البحري الذي كان بجانبه: تكلم، ادعُ رجال البلاط والأشراف ورؤساء البلاط جميعًا، ومديري الأعمال بجملتهم، والمشرفين على بيت الكتب، وقد أحضروا لجلالته وأنوفهم تقبل الأرض راكعين مهللين فرحًا، رافعين أكف الضراعة لجلالته، ثم أخذوا في إطرأه هذا الإله الطيب، وعظموا فضائله في حضرته، وتكلموا بخير عما أنجزه، وتأثروا أعمال شجاعته كما وقعت، وكل كلام خرج من أفواههم يطابق ما فعله سيد الأرضين

بحق، وبعد ذلك انبطحوا على بطونهم، وتمرغوا على الأديم أمام جلالته قائلين: لقد أتينا إليك يا سيد السماء، ويا رب الأرضين يا «رع»، يا حياة العالم كله، ويا سيد الأبدية، ويا قوياً في دوراته، يا «أتوم» الإنسانية، ويا صاحب الحظ السعيد، ويا خالق الكثرة، ويا «خنوم» بارئ البشر، ويا واهباً أنوف المخلوقات نفس الحياة، ويا من يجعل التاسوع الإلهي كله يعيش، ويا عماد السماء، وقوام الأرض، ومنظم شاطئ النيل، ومعدلهما، ورب الغذاء وصاحب الغلال الوفيرة، أنت يا من تحت قدميه الإلهة «رنوت» إلهة الحصاد، ويا من يخلق العظماء، ويسوي الصغار، ويا من كلامه طعام، يأبها السيد السامي اليقظ عندما ينام الناس، ويا من تحمي شجاعته مصر، ويا شديد البأس على الأجانب، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (?)، ومن خنجره يحمي الدلتا، ويا محبوب الإلهة «ماعت»، والعائش بالقوانين التي سنتها، ويا مدافعاً عن شاطئ النيل، والغني في السنين، والعظيم الانتصارات، ويا من سحق البلاد الأجنبية خوفهم إياه، يا مليكاً، ويا شمساً، ويا من كلامه حياة «أتوم»، تأمل إنا أمام جلالتك لتأمر بمنحنا الحياة التي تهبها، يأبها الفرعون الحي السليم القوي، يا نسيم أنوفنا، ويا حياة كل البشر عندما تسطع عليهم.

(٨) الملك يقص خبر توليته عرش الملك، ويستعرض مشاريعه: ثم تحدث إليهم جلالته قائلاً: «تأملوا! لقد أمرت بدعوتكم لما جال بخاطري عندما شاهدت مباني الجبانة ومقابر «العرابة» لم تنجز أعمالها بعد منذ زمن أصحابها حتى اليوم؛ ذلك أنه عندما يخلف ولد أباه على عرش الملك يجب عليه أن يتم ما شرع فيه، ووضع أسسه أبوه؛ من أجل ذلك قلت لنفسي: إذا أعاد المرء إقامة ما تهدم جلب لنفسه سعادة الحظ، وإنه لعمل صالح أن يفكر الإنسان في ذلك، وإنه لجميل أن يهتم لب الابن بوالده، وبمثل هذا يدفعني قلبي لعمل أشياء نافعة لـ «مرنبتاح» (سي تي الأول)، وإني سأعمل حتى يقول الناس إلى الأبد السرمدي، إنه ابنه الذي جعل اسمه يحيى؛ ومن أجل هذا سيخصني والدي «أوزير» بحياة ابنه «حور» الطويلة؛ جزاء ما سأقوم به من الأعمال الطيبة لوالدي؛ لأنني كنت باراً به كما كان «حور» باراً بمن أنجبه، وإني خرجت من «رع» ... قولوا أنتم (أي ؟) إن «من ماعت رع» والرب العالمي نفسه «أوزير» قد نشأني وجعلني أنمو حينما كنت لا أزال طفلاً حتى أصبحت ملكاً وأعطاني الملك (?)، ومنذ أن كنت لا أزال في البيضة، وكان العظماء يقبلون الأرض أمامي، وأنا لم أزل أنشأ بوصفي البكر، والأمر الوراثي على عرش «جب»، وإني وضعت التقرير (?) (٤٥) عن أحوال الأرضين بمثابة قائد المشاة والخيالة، وعندما كان يظهر والدي أمام الشعب كنت طفلاً صغيراً بين ذراعيه، وكان يقول عني: «توجوه

ملكًا حتى أرى جماله وأنا لا أزال حيًّا». وعلى ذلك دعي المهندمون ليضعوا التيجان على جبيني، وقيل: ضعوا له التاج على رأسه حتى ينظم هذه البلاد، ويدير شؤون مصر ... وليولِّ وجهه شطر الناس (هكذا تكلم ؟) ((٤٧) ... باكيًا بسبب الحب العظيم الذي كان يمكنه لي في جوفه، وقد أمدني بإمءاء، ووصيقات فاتتات (؟) مع عذارى من القصر، وقد انتخب لي زوجات من بين اللاتي يؤخذ منهن مغنيات «أمون» ... وأراد أن يخصني من بين نساء القصر مربية (؟) تأمل، لقد كنت «رع» (الشمس) فوق الناس، فأهل الجنوب وأهل الشمال كانوا تحت نعلي ... وإنه أنا الذي (٤٩) ... قد صنعت تمثال والدي من الذهب، وثبَّت حقوله ... وحبست القربان على روحه (٥٠) ... من خمر وزيت خروع، وكل أنواع الفاكهة وكل باكورات المحاصيل، ونميت المزارع له. تأمل، لقد وضع معبده تحت ملاحظتي، وكل أشغاله كانت تحت مراقبتي منذ أن (؟) ... حينما كنت طفلًا (٥١) ... لأجل (؟) والدي، وسأكبرها بإعادة إقامة المباني، ولن أهمل مكانها كما فعل أولئك الأطفال الذين نسوا والدهم، وسأعمل حتى يقول الناس (٥٢) ... ولد كان يعمل الطيبات، والأعمال الجبارة التي أنجزتها إكرامًا لوالدي عندما كنت لا أزال طفلًا أريد أن أتمها الآن وأنا سيد القطرين، وإني سأستعمل بإخلاص أحسن وسيلة (؟) ... (٥٣) ... وإني سأقيم جدرانًا في معبد من أنجبني، وسأكل لرجل ممن أختار العناية بإدارة الأعمال، وسأسد الثغرات التي في الجدران، وإني ... هذه البوابات، وسأعطي بيته بسقف، وأقيم واجهته، وسأضع قطعًا من الحجر في أماكن الأسس. وإنه لجميل أن يقيم الإنسان أثرًا فوق أثر، فهما شيئان مفيدان يعملان دفعة واحدة، ويحملان اسمي واسم والدي، فهكذا كان الأب، وهكذا من أنجبه أيضًا.»

(٩) جواب المستشارين: وعندئذ تكلم السمار الملكيون مجيبين الإله الطيب: «إنك «رع» (الشمس)، وجسمك جسمه، ولا يوجد قط ملك يشابهك، فأنت وحدك مثل ابن «أوزير»، وتعمل على حسب خطه (٥٦) ... «حور» بن «إزيس»؛ ولم يفعل أي ملك هكذا (؟) منذ عهد «رع» إلا أنت وابنه، وإن ما فعلته أعظم مما فعله منذ أن تولى الملك بعد «أوزير»، وإن قانون البلاد يثبت ويستقر عندما يكون الابن مهتمًا بشأن من أنجبه، والبذرة المقدسة ... ذلك الذي سوَّاه، والبيضة (؟) تحيط بالعناية مرببها المبجل (أي والده)، ولم يفعل بعد إنسان ما فعله «حور» لوالده إلى هذا اليوم إلا جلاتك ... فقد عملت ما لم يعمل من قبل، فأني مثال فضيلة يوجد (٥٨) في استطاعتنا أن تأتي به لنذكره أمامك؟ ومن ذا الذي يأتي لينصحك عندما يفكر في الذي أتيت به بمحض عبقريتك؟ لقد صيرت الجاهل ... حلواً، وإن

في قلبك لحلاوة لوالدك «من ماعت رع» الوالد الإلهي محبوب الآلهة «مرنبتاح» صادق القول، ومنذ عهد «رع»! ومنذ عهد أن توج الملوك لم يوجد آخر مثلك؛ إذ لم يرَ مثلك وجهه، ولم يسمع لمثلك قول، كما لم يوجد ابن آخر قد جدد آثار والده، ولا أحد اعتلى العرش مثلك قد حافظ بصلاح على ذكرى والده إذ كان كل واحد يعمل لما فيه فائدة اسمه إلا أنت و«حور» هذا؛ ولذلك فإنك وابن «أوزير» سيان.

تأمل، إنك وارث ممتاز مثله؛ إذ تدير ملكه بنفس طريقته، وإذا فعل أي فرد ما فعله الإله كان له نفس طول عمره (أي عمر الإله) وإن قلب «رع» في السماء لفرح، والآلهة مبتهجون بمصر منذ تتويجك ملكاً على الأرضين جميل ... وإن عدالتك لممتازة، وإنها تصل إلى السماء، وإن خطبك مستقيمة لقلب «رع»، وإن «آتوم» لمتلى حبوراً، والإله «وننفر» منتصر بفضل ما فعلته جلالته لروحه، ويقول ... إنني أمنحك (?) أمد هاتين السماءين وآلهة المكان سرى (?) لصاحبه سيد العالم السفلي يقولون: (?) إنك ستكون على الأرض مثل «آتون» ص شمس)، وإن قلب «مرنبتاح» لفرح؛ لأن اسمه قد أحيى من جديد، وإنك تصوغه من ذهب، وأحجار كريمة حقيقية ... من السام ... وإنك تصنعه من جديد باسمك، وكل الملوك الذين في السماء، والذين كانت مبانهم لم تزل في دور التنفيذ، ليس لهم ولد قد عمل ما عملته منذ عهد «رع» حتى هذا اليوم ... (٦٥) ... جلالته، والذي فعله قد جددت ذكراه بعد أن كان قد نسي، ولقد جددت آثاراً في الجبانة، كما أن كل المشروعات التي كانت مهملة قد أنجزتها على الوجه الأكمل (?) ... (٦٦) ... والأجيال تمر، ويحل غيرها، وجلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري؛ لأنك أنت الذي تعمل الخير، وقلبك مرتاح لإقامة العدل، وما عمل في زمن الآلهة سيسمع (?) ... (٦٧) ... وعندما تُرفع إلى السماء ستصعد أعمالك الصالحة حتى الأفق؛ والأعين ترى أعمالك العظيمة التي أنجزت أمام الآلهة والناس، وإنك أنت الذي تعمل، وإنك أنت الذي تكرر الأثر فوق الأثر للآلهة على حسب أوامر والدك «رع» (٦٨) ... واسمك في كل بلد من أول بلاد النوبة جنوباً وشمالاً من أول شواطئ البحر حتى بلاد «رتنو» حيث القبائل البدوية (?). وفي الأماكن الملكية الحصينة، وكذلك في المدن المشيدة، والتي يسكنها الناس (٦٩) ... وكل الأماكن تعرف أنك إله لكل الموجودات، والناس يسهرون ليقوموا لك بتقديم البخور على حسب أمر والدك «آتون» الذي تعظمه مصر، وكذلك تفعل الأرض الحمراء (الصحراء).

(١٠) تقديس معبد «سييتي» الذي أتمه «رعمسيس الثاني» (٦٩-٧٥): وبعد أن سمعت هذه العبارات التي فاه بها هؤلاء العظماء أمام سيدهم؛ أعطى جلالته الأمر بأن توكل

الأعمال لمهندس البناء، فانتخب جنودًا وعمالًا بنائين، ونقاشين، ورسامين محترفين (؟) وعمالًا من كل طوائف الصناعات لبناء قدس أقداس والده، ولأجل إصلاح ما كان قد تخرَّب في الجبانة، وفي مثنوى والده الجنازي. تأمل، إنه قد بدأ في نحت تمثاله في السنة الأولى، وفي الوقت نفسه ضاعف القربان لأجل روحه، حتى أصبح معبده مموَّنًا كما يجب، وكذلك أمده بما يلزمه، وقد عمل قائمة أملاكه دفعة واحدة بما تحويه من حقول، وزراع، وقطعان ماشية، وعيَّن الكهنة، وحدد اختصاصاتهم تمامًا، فخادم للإله لتكون السجلات تحت إدارته، وهؤلاء الناس تحت ... لأجل إدارة ممتلكاتهم (؟) ... وهذه المخازن كانت غنية بالحبوب (٧٤) ... وأملاكه الشاسعة في الجنوب والشمال قد وُضعت تحت مراقبة مديره، ويرجع الفضل في ذلك لما فعله مدير الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ابن رع محبوب آمون «رعمسيس» معطي الحياة سرمدياً ومخلدًا؛ لأجل والده الملك «من ماعت رع» صادق القول (٧٥) ... تحت إدارة «وننفر»، وقد أعاد ما كان قد فعله لروحه في «طبية»، و«هليوبوليس»، و«منف»، وتماثله جاثمة مكانها في طرق الصحراء كلها.

(١١) خطاب الفرعون لوالده «سيتي» (٧٥-٩٨): «وهاك كلام ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ابن الشمس سيد التيجان، محبوب «أمون» «رعمسيس» معطي الحياة، عندما أعلن ما فعله لوالده «أوزير» الملك «من ماعت رع»، صادق القول إذ يقول: تنبه وولِّ وجهك قبل السماء لترى «رع» يا والدي «مرنبتاح» أنت يا من أصبحت إلهًا، انظر لقد جعلت اسمك يحيى، وإني أرى صلاح ذكراك؛ إذ أعنتني بمعبدك (٧٧)، وقربانك ثابت دائم، وإنك تُثوى في العالم السفلي مثل «أوزير» في حين أنني أشرق مثل «رع» على الإنسانية، وأجلس على عرش «آتوم» مثل «حور» بن «إزييس»، الذي انتقم لوالده، ما أجمل ما فعلته لك (؟) فإنه مضاعف الحسن (؟)؛ لأنك عدت به إلى الحياة من جديد! فقد صنعت لك تمثالاً، وبنيت مثواك الذي كنت ترغب فيه، والذي فيه صورتك في جبانة العرابة (إقليم الأبدية)، وإني أضع قربابين لتماثلك، كما تقدم لك هبات يومية، وما فعلته كان بطريقة محكمة حتى إذا نقصك شيء فعلته لك؛ لأن كل ما يرغب فيه قلبك مفيد لسمعتك (؟)، وإني أُعين لك خدماً للمائدة (٨٠) ليحملوا الطعام لروحك، وليصبوا الماء له على الأرض من خبز وماء على التوالي، ولقد أتيت بنفسي مرتين (؟) لأزور معبدك الذي بجوار «وننفر» ملك الأبدية، ولقد عكفت على أعمال هذا المعبد؛ فبنيت رقعته (غطيتها بالبلاط) (٨١)، وإني ... ما رغبت فيه، وأقمت كل مساكنك التي نبت فيها اسمك

سرمدياً؛ ولقد فعلت كذلك لأجل حالة معبدك الطبيعية (أي لتكون هذه الحالة الطبيعية باقية ثابتة) وإني أهبك أقوام الجنوب، الذين يحملون العطايا لمعبدك، وأقوام الشمال الذين يحملون جزيتهم لوجهك الجميل، وقد جمعت كل من يعمل لك هدايا في مكان واحد تحت ملاحظة (؟) كاهن معبدك حتى تبقى ملكيتك كتلة موحدة (لا تقسم) على حين أن الأشياء تحمل إلى معبدك مدى الخلود.

وقد جعلت خزانتك فاخرة؛ إذ ملأتها بالخيرات على حسب رغباتك (؟)، وإني أقدمها لك في الوقت نفسه مع الجزية التي تستحقها (؟)، وإني أهديك سفينة نقل بحمولتها على البحر الأبيض مشحونة بالذخائر العظيمة من بلاد الآلهة، والتجار يتجرون في سلعهم، وطرائفهم المشغولة (؟) من ذهب وفضة ونحاس، ودونت من أجلك قوائم حقول كانت من قبل معروفة شفوياً فقط (؟) ... على الأراضي العالية المقدرة بالحقول، وإني أمدها بملاحظين ومزارعين لحصد الحبوب للقرابين المقدسة، وإني أقدم لك سفناً بنواتيها، والنجارون يشتغلون حتى لا يكون هناك ما يعوق سير السياحة إلى المعبد.

وقد جمعت لك قطعاناً من كل نوع من الحيوان الصغير لإمداد قرابينك بطريقة منظمة، وخصصت لك أوزاً مجلوباً من حظائر التسمين (؟)، وأخرى (٨٧) ... وكذلك أوزاً حياً لتربي، وهي تلك التي كانت قد فقست (؟)، وعيَّنت صيادين على المياه في البحيرات ليحصلوا لك على دخل يقدر بحمولة سفن (؟)، وقد أمددت معبدك بكل الحرف (٨٨)، وجلالتي يسهر على الإشراف على المعبد (؟)، وكهنة الساعة كاملون من جهة عدد الرؤوس (؟) والفلاحون قد أجبروا على عمل النسيج اللازم للملابس، أما عبيد حقولك في كل مركز؛ فيحمل كل رجل جزيته لمء بيتك. تأمل، فإنك قد دخلت السماء في صحبة «رع» تختلط بالنجوم والقمر! وإنك ترتاح في العالم السفلي مثل الذين يسكنون بجانب «وننفر» سيد الأبدية، وذراعاك تجرَّان سفينة «آتوم» في السماء، وعلى الأرض مثل النجوم السيارة، ومثل النجوم الثابتة (القطبية) حينما تكون في مقدمة «سفينة ملايين السنين»، وعندما يشرق «رع» في السماء تصوب عينيك إلى جماله (٩١)، وعندما يخرج «آتوم» من العالم السفلي تكون بين أتباعه، وإنك قد دخلت القاعة السرية في حضرة سيدها، وخطواتك تذهب بعيداً في أعماق العالم السفلي، وإنك تتأخى مع تاسوع الجبانة المقدس. تأمل، لقد طلبت الهواء لخيثوميك الفخمين؛ وإني أعلن اسمك كثيراً يومياً (؟)، وإني ... والدي ... (٩٣)، وإني أعلن أعمالك العظيمة عندما أكون في الممالك الأجنبية، وإني أصنع هدايا لك وذراعاي محملتان بالقربان باسمك (لروحك) (؟) في أماكنك كلها، ليتك تقول لـ «رع» ... (٩٤)

امنح الحياة ابن «وننفر» بقلب محب، وأعط حياة طويلة فوق حياة طويلة موحدة في أعياد ثلاثينية للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» معطي الحياة، وإنه لمن الخير لك أن أكون ملكاً مخلداً (٩٥)؛ لأنك ستكون ... بابن بار سيذكر والده، وإني أستشير في أمر معبدك كل يوم عما يخص شئون روحك في كل أنواع المواد، فإذا سمعت أن تلفاً على وشك أن يحدث أعطيت الأمر بتجنبه في الحال بكل أنواع المواد اللازمة، وإنك ستكون كأنك لم تزل عائشاً ما دمت أحكم، وإني أسهر على معبدك كل يوم يطلع (؟)، وإن قلبي يحيطك بالعناية، وإني أرعى صلاح ذكرى اسمك، وأنت في العالم السفلي، وكل شيء سيصير على ما يرام لك ما دمت أحيا عمراً طويلاً بوصفي محبوب «أمون رعمسيس» معطي الحياة مثل رع ابن رع.»

(١٢) شكر «سياتي الأول» لابنه (٩٨-١١٦): كان الملك «من ماعت رع» «صادق القول» (متوفى)، ذا روح سامية كـ «أوزير»، مبتهجاً بالسرور من أجل كل ما فعله ابنه، منفذاً الأشياء الممتازة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ورئيس الأقواس التسعة، سيد الأرضين، «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، رب التيجان، محبوب «أمون رعمسيس»، مخلداً وسمريداً، وقد أعلن كل أعماله الصالحة أمام «رع حور اختي»، وأمام الآلهة الذين في العالم السفلي. تأمل! إنه تكلم بقوة كما يتكلم والد على الأرض لابنه قائلاً: فليبتهج قلبك كثيراً يا بني العزيز، «وسر ماعت رع ستبن رع»، معطي الحياة بسبب (؟) ... إن «رع» يمنحك ملايين السنين، والأبدية على عرش حور (١٠١) الأحياء، وإن «أوزير» يرجو لك بقاء السماء التي تشرق فيها مثل «رع» كل صباح، وإن الحياة والصحة معك ... والصدق والقوة، وابتهاج القلب هي من عمل من هو غني بالسنين (١٠٢)، وإن القوة والنصر ملكك أنت يا عظيم الانتصار، والصحة ملك أعضائك مثل ما هي ملك أعضاء «رع» في السماء، والفرح والسرور في كل الأماكن التي توجد فيها يأيها الملك، يا حامي مصر، وغال الأقوام الأجنبية، وإن الأبدية قد عملت لتكون عمرك، بوصفك ملك الوجه القبلي والوجه البحري، مثل «أمون» عندما يكون مزدهراً حينما يشرق، وعندما يغيب. تأمل! ما قلته لرع بقلب محب، امنحه الخلود على الأرض مثل «حبر رع»، وقد كررت على «أوزير» عندما دخلت أمامه ضاعف له عمر ابنك «حور»، وعلى ذلك تأمل فقد أجاب «رع» في أفق السماء، ليت الخلود والسمردية، وملايين السنين تكون ملك ابن «رع» في صورة أعياد ثلاثينية، وهو الخارج من ظهره، والعزيز محبوب «أمون رعمسيس» معطي الحياة، ومنفذ الأشياء السامية! وقد وهبك «آتوم» مدى عمره بوصفك ملكاً، وقد تجمعت القوة والانتصارات

(١٠٦) في ركابك، وقد دونها «تحتوت» بجانب السيد العالمي، وقد صاح التاسوع المقدس: نعم، إن «رع» في سفينته، وهو سيد سفينة الليل، وقد جمعها له، وعيناه تريان ما فعلته من الأشياء الممتازة، عندما يخترق السماء في ريح رخاء كل يوم، وإن خلفه لفي بهجة عظيمة عندما يستذكر أعمالك الصالحات، وحبك في صدره كل يوم إلى أن يغيب «أتوم» في الأرض الغربية. تأمل! فإن «وننفر» أصبح منتصرًا بما فعلته جلاتك له بكل إخلاص (?)، وقد أيقظه «حور» لذكرى أعمالك الصالحات، وإن قلبي لفي سرور مضاعف بالخلود الذي منحه إياك. تأمل! فأني أتسلم الأشياء التي أعطيتها — خبزي ومائي — بقلب حنون، وإن نسيمات الريح تصل إلى أنفي من أجل ما آتاه ابن سليم القلب، وحام مبراً من الإهمال، عارف كل جميل (?)، وإنك تعيد أثرًا فوق أثر لـ «أوزير»، تحت ملاحظتي (?)، في حضرتي ... (١١١)، في داخل «تاور» (إقليم العرابة)، ولقد أصبحت عظيمًا من أجل ما فعلته لي، وقد وضعت على رأس دولة الأموات (?)، وقد تحوّلت (?)، وتألّفت أكثر مما تستحقه فضائي منذ أن اهتم قلبك بي في أثناء وجودي في العالم السفلي، وإني والدك الحق الذي أصبح إلهًا، ولقد اختلطت بالآلهة المرافقة لـ «أتوم»، وكنت (١١٣) ... الذي في السفينة ... «رع» (?). مثل واحد من الذين ... منذ أن سمعت (١١٤) أنه يذكر طبيبتك ... تأمل، فإنه سيكون لك بقاء طويل في الحياة، وإن «رع» قد منحك ... أبدياً مثل ... وإن صورة «أتوم» الحية، وكل كلامك يتحقق مثل كلام سيد العالمين، وإنك بيضة «خبر رع» الممتازة، والبذرة المقدسة الخارجة منه، ومن أنجبته هو ما خلقه «رع» نفسه، ويقول لك ... مثل منفذ (?). ... المربي، وإنك تأتي بوصفك «رع» منبع الحياة للناس، فالجنوب والشمال تحت قدميك، ويرجو أن أعيادًا ثلاثينية لأجل «وسر ماعت رع ستبن رع»، وكذلك دوام رب العالمين عندما يشرق، وعندما يغيب في خلود سرمدي.

تعليق

لا نزاع في أن هذا المتن على ما به من عبارات تقليدية، ومراسيم دينية، وأساطير يقدم لنا ملخصاً رسمياً حقيقياً عن المباني والأوقاف التي أخذ «رعمسيس الثاني» على عاتقه القيام بإنجازها في مدينة «العرابة المقدسة» لأجل الآلهة العظام، ولأجل عبادة والده «سيتي الأول» المتوفى، وكذلك يضع أمامنا بهذه المناسبة تاريخ شباب «رعمسيس»، وتتويجه ملكاً على البلاد منفردًا، وقد حاول مؤلف هذه النقوش التي دونت بطبيعة الحال على حسب

تعليمات خاصة من «رعمسيس» نفسه أن يضعها أمامنا في صورة تمثيلية رائعة، جمع فيها بين الدين والأخلاق، والتاريخ، والآثار معاً، فيظهر أمامنا على المسرح أولاً الإله «أوزير» الذي يعد أعظم آلهة بلدة «العرابة المدفونة» التي أقام فيها «سيتي الأول» معبده العظيم تكريمًا لهذا الإله، وغيره من آلهة الدولة العظام، مما فصلنا فيه القول عند التحدث عن حياة «سيتي»، فيخاطب «أوزير» «رعمسيس الثاني» مظهرًا له اغتباطه بما قام له به من جليل الأعمال الخالدة في معبده، وبخاصة تقديمه له العدالة، وهي أعز شيء عند الآلهة؛ بمثابة قربان يعيشون عليه؛ ولذلك يقول له: «إني سأعيش على أعمال الخير التي قدمتها لي طوال أبدية السماء، وإنك ستبقى ما بقي الإله «آتوم»؛ لأنك تسطح على عرشه بأعمال الخير التي قمت بها.» وكذلك يقول له: «إن الإله «تاتنن»، وهو صورة من صور «أوزير» في العالم السفلي قد أعطاك ملايين السنين تحياها حياة طيبة.»

وبعد أن ينتهي «أوزير» من خطابه هذا الموجّه لابنه «رعمسيس» تظهر الإلهة «إزيس» على المسرح، وهي زوجه وأم الإله «حور»؛ فتخاطب «رعمسيس» قائلة له: «إن طول حياتك سيكون مثل طول حياة ابني «حور».» وقد كان «حور» هذا أول ملك حكم على الأرض بعد موت «أوزير» والده، هذا إلى أن جميع ما كان يتسلط عليه «أوزير»، وكذلك السنين التي حكمها الإله «حور»، والإله «ست» معاً، سيمنحها «رعمسيس» أيضاً، وبعد أن تفرغ «إزيس» من خطابها الموجه لابنها «رعمسيس» يأتي دور والده «سيتي» الذي أصبح مثل «أوزير» يحكم في عالم الأموات؛ فيظهر على المسرح مبشراً «رعمسيس» بأن الإله «رع» سيمنحه الخلود، وأن الإله «آتوم» مسرور؛ لأنه قد أصبح «حور»؛ أي ملكاً بعد وفاته هو، ثم يخبره بأنه مبتهج بما قام له به من جليل الأعمال في «العرابة المدفونة» منذ أن أصبح «صادق القول»؛ أي منذ أن ذهب إلى عالم الآخرة، ولكن تأثير أعمال ابنه الصالحات قد جعلته يعود للحياة من جديد بما يقدمه له من قربان. هذا إلى أن الإله «وننفر» (الكائن الطيب)، وهو الذي يمثل الإله «أوزير» في عالم الآخرة قد رفعه إلى مكانة عليّة بسبب ما فعل الابن لأبيه، ولسنا في حاجة إلى التنويه بما في هذه العبارات من مبادئ قديمة عن معاملة الابن لأبيه؛ مما وصّت به كل الأديان السماوية التي جاءت بعد العهد الذي نحن بصدده.

وبعد فراغ الوالد من التحدث لابنه جاء دور «رعمسيس الثاني»؛ فظهر على المسرح ووجه خطابه للإله الأعظم «أوزير» في أدب جم، واحترام بالغ، وافتتح كلامه بالصلاة والدعاء له، كما كان يفعل له «حور» ابنه، ثم طمأنه بأنه سيسير على نهج «حور» الذي

كان يعد ملكاً مثاليًا، وأنه سيجدد ما أفسده الدهر من آثاره في جبانة «العرابة المدفونة» التي كانت تعد كعبة المصريين، وبيت تقديسهم، وأنه سيقرب له قربانًا مضاعفًا لروحه، وأنه سيكون رهن إشارته وتحت تصرفه في كل ما يطلب، ثم يقول له: إنه قد قدم له العدالة قربانًا؛ لأنه يعرف أنه يحبها؛ أي «ماعت»، وهي النظام الكوني الذي كان يسير عليه العالم منذ بدأت الخليقة على يد «رع» أول ملك حكم العالم.

والواقع أننا نرى «رعمسيس» ممثلًا في المنظر الذي يتبع هذا المتن، وهو يضع تمثال العدالة على راحته، ويقدمها إلى وجه «أوزير» حتى يجعل الأرض تسير في طريق السلام، وكذلك يمنحه الخلود؛ لأنه راعي الأرضين، وهكذا نرى أن العدالة «ماعت» كانت محببة للآلهة، وأنها كانت الهدى الذي يرشد الملوك؛ لأنهم من نسل «رع»، والشعب إلى الطريق السوي في كل زمان ومكان، وقد أراد المصري كما كانت سليلته أن يقرب الأشياء المعنوية إلى الأذهان، فصور لنا العدالة في صورة امرأة جالسة على رأسها ريشة، ثم أصبح يرمز لها بالريشة فقط، وما أشبه الليلة بالبارحة، فالريشة رمز العدالة في معظم بلدان العالم في أيامنا هذه.

وبعد أن تحدث «رعمسيس الثاني» عن مناقب والده «أوزير» أخذ يسرد علينا ما قام به لوالده «سيتي الأول» بعد وفاته. وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكن وقتئذ في عاصمة ملكه، بل كان في جهة ما من جهات دولة والده الشاسعة؛ فعاد إلى عاصمة الملك «طيبة» في السنة الأولى من انفراده بالحكم، وفي خلال عودته الأولى إلى عاصمة الملك نحت تمثالين لوالده «سيتي»، أحدهما في «طيبة» والآخر في «منف» في المعبد اللذين أقيما له هناك؛ مما زاد في جمال آثاره، وبخاصة ما كان قد عمله في «العرابة». والسؤال الهام هنا هو: أين كان «رعمسيس» عندما صعدت روح والده إلى السماء؟ هل كان يحارب في السودان كما يقول «ماسبرو»، ورجع إلى العاصمة عندما سمع بموت والده؟^{١٢}

يقص علينا «رعمسيس» أنه في أثناء عودته عرج على «منف»، وأقام لوالده هناك تمثالًا؛ مما يدل على أنه كان في شمالي إمبراطوريته عندما قضى والده، لا في جنوبيها كما يزعم «ماسبرو». ولكن في أي بلدة، أو أي مكان كان مقيمًا؟ هل كان في «منف»؛ لأنها العاصمة الثانية للبلاد وقتئذ، ولقربها من أملاكه في آسيا التي كانت شغله الشاغل

^{١٢} راجع: Maspero, The Struggle of the Nations p. 879. Note 5.

مدة حياته، ولأن «سي تي» كان من أسرة تُنسب إلى الدلتا؟ إن الكشوف الحديثة في شمال الدلتا دلت على أن لـ «سي تي الأول» قصرًا في بلدة «قنتير» التي يكاد يكون من المحقق أنها كانت العاصمة الجديدة للملك «رعمسيس الثاني» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ولا يبعد إذن أن «سي تي الأول» كان أول من وضع أساس هذه العاصمة بإقامة قصره في هذه الجهة، ثم قام «رعمسيس الثاني» خلال اشتراكه معه في الملك بتخطيط هذه المدينة، واتخاذها عاصمة ثانية للملك في الشمال، وبخاصة أن «رعمسيس» كان مشتركًا مع والده في الملك، فكان «سي تي» يقطن في العاصمة القديمة في الجنوب، في حين كان «رعمسيس» يقطن في عاصمته الجديدة التي سماها «بررعمسيس» على الأرجح، وهي التي جاء ذكرها للمرة الأولى في نقش الإهداء الذي نحن بصدده الآن، وما ذكرناه هنا هو محض فرض تعززه شواهد الأحوال فحسب؛ إذ لا يزال موضع «بررعمسيس»، وموقعها بالضبط موضوع نقاش طويل بين علماء الآثار، وإن كانت الكفة تميل الآن إلى الرأي القائل بأن «بررعمسيس» هي «قنتير»^{١٣} لا «تانيس».

وبخاصة بعد ما جاء في بردية «أمنمؤبي» أنهما بلدان مختلفان، ذكر كل منهما على حدة،^{١٤} هذا بالإضافة إلى ما كُتب من المقالات التي تحبذ هذا الرأي،^{١٥} ولا يبعد إذن أن «رعمسيس» عاد من عاصمة الملك الثانية التي لم تكن قد تمت بعد،^{١٦} ومراً «بمنف» في طريقه إلى عاصمة الملك «طيبة»؛ حيث احتفل بجزارة والده بما يتفق من مظاهر الفخامة

^{١٣} راجع: Gardiner Ancient Egyptian Onomastica II, p. 171, 199, 278.

^{١٤} راجع: Gardiner Ibid II, p. 173.

^{١٥} راجع: Ibid, p. 278.

^{١٦} راجع: ما كتبه «جاردنر» عن هذه المدينة (J. E. A. V, p. 181)، حيث يقول في سياق كلامه عنها: «لم نذكر لأن شيئاً عن النقوش التذكارية العظيمة التي نقشها «رعمسيس الثاني» على جدران معبد والده في «العرابة»؛ لأن المتفق عليه بوجه عام أنه على الرغم من إشارة النقوش إلى السنة الأولى من حكم هذا الفرعون لا يمكن أن تكون قد نُقشت إلا حوالي منتصف حكمه، وبداية هذه النقوش تحدثنا أن «رعمسيس الثاني» بعد أن مكث في «طيبة» لأجل أن يصلح آثار والده «سي تي الأول» غادر المدينة الجنوبية، وبدأ برحلة، وأقلع، وكانت السفن الفرعونية تضيء الفيضان، وولى وجهه منحدرًا في النيل نحو المكان العظيم «بيت رعمسيس» محبوب «أمون» عظيم الانتصارات، وأخذ المتن بعد ذلك يصف لنا زيارة إلى العرابة قام بها الفرعون في أثناء سيره في طريقه، ثم تحدث عن المسألة التي وضعت أمامه، وهي الخاصة بمعبد «سي تي» الذي لم يكن قد تم بعد، وقد شغلت كل ما تبقى من موضوع النقوش، وعلى ذلك نجد أن الغرض النهائي لهذه الرحلة قد اختفى، أما الإشارة إلى «بررعمسيس» فقد جاء به

والعظمة، وبعد أن احتفل بعيد «أمون» قفل راجعاً إلى الشمال؛ ليجعل سلطانه محسباً في هذه البقاع من ملكه الشاسع، على أن أعظم ما كان يهتم به بعد دفن والده هو إظهار برّه ومحبتة له؛ ولذلك كان أول وقفة له — بعد تركه عاصمة الملك القديمة — في «العرابة المدفونة» التي أقام بها والده أعظم أثر له في كل أنحاء الإمبراطورية، ولكن لم ينجزه؛ إذ قد عاجلته المنية، والبناء في دور التنفيذ، وكان قد وقف في العرابة في أثناء عودته إلى «طيبة»، وعندئذ أمر بتجميل تلك البقعة المقدسة أكثر مما كانت عليه من قبل، وكذلك أمر بنحت تمثاله، وحبس الأوقاف لتكون قرباناً لروحه العظيم، وإصلاح ما كان قد تخرّب. ولما عاد من عاصمة الملك إلى الشمال في السنة الأولى، الشهر الثالث، من الفصل الأول، في اليوم الثالث والعشرين سار في النيل حتى وصل إلى «العرابة»، فوجد معظم المباني التي أقامها أسلافه من عظماء ملوك مصر قد آلت إلى الخراب، وكذلك وجد أن بعضها لا يزال البناء جارياً فيه، وقد تركها والده ولم تتم بعد، كما وجد تمثال والده ملقى على الأرض، ولم يتم نقشه بعد، هذا إلى أن القربات التي كانت تقرب إلى هذه المنشآت قد انقطعت، وتفرّق شمل الكهنة الذين كانوا يقومون بأداء شعائرها؛ لأن الأراضي التي كانت محبوسة على هذه المبرات الدينية قد ضاعت معالمها، واختفت حدودها، واعتدي عليها.

من أجل ذلك دعا «رعمسيس» رجال بلاطه، وعظماء موظفيه من كل صنف، ف جاءوا إليه وخرخوا ساجدين، وأخذوا في إطرائه وتمجيده حتى رفعوه إلى منزلة أعظم من منزلة الآلهة أنفسهم، وبعد أن أحاطوه بسياج من القوة والعظمة بعباراتهم المنمقة التقليدية المتواترة، قالوا: «وها نحن إذن أمام جلالتك لتمنحنا الحياة التي تتحكم فيها يأيها الفرعون الحي السليم القوي، ويا نسيم أنوفنا، ويا حياة كل البشر عندما تشرق في أعينهم.» وهكذا كان حكم الفرعون المنحدر من صلب الآلهة، فكان يعد نفسه إلهاً. وعندئذ أخذ «رعمسيس» يقصّ على رجال دولته أعجوبة توليته العرش أولاً، ثم يستعرض

هنا لأجل أن يفسر لنا كيف أن الفرعون قد أتى ليزور العرابة في طريقه مما يقدم لنا برهاناً ساطعاً على أن «بررعمسيس» كانت العاصمة الشمالية في هذا التاريخ؛ فقد رسا «رعمسيس الثاني» بسفينته عند «العرابة» في خلال سياحته بين عاصمتي ملكه، وقد كان من واجبنا ألا نتحدث طويلاً عن هذه النقطة الواضحة لولا أن «جوتيه» الذي كان آخر من نشر هذه النقوش يقول عن «بررعمسيس»: إنه بناء أقامه «رعمسيس الثاني» يحتمل أنه يقع في «العرابة» نفسها، أو في إقليمها (راجع Gauthier, La Grande Insc. Dedicatoire d'Abydos Biblioth. D'Etude p. 58)، وهذا التفسير طبعاً يترك أمامنا التسمية «عظيم المكان»، والنعت «عظيم الانتصارات» بدون أي تفسير.

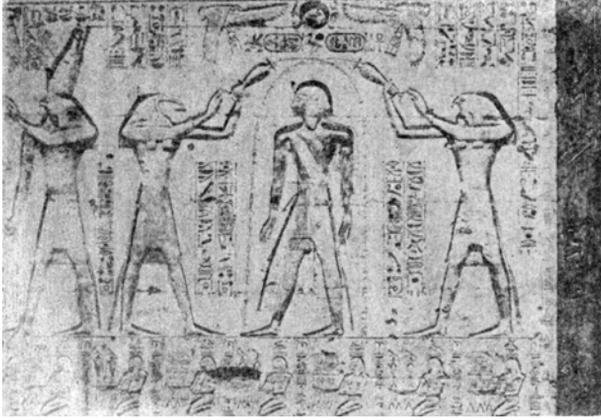
أمامهم المشروعات التي يريد تنفيذها في تلك البلدة المقدسة التي اصطفاها والده، وأقام فيها معبده المنقطع الفذ.

وقد بدأ «رعمسيس» بإلقاء درس على رجال بلاطه وموظفيه في واجبات الابن نحو أبيه، وبخاصة إحياء ذكراه بإقامة الآثار له، وأنه لن يكون كأبناء الملوك الآخرين الذين أهملوا آثار آبائهم؛ فدرست، وعفت، وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، بل صمم على أن يحيي ذكرى والده حتى يقول عنه الخلف: «إنه ابنه الذي جعل اسمه يبقى». وبتلك الوسيلة فقط يَحْبُوهُ الإله «أوزير» بالملك المثالي كما حبا به ابنه «حور» الذي خلفه على عرش الأحياء، وبعد ذلك أخذ يحدثنا «رعمسيس» عن عناية والده به، وكيف أنه خصَّه بالملك، وتوجَّه على عرش البلاد، وهو لم يزل حيًّا؛ فكان شريكًا له في الملك حتى قضي، كما فصلنا القول فيه من قبل.

وبعد أن فرغ من قصة توليه العرش أمر بتنظيم معبد والده على الوجه الأكمل؛ على أن ينجز ما كان ناقصًا فيه، ويمد بالحقول، ويحبس عليه الأوقاف لقربانه من كل أنواع الخمر والزيت والفاكهة، والماشية والطيور، وجعل إدارة أملاكه في يد رجل ممن اقتصهم بثقته، وأظهر ما في هذا المعبد الجزء الذي أقامه «رعمسيس الثاني»؛ إذ إن طراز نقشه ظاهر للعيان؛ لأنه قد نُقش بالحفر الغائر في حين أن الجزء الذي أقامه والده كان بالحفر البارز كما أسلفنا؛ ولذلك يختم كلامه عن ذلك بقوله: «وإنه لجميل أن يقيم المرء أثرًا على أثر، وهما شيئان مفيدان في الوقت نفسه، ويحملان اسمي، واسم والدي». وبهذه الكيفية يكون الابن، وكذلك من أنجبه باقين على مر الدهور بآثارهما، وبعد أن فرغ الفرعون من سرد ما يريد عمله، أو ما كان قد قام به فعلاً — لأن هذه النقوش تشعر بأنها كانت على ما يظن قد دونت بعد إتمام ما أمر به هذا الفرعون، وإن كان تاريخها يرجع إلى السنة الأولى من حكمه — أجابه مستشاروه بما يجاب به ملك عزيز الجانب قوي البطش، وقد أسرفوا في إطرائه حتى فضلوا أعماله على أعمال «حور» الملك المثالي، كما فضلوه هو على كل من سبقه من الفراعنة.

والظاهر أن هذا المتن كان قد نقش قبل قيام «رعمسيس» بحروبه الأخيرة التي ادعى فيها أنه وصل بفتوحه إلى نهر «دجلة والفرات»؛ إذ يقول له مستشاروه: «واسمك في كل بلد من أول بلاد النوبة جنوبًا وشمالًا لأول شواطئ البحر حتى بلاد «رتنو» حيث القبائل البدوية إلخ».

وسنرى فيما بعد أنه بعد حروبه مع مملكة «خيتا» كان يقول: إنه مد سلطانه حتى بلاد نهرين «بابل»، أو «متني».



شكل ٢: منظر تطهير «رعمسيس الثاني» في معبد «سي تي» بالعبارة يقوم به الإلهين «تحتوت» و«حور» ويُرَى أسفل آلهة النيل يحملون القرب لرعمسيس من خيرات مقاطعات البلاد (بالحفر الغائر).

وعلى أثر تلك التحية التي قابل بها المستشارون دعوة الفرعون لهم، وعرض مشروعاته عليهم؛ أمر بالبدا في العمل، فوكل أمر البناء للمهندسين المهرة، وانتخب الجنود والعمال، والنحاتين والرسامين، والصناع ممن كان يحتاج إليهم لإنجاز هذا العمل العظيم، وقد أقام قدس الأقداس، وأصلح ما تخرَّب، ثم أمد المعبد بكل ما كان يلزمه من حقول، ومزارعين، وماشية، وكهنة، وحددت أملاك المعبد تحديداً دقيقاً حتى لا يتعدى عليها أحد، ثم وكل أمر إدارتها إلى رجل من عظماء القوم، وبعد أن أتم «رعمسيس» كل ما أراد بناءه وإصلاحه في «العبارة المدفونة» لإحياء ذكرى والده، خاطبه وهو في مثواه الأبدي في عالم الآخرة ليعدد له ما قام به من الأعمال الباقية التي تخلد اسمه فيقول: «تنبه، وولَّ وجهك قبل السماء؛ لترى الإله «رع» يا والدي «مرنبتاح»، أنت يا من أصبحت إلهًا».

ثم يعدد له ما قام به من مبانٍ عظيمة، وما صنع له من تماثيل، وما وقفه لروحه من قربان يقدم له يومياً من كل ما تنتج أرض مصر، وما كان يرد عليها من الأراضي الأجنبية، والواقع أن ما ورد في هذه الفقرة يذكرنا بما خصه «سي تي» لهذا المعبد

— كما جاء على لوحة نوري — مما يضع أمامنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد المصرية في ذلك العهد من حيث فن المباني والصناعة والتجارة والحرف، التي كانت تزخر بها البلاد، ثم يعود «رعمسيس» فيصف لنا حالة والده في عالم الآخرة، فيقول لنا: «إن مثله هنا كمثل أهل النعيم المقربين؛ إذ كان يسير في ركاب «رع» في سياحته في السماء في سفينته من الغرب إلى الشرق، ثم من الشرق إلى الغرب يومياً، فكان يحيا حياة إله الشمس نفسه، وهناك يختلط بالنجوم السيارة، والنجوم الثابتة وبالقمر؛ فيسبح مع «رع» في سفينة الليل، ثم ينتقل معه في سفينة النهار، وهكذا. وبذلك كان يسير في جنة السماء مع الشمس نهاراً، وفي عالم «أوزير» السفلي ليلاً حتى مطلع الفجر، ثم يطلب منه بعد ذلك أن يسأل الإله «رع» أن يمنح ابنه «رعمسيس» الخلود، والسرمدية، والأعياد الثلاثينية التي يخطئها العد، وهي التي كان يجدد بها شباب الملك بعد حكمه ثلاثين عاماً، وإنه في مقابل ذلك سيقوم بكل ما يتطلبه معبده، وكذلك يسهر على أداء كل ما يلزمه، وهو في العالم السفلي ما دام «رعمسيس» حياً.»

وعلى الرغم من أن «سيتي الأول» كان في عالم الأموات فإنه كان ذا روح عظيم مثل الإله «أوزير» الذي كان يحكم في العالم السفلي؛ ولذلك كان قد شمله السرور، وغمره الفرح بما عمله ابنه «رعمسيس»؛ فأعلن ذلك أمام الآلهة، وتكلم بقوة كما يتكلم ملك حي؛ فشكره على ما أسداه إليه من أعمال جليلة، وسيمنحه الإله «رع» مكافأة له على ذلك ملايين السنين على عرشه، وأن «حور» يطلب له بقاء «رع» في السماء، وكذلك أصبحت الحياة، والصحة والقوة، والفرح والنصر ملك يديه، ثم غير ذلك من الصفات والنعوت، والهبات التي أغدقتها الآلهة المختلفة على «رعمسيس»، وكان كل ذلك من أجل ما فعله لوالده، إلى أن قال: «إنك تأتي بوصفك «رع» منبع حياة الخلق، والجنوب والشمال تحت قدميك يرجوان أعياداً ثلاثينية لـ «رعمسيس»، وكذلك خلود الرب المهيمن عند شروقه، وعند غروبه طوال الزمن السرمدية.»^{١٧}

هذا ما قام به «رعمسيس» لوالده، وللآلهة، وللملوك السابقين في «العراية المدفونة»، ومعابدها، وما حباه به الإله الأعظم «أوزير»، وغيره من الآلهة العظام، وبخاصة والده مكافأة على حسن صنيعه، وبره بهم. وهكذا نرى ما جمعه هذه الوثيقة من حقائق

^{١٧} راجع: A. Z. 48. pp. 52–66.

تاريخية، وأساطير دينية، وفضائل خلقية، وأوصاف اجتماعية كان لا بد للمؤرخ من نخلها ليصل إلى استخلاص ما فيها من تاريخ صريح هام.

«لوحة كوبام» وباكي

وقد كان من الضروري لـ «رعسيس» أن يحصل على الذهب اللازم لتزيين هذه المعابد ونقشها، وعمل التماثيل، وبخاصة إذا علمنا أنه قد صنع تماثلاً من الذهب لوالده «أوزير»، وقد مهد له والده «سيتي» طريقاً لاستخراج الذهب من مناجمه، هذا فضلاً عما كان يرد منه إلى خزائنه من جزية بلاد النوبة، وبخاصة إقليم «واوات»، وقد ذكرنا سابقاً أن أكبر هذه المناجم وأعظمها إنتاجاً هي مناجم «وادي مياه»، أو «وادي عباد» التي فصلنا القول فيها.^{١٨}

وقد حاول «سيتي» أن يجعل الطريق الموصلة إليها معبدة مجهزة بالماء الوفير، وسبل الراحة، ولكنه لم يصب الفلاح كله في ذلك، ولكن ابنه «رعسيس» قد حاول محاولة أخرى لتوفير المياه فيها، فحفر بئراً عميقة تدفق منها ماء سائغ للشاربين؛ وبذلك أصبح في مقدوره أن يرسل حملاته لاستخراج الذهب بدون تكبد عناء كبير، أو خسارة جسيمة في الأنفس والحيوان؛ مما يدل على أنه كان حريصاً على حياة رجاله حرصه على منفعتهم الشخصية، ولما عزم على إصلاح الطريق الموصلة إلى هذه المناجم بحفر بئر عميقة، جمع مجلس شوراها لعرض الأمر عليهم، وقد دون هذا الحادث على لوحة عُثر عليها في «كوبان» عاصمة المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات بلاد النوبة، وتقع على الشاطئ الشرقي للنيل على مسافة ثمانية ومائة كيلومتر جنوبي «أسوان»، واللوحة من الجرانيت؛ وسنترك المتن المصري يقص علينا ما قاله الفرعون، وما أجاب به مجلسه، وما تم بعد ذلك من إجراءات على يد نائب بلاد «كوش» الذي وكلت إليه هذه المهمة الشاقة.

مقدمة: السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الرابع في عهد جلالة «حور» الثور القوي محبوب العدالة، ومحبوب الإلهتين، حامي مصر، وغال المتوحشين، حور الذهبي، الغني في السنين، والعظيم النصر، ملك الوجه القبلي والوجه البحري

^{١٨} راجع: Tresson, stèle De kouban. Bibiotheque. D'Etude; Breasted A.R.Vol. III §§ 282-293

«وسر ماعت رع ستين رع» ابن الشمس، محبوب آمون «رعمسيس»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًا، محبوب «آمون رع»، رب تيجان الأرضين، والمشرف على الكرنك، والمضيء على عرش «حور» الأحياء مثل والده «رع» يوميًا، وإله الطيب، رب الأرض الجنوبية، «وحور» إدفو، ذو الريش الزاهي، الصقر الجميل المصنوع من السام، الذي يحمي مصر بجناحيه، ومن يظل الناس، وحصن القوة والنصر، والذي خرج من الجسم — أي ولد — مرهوب الجانب في السلب، وكانت قوته تزيد في حدود بلاده، ومن كانت قوته في أعضائه مثل شدة بأس الإله «منتو»، وهو السيد المزدوج «حور» و«ست»، ومن في يوم ولادته كان السرور في السماء، والآلهة قالت: «إن بذرتنا فيه»، والإلهات قلن: «إنه خرج منا ليدبر ملك «رع»، وقال آمون: «إني أرسو»؛ أي الذي خلقه، وقد وضعت العدالة مكانها، واستقرت الأرض، وارتاحت السماء، وسر التاسوع الإلهي بصفاته، الثور الشجاع أمام أهالي «كوش» الخاسئين، وضارب الخارجين حتى أرض الزنوج، ومن حوافره تدوس أهل «كوش»، ومن قرناه تنطحانهم، وشهرته عظيمة في بلاد «ختنفر» (بلاد النوبة)، أما رهبته فقد وصلت حتى «كاراي»، واسمه ينتشر في البلاد كلها بسبب انتصاراته التي أحرزتها يداه، والذهب يخرج من جوف الجبل عند ذكر اسمه مثل: اسم والده «حور» سيد «باكا»، العظيم الحب في الأراضي الجنوبية، ومثل «حور» في أراضي «ميعمام» (الدر) سيد «بوهن»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «وسر ماعت رع ستب ان رع» ابن «رع» من صلبه، رب التيجان «مري آمون رعمسيس»، معطي الحياة مخلدًا وسرمديًا مثل والده «رع» يوميًا.

فحص أرض أكيّتا: وعندما كان جلالته في «منف» يؤدي شعائر والده السارة، وشعائر آلهة الجنوب والشمال بمقدار ما أعطوه من قوة ونصر، وحياة طويلة تقدّر بعشرات آلاف السنين، حدث أنه ذات يوم؛ تأمل! كان جلالته جالسًا على عرش عظيم من السام، ومرتديًا تاجًا ذا ريشتين، ومعدّدًا الممالك التي يأتي منها الذهب، وواضعًا خُططًا لحفر آبار على الطرق التي ينقصها الماء، بعد أن سمع عن وجود ذهب وفير في إقليم «أكيّتا»؛ لأن الطرق إليها كان ينقصها الماء جدًّا، فإذا ذهب عدد عظيم من رجال القوافل الذين ينظفون الذهب إلى هناك، كان لا يصل إلا نصفهم؛ لأنهم كانوا يموتون عطشًا على الطريق مع غيرهم التي كانوا يسوقونها أمامهم؛ إذ كان لا يوجد ماء كافٍ في القرب في أثناء صعودهم ونزولهم في الصحراء، وعلى ذلك لم يؤت بذهب من هذا الإقليم لقلّة الماء في الطريق.

الفرعون يعقد مجلس البلاط: وقد قال جلالته لحامل الخاتم الملكي الذي كان بجانبه: «ادع أمراء البلاط»؛ لأن جلالته يريد مشاورتهم في أمر هذا الإقليم، وكيف يمكنني أن أتخذ الإجراءات الضرورية بشأنه. فأحضروا في الحال أمام الإله الطيب، رافعين أيديهم لحضرته، مهللين ومقبّلين الأرض أمام وجهه الجميل، فأخبرهم الملك عن طبيعة هذا الإقليم، وشاروهم في خطة حفر بئر على الطريق المؤدية إليه.

خطاب رجال البلاط إلى الفرعون: قالوا أمام جلالته: «إنك مثل «رع» في كل ما تفعل، وكل ما يرغب فيه قلبك ينفذ، وإذا رغبت أمرًا في أثناء الليل وقع بسرعة في الصباح، لقد كنا نشاهد عددًا عظيمًا من أعاجيبك منذ أن ظهرت ملكًا على الأرضين بما لم نسمع به، ولم تره أعيننا، ومع ذلك وقعت، أما كل ما يخرج من فمك فإنه مثل كلمات «حور اختي»، ولسانك كفتا ميزان، وشفطاك أكثر من قسطاس «تحت» المستقيم دقة، وأي شيء لا تعرفه؟ ومن ينجزه مثلك؟ وأين المكان الذي لم تره؟ على أنه لم يوجد إقليم لم تطأه قدمك، وكل الأمور تلقى في أذنك منذ أن مارست سلطتك، ولم يحدث شأن دون علمك، وقد كنت رئيس الجيش، وأنت صبي في العاشرة، وكل عمل تم يرجع الفضل فيه إلى يدك التي وضعت أساسه، وإذا نطقت تفجر على الجبل الماء؛ لأن الفيضان ينبع بسرعة بعد كلمتك؛ لأنك «رع» في أعضائه، والإله «خبري» في صورته الحقّة، وإنك صورة «آتوم هليوبوليس» الحية على الأرض، فالذوق في فمك، والعقل في لبك، ومكان لسانك هو محراب الصدق، والإله يجلس على شفطيك، وكلماتك تنفذ كل يوم، وقلبك صنع في صورة قلب «بتاح» خالق الحرف، وإنك تبقى مخلدًا، وسنعمل على حسب خطتك، وكل ما تقوله مسموع بأيتها الملك، يا سيدنا.»

مقال نائب الملك في «كوش»: أما إقليم «أكيّتا»، فقد قال عنه ابن الملك صاحب «كوش» أمام جلالته: «إنه كان ينقصه الماء بهذه الكيفية، فقد ماتوا — أي رؤّاده — عطشى فيه، وكل ملك قبلك رغب في فتح بئر هناك، ولكن لم يصب نجاحًا، وقد حاول ذلك الملك «من ماعت رع» «سيّتي الأول»، وأمر بحفر بئر عمقها عشرون ومائة ذراع في زمنه، ولكنها نبذت على الطريق؛ لأن الماء لم ينبع منها، ولكن إذا تكلمت بنفسك لوالدك «حعبي» (النيل) والد الآلهة وقلت له: «دع الماء يفيض على الجبل»؛ فإنه سيعمل على حسب كل ما قلته، شأن كل مطالبك التي حدثت أمامنا، وإن لم يكن قد سمع حديثها؛ وذلك لأن والدك وكل الآلهة يحبونك أكثر من أي ملك كان منذ «رع»..»

«رعمسيس» يصمم على حفر بئر في «أكيتا»: وقال جلالته لأولئك الأمراء: «ما أصدق ما نطقتم به من أنه لم تحفر ماء في هذا الإقليم منذ زمن الآلهة كما قلت، ولكني سأفتح بئراً هناك تُمدّ بالماء يومياً، كما هي الحال في وادي النيل، وذلك بأمر والدي «أمون رع» رب «طيبة»، وكل آلهة بلاد النوبة بقدر ما يرتاح إليه قلوبهم لما يرغبون فيه، وسأجعل الناس يقولون في هذه البلاد ...» وبعد ذلك مدح أولئك الأمراء سيدهم، مقبلين الأرضين، ومنبطحين على بطونهم في حضرته، ومهللين حتى عنان السماء، وقال جلالته لكاتبه الأول: «... الخاص بطريق «أكيتا»، اجعل الشهر يصر يوماً عندما ترسل ...» — وعندئذ أرسل كاتب الملك الأول إلى ابن الملك صاحب «كوش» على حسب ما أمر به: تأمل! اجمع الأهلين لحفر بئر ... ولكنهم قالوا: ما الذي سيفعله ابن الملك؟ هل ستسمع المياه التي في العالم السفلي له؟ بعد ذلك حفروا البئر على الطريق المؤدية إلى إقليم «أكيتا»، ولم يفعل قط مثل ذلك منذ زمن الآلهة الذين سلفوا ... ووضع سمكاً في برك إقليم من مستنقعات الدلتا، ساراً قلبه بإيجاد ... كسكان في الهواء.

خطاب من نائب الملك في «كوش» يعلن نجاح المشروع: وقد حضر إنسان حاملاً رسالة من ابن الملك صاحب «كوش» الخاسئة قائلاً: «... إن البئر قد أنجزت»، وما قاله جلالته قد حدث؛ إذ إن الماء قد نبع منها — أي من البئر — بعد اثنتي عشرة عشرة قدماً، وعمقها؛ أي الماء، أربع أقدام ... خارج كما يفعل الإله لإرضاء القلب بما يرغب فيه، ولم يفعل مثلها منذ زمن الآلهة، و«أكيتا» تبتهج بفرح عظيم، وأولئك البعيديون ... الحاكم، والماء الذي في العالم السفلي يصغي إليه عندما يحفر ماء على الجبال ...

خاتمة: ... إليه من ابن الملك معلناً ما فعله، وكانوا فرحين بذلك ... الممتاز الخطط، والجميل في ... وقد أمر جلالته أن يطلق على هذه البئر اسم بئر محبوب «أمون» «رعمسيس» العظيم النصر، مثل ...

فهذه اللوحة على الرغم من تهشيم الجزء الأكبر من الأربعة عشر سطراً الأخيرة منها تقدم لنا صورة صادقة عن اهتمام هذا الفرعون البالغ — كما كان والده من قبل — في العمل على استغلال مناجم الذهب، كما تقدم لنا صورة أخرى عن قيمة المجالس الاستشارية التي كان يجمعها الفراعنة على حسب التقاليد المرعية منذ القدم، فكان القول فيها ما قال الفرعون لا تبديل ولا تغيير، بل فضلاً عن ذلك كان المجلس يقابل سيده بقرض آيات الثناء، وكل أنواع النعوت والصفات التي كان لا يُنعت بها إلا الآلهة، وكيف

يجوز لهؤلاء المستشارين أن يأتوا برأي يخالف رأي سيدهم، وإلههم الأعلى الذي أنجبه الإله «رع» رأس كل آلهة مصر؟ والواقع أننا لم نسمع بمجلس عُقد بحضرة الفرعون، وعارض في الآراء التي أبداها سيدهم إلا في ظرف واحد، وهو حينما عقد «تحتمس الثالث» مجلسه الحربي عندما أراد اختراق ممر «عرونا» ليصل إلى ساحة القتال بسرعة في موقعة «مجدو» من أقصر طريق، وحتى في هذا فإنه عندما أبدى المجلس مخالفة «تحتمس الثالث» في رأيه إشفافاً عليه، فإن شجاعته وإقدامه وسرعة خاطره أملت عليه خطته الحكيمة التي أدت إلى نصره المؤزر بعد أن ضرب بآراء مجلسه عرض الحائط، ولذلك خضعوا لخطته وهم صاغرون، مقدمين فروض الطاعة والإذعان، ومن ذلك نعلم أن المجالس الاستشارية في تلك الأزمان السحيقة — وفي كثير من الأحيان في أيامنا — على الرغم مما كان عليه عظماء القوم من تحضر ورقي أمام الفرعون مجرد بطانة لا حول لأعضائها ولا طول، وكل الحكمة وصواب القول في نطق سيدهم وأمره، فما أشبه البارحة باليوم في كثير من مجالسنا الاستشارية التي يذعن أعضاؤها للرئيس الأعلى، وإن كان رأيه خاطئاً وتفكيره سقيماً، هذا مع الفارق أن المصري في العهد الفرعوني كان يعتقد أنه يسير على نظام إلهي (ماعت) موضوع منذ القدم ووضعه الإله «رع» أول ملك حكم العالم، وسار على نهجه، وعدله الملوك الذين خلفوه من نسله؛ فكانوا لا يحدون عن النظام الكوني العادل (ماعت) الذي وضعه والدهم «رع»، ولهذا كان الشعب ينقاد لرأي الفراعنة، وينفذ أوامره.

(٢) حروب رعمسيس الثاني

على الرغم من تضحية «رعمسيس الثاني» بجزء كبير من مجهوداته، وثروة بلاده في إتمام المعابد التي لم يكن قد أنجزها والده، فإنه مع ذلك لم يهمل المحافظة على الإرث الذي خلفه له والده — وإن كان ضئيلاً — في سوريا بعد حروب طاحنة لاستعادة مجد مصر الإمبراطوري في تلك الجهات، والواقع أنه كان إرثاً محفوظاً بالمخاطر؛ لأن «سيتي» — كما قلنا — لم يكن في مقدوره إجلاء الموقف بينه وبين مملكة «خيتا» على حسب مطامحه العظيمة. حقاً لم يظهر ما يكره صفو السلم في الإمبراطورية المصرية التي لم تكن وقتئذ عظيمة كما كانت في عهد «تحتمس الثالث» عند تولية «رعمسيس» الملك منفرداً. هذا، وتدل الأحوال كلها على أن «مواتالو» ملك «خيتا» قد استمر على مراعاة شروط معاهدة الصلح

التي كانت على ما يقال قد عُقدت بينه وبين «سيتي» عندما سمع بانفراد «رعمسيس» بحكم مصر.^{١٩}

ولدينا من جهة أخرى لوحة منقوشة في صخور «أسوان»، ومؤرخة بالسنة الثانية من حكمه، وفيها يفتخر الفرعون «رعمسيس الثاني» بأنه حارب الآسيويين، واستولى على مدنهم، وحطم أجناب الشمال، وهزم «التمحو»، وأهلك محاربي البحار، وجاءت إليه «بابل»، و«خيتا» منحيتين؛ مما يدل على أنه كان في حروب بعد توليه الملك مباشرة، وهاك النص:

السنة الثانية، الشهر الحادي عشر، اليوم السادس والعشرون في عهد جلالة «رعمسيس الثاني»، محبوب «أمون رع» ملك الآلهة، «وخنوم» رب إقليم الشمال، يعيش الإله الطيب «منتو» صاحب الملايين القوي البأس مثل ابن «نوت» المحارب من أجل الأسد القوي القلب، ومن هزم عشرات الألوف، والجدار العظيم لجيشه في يوم الواقعة، ومن نفذ خوفه في كل الأراضي، ومن تبتهج مصر عندما يكون الحاكم في وسطها — أي الأراضي الأجنبية، ولقد وسع حدودها إلى الأبد ناهباً الآسيويين، ومستولياً على مدنهم، ومن حطم أجناب الشمال، ومن سقطت «التمحو» (اللوبيون) خوفاً منه، والآسيويون يرجون نفس الحياة منه، ومن يرسل مصر للقيام بحملات، وقلوبهم ملأى بخططه عندما يجلسون في ظل سيفه، ولا يخافون أية بلاد، وقد أهلك محاربي البحر، ومضى الوجه البحري الليل نائماً في سلام،^{٢٠} وإنه ملك يقظ دقيق الخطة، لا يخيب ما يقوله، ويأتي الأجناب إليه حاملين أطفالهم ليسألوه نفس الحياة، وصوته عظيم في حرب بلاد النوبة، وقوته تصد الأقواس التسعة، و«بابل» و«خيتا»، ... تأتي إليه خاضعة لشهرته.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على محتويات هذا المتن — على الرغم مما يشيع فيه من عبارات المدح، وقرص الثناء للفرعون على شجاعته، وأمثال ذلك من الجمل التقليدية التي نجدتها في كل متن خاص بالفرعنة، وجدنا أن هذا الفرعون قد شن حروباً على

^{١٩} راجع: L. D. III, p. 175; Breasted A. R. III § 478-9

^{٢٠} راجع: ترجمة هذه الجملة المخالفة لترجمة «برستد» (Onomastica I, p. 195).

قوم جدد، غير النوبيين، واللوبيين، والأسويين الذين يستفتح فرعون عهده بمحاربتهم، وهؤلاء القوم هم أهل البحار الذين يعرفون «بالشردانا»، ولا بد أنهم كانوا قد أغاروا على مصر في السنة الثانية من عهد هذا الفرعون فقضى عليهم الأسطول المصري، وأصبح أهل الوجه البحري ينامون في سلام، وهذا يفسر لنا وجود جنود «شردانا» في موقعة «قادش»، وهم الذين كانوا عماد الفرعون في هذه الموقعة؛ لأنهم كانوا حرسه الخاص كما سنرى بعد.

(١-٢) «شردانا» — أصلهم وحروبهم

و «شردانا» قوم من أقوام البحر الأبيض المتوسط، ومن المحتمل أن اسم جزيرة «سردينيا» مشتق من اسم هذا الشعب كما يدل على ذلك نقش فينيقي وصل إليها من عهد القرن التاسع قبل الميلاد، وأول ظهور لفظة «شردانا» كان في خطابات «تل العمارنة»؛^{٢١} حيث نجدهم كانوا تابعين للحامية المصرية في «جبيل» (ببلوص)، وهذا يشعر بقيام حرب مع أقوام البحر الأبيض المتوسط في عهد «أمنحتب الثالث»، أو قبل ذلك عندما أخذ بعض هؤلاء الأقوام أسرى، وقد جاء ذكرهم صراحة بوصفهم أسرى على حسب ما ذكر في «ورقة أنسطاسي» (رقم ٢) ^{٢٢} حيث أشيد إلى إعداد «شردانا» في «الأخضر العظيم» (البحر الأبيض المتوسط) بالسلح، وهم من أسرى جلالته، وكذلك ذكروا في ورقة «أنسطاسي» مرة أخرى بوصفهم فرقة في الجيش المصري،^{٢٣} وكذلك جاء ذكرهم في قصيدة «رعمسيس» العظيمة في حديثه عن حملته الكبرى على «خيتا»؛ حيث يصف كيف أنه أعد جيشه وفرسانه، وجنود «شردانا»، الذين أسرهم جلالته ولا شك في أن تخصيص هؤلاء القوم الأجانب بالذكر في الجيش المصري دليل على الدور الهام الذي لعبوه بين فرق هذا الجيش، وقد حافظوا على مكانتهم الهامة بين الجنود المصريين، وبين المصريين عامة حتى عهد «رعمسيس الثالث»، كما يدل على ذلك ما جاء في فقرات عدة في ورقة «هارس»،^{٢٤} وكان أول ذكر «شردانا»

^{٢١} راجع: Mercer. Amarna Tablets: 122, 35; 123, 15.

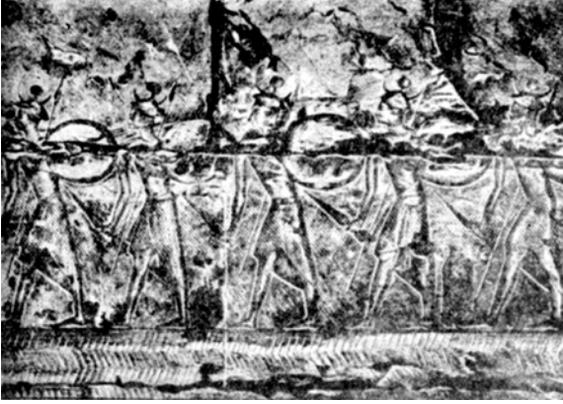
^{٢٢} راجع: Late Egyptian Misc. P. 20.

^{٢٣} راجع: Anast. I, 17, 4.

^{٢٤} راجع: Harris pap. 75, 1.

رعمسيس الثاني

بوصفهم أعداء مصر في اللوحة المهشمة التي وجدت في «تانيس»^{٢٥} حيث نقرأ: «... شردانا
الثائرة قلوبهم ... سفن حربية في وسط البحر...» هذا بالإضافة إلى ما جاء في اللوحة التي
نحن بصدها في مدح «رعمسيس الثاني»، وهو: «وقد أهلك محاربين من سكان «الأخضر
العظيم»، وبذلك أمضى الوجه البحري الليل نائمًا في سلام.»



شكل ٢: جنود شردانا الذين كانوا في حرس «رعمسيس الثاني».

وهذان الاقتباسان معًا يدلان على أن الدلتا قد هوجمت منذ سنوات عدة من البحر
قبل عهد «مرنبتاح»، وأن قوم «شردانا» كانوا من بين المهاجمين، ومن حقنا إذن أن نشك
في أن «رعمسيس الثاني» كان أول من صد هذا الهجوم؛ إذ يجوز أنه قد حدث في عهد
أحد الملوك الذين سبقوه مباشرة.

وقد عرفنا شخصية هؤلاء القوم الأجانب من منظر على جدار في مدينة «هابو»^{٢٦}؛
حيث نجد رسم سلسلة أمراء أجانب، ويتبع رسم كل أمير منهم عبارة مفسّرة لشخصيته،
وقد كُتب فوق الأمير الشرداني: «شرداني البحر»، وهو يميّز عن كل الأمراء الآخرين

^{٢٥} راجع: Petrie Tanis II, pl. 2. No. 78.

^{٢٦} راجع: Wresz. Atlas II, 160. A, 160 B.

بالخوذة التي يلبسها المثبته فيها قرون، وشوكة بارزة تنتهي بقرص أو كرة، كما يمتاز وجهه بأنف أقنى، ولحية طويلة، ويتحلى بقرط كبير، ونلاحظ أن تلك الخوذة الخاصة كان يلبسها جميع أفراد هؤلاء الأقوام الذين نشاهددهم في مناظر الجيش المصري، أو في مناظر مواقع القتال، غير أن معظمهم كان حليقًا. أما القرط فقد حُص به الأمراء، ويلحظ كذلك أن الخوذة كانت خالية من الشوكة أو القرص المثبت فيها، غير أنها تحتوي على شسع يمر تحت الذقن، أما أسلحتهم فكان من بينها السيف، ولكن سلاحهم الرئيسي الحربة، ولم يستعملوا قط القوس والنشاب، ووطنهم الأصلي الذين هاجروا منه هو كما ذكر لنا «رخاروف» بأدلة أثرية هامة، توحى بأنهم قد وفدوا إلى جزر البحر الأبيض، وآسيا الصغرى من بلاد القوقاز؛ إذ قد وجدت في هذه الجهات تماثيل صغيرة من البرنز من عصر البرنز بخوذات تشبه الخوذات التي على رؤوسهم تمامًا، تلك التي كان يلبسها الشرדاني، وهي التي قد وجد نظائرها في «سردينيا»، وأهم من ذلك في نظر الباحثين في هذا الموضوع، أمثال الدكتور «هول»، والأثري «سمث» ما وجد لهم من سيوف طويلة عريضة تشبه التي وُجدت مصورة مع جنود «شردانا» على جدران معبد «بو سمبل»، ومدينة «هابو»، كما عثر كذلك على سيوف قصيرة، أو خناجر مثلثة الشكل مثل التي كان يستعملها «الشردانا»، و«الفلسطينيون» على السواء.^{٢٧}

(٢-٢) حورب رعمسيس الثاني مع التمحو أي اللوبين

جاء على لوحة «أسوان» المؤرخة بالسنة الثانية من عهد «رعمسيس الثاني» أن «التمحو» قد هُزموا خوفًا منه. وهذه العبارة لا تدل على شيء معين، فضلًا عن أن لدينا ثلاثة مناظر تصور لنا انتصاره على هؤلاء القوم، اثنان منها في معبد «بيت الوالي»، والأخير في معبد «بو سمبل»^{٢٨}، ولكن النقوش المفسرة لها لا تحدثنا بشيء خاص اللهم إلا الجمل العادية، مثل: إخضاع أراضي «التمحو» الخارجة. والواقع أن النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» مفسرة لمناظر حروبه مع بلاد «التمحو» وانتصاره عليهم؛ فيها شك

^{٢٧} راجع: Gardiner Onomastica I, 194-199.

^{٢٨} راجع: Wresz. Atlas II, 164; L. D. III, 176 c; Wresz ibid. II, 182.

كبير، ومن الدهش أنه لم يوجد بين صور المواقع العدة التي خاض غمارها «رعمسيس الثاني» واقعة معينة حدثت بينه وبين اللوبيين؛ ولذلك يتساءل الإنسان إذا كانت هذه النقوش تدل على حروب وانتصارات حقيقية، أو أنها صور انتصارات وهمية من التي يصورها الفرعنة إشادة بقوتهم، وتغلبهم على الأقبام والممالك المجاورة، وبخاصة إذا علمنا أن منظر انتصار «رعمسيس» على اللوبيين في معبد «بو سمبل» هو صورة طبق الأصل من المنظر الذي تركه لنا والده «سيتي الأول» على «معبد الكرنك»، وقد استنبط «برستد» من متن لوحة عُثر عليها في «تانيس» أنه قد عُقدت معاهدة بين «اللوبيين»، و«شردانا» بعد موقعة حربية، ويعزز ذلك بما جاء في أنشودة «رعمسيس الثاني» في ورقة أنسطاسي الثانية،^{٢٩} غير أن المتن مهشم، ولا يساعد على استنباط هذا الرأي، وإذا كانت قد وقعت حروب بين «رعمسيس الثاني» واللوبيين، فلا بد أن تكون قد حدثت بعد السنة الخامسة، وعلى ذلك يمكن الإنسان أن يقبل — على حسب ما جاء في لوحة أسوان المؤرخة بالسنة الثانية — وقوع حرب بين «رعمسيس»، وبلاد النوبة، وأن الحرب التي قامت بين «رعمسيس» و«خيتا» في السنة الخامسة هي حملته الثانية المضفرة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون الحرب مع «لوبييا» قد حدثت في السنة الأولى كما يقول «بترى».^{٣٠}

وعلى أية حال، فإن الحروب التي رسمت على معبد «بيت الوالي» يعزوها «سيلي» كما ذكرنا قبلاً إلى عهد اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم.

(٣-٢) حروب رعمسيس الثاني في بلاد النوبة

ذكرنا فيما سبق على حسب ما استنبطه الأثري «كيث سيلي» أن الحروب التي صورت على معبد «بيت الوالي»، وهي التي قامت بين «رعمسيس الثاني» وبلاد النوبة، كان قد احتدم أوارها بين البلدين في عهد اشترك «رعمسيس» مع والده في الحكم، غير أن هذه المناظر التي تصور لنا تلك الحروب في بلاد النوبة على جدران معبد «بيت الوالي» وغيره من المعابد المصرية، لم تضع أمامنا حرباً معينة لها تواريخها، وحوادثها كما هي الحال

^{٢٩} راجع: Br. A. R. III, § 491.

^{٣٠} راجع: Petrie History of Egypt III, p. 46; Holscher Libyer & Agypter. P. 61.

في حروب «رعسيس الثاني» مع بلاد آسيا، بل نجد مناظر حروب بلاد النوبة، والبلاد الأخرى يختلط بعضها ببعض حتى أصبح من المستحيل علينا أن نتكلم على كل منها على حدة، فلدينا فضلاً عن مناظر «بيت الوالي» مناظر على معبد «بو سمبل»، ومعبد الأقصر، و«معبد العرابة» هذا غير ما ذكر على لوحتي «أسوان» و«تانيس» اللتين تحدثنا عنهما، ولا نعلم إن كانت مجرد مناظر فخرية لتبرز قوة الفرعون، وشدة بأسه، وانتشار نفوذه، أو كانت هناك وقائع حربية حدثت فعلاً، وغابت عنا تفاصيلها وتواريخها، والغالب أنها من النوع الأول كما شاهدنا في أحوال الملوك السابقين أمثال «توت عنخ آمون» وغيره، ومع كل ذلك سنضع أمام القارئ بعض مناظر هذه الحروب كما جاءت على هذه المعابد.

(أ) معبد «بو سمبل»

ففي معبد «بو سمبل» منظر يظهر فيه «رعسيس الثاني»، وفي يده السيف والقوس ممتطياً عربته على مهل، ومعه جيش يسير في ركابه، وبجانب جواده وأسده الأليف يتبعه، ويسير أمام العربة أحد أتباع الفرعون يحمل قوساً، وكنانة، وعصا، ونعلي الفرعون، وسيق أمامه صفان من الأسرى السود مكبلين في الأغلال، والمتن المفسر لهذا المنظر يقول:

الإله الطيب الذي يضرب الجنوب، ويحطم الشمال، والملك المحارب بسيفه، والطارد إلى أبعد مدى أولئك الذين يتعدون أماكنه الحصينة، وعندما يحط جلالته رحاله في الممالك يهزم عشرات الألوف ويخربها، وقد ... «رتنو» ذابحاً رؤساءهم، وجاعلاً السود يقولون: ابتعدوا إنه مثل اللهب عندما يندلع، ولا يوجد ماء يطفئه، وأنه يجعل الخارجين يصمتون عن المتناقضات التي تخرج من أفواههم عندما استولى عليهم.^{٣١}

وفي منظر آخر نشاهد «رعسيس»، وبيده القوس يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالث «طيبة»، وهم: «أمون»، و«موت»، وابنهما «خنسو».

^{٣١} راجع: Champ. Monuments, 15, 16; Rosellini Monumenti Storici 84, 85; & Br. A. R. III,

وقد كتب المتن التالي فوق صورة «رعمسيس» والسود:

إحضار الجزية بوساطة الإله الطيب لوالده «أمون رع» رب «طيبة»، بعد وصوله من بلاد «كوش» هازماً الأقاليم الخارجة، ومحطماً الأسويين في أماكنهم، وتشمل فضة وزهَباً، ولازورد وتوتية، وكل حجر فاخر غالٍ بمقدار ما كتبه له من قوة ونصر على البلاد كلها.

ورؤساء «الكوش» الخاسئون الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته في بلاد «كوش» ليمثلوا مخازن والده الفاخر «أمون رع» رب «طيبة» هم بقدر ما أعطاه قوة على الجنوب، وانتصاراً على الشمال مخلداً وسرمدياً.^{٢٢}

والمناظر التي على جدران معبد «بيت الوالي» قد تكلمنا عنها فيما سلف.^{٢٣}

(٢-٤) حروب «رعمسيس» في آسيا

(أ) مقدمة

تكلمنا عن حروب «رعمسيس» مع بلاد «شردانا»، و«لوبيا»، و«النوبة» فيما سبق، وقد رأينا أنها كانت كلها حروباً مبهماً لا يمكن تحديد مواقعها أو أسبابها؛ لأننا لا نعرف عنها إلا النزر اليسير، وتدل شواهد الأحوال على أن معظمها حدث في عهد اشتراك «رعمسيس» مع والده، وحتى حروبه الأولى في «سوريا» إذا كانت هناك حروب إلى السنة الخامسة لا نعلم عنها شيئاً معيناً لقلّة ما لدينا من المصادر الواضحة، وقد كان أكبر مناهاض له في آسيا مملكة «خيتا» التي تُعد أكبر دولة وقفت في وجه مصر في الأصقاع الآسيوية، وقد بقي النضال بينهما محتدماً مدة تربى على عشرين عاماً، ويمكن تقسيمها ثلاثة أطوار مميزة: ففي الطور الأول: كانت حدود «رعمسيس الثاني» الفينيقية تمتد شمالاً حتى «بيروت»، ثم أوغل بعد ذلك حتى نهر «العاصي»، وهناك قابل «خيتا» في موقعة «قادش»، ولم تكن نتائجه مرضية للجانب المصري إلى حد كبير؛ إذ إن «قادش» قد بقيت في يد «خيتا» بعد الواقعة. والطور الثاني: نجد فيه «رعمسيس الثاني» يحارب أهالي «فلسطين» الذين

^{٢٢} راجع: Champ. Ibid. p. 35.

^{٢٣} راجع: Champ. Ibid. p. 35.

حرضهم «ملك خيتا» على الخروج على مصر، وقد أطفأ «رعمسيس» نار الثورة هناك، وعادت «فلسطين» خاضعة للحكم المصري. أما الطور الأخير: فنجد فيه «رعمسيس» في بلاد «خيتا» يغزوها؛ فتابع فتوحه حتى وصل إلى بلدة «تونب»، وعندئذ خاف ملك «خيتا» على بلاده، وأرسل إلى «رعمسيس» يطلب عقد محالفة دائمة بين البلدين، وقد لوحظ في شروطها أنه لم تعين حدود معلومة تفصل أملاك البلدين بعضها عن بعض. وسنفحص كل طور من هذه الأطوار على حدة:

(ب) بداية الحروب مع «خيتا»

كانت الخطة الحكيمة التي اخترعها عقل «تحتس الثالث» الجبار في حروبه مع آسيا الاستيلاء على «سوريا»، والإيغال في داخلها، هي أن يبدأ بتأمين طرق مواصلاته بالاستيلاء أولاً على موانئ الساحل، ومن ثم يوغل في الداخل حيث يلتقي مع «خيتا» للمرة الأولى. ولذلك كانت أول حملة أو زيارة قام بها «رعمسيس» موجهة إلى ساحل «فينيقيا»، وقد أوغلت في سيرها حتى «بيروت»، وهناك أقام لوحة على نهر «الكلب» في السنة الرابعة، وقد وجدت كذلك لوحتان في هذه الجهة، غير أن تاريخهما ليس معروفاً تماماً لتآكل ما عليهما من نقوش، ولا نعرف على وجه التأكيد إذا كان «رعمسيس الثاني» قد حارب في هذه الجهة أم لم يحارب، والأمر الهام الذي نستخلصه من وجود هذه اللوحة في تلك البقعة أنها تعد على وجه التقريب آخر ما وصلت إليه فتوح «سيتي»، أو بعبارة أخرى حدود إمبراطوريته، وأن «رعمسيس» قد جاء بشخصه إلى «فينيقيا»، وأخيراً تبين لنا التقدم الذي وصل إليه نحو الشمال (راجع Br. A. R. III, § 297).

الحملة الثانية: موقعة «قادش»

وتعد الموقعة التي تقابل فيها «رعمسيس الثاني» مع «الخيتا» وجهاً لوجه لأول مرة عند بلدة «قادش» نهاية الطور الثاني من حروبه مع هذه المملكة العظيمة.

والمصادر التي استقينها منها معلوماتنا عنها تنحصر في ثلاث وثائق، وهي:

الأولى: ملحمة «قادش»، وهي التي تسمى — خطأ — قصيدة «بنتاور»؛ لأن «بنتاور» لم يكن الشاعر الذي ألّف هذه الملحمة، بل هو الكاتب الذي نسخها بخطه.

الثانية: الوثيقة الرسمية عن موقعة «قادش».

الثالثة: المناظر والنقوش الخاصة بالموقعة، وهي التي رسمها «رعمسيس» على جدران معابده العظيمة في مختلف جهات القطر، وقبل أن نتحدث عن الواقعة، والخطط الحربية التي رسمها «رعمسيس» لنفسه يجدر بنا — كما هي عادتنا — أن نضع أمام القارئ ترجمة نصوص هذه الوثائق، حسب آخر الكشوف الحديثة التي قام بها المؤلف شخصياً في معبد «الأقصر» كما يجدها القارئ في كتابه عن ملحمة «قادش».^{٣٤}

ملحمة «قادش»

لقد ظلت الروايات المختلفة التي رويت بها هذه الملحمة مبعثرة على جدران أهم معابد القطر، وبلاد السودان التي نقشت عليها دون أن يجمع شتاتها في كتاب واحد، وقرن بعضها ببعض.

هذا فضلاً عن أن النسخة التي وصلت إلينا بالخط الهيراطيقي منقوصة غير كاملة؛ ولذلك لم يكن في مقدور أي أثري درس هذه الملحمة على الوجه الأكمل، وقد عني بجمع هذه النصوص المختلفة بقدر الطاقة، وترتيبها في مجلد واحد بحيث أصبح في الإمكان الحصول على متن كامل يمكن الاعتماد عليه من كل الوجوه، والمتون التي سنورد ترجمتها هنا تمتاز بأنها نسخة مطابقة للروايات المختلفة بعض الشيء التي دونت على جدران المعابد العدة مع قرنهما ببردية «ريفا»، وبردية «سالييه» التي تكمل إحدهما الأخرى، وهما تقدمان نسخة كاملة للملحمة لا ينقصها إلا بعض سطور، ولدينا — خلافاً للبردية —

^{٣٤} راجع: Selim Hassan. Le Poeme Dit De Pantaour Et Le Rapport Sur La Bataille De

.Qadesh. (1928)

سبع نسخ أخرى نُقِشت على جدران المعابد التالية، كما توجد نسخ أخرى تشمل بعض كلمات أُضربنا عنها صفحًا، وهي:

الأولى: نُقِشت على بوابة معبد الأقصر الكبرى التي أقامها «رعمسيس الثاني».

الثانية: على الجدارين الجنوبي والجنوبي الشرقي لردهة هذا المعبد نفسه.

الثالثة: منقوشة على الجهة الخارجية من الجدار الغربي لردهة «أمنحتب الثالث» في نفس المعبد.

الرابعة: دُونت على الجدار الخارجي لقاعة العمدة العظيمة في معبد «الكرنك».

الخامسة: حُفرت على الجدار الخارجي الواقع بين البوابتين التاسعة والعاشرية من هذا المعبد.

السادسة: كُتبت على الجدار الشمالي الغربي الخارجي لمعبد «رعمسيس الثاني» الذي أقامه بالعراة المدفونة.

السابعة: صُوِّرت على البوابة الثانية لمعبد «الرمسيوم الجنازي» الذي أقامه «رعمسيس الثاني» لنفسه.

ويمتاز هذا المتن الذي ننشر ترجمته هنا — على حسب كل الروايات المختلفة السالفة الذكر — بأنه لم يعتمد فيه على أية مطبوعات سابقة، بل على الأصول مباشرة، وعلى قدر ما وصلت إليه معلوماتنا، لم يُنشر من المتون التي ذكرناها هنا إلا متن بوابة «الأقصر»، ومتن معبد «الكرنك» الذي على الجدار الخارجي لقاعة العمدة العظيمة.^{٣٥}

أما المتون الأخرى، وكذلك الجزء الأسفل من المتن الذي على بوابة معبد «الأقصر» — وهو الذي كشفنا عنه لأول مرة — فنضعها أمام القارئ الذي يريد أن يرجع إلى الأصول المصرية لدرس هذه الواقعة، وهاك ترجمة الملحمة على حسب نصوص الروايات المختلفة يكمل بعضها بعضًا:

^{٣٥} وقد نشر الأثري «كونز» الملحمة والتقرير في كتاب غير أنه ينقصه ما كشفنا عنه، وكذلك لم يوازن بين روايات الملحمة والتقرير (راجع Kuentz: Bataille de Qadech).

نص ملحمة قادش

بداية انتصارات ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، محبوب «آمون رعمسيس» معطي الحياة مخلدًا، وقد أحرزها على بلاد «خيتا»،^{٣٦} وبلاد «نهرينا»،^{٣٧} وبلاد «إرثو»،^{٣٨} «وبدس».^{٣٩}

^{٣٦} أرض «خيتا»، وتُنطق بالمصرية «خت»، وقد جاء ذكرها في المتون المصرية لأول مرة في عهد «تحتمس الثالث» (راجع Urk IV, p. 701, L 11). حيث نجد ذكر هدايا من أميرها لفرعون مصر، ومعنى مثل هذه الهدايا يظهر لنا من فقرة على لوحة «منف» العظيمة التي أقامها «أمنحتب الثاني»، وهي التي كشف عنها حديثًا الدكتور «أحمد بدوي»؛ حيث نجد أمراء «نهرين»، و«ختي»، و«سنجار»، أي أعظم ملوك ثلاثة في شمال آسيا قد مثلوا حاضرين لمصر لوضع أسس المصادقة مع الفرعون على إثر سماعهم بانتصاراته في سوريا، وفي عهد «رعمسيس الثاني» نجد أن هذه البلاد تُذكر باسم بلاد «ختي»، كما نجد في المتن الذي نحن بصده الآن. وهذه البلاد العظيمة عاصمتها «خاتوشا» (بوغازكوي)، وتقع على الهضبة المرتفعة التي في أواسط آسيا الصغرى شرقي نهر «هاليس» (راجع Gardiner Onomastica I, p. 127)، وتُعرف باسم «ختوشا» (راجع الجزء الخامس).

^{٣٧} أرض «نهرين أو نهرن»، وهي البلاد التي يقع معظمها بالقرب من شرقي نهر الفرات في مجراه العلوي، وتنطق بالبابلية «نخريما»، أو «ناريمان»، وبالعبرية «نهرام»، وقد جاء أول ذكر لها في المتون المصرية في عهد «تحتمس الأول» (راجع Urk. IV, p. 9, 10)، ويقصد بها المصريون بلاد «متن» في عهد الأسرة الثامنة عشرة من أول عهد «تحتمس الثالث» وما بعده، وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ أي بعد سقوط بلاد «متني» في عهد «حور أمحب» أو قبله، توجد لدينا براهين تدل على أن امتداد بلاد نهرين قد وصل إلى بلدة «حلب»، أو ما بعدها غير أننا لا نعرف سبب ذلك بالضبط (راجع Gardiner Onomastica I, 171 ff.) (راجع الجزء الخامس).

^{٣٨} أرض «إرثو» (إرزاوا) بالبابلية: وهي معروفة تمامًا من خطابات تل العمارنة وسجلات «بوغازكوي»، وليست بلدة، بل أرضًا أو عدة أراضٍ، وتقع على حسب رأي «جوتس» على ساحل البحر الأبيض المتوسط في الجهة الغربية من الجنوب الغربي من بلاد «خيتا» وهي تشغل بوجه عام مكان إقليم «بامفيليا» Pamphlia الذي ظهر فيما بعد، ولغة هذه البلاد؛ أي (إرزاوا)، وقد عُرفت للمرة الأولى من خطابين من «تل العمارنة» — تُنسب إلى اللغة الهندية الأوروبية، وتُنسب إلى اللغة الخيتية أيضًا، وهي تعرف الآن باللغة اللرية (راجع Ibid. p. 129).

^{٣٩} «بدس» = «بداسا» وبالخيتية «بتاشتا»، ويقول عنها «سمث» إنها تقع في الجنوب الشرقي من «خاتوشا» أي «بوغازكوي» وشمال «إرزاوا»، وفي المصور الذي وضعه «جوتس» حديثًا في كتابه عن إقليم «كزواتنا» تقع بالقرب من أرض «إيكونيم» Iconuim خلف الحدود الشمالية الشرقية من بزيديا (Ibid. p. 128-9).

وبلاد «دردني»،^{٤٠} وأرض «ماسا»،^{٤١} وأرض «قرقيشا»،^{٤٢} وأرض «لك» أو «لوكي»،^{٤٣} وبلاد «كركميش»،^{٤٤} (أو جرجميش)، وأرض «قدي»،^{٤٥} وأرض «إركاثة»،^{٤٦} وبلاد «موشات».^{٤٧}

وعندما كان جلالته سيداً غض الشباب شجاعاً لا مثيل له، قوي الساعدين، ثابت القلب كالجدار، يماثل الإله «مونتو» في قوته الجسمية في ساعته؛ أي ساعة غضبه، جميل الطلعة مثل الإله «آتوم»، والنظر إلى جماله يبعث السرور، عظيم الانتصارات على كل البلاد الأجنبية، ومن لا يعرف أحد كيف يأخذه لينازله، وإنه جدار قوي يحمي جنوده ودرعهم في يوم القتال، ولا مثيل له في الرماية، وقوته تفوق مئات الألوف مجتمعين، وهو الزاحف في المقدمة موعلاً في الجموع وقلبه مفعم بالشجاعة، قوي حين ينازل القرن كالنار عندما تلتهم؛ ثابت القلب كالثور المتأهب لساحة القتال لا يجهله أحد في الأرض قاطبة، ومن لا يقدر ألف رجل أن يثبت أمامه، ومن يتخاذل مئات الألوف عند رؤيته، وهو رب الخوف، وذو الزئير الهائل الذي يدوي في قلوب البلاد كلها، عظيم الرهبة التي يبعثها في قلوب الأجانب الخاسئين، وكالأسد الهصور في وادي البهم، ومن يغزو مظفراً، ويعود منتصراً أمام الناس من غير مفاخرة، تدايره ممتازة، ونصيحته حسنة، سديد في جوابه، حامٍ مشاته يوم النزال ... والفرسان والقائد لأتباعه، ومن يحمي مشاته، وقلبه كجبل من

^{٤٠} بلاد «دردني» (أي الدردنيل) حالياً.

^{٤١} «ماسا» تقع في «كاريا» جنوبي نهر «مياندر» على الشاطئ الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى.

^{٤٢} أرض «قرقيشا» تقع كذلك في إقليم «كاريا» جنوبي نهر «مياندر» على الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى (راجع Onomastica I, p. 128).

^{٤٣} أرض «لك» أو «لوكي» موقعها في إقليم «ليسيا» الإغريقي، ولا تبعد كثيراً عن «كركميش» من الجنوب الشرقي على الشاطئ الجنوبي (Ibid. 128).

^{٤٤} «كركميش» وهي المدينة المشهورة على أعالي نهر الفرات على مسافة تربي بقليل على مائة كيلومتر من الشمال الشرقي من حلب (Ibid. p. 132).

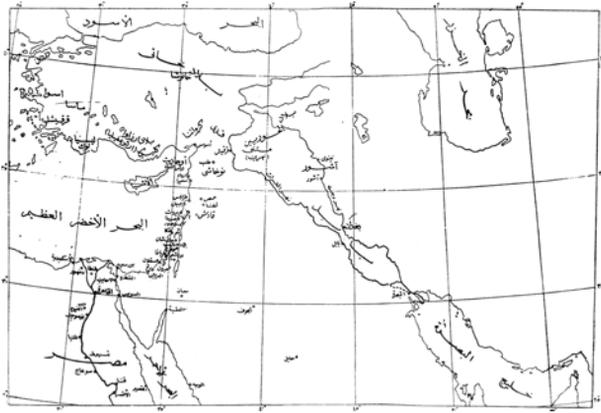
^{٤٥} «قدي»: يقع إقليم قدي في شمال بلاد سوريا، غير أنه لا يصل إلى خليج «إيسوس»، ولكن يظهر أنه يمتد إلى مسافة بعيدة نحو الشرق من «كرواتا»، كما عين موقعها كل من «سمث»، و«جوتس» (راجع Ibid. p. 136).

^{٤٦} «إكاراثة» إقليم في سوريا شمالي «قادش» شرقي نهر الأرنط (العاص).

^{٤٧} «موشات» إقليم في شمالي سوريا لا يعرف موقعه بالضبط.

رعمسيس الثاني

البرنز، السيد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستين رع» ابن الشمس «مري آمون رعمسيس» معطي الحياة، ولقد جهز جلالته مشاته وخيَّالته «شردانا»، وهم من سبي جلالته، وقد أحضرهم بانتصارات سيفه مدججين بكل أسلحتهم، وقد أعطاهم التعليمات للواقعة، ولما وصل جلالته إلى جهة الشمال، كان معه مشاته وفرسانه بعد أن سلك الصراط السوي في سيره. وفي السنة الخامسة، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم التاسع، اجتاز جلالته قلعة «ثارو» (تل أبو صيفه الحالية)، وكان شديد القوى مثل الإله «منتو» في طلوعته، في حين كان كل بلد أجنبي يرتعد أمامه، وقد حمل إليه كل الأمراء جزيتهم، وكان الثائرون منهم يأتون مطأطي الرعوس خوفاً من بطش جلالته، وكان مشاته يسرون في طرق ضيقة، وكأنهم يسرون على طرق مصر المعبدة.



شكل ٤: خريطة الفتوح المصرية والأمم التي حاربتها مصر في آسيا الصغرى في عهد «سي تي» و«رعمسيس الثاني».

وبعد مضي أيام على ذلك كان جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — في بلدة «مري آمون رعمسيس» — له الحياة والسعادة والصحة، وهي المدينة التي في وادي الأرز (مدينة في لبنان)، ثم تقدم جلالته نحو الشمال، وبعد أن وصل جلالته إلى هضبة «قادش»، تأمل! كان جلالته يتقدم جيشه مثل والده «منتو» رب «طيبة»، وعبر نهر الأرنط خوفاً

بجيش «أمون الأول» المنتصر لسيدته «وسر ماعت رع ستين رع» — له الحياة والسعادة والصحة — ابن الشمس «مري أمون رع ميسيس»، ثم اقترب جلالته من مدينة قادش، وكان أمير «خيتا» الخاسى قد أتى وجمع حوله البلاد الأجنبية كلها من أقصى حدود البحر، وقد جاءت أرض «خيتا» قاطبة، وكذلك «نهرين»، وبلاد «إرثو»، وبلاد «دردني»، وبلاد «كشكش»^{٤٨}، وبلاد «ماسا»، وبلاد «بداسا»، وبلاد «آرون»^{٤٩}، وبلاد «قرقيشا»، وبلاد «لك»، وبلاد «قزودا»^{٥٠}، و«كركميش»، و«إكريث»^{٥١}، وبلاد «قدي»، وأرض «نجس»^{٥٢} كلها، و«موشنات»، و«قادش»، ولم يترك أرضاً واحدة دون إحضارها معه، وكذلك كان معه رؤسائهم، وكان كل واحد يقود مشاته، وكان خياله كثيرين جداً يخطئهم العد، وقد غطوا بكثرتهم الجبال والوديان كأنهم جراد منتشر، ولم يترك في أرضه ذهباً ولا فضة، وقد جرد نفسه من كل متاعه إذا أعطاه البلاد الأجنبية ليحضرها معه للقتال، ولكن كان أمير «خيتا» الخاسى، والممالك الأجنبية العديدة معه، وقد وقفوا مختبئين على استعداد للقتال في الشمال الشرقي من «قادش»، وعندما كان جلالته — له الفلاح والصحة — وحيداً مع حرسه كان جيش «أمون» يسير خلفه، وجيش «رع» يعبر مخاضة بالقرب من جنوب مدينة «شبتون» على مسافة فرسخ واحد من المكان الذي كان فيه جلالته، أما جيش «بتاح» فكان جنوب بلدة «إرنام»، وجيش «ستخ» كان لا يزال سائراً

^{٤٨} كشكش: يوحدتها جوتس ببلاد «جشجش» التي نُكرت في خطابات «تل العمارنة»، وفي لوحة «بوغازكوي» وهذه الأرض تقع على حدود «خيتا» و«إزي»، والأخيرة تقع شمالي المنحنى العظيم في نهر الفرات أسفل «خربوت» ويقول جوتس: إن موقع «جشجش» في الشمال الشرقي من «خاتوشا» أي (بوغازكوي)، ويحتمل على ساحل البحر الأسود شرقي «سمسون» & (Onomastica I, p. 129). (Goetze. Kizzuwatna p. 22 ff, & 40).

^{٤٩} بلاد «آرون» = طروادة (؟).

^{٥٠} «قزودنا» = «كلكيا» أو «سلسيا». (Onomastica Ibid. p. 129).

^{٥١} «إكريث» = أو جاريت وهي «رأس الشجرة» الحالية شمالي «اللاذقية» على البحر الأبيض.

^{٥٢} «نجس» هي «نوخشي» المذكورة في «تل العمارنة» وهي بلاد تشغل مساحة غير معروفة بالضبط بين حمص وحلب (Ibid. p. 178).

على الطريق، وكان جلالته قد نظم أول قوة للميدان من كل ضباط جنوده الخواص حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض «آمون»،^{٥٣} وعندئذ أمر أمير «خيتا» الذي

^{٥٢} هذه البلاد قد جاء ذكرها كثيرًا في خطابات «تل العمارنة» وقوم العموريين أو الأموريين كانوا يسكنون بلاد «يوده» وكذلك في ما وراء نهر «الأردن» غير أننا هنا لا نبحت عن حالهم في ذلك الوقت. ويقول الأستاذ «سدني سمث» (Sidney Smith Early Hist. Of Assyria p. 43.) عند كلامه على كلمة «آمور» إنها كانت تستعمل طوال التاريخ لتدل على هضبة صحراء «سوريا»، وكان يختلف امتدادها عندما يتحدث الإنسان عنها بوصفها وحدة سياسية في خلال الألف الثانية ق.م فقد كانت حدودها أحيانًا تنحصر في الإقليم الجبلي المعروف الآن بجبل «الدروز»، وأحيانًا كانت تشمل أراضي من البحر الأبيض المتوسط حتى «حت»، ونحن نتكلم هنا عن هذه البلاد في طورها الأخير من عهد «تل العمارنة» وما بعده، ومع ذلك لا يمكننا أن نحددها بصورة أكيدة لأن هذا الموضوع خاص بالمصادر المسمارية، ففي خطابات «تل العمارنة»، كانت بلاد «آمور» كما ذكرنا بلادًا معروفة وميناؤها «سميرة» وهي أهم مدنها، وكان لها حاكمها الخاص أو أميرها، وهو «عبيدي أشرتا» وكان يعترف بالخضوع والطاعة للفرعون، غير أنه في واقع الأمر كان يخضع لنفوذ ملك «خيتا» القوي، وكان ابن «عبيدي أشرتا» المسمى «أزيرو» في أول أمره يميل كل الميل إلى جانب مصر، ولكنه لما يئس فيما بعد من وصول أية مساعدة من «إخنتاتون» الذي كان منهمكًا في إصلاحه الديني؛ أبرم معاهدة مع الفاتح الخيتي «شوبيليويلوما»، وقد استمر «أزيرو» في حدود بلاد «آمور» حتى استولى على بلدة «توبن»، ولكنه فيما بعد خضع للفرعون وبقي سجينًا في مصر مدة، ثم عاد فيما بعد ملكًا على بلاده، ومن ثم بقي محافظًا على ولائه «للخيتا». وقد كان أول ذكر في المتون المصرية لبلاد «آمور» في نقوش «سيتي الأول» أي بعد عهد «إخنتاتون» بنحو نصف قرن تقريبًا، فعلى الجدار الشمالي لمعبد «الكرنك» نجد العبارة المقتصرة القائلة إن هذا الفرعون قد سار لتخريب بلاد «قادش» وبلاد «آمور» (إمعور)، وقد عثر على معاهدتين في سجلات «بوغازكوي» تقص علينا معاملات ملوك «خيتا» لأمرء «آمور» في تلك الفترة (راجع Ed. Meyer Gesch II, 1p. 151) أما في متون موقعة «قادش» التي نحن بصدها الآن فقد ذكرت بلاد «آمور» مرتين ولكن لما لم تكن هذه الإمارة ضمن الحلف الخيتي فلا بد أنها إذن كانت إما موالية لمصر أو على الحياد — وذلك كما جاء في المتن بعد وصف مواقع الفرعون وفياقله الأربعة قبل نشوب المعركة — ويلاحظ هنا أنه قبل ذكر حضور «خيتا» في وسط جيشه قد حشرت الجملة الغامضة التالية وهي التي قد ترجمها «برستد» (Br. A. R. III § 310)، (وقد أُلّف جلالته الصف الأول من كل قواد جيشه عندما كانوا على الشاطئ في أرض «آمور» وهو في هذا يشير إلى التوزيع المبدئي الذي قام به «رعمسيس» في جيشه في جنوبي «لبنان» في نقطة ما حيث سار من هناك إلى الداخل، ولكن يقول «جاردنر» في ذلك، إنه خيّل لي أن هذه الجملة تشير إلى القوة التي صوّرت على كل مناظر المعابد وهي القوة التي وصلت — على حين غفلة — إلى المعركة، ولما وجدوا أن معسكر الفرعون محاط بالعدو هجموا على جنود «خيتا» من الخلف وقد كتب فوق صورة هذه القوة العبارة التالية: «وصول جنود الفرعون الشباب من أرض «آمور».» وقد فسر وصول هؤلاء الجنود الجدد بآراء مختلفة (8) Br. Battle of Kadesh p.، ومن الجائز أنهم

كان يقف بين جنوده الذين كانوا معه، ولم يخرجوا للقتال خوفاً من جلالته، بإحضار رجال وعربات كثيرة العدد كالرمال. وكان لكل عربة ثلاثة فرسان، وقد نظموا فرقاً، وكان كل محارب من «خيتا» الخاسئة مجهزاً بكل أسلحة القتال، وجعلهم يقفون كامنين خلف مدينة «قادش» في الشمال الغربي، ثم خرجوا من الجهة الجنوبية من «قادش»، واخترقوا قلب فيلق «رع» الذي كان يتابع السير، ولم يعرفوا المكان الذي كانوا فيه، ولم يكونوا على استعداد للحرب، عندئذ تخاذل مشاة جلالته، وفرسانه أمامهم، وكان جلالته عسكر شمالي «قادش» على الشاطئ الأيمن من نهر «الأرنت»، وفي هذه اللحظة جاء رجل، وأخبر جلالته بذلك، وظهر جلالته أنتد مثل «منتو» (إله الحرب) بعد أن أخذ عدة الحرب وليس درعه، فكان مثل «بعل» في ساعته، وكانت العربة العظيمة التي تقل جلالته المسماة «النصر في طيبة» من الإصطبل العظيم للسيد «وسر ماعت رع ستبن رع» محبوب «أمون»، وقد ركب جلالته مسرعاً، واندس في أعماق الأعداء من «خيتا»، وكان وحده — ولم يكن معه إنسان آخر — ولما تقدم جلالته، ونظر خلفه وجد أن طريق مخرجه قد أحيطت بألفين وخمسائة عربة مع كل نوع من محاربي بلاد «خيتا» الخاسئة، وكذلك الممالك العديدة التي كانت معهم، وبخاصة بلاد «إرثو»، وبلاد «ماسا»، و«بداسا»، و«كشكش»، و«أرونا»، و«كزواتنا»، و«حلب»، و«أكارثي»، أو «جاريت»، و«قادش» و«لك»، وكان في كل عربة ثلاثة رجال، وقد نُظِّموا فصائل، ولم يكن معي رئيس ولا قائد عربة، ولا ضابط

كانوا ضمن الفارين من فيلق «أمون» وقد عادوا الآن بعد أن رأوا العدو لم يقتف أثرهم بعد، وقد ظن الميجر «برن» — كما سترى بعد — أنهم كانوا تابعين لمؤخرة فيلق «رع» غير أن «برستد» نفسه قد عارض كلا الظنين، فقال: لماذا يقال عن هؤلاء الجنود إنهم حضروا من أرض «أمور»؟ والجواب الوحيد الذي يمكن قبوله في هذا الصدد هو ما قاله المؤرخ (إدورد مير) (Ed. Meyer Ibid. p. 142)، إذ يقول: إنهم كانوا جنود ميدان خاصين وهو ما عبر عنه في المتن المصري بجملة (أول قوة ميدان) وهذه الترجمة يمكن وضعها بدلاً من ترجمة «برستد» (الصف الأول) وهذه الفرقة هي التي اندفعت على الساحل إلى ما وراء «طرابلس»، ومن ثم سارت في الداخل على الطريق الهام الذي يعبر النهر الكبير ويوصل إلى «حمص»، أو بطريق أخرى على بُعد قليل جنوباً. وإنه لمن الطبيعي أن نرى «رعمسيس» يريد هنا أن ينتهز هذه الفرصة إلى أقصى حد في وصف أعمال شجاعته فيقدم لنا تفاصيل قليلة بقدر المستطاع عن القوة التي كانت سبباً في نجاته. والظاهر أن بلاد «خيتا» قد أخضعت بلاد «أمور» (أو «عمور») في السنين التي تلت موقعة «قادش»؛ ولذلك نرى «رعمسيس» في السنة الثامنة من حكمه حكمت عليه الضرورة أن يحاصر بلدة «دابور»، وهي إحدى بلاد «أمور»، وتقع على ما يظهر في إقليم «حلب».

مشاة، ولا حامل درع، ومشاتي وخيَّالتي قد تركوني فريسة أمامهم، فلم يثبت واحد من بينهم لمحاربتهم، وعندئذ قال جلالته: «ماذا جرى يا والدي «أمون»؟ هل من عمل الوالد أن يهمل الابن؟ أم هل عملت شيئاً بغير علم منك؟ هل مشيت أو وقفت إلا على حسب قولك؟ هل تعديت الخطط التي أمرت بها (من فمك)؟» وإنه لأمر جليل إذ جعل الأجانب يقتربون من حافة طريق سيد مصر العظيم — أي بالقرب منها — فأين هم من قلبك أولئك الآسيويون التعساء الذين ينكرون الإله؟ يا «أمون»، ألم أقم لك آثاراً عدة جداً لأملاً معبدك بأسلابي، وبنيت لك معبدي للملايين السنين، ووهبتك كل أملاكى بوصية؟ وأدرت (قدت) لك الأرض قاطبة لإمداد قربانك، وعملت على أن تعطي عشرات الآلاف من الثيران مع كل أنواع النباتات الزكية الرائحة! ولم أهمل شيئاً واحداً طيباً دون أن أجعله يعمل في ردهة معبدك، وأقمت لك بوابات ضخمة من الحجر، ونصبت لك عمد أعلام بنفسى، وجلبت لك مسلات من «إلفنتين»، وإني أنا الذي أمر بإحضار الحجر، وقد جعلت السفن تسير من أجلك في البحر لتتنقل لك جزية البلاد الأجنبية، والناس يقولون ليحق الويل بمن يتصدى لخطتك، والطيبات تعمل لمن يؤمن بك يا «أمون».

نعم إن الناس سيعملون لك بقلب محب، وقد ناديتك يا والدي «أمون» عندما كنت في وسط الأعداء، وأنا لا أعرف الممالك الأجنبية التي قد تجمعت عليّ حين كنت وحيداً دون أن يكون فرد آخر معي، وكان جنودي العديدون، قد نبذوني دون أن يلتفت نحوي واحد من فرسانى، ولقد ناديتهم ولكن لم يصغ إلي واحد من بينهم، وعندما دعوت وجدت «أمون» أكثر نفعاً من ملايين الجنود، وكثير من مئات آلاف العربات، وأكثر من عشرات آلاف الرجال، ومن كل الإخوة والأطفال الذين يكونون على وئام فيما بينهم متحدين في قلب واحد، على أن مجهودات الرجال العديدين تتبدد؛ لأن «أمون» أكثر منهم نفعاً، وبعد أن وصلت إلى هنا على حسب نصيحة فمك يا «أمون» لم أتعدّ خطتك، وعندما وجهت نداءتي من أقصى أعماق البلاد الأجنبية انطلق صوتي حتى «أرمنت»، وإذ ذاك وجدت «أمون» قد أتى على إثر ندائى له، ومد إلي يده، وحينما كنت في ابتهاج كان يصيح خلفي: إلى الأمام أمامك يا «مري أمون رعمسيس» إني معك، وإني والده، ويدي معك، إني أكثر نفعاً من مائة ألف رجل مجتمعين معاً في مكان واحد، وإني سيد الانتصار الذي يحب الشجاعة، ولقد وجدت لبي ثابتاً، وقلبي مبتهجاً، وكان الفلاح نصيب كل ما فعلته؛ لأنى كنت مثل «منتو» عندما أشد قوسي بيمينى، وعندما كنت أحارب بيدي اليسرى، لأنى كنت مثل «بعل» في لحظته أمامهم — أي الأعداء — وقد وجدت الخمسمائة والألف العربة التي

كنت في وسطها قد تحولت إلى كومة أمام خيلي، ولم يكن في مقدور واحد منهم أن يجد (يستعمل) يده ليحارب بها؛ لأن قلوبهم سقطت في جوفهم خوفاً مني، وأذرعهم قد شلت، فلم يكن في مقدورهم أن يفوقوا السهام، وكان من المستحيل عليهم أن يستردوا قلوبهم ليقبضوا على حرابهم، وقد جعلتهم يتساقطون في الماء كما يسقط التماسح، وقد خرُّوا على وجوههم الواحد فوق الآخر، وذبحت منهم من أردت، ولم يلتفت أحد منهم وراءه، وكذلك لم يعد واحد منهم، ومن سقط منهم لم يُقَم ثانية، وعندما وقف رئيس «خيتا» الخاسئ في وسط مشاته وخياله ليشاهد جلالته يقاتل وحيداً بدون مشاته وخياله معه، ظل واقفاً متلفتاً بوجهه، ومرتعداً، وخائفاً يترقب، فأمر بإحضار رؤسائه العديدين، ومع كل منهم عرباته، وكانوا مدججين بأسلحتهم الحربية، وهم: أمير «إرثو»، وأمير «ماسا»، وأمير «أرون»، وأمير «لوكي» = «لسيا»، وأمير «بداسا»، وأمير «دردني»، وأمير «كركميش»، وأمير «قرقاشا»، وأمير «حلب»، وأخوه أمير «خيتا» كلهم مجتمعون في مكان واحد، ومعهم فيلق مؤلف من ألف عربة أتت أمامهم نحو النار، (الورقة = من ألفين وخمسمائة عربة).

وقد انقضضت عليهم مثل «منتو»، وجعلتهم يذوقون يدي في لحظة، وقد حاربتهم (الورقة = قتلهم) في مكانهم حينما كان الواحد يصيح على صاحبه قائلاً: إن الذي بيننا ليس بشراً، إنه «ستخ» صاحب القوة العظيمة، و«بعل» في أعضائه — أي بعل نفسه — إذ إن البشر لا يمكنهم أن يأتوا بما يأتيه من الأعمال، فعمله فرد وحيد يصد — أي يمكنه أن يصد مئات الآلاف دون أن تكون معه مشاة أو خيالة — هلموا نسرع، ونول الأديبار أمامه، ونبحث لأنفسنا عن الحياة حتى نستطيع أن نستنشق الهواء! تأمل! إن مما لا شك فيه أن الخور منه سيصيب يد، وجميع أعضاء من يقترب منه، فالإنسان لا يمكنه أن يقبض على القوس، ولا على الحربة عندما يراه من بعيد آتياً يعدو بسرعة؛ لأن جلالته كان خلفهم مثل المارد المجنح «جرفون»، وقد أعملت السيف فيهم دون هواده، ورفعت السوط، وصحت على مشاتي وخيالي قائلاً: قفوا وثبتوا قلوبكم يا مشاتي ويا خيالي، شاهدوا انتصاراتي عندما كنت وحيداً، و«أمون» كان حامياً، ويده معي، ما أشد ضعف قلوبكم يا فرساني، لهذا لا يحق أن يملأ الإنسان قلبه بكم (أي أن يهتم بأمركم)، حقاً إنه ليس بينكم واحد سأعمل لخيريه في بلادي، ألم أقم فيكم سيدياً في حين كنتم بين اليائسين؟ ومع ذلك رضيت عن طيب خاطر أن تصبخوا عظماء بوساطة حضرتي كل الأيام، فقد ورثت الابن متاع الوالد، وأبعدت كل الظلم الذي كان في هذه الأرض، وتركت لكم جزية أرضكم، ومنحتكم

أخرى إذا اغتصبت منكم، وأنصفت من استنصفني، وكنت أقول له كل يوم تأمل، وليس هناك سيد عمل لجنوده ما عمل جلالتي على حسب ما تهوى قلوبكم، وقد منحتكم أن تبقوا في مدنكم دون القيام بمهام الجندية، وكذلك جعلت لخيالتي طريقاً إلى مدنهم — أي سمحت لهم بالعودة إلى مدنهم — على شرط أن أستدعيهم لمثل هذا اليوم، وقت خوض المعارك؛ ولكن انظروا فقد أتيتكم جميعكم أفراداً؛ إذ لم يقف رجل واحد منكم ليمد يده لي وأنا أحارب، وإني أقسم بروح والدي «أمون-آتوم» ليتني كنت مثل والد آبائي الذين لم يرهم السوريون، والذين لم يشنوا حرباً عليهم في مصر؛ أرقص — يقصد بذلك إخناتون الذي لم ير سوريا قط، ولم يشن حرباً هناك — على أن ليس بينكم واحد سيأتي مصر ليقص مفآخره (أحواله).

ما أجملها من فرصة لإنشاء آثار عدة في «طيبة» بلد «أمون»! لأن الجريمة التي ارتكبتها مشاتي وخيالتي أعظم بكثير من أن أقصها، ولكن انظروا فإن «أمون» قد وهبني قوته دون أن يكون معي المشاة أو الخيالة، وقد جعل البلاد كلها ترى انتصاراتي وشجاعتي عندما كنت وحيداً دون أن يكون عظيم خلفي، يشد أزرني، لا سائق عربية، ولا جندياً من الجيش، أو أي ضابط، وقد نظرت إلى الممالك الأجنبية لدرجة أنهم تحدثوا باسمي حتى البلاد النائية التي لم تكن معروفة، أما أولئك الذين أفلتوا من يدي منهم، فإنهم إذا وقفوا متطلعين وراءهم رأوا ما كنت أعمله، فإنني كنت أزحف على ملايين عدة من بينهم، وسيقانونهم لا تستطيع الوقوف في مكانها، بل كانوا يولون الأدبار، وكل من كان يفوق سهماً نحوي طاش، وسهامهم كانت تسقط إذا صوبت إليّ، ولكن عندما رأى «مننا» سائق عربتي أن عدداً عظيماً من العربات قد أحاط بي تخاذل واستولى الخور على قلبه، ودخل الخوف قلبه، وعندئذ قال لجلالتي: يا سيدي الطيب، يأبها الحاكم الشجاع، يأبها الحامي العظيم لمصر في يوم الواقعة؛ عندما نقف وحيدين وسط الأعداء، انظر؛ لقد نبذنا المشاة والخيالة، فلماذا نقف لننجيهم؟ ليتنا نوهب الخروج سالمين! نجنا يأبها السيد «وسر ماعت رع ستين رع» له الحياة والسعادة والصحة (يا سيدي الطيب).

وعندئذ قال جلالته للسائق: قف وثبّت قلبك يا سائق عربتي، إني أريد أن أدخل بينهم كما ينقض الصقر مذبحاً ومقتلاً ومجدلاً من على الأرض، من هؤلاء المخنثون الذين لا يمكن أن يصفر وجهي أمام مليون منهم؟

وعلى أثر ذلك كرّر جلالته بخطى واسعة في وسط الأعداء (من الخيتا الخاسئة) حتى الكرّة السادسة، وهو يدخل وسطهم، وقد كنت خلفهم مثل «بعل» في ساعة شدة بأسه،

وأعملت السيف فيهم دون أن أخطئ، وعندما رأى مشاتي وخيالتي أني مثل الإله «منتو» القوي الشديد البأس، وأن الإله «أمون» والذي في الوقت نفسه كان معي، وقد جعل البلاد الأجنبية كالهشيم أمامي، أخذوا يقتربون واحدًا فواحدًا متسللين نحو المعسكر في وقت الغروب، وقد وجدوا أن الأقوام الأجانب كلهم الذين شققت طريقي بينهم قد جدلوا أرضًا مضرجين بدمائهم، وبخاصة خيرة محاربي «خيتا»، وكذلك أطفال أميرهم وإخوته، وقد جعلت ميدان قتال «قادش» أبيض اللون؛ أي بالجثث، وملابسها البيضاء — حتى لم يستطع أحد أن يجد مكانًا يمشي عليه لكثرة جموعهم من القتلى.

وعندئذ جاء جنودي يدعون الله باسمي، وشاهدوا ما فعلت، وقد أتى عظمائي ليمجدوا قوتي، وأتى خيالتي ليشيدوا باسمي قائلين: «يأيها المحارب الجميل الذي يثبت القلب؛ لقد نجيت مشاتك وخيالتك لأنك ابن «أمون» الذي يعمل (يحارب بساعديه)، لقد خربت أرض «خيتا» بسيفك البتار؛ لأنك محارب جميل منقطع النظر، وملك يحارب لمشاته يوم القتال؛ لأنك واحد عظيم القلب، والمقدام في المعركة، ولا تستطيع الأرض قاطبة أن تحيطك بالنظر؛ لأنك واحد عظيم الظفر أمام الجيش، وأمام وجه الأرض قاطبة من غير إصراف في القول، وإنك حام لمصر، وقاهر للبلاد الأجنبية، وإنك قصمت ظهر «خيتا» أبدًا». وعلى ذلك قال جلالته لمشاته، وعظمائه، وكذلك لخيالته: «من هم إذن عظمائي ومشاتي وخيالتي الذين يعرفون كيف يقاتلون؟ أليس في استطاعة الرجل أن يجعل نفسه عظيمًا في بلده إذا عاد أمام سيده أتياً بعمل شجاع؟ وبذلك يكون صاحب سمعة طيبة؛ لأنه قد حارب بشدة بأس؛ لأن الرجل يمدح بشجاعته منذ القدم. ألم أعمل عملاً صالحًا لواحد من بينكم حتى تنبذوني وحيدًا بين الأعداء؟ هل استطبتكم جمال الحياة، واستنشاق النسيم عندما كنت وحيدًا؟ ألا تعلمون في قرارة نفوسكم أنني سياجكم الحديدي بخاصة؟

سيتحدث الناس بترككم إياي وحيدًا لا رفيق لي، ولا عظيم معي، ولا ضابط صف يمد يده إليّ، وكنت أحارب الملايين من البلاد الأجنبية منفردًا، وكان معي «النصر في طيبة»، و«موت الراضية»، وهما جواداي العظيمان؛ لأنهما اللذان وجدتهما قد أتيا ليأخذا بيدي = (لمساعدتي) حينما كنت وحيدًا أحارب ممالك أجنبية عدة، والواقع أنني كنت متمسكًا بإعطائهما علفهما من الشعير في حضرتي يوميًا حين كنت في قصري؛ لأنهما هما اللذان وجدتهما عضدًا لي وسط الأعداء، وكذلك سائق عربتي «مننا»، والساقون في البلاط الذين كانوا إلى جانبي وشاهدوا القتال. تأملوا! لقد وجدتهم، وقد عاد جلالتي في قوة ونصر بعد أن كنت جدلت بسيفي البتار مئات الآلاف مجتمعين في مكان واحد، وعند

الفجر نظمت الصفوف للقتال، وكنت مستعدًا للنزال كالثور المتأهب، وظهرت أمامهم مثل «منتو» عندما يكون مدججًا بالآلات الشجاعة والنصر لهجمة كالصقر، وكان صليّ الذي على جبينني يجدل العدو، ويرسل لهيبًا من النار في وجه أعدائي، وكنت مثل «رع» (الشمس) عند إشراقي في الصباح المبكر يحرق شعاعي أعضاء العدو، وكان الواحد من بينهم ينادي صاحبه قائلاً: «استعدوا، خذوا حذرکم، ولا تقتربوا؛ لأنها «سخت» العظيمة التي معه على فرسه، ويدها معه، ومن يقترب منه يقابل لهيبًا من النار يحرق أعضاءه». من أجل ذلك وقف رجال «خيتا» بعيدًا مقبلين الأرض، وأيديهم متجهة نحوي، ولكن جلاتي هجم عليهم، وأعملت فيهم السيف دون أن يفلتوا مني، وقد صاروا كومة من الجثث أمام جيادي مجدلين مضرجين بدمائهم، فأرسل أمير «خيتا» الخاسئ متضرعًا لاسم جلاتي العظيم، كما يتضرع الإنسان لاسم «رع» قائلاً: «إنك «سخت»، و«بعل» في أعضائه، والفرع منك كالنار في أرض «خيتا»، فقصمت ظهر هؤلاء الخيتا إلى الأبد». ثم أرسل بعد ذلك رسوله بخطاب سار للقلب في يده باسم جلاتي العظيم، واتجه به إلى جلالة قصر «حور» له الحياة والسعادة والصحة (الثور القوي محبوب العدالة)، الملك الذي يحمي جيشه، والقوي بساعده، والجدار لجيشه يوم القتال، والسيد، وملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين، فرح القلب (الغني في قوته، والعظيم الفزع) «وسر ماعت ستين رع» ابن الشمس، عظيم النصر، وسيد السيف «رعمسيس مري آمون» الذي يمنح الحياة أبدًا. «إن الخادم^{٤٤} هنا يقول ويعلن، ويجعل الناس يعرفون: أنك ابن «رع»، وخارج من صلبه (أعضائه)، ومن أجل ذلك أعطاك كل الأراضي موحدة جميعًا، ولما كانت أرض مصر وأرض «خيتا» خدملك حقًا، وتحت قدميك، وهبك «رع» والدك المفخم إياهما، فلا تعاملني بقسوة؛ إن قوتك عظيمة، وسلطانك عظيم في الأرض (خيتا)، فهل من الخير أن تقتل عبيدك، وأن يكون وجهك عابسًا لهم، ولا تأخذك الشفقة بهم؟ إنك قد قمت بمذبحتك أمس، وأعملت السيف في رقاب مئات، وقد جئت اليوم دون أن تترك لنا وارثين، لا تتباطأ في قرارك أيها الملك القوي، إن السلام أكثر خيرًا من الحرب، امنحنا النفس، وبعد ذلك عاد جلاتي في حياة ورضى، وعملت مثل «منتو» في ساعته، وهو المظفر في هجومه، وعندئذ أمر جلاتي أن يؤتى بكل قواد المشاة والفرسان، وجمعت عظمائي لأجعلهم

^{٤٤} يقصد رسول «خيتا» الذي حمل الرسالة للفرعون.

يسمعون السبب الذي من أجله بعث «ملك خيتا» رسالة، وبعد ذلك أسمعتهم الكلام الذي أرسله إليّ رئيس «خيتا» الخاسى، فنطقوا بصوت واحد: إن السلام شيء ممتاز جدًّا أيها الملك يا سيدنا، فلا ضرر في الصلح الذي ستبرمه، فما من أحد يستطيع أن يرجوك في اليوم الذي تكون غاضبًا فيه، وعند ذلك أمر جلالته أن يسمع كلامهم؛ أي يصلح مع ملك خيتا، ثم توجه في سلام نحو الجنوب، وعاد جلالته في أمان نحو أرض الكنانة، ومعه مشاته وخيالته، ويرافقه كل الحياة، وكل الثبات وكل الرضى، كما كان الآلهة والإلهات يحفظون جسمه بعد أن صد الأراضى كلها بالفزع الذي كان يبعثه عليهم، وبعد أن حمت شجاعته جيشه، في حين كانت كل البلاد الأجنبية تتعبد إلى وجهه الوضاء، واقترب في سلام نحو أرض مصر إلى بيت «رعمسيس» محبوب «أمون» عظيم النصر، ونزل في قصره «طيبة» مثل «رع» في أفقه، في حين كان آلهة هذه الأرض كانوا يحيونه قائلين: «تعال، تعال، تعال يا بننا الذي نعره يا سيد الأرضين، يا ملك الوجه القبلي والوجه البحري، يا «وسر ماعت رع ستبن رع»، وابن الشمس «رعمسيس» محبوب «أمون».» وقد وهبوه ملايين أعياد ثلاثينية مخلدًا على عرش والده «رع»، والأراضى المختلفة، والممالك الأجنبية كلها قد خرت تحت نعليه طول الحياة، وإلى الأبد.

التقرير الرسمي لموقعة «قادش»

أما المصدر الثاني الذي يُعتمد عليه في فهم ما دار في موقعة «قادش» فهو «التقرير الرسمي»، وهو أبسط وأقصر مما جاء في الملحة، والمصادر التي استقينا منها الترجمة التالية هي سبع نسخ كُتبت كلها على جدران المعابد الهامة:

أولاً: على الجدار الغربي الخارجي من ردهة «أمنحتب الثالث» في معبد «الأقصر».

ثانيًا: على الجدار الجنوبي الشرقي لردهة «رعمسيس الثاني».

ثالثًا: على بوابة معبد «الأقصر» الذي أقامه «رعمسيس الثاني».

رابعًا: على الجدار الجنوبي الغربي لمعبد «العرابة المدفونة».

خامسًا: على البوابة الأولى لمعبد «الرمسيوم».

سادسًا: على الجدار الشمالي للردهة الثانية من معبد «الرمسيوم».

سابعًا: على الجدار الشمالي لمعبد «بو سمبل».

ويلاحظ أن الجزء الأسفل من متن الأقصر كان تحت الأرض، ولم يكن قد كُشف عنه بعد، وقد كشف المؤلف عنه، واستفاد مما جاء فيه في هذه الترجمة.

الترجمة: السنة الخامسة، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم التاسع في عهد جلالة «حور» الثور القوي، محبوب العدالة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس محبوب «أمون»، «رعمسيس» معطي الحياة مخلدًا، كان جلالته في أرض «زاهي»، أو جبال زاهي في حملته الثانية المظفرة، وكان استيقاظًا مبكرًا (راجع Onomastica I, p. 141) في حياة وعافية وصحة في سرادق جلالته على الهضبة الجنوبية من «قادش»، وعندما طلع الفجر أشرق جلالته كما يشرق «رع» (الشمس)، ودجج بأسلحة والده «منتو»، ثم سار شمالًا حتى وصل جلالته جنوبي بلدة «شبتونا»، وهناك أتى إليه اثنان من «الشاسو» (البدو)، وقالوا لجلالته: إن زملاءنا من أكبر أسر «شاسو» مع «خيتا» جعلونا نسعى إلى جلالته قائلين: إننا سنكون خدمًا للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة، وقد فررنا من أمير «خيتا» الخاسر، وعندئذ قال لهم جلالته: «من أين أتيتم لتقصوا على جلالتي هذه الخطة؟» فقالوا: «من المكان الذي فيه رئيس «خيتا»؛ لأن «خيتا» الخاسر يقيم في أرض «حلب» في الشمال، وهو يخاف أن يأتي الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — جنوبًا في حين أن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — يسير شمالًا. ثم تكلم هذان البدويان هذا الحديث الذي تحدثا به لجلالته، لأن آثم «خيتا» الخاسر قد جعلهم يأتون ليروا المكان الذي فيه جلالتي حتى لا يكون جيش جلالته مستعدًا للقتال مع «الخيتا» الخاسرين، وهكذا فإن «خيتا» الخاسرة أرسلت هذين البدويين ليقولا هذا الكلام لجلالته، وقد أتى بمشاته وخيالته، وعظماء كل أرض من أقطار أرض «خيتا» بمشاتهم وخيالته التي أحضرها معه بالقوة، ووقف مسلحًا للحرب خلف «قادش» المخادعة، في حين كان جلالته لا يعرف بالتحديد أين كانوا؛ لأنه صدق ما قاله البدويان؛ ولذلك سار جلالته شمالًا حتى وصل إلى الشمال الغربي من «قادش» الخاسرة دون أن يعرف جلالته أين هم. وضرب هناك جلالته سرادقه، ثم جلس جلالته على عرش من «السام» في شمالي «قادش» على الشاطئ الغربي من نهر «الأرنت»، وأتى كشاف من أتباع جلالته، وأحضر جاسوسين من «خيتا» الخاسرة، وجيء بهم إلى الحضرة، فقال لهم جلالته: من أنتما؟ فقالا: أما نحن فإن «خيتا» الخاسر جعلنا نأتي لنرى المكان الذي فيه جلالتك، وعندئذ قال لهما جلالته: وأين «خيتا» الخاسر الآن؟ انظر، لقد سمعت حقًا أنه في إقليم شمالي «حلب» في الجهة الشمالية من مدينة «توب»، فقالا لجلالته: تأمل! إن

رئيس «خيتا» الخاسئ قد عسكر مع ممالك عديدة أحضرها معه بالقوة من كل البلاد الأجنبية التي في إقليم بلاد «خيتا»، وبلاد «دردني»، وأرض «نهرين»، وبلاد «كشكش»، وبلاد «ماسا»، وأرض «قرقشا»، وأرض «لك»، وأرض «كركميش»، وأرض «إرثوا»، وأرض «إكريث»، وبلاد «أرونا»، وبلاد «إنسا»، وبلاد «موشنات»، و«قادش»،^{٥٥} و«حلب»، وأرض

^{٥٥} «قادش» بلدة على نهر «الأرنت» (نهر العاصي)، وقد وحدت على وجه التأكيد بالمكان المسمى الآن «تل نبي مند» الواقع على الشاطئ الأيسر لهذا النهر داخل الزاوية التي تكونت من اتصال نهر صغير إلى هذا النهر من الغرب على مسافة بضعة كيلومترات جنوبي النهاية الجنوبية للبحيرة الصناعية المسماة بحيرة «حمس» كما برهن على ذلك «برستد» (راجع Breasted Battle of Kadesh p. 13)، وكما جاء في كتاب تاريخ «أبي الفداء» الذي عاش في القرن الرابع عشر بعد الميلاد، وكانت هذه البحيرة تسمى وقتئذ بحيرة «قدس» أيضاً، ولدينا براهين حديثة تدل على وجود هذا الاسم في هذه البقعة، فقد عملت حفائر ناجحة قام بها «بزارد Pizard» في موقع «قادش»، وعلى الرغم من أنه لم يحصل على نقوش تثبت توحيد هذا الاسم فإنه قد عثر على لوحة محووة جداً للفرعون «سيتي الأول». وفي عهد «تحتمس الثالث» كتب هذا الاسم في تواريخه التي تركها لنا على جدران معبد «الكرنك» بلفظ «كدشو» وقد حفظ لنا الكتاب المقدس هجاء هذه البلدة بلفظ «قادش» وفي خطابات «تل العمارنة» (knutzon pp. 1118 f.) كانت تسمى هذه البلدة «كنزا» أو «كتشي» وفي روايات «كيتشا» أو «جيزا» ويحتمل أن رأي المؤرخ «إدورد مير» مصيب عند قوله إن الاسمين مميزان إذ إن الأول هو الاسم الحقيقي والثاني هو اسم معناه المحراب. من الأصل السامي «قدش» أي مقدس، وفي التوراة يلاحظ أن «قدش» و«قادش» هما اسما مكانين في جنوبي فلسطين، ومما يحتمل الشك كثيراً أن «قادش» التي على نهر «الأرنت» قد نُكرت هناك قط، والواقع أنه بعد عهد «رعمسيس الثاني» اختفت هذه المدينة من التاريخ عدا إشارتين فيهما شك كبير في عهد الملك «داود» والفرعون «نخو» (راجع C. A. H. III, No. 356)؛ وذكرها في القوائم الهروغليفية الخاصة بالفرعونين «شيشنق» و«تيرهاقا» (Simons lists XXXIII, XXXVI)، لا يخرج عن التقليد، وعلى العكس، فإنه مما لا يحتمل أن توجد إشارة إلى «قادش» في المتون أو القوائم المصرية تشير إلى أي اسم مكان، إلا إلى المعقل الشمالي العظيم المسمى «قادش»؛ إذ إن الحفائر التي عملت في هذا الموقع تدل على أن البلدة كانت قد خربت بعد الموقعة الشهيرة الذي نحن بصدها الآن ببضع عشرات السنين، وهي الموقعة التي نشبت بين «رعمسيس الثاني» و«الخيتا» وهي التي نحن بصدها الآن، ولكن جدرانها قد أقيمت ثانية في العهود المتأخرة وكان آخر عهدنا بذلك زمن الرومان. وترجع أهمية هذه البلدة من الوجهة الاستراتيجية والسياسية لموقعها الهام في النهاية الشمالية لإقليم «البقاع»، وهو الإقليم الذي يقع بين لبنان والإقليم المقابل له، وقد كان لزاماً على الجيوش التي تمر شمالاً أو جنوباً في هذا السهل الداخلي أن تمر بها، اللهم إلا إذا كانت تفضل السير على الساحل الضيق بطريق «إرواد» أو «رأس الشمرة».

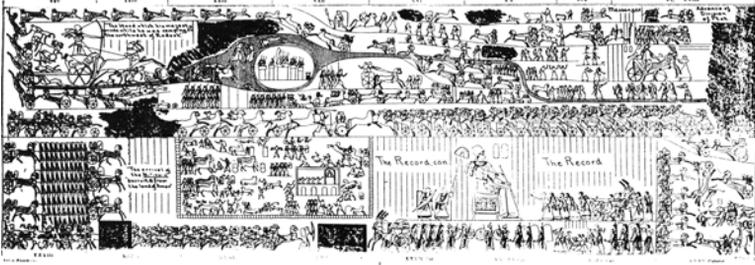
وفي عهد «تحتمس الثالث» عرفنا أن أمير «قادش» جمع كل الأمراء الذين كانوا حوله في هذا الجزء

«قدي» كلها، وهي مجهزة بالمشاة والخيالة والسلاح، وكانوا أكثر عددًا من رمال الشاطئ. وانظر، لقد وقفوا على أهبة الاستعداد للواقعة خلف «قادش» المخادعة، وعندئذ أمر جلالته أن يُدعى في حضرته العظماء ليسمعوا كل كلمة قالها جاسوسا «خيتا» المخادعة اللذان كانا في الحضرة، فقال جلالته: تأملوا خطط أولئك الرؤساء الذين على الأراضي الأجنبية، وكذلك كبار الموظفين الذين يديرون أرض الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة، فإنهم قد ظلوا يقولون للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — يومياً: إن «خيتا» الخاسئ موجود في أرض «حلب» في الجهة الشمالية من «تونب»، وأنه فرَّ أمام جلالته منذ أن سمع. تأمل، إن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — قد أتى. وهكذا تحدثوا إلى جلالته يومياً، ولكن انظروا لقد عُقدت جلسة في هذه الساعة نفسها مع جاسوسي أرض «خيتا» الخاسئة؛ فاعترفوا أن ملعون «خيتا» قد أتى مع ممالك عديدة برجال وخيل كعدد الرمال. تأملوا، لقد عسكروا مختبئين خلف «قادش» المخادعة دون أن يعلم حكام بلادنا الأجنبية وكذلك عظامؤنا، المكان الذي هم فيه من أرض الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة

من العالم ليصد تقدم ملك مصر، ومن البدهي أن غرض الفرعون لم يكن هذه البلدة نفسها بل كان بلاد «نهرين»، ولأجل أن يصل إليها كان لزاماً عليه أن يغزو إقليم «قادش» على نهر «الأرنت»، ولا بد من إبراز هذه النقطة هنا، وقد لاحظتها تقريباً كل المؤرخين؛ وقد أبدى بعض رجال التاريخ الحديث الرأي مراراً في أن «قادش» التي كانت على رأس هذا الحلف لم تكن «قادش» التي على نهر «الأرنت» بل هي قادش الواقعة في شمال «فلسطين» والتي لا تزال تحمل هذا الاسم، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات من الشمال الغربي لبحيرة «حله» (راجع 2 Simons Lists p. 36. & Jerku p. 5 Note)، والظاهر أن الخطأ جاء عن طريق ذكر كلمة «قدشو» قبل «مكتي» (مجدو Magiddo) في قائمة الأقوام الشمالية الذين تغلب عليهم «تحتمس الثالث» في أول معركة له، وقد دُونت هذه الأقوام في ثلاث نسخ على جدران معبد الكرنك (Urk. IV. 779 ff.)، ففي النسخة الأولى والثالثة نجد العنوان الثاني: قائمة الممالك الواقعة في «رتنو العليا» التي حبسها جلالته في بلدة «مجدو» وهي التي أحضر جلالته أولادها أسرى أحياء إلى «طيبة» في أول حملة مظفرة له، ويمكننا أن نؤكد أن سبعة عشر ومائة اسم قد جاء ذكر أصحابها في الحملة الأولى وأن بعض الأسماء يشير إلى الأمراء الذين كانوا قد أُسروا في قلعة بلدة «مجدو»، ولا بد أن نلاحظ هنا أن لوحة جبل «بركل» تذكر ثلاثين وثلاثمائة أمير بين خلفاء «قادش» وتلمح أنهم كانوا محصورين في «مجدو» مدة سبعة الأشهر التي دام فيها الحصار وإن لم يُذكر ذلك صراحة، وإذا اعترفنا بأن القائمة تحتوي أمثال هؤلاء الأمراء كنا في جل من أن نحتم وصول الفرعون «تحتمس الثالث» فعلاً في السنة الثالثة والعشرين إلى كل البلاد المذكورة؛ إذ إن بعضها كان بعيد عما وصل إليه فعلاً (راجع مناقشة هذا الموضوع في: Gardiner Onomastica I, p. 137-141).

— وبعد ذلك قال الأمراء الذين كانوا في حضرة جلالته: إن ما ارتكبه أمراء البلاد الأجنبية وعظماء الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — بعدم الإخبار عما سمعوه عن خاسئ «خيتا»، وعن كل مكان كانوا فيه؛ خطأً عظيم، وكان عليهم أن يقدموا تقريرًا لجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — يوميًا. وعندئذ أمر الوزير أن يسرع بجنود جلالته الذين كانوا يسيرون جنوبي «شبتونا» ليحضرهم إلى المكان الذي فيه جلالته، ولكن بينما كان جلالته جالسًا يتحدث إلى الأمراء؛ إذ أقبل خاسئ «خيتا» مع مشاته وخيالته، وكذلك كانت معه البلاد الأجنبية العديدة، وعبروا المخاض الواقع جنوبي «قادش»، ومن ثم اقتحموا قلب جيش جلالته الذين كانوا يسيرون دون علم منهم بذلك، فتخاضل مشاة جلالته وخيالته أمامهم، متجهين شمالاً نحو المكان الذي كان فيه جلالته، وعندئذ أحاط الأعداء — الخيتا الخاسئون — بحرس جلالته الذين كانوا بجانبه؛ وعندما حقق جلالته النظر فيهم انقض عليهم غاضبًا مثل والده «منتو» رب «طيبة» بعد أن دجج بعدة الحرب ولبس درعه، وكان مثل «ستخ» (بعل) في ساعة شجاعته، وعندئذ أسرع بجواده العظيم المسمى «النصر في طيبة»، ثم انقض بسرعة منفردًا بنفسه، وكان جلالته وقتئذ شجاع القلب، وسقط أمامه كل إقليم؛ ووجهه جذوة نار تحرق كل بلد أجنبي باللهيب، وقد صار كالأسد الهصور عندما رآهم وقوته ترسل عليهم شواظًا من نار، فلم يكفه مليون من الأجانب؛ لأنه عندما رأى أعداءه «الخيتا» الخاسئين ومعهم عدة ممالك أجنبية، كان جلالته مثل الإله «ستخ» عظيم القوة، ومثل الإلهة «سخت» في وقت غضبها؛ فأخذ في تذيبهم وتقتيلهم ... وكذلك ... عظامؤه وإخوته كلهم، هذا إلى كل أهل البلاد الأجنبية الذين أتوا معه، ومشاتهم، وعرباتهم، فقد سقطوا على وجوههم الواحد فوق الآخر، وقتلهم جلالته في مكانهم مجدلين تحت سناك خيله، ولم يكن معه آخر، وبعد ذلك أطاح جلالته بأعدائه «الخيتا» الخاسئين على وجوههم الواحد فوق الآخر كما يطاح بالتماسيح في ماء نهر «الأرنت»، وكذلك كل البلاد الأجنبية، وكنت وراءهم كالمارد الطائر، (حيوان خرافي ذو جناحين) ... وحيدًا، وقد نبذني مشاتي وخيالتي، ولم يقف واحد منهم ليلتفت وراءه إليّ، وإني أقسم بحب «رع»، وبحظوة «أتوم» لي بأن كل شيء قاله جلالتي فعلته حقًا أمام مشاتي وخيالتي.

هاتان هما الوثيقتان اللتان سنعتمد عليهما في فحص موقعة «قادش»، وهما كما يرى القارئ من جانب واحد، وهو الجانب المصري، أما المصادر الخيتية فلم يصلنا عنها إشارة عن هذه الواقعة.



شكل ٥: منظر موقعة قادش والتقريب الرسمي كما صُوِّر على جدران معبد «بو سميل».

أما المصدر الثالث المصري فهو الصور التي رسمها «رعمسيس الثاني» على جدران المعابد العظيمة مع هذه الوثائق، وهي:

أولاً: معبد العرابة: بقي لنا من رسومه المعسكر، والموقعة، وحصر الغنائم.

ثانياً: معبد الكرنك: نشاهد على جدار قاعة العمد فوق نص الملحمة رسم الغنائم التي قُدمت لثالوث «طيبة».

ثالثاً: وكذلك نشاهد شمالي نص الوثيقة في الكرنك المعسكر، وكذلك الموقعة.

رابعاً: وعلى جدار الردهة التي بين البوابة التاسعة والعاشر ل معبد الكرنك نشاهد المعسكر والموقعة، وإحصاء الغنائم.

خامساً: وفي معبد الأقصر نرى على جدران البوابة المعسكر، والموقعة في الجهة الشرقية، وفي معبد الأقصر كذلك على الجدار الغربي من ردهة «أمنحتب الثالث» نشاهد صورة المعسكر، والموقعة، وإحصاء الغنائم، ورجوع الفرعون منتصراً (?).

سادساً: وفي «الرمسيوم» نشاهد على البوابة الأولى من الشمال المعسكر، ومن الجنوب الموقعة.

سابعاً: وفي «الرمسيوم» على البوابة الثانية نشاهد صورة الموقعة في الجهة الشمالية.

ثامناً: وفي «الرمسيوم» على الجدار الشمالي للردهة الثانية نشاهد منظر المعسكر.

تاسعًا: وفي «بو سمبل» على الجدار الشمالي نشاهد منظر المعسكر، والموقعة، وإحصاء الغنائم.

وقد ذكر الأثري «فيدمن»، واقتبسه آخرون أن في معبد «الدر» في بلاد النوبة رسومًا توضح «موقعة قادش»، غير أن الكتاب الذي نُشر حديثًا عن هذا المعبد ورسومه لا يحتوي شيئًا من ذلك (راجع Wiedemann Aegyptische Gesch II, (1884) p. 434. Note. (5).

وهذه هي كل المصادر التي ستكون عمادنا في مناقشة حوادث هذه الموقعة.

موقعة قادش

والآن بعد أن سردنا ما جاء في قصيدة «رعمسيس»، أو ملحمة «رعمسيس»، والتقرير الرسمي، ونوهنا بالمناظر التي على جدران المعابد، بالإضافة إلى ما سنستخلصه من المناظر الملحقة بالنقوش قد أصبح لدينا مادة يعتمد عليها في تصوير سير موقعة «قادش» التي كادت نتائجها تكلف «رعمسيس الثاني» حياته، وتضيع على مصر الجزء الذي أعاده لها «سي تي الأول» من إمبراطوريتها بعد حروب طويلة طوال مدة حكمه لولا شجاعة «رعمسيس»، وقد رأينا فيما سبق أن «سي تي الأول» قد اشتبك مع مملكة «خيتا» في حروب كان يبغى من ورائها أن يستعيد أملاك مصر في آسيا برمتها، غير أنه لما فطن إلى أن الوقت لم يحن بعد للقيام بحملة يكون فيها القضاء المبرم على دولة «خيتا» القوية الفتية فضل إبرام معاهدة مع عاهلها، وبذلك ساد السلام، وخيم الأمن على ربوع الدولتين. ولكن على الرغم من ذلك وجدنا ابنه «رعمسيس الثاني» قد سار على رأس جيشه في السنة الخامسة من حكمه لمنازلة مملكة «خيتا» في حملة قد مهد لها، ووضع خططها في السنين التي سبقت قيامه بها؛ إذ قد استولى على ساحل «فينيقيا» حتى «بيروت»، وأقام لوحة حدود إمبراطورية في هذه الجهة عند شواطئ «نهر الكلب» كما ذكرنا آنفًا. والواقع أنه لا يمكن الجزم بمن كان المعتدي الأول من البلدين، وخرق المعاهدة التي أبرمها «سي تي»، والصورة التي نكوّنُها من خطابات «تل العمارنة» عن هذا العصر تصوّر لنا غربي آسيا في حالة اضطراب ودسائس، تظهر فيها بلاد «خيتا» تعمل جهد الطاقة للاستيلاء على الأوصاف الآسيوية كلما سنحت الفرصة لتوسيع رقعة بلادها، ومد سلطانها. وفي استطاعتنا من جهة أخرى أن نتصور «رعمسيس الثاني» منذ نعومة أظفاره مشبعًا بروح والده الحربي، جاهدًا في أن يعيد لمصر إمبراطوريتها بالجزء والفتح. والواقع أن

«رعمسيس الثاني» عند توليه عرش الملك كان حدث السنِّ، كما قدمنا، وكان نشطاً في الوقت نفسه، وطموحاً إلى أقصى غاية بفضل دم الشباب، ساعياً في توسيع رقعة بلاده. ورجل هذه أطماعه ومقاصده يرى في كل معاهدة تحول دون تنفيذ أغراضه قصاصة ورق وحسب، ومع ذلك لا يمكننا الجزم هنا برأي والده «سيتي الأول» في تشجيع مواصلة الحرب مع «خيتا» عند سنوح الفرصة ليستولي على شمالي «سوريا» أم لا، ولكننا نعلم أن ملك خيتا «مواتالو» بقي مسالماً، ومن المحتمل أن البعث الذي أرسله، وهو الذي سنتكلم عنه فيما بعد، كان الغرض منه الوصول إلى محادثات تؤدي إلى إيجاد علاقات سلمية، ولكن لم يكن في استطاعة مملكة «خيتا» أن تصر على إيغال «مصر» في «سوريا»، وهذا ما كان قد شرع فيه «رعمسيس»، ثم تبقى مكتوفة اليدين.

وفوق ذلك كله كان لا بد للنظر في أمر سقوط بلاد الأموريين التي كانت منذ جيلين داخل دائرة نفوذهم، ويجب ألا تبقى مكشوفة غير محصنة، وعلى ذلك وطدَّ الملك «مواتالو» العزم على القيام بهجمة مضادة؛ فقام بتجنيد شامل كما ذكرت لنا النصوص المصرية، فجمع كل ما في البلاد من ذهب وفضة حتى نزع دماء أهلها، وأعد بتلك الثروة العظيمة جيشاً عظيماً، وجمع حوله كل البلاد المحالفة له؛ أي التي كانت تحت سلطانه، وهي التي جاء ذكرها في نقوش الملحمة، وفي نقوش التقرير الرسمي عن الموقعة، وهذا الجيش كان يتألف من مشاة مسلحين بالحرب والسهام، ومن عربات حرب، وبذلك أصبح كل سهل آسيا الصغرى، وشمالي سوريا (بلاد نهرين) حتى ما وراء «قادش» مشتركاً معه في شن الحرب على مصر، وقد كان غرضه الأول استرجاع بلاد «أمور».

وكان على رأس فرق هذا الجيش أمراء الحلف الذين كانوا مع ملك «خيتا» «مواتالو»، وكذلك كان معه «خاتوسيل» الوصي على «البلاد المرتفعة»، وقد صوِّر لنا «رعمسيس الثاني» صورة ناطقة لهؤلاء الجموع في النقوش والصور التي تركها لنا على جدران معابده المختلفة التي على الرغم من اختلاف الروايات في جزئياتها تعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها، وبخاصة ما تركه لنا من المناظر على معبد الأقصر، وفي معبد «بو سمبل»، وعلى جدران «الرمسيوم»، (انظر المصوران الخاصان بذلك)، وكذلك على الجزء الأسفل من جدران معبد «العرابة المدفونة»؛ فنشاهد فيها مع طرازي «خيتا» الممثلين على هذه الجدران ساميين لهما لحيتان، وخصلة شعر، كما نجد آخرين معظم شعورهم حليقة، أو قُصت قصاً قصيراً جداً، وأهل البدو الذين ميزوا تمييزاً تاماً بتقاسيم وجوههم وملابسهم، وقد مثلوا هناك كثيراً، وهم الذين يُعرفون في المتون المصرية باسم «شاسو»؛

وتدل الظواهر على أنهم كانوا يتدفعون على الجيوش حتى من دائرة النفوذ المصري، ومن ثم تظهر العلاقات القديمة ثانية بين «الخيتا»، وأولئك الأقوام من الساميين البدو — أي «الخبيري» — الذين كانوا ينزحون إلى البلاد صاحبة الثقافة للنهب والسلب من شمالي «سوريا»، وبلاد «مسو بوتاميا» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع ج ٥)، وهذه المناظر تشمل الجزء الأعظم من مشاة الخيبيين الذين اشتركوا في موقعة «قادش»، وهم الذين وقفوا بجوار مليكهم أمام «قادش»، وكانوا يتألفون من فرقتين: واحدة منهما نحو ثمانية آلاف، والثانية نحو تسعة آلاف مقاتل، يضاف إلى ذلك بعض جنود من «خيتا»، وبخاصة مشاة حلفائها.

أما عدد عربات القتال التي كان يستعملها ملك «خيتا» وحلفاؤه، فهي على حسب الصور المصرية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة، فإذا كان هذا العدد صحيحاً، وأن كل عربة كانت تحمل ثلاثة مقاتلين كما تقول النصوص، فإن قوام خيآلتهم كان نحو خمسمائة وعشرة آلاف مقاتل، والواقع أن عدد مشاة جيش «خيتا» لم يبالغ فيه كما بالغ اليونان في عدد مشاة الفرس، وتدل الظواهر على أن كل قوتهم كانت نحو خمسة وعشرين وثلاثين ألف مقاتل، غير العربات والرجال الذين يقومون بخدمة الجيش، وحراسة عتاده. ولا شك في أن هذه القوة كانت عظيمة إذا راعينا بُعد الشقة، وما كان يتطلبه الجيش من تموين لا بد أن يصل إليه في ساحة القتال لمدة قد يطول أمدها في بلاد نائية عن موطنهم الأصلي. والآن بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على تكوين جيش «خيتا» يجب أن نفحص عدد الجيش المصري عندما قام «رعمسيس» بهذه الحملة على عدوه العنيد، ومما يؤسف له أنه لا توجد لدينا أسس حقيقية نعتمد عليها لمعرفة قوة الجيش المصري وقتئذ كما كان لدينا عن جيش «الخيتا»، ومن المدهش أن المصري كان يقدم لنا الأعداد الحقيقية عن الرجال الذين كانوا يستخدمون في حملات أقل أهمية، وكان عدد الجيش المحارب عندهم سرّاً من الأسرار، ولا أدل على ذلك من إعطاء المصري عدد رجال البعوث التي ترسل للعمل في المناجم، أو إلى بلاد النوبة، ولكن من جهة أخرى لم نعرث في أية وثيقة بقيت لنا على عدد الجنود في أية معركة حربية كبيرة، ولدينا وثيقة واحدة من عهد «رعمسيس الثالث» ذكر لنا فيها عدد الرجال، وكلهم من الأجانب المرتزقة الذين أرسلوا إلى «وادي حمامات»، وهؤلاء من جنود «شردانا»، وعددهم ألف وتسعمائة جندي، ومن

جنود «كهك» ستمائة وعشرون، ومن جنود «مشاواشا» ستمائة وألف، ومن العبيد ثمانون وثمانمائة، ومجموعهم خمسة آلاف جندي.^{٥٦}

وإذا رجعنا إلى عهد الأسرة الحادية عشرة وجدنا أن الملك «نب تاوي رع» «منتوحتب» جمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل من المقاطعات الجنوبية،^{٥٧} وثلاثة آلاف بحار من الدلتا؛ فيكون مجموعهم ثلاثة عشر ألف رجل أرسلهم جميعاً إلى «وادي حمامات» لاستخراج الأحجار، وفي زمن الأسرة نفسها أرسل الملك «سعنخ كارع» ثلاثة آلاف رجل فقط لنفس المحاجر،^{٥٨} وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل حاكم المقاطعة «أميني» أربعمئة رجل في حروب بلاد النوبة لمساعدة الفرعون، وستمئة رجل إلى «قفط» لحراسة قافلة لاستخراج الذهب،^{٥٩} وأرسل «أمنمحات الثالث» جيشاً مؤلفاً من ألفين وخمسمئة رجل إلى «وادي حمامات»، ومعهم ثلاثون رجلاً من قاطعي الأحجار، وثلاثون بحاراً، وعشرون شرطياً من حراس الجبانة،^{٦٠} وكذلك أرسل قوة مقدارها ثلاثون وسبعمئة جندي إلى مناجم وادي مغارة،^{٦١} ويدعى «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» أنه أرسل ستة وسبعين وثلاثمئة وتسعة آلاف جندي في حملة على بلاد «لوبييا»،^{٦٢} ويحتمل أنه قد أسر عددًا أكبر من هذا في هذه الحملة، ويقال: «إن رعمسيس الثالث» ذبح في حملة واحدة ستة وثلاثين وخمسمئة واثنى عشر ألف رجل من العدو،^{٦٣} ولكن في حملته الثانية لم يذبح سوى خمسة وسبعين ومائة وألفي رجل، وأسر اثنين وخمسين وألف رجل،^{٦٤} فمن كل ما سبق يظهر أن الجيش المصري لم يكن ضخمًا، ولا بد أنه كان لا يزيد على خمسة وعشرين ألفًا، أو ثلاثين ألفًا مقاتل في أية حملة قام بها الفرعنة، وكان جيش «رعمسيس الثاني» في موقعة «قادش» يتألف من أربعة فيالق بعضهم من جنود «شردانا»، وهم الذين يتألف المشاة الثقال منهم،

^{٥٦} راجع: Pap. Anastasi I, pl. XVII; II, 3, 4.

^{٥٧} راجع: L. D., II, pl. 149 d.

^{٥٨} راجع: L. D., II, pl. 150 a.

^{٥٩} راجع: Beni Hassan Vol. I, 12; II, 14, 15.

^{٦٠} راجع: L. D., II, 138 c.

^{٦١} راجع: L. D., II, 137 c.

^{٦٢} راجع: Breasted. Battle of Kadesh p. 9.

^{٦٣} راجع: Ibid. p. 10.

^{٦٤} راجع: Dumichén Hist. Inschrift. I, 26-7.

غير أنه ليس من المستطاع معرفة عددهم بالنسبة للجيش كله، كما لا يمكننا أن نعطي نسبة المشاة للفرسان، وقد ذكر لنا «مسبرو» أن جنود «خيتا» وحلفاءهم كانوا يقدرون بنحو عشرين ألف مقاتل،^{٦٥} ولم يكن في استطاعة «رعمسيس» أن يغزو بلاد عدوه بأقل من مثل هذا العدد، وعلى ذلك يحتمل أن قوام كل فيلق من فيالق جيشه كان نحو خمسة آلاف محارب، ويقدر «مسبرو» قوة جيش «رعمسيس الثاني» بنحو خمسة عشر ألفاً، أو ثمانية عشر ألف مقاتل، ولكن هذه التقديرات كلها لا تخرج عن الحدس والتخمين. ويمكن أن نتصور حملة «رعمسيس الثاني» على «خيتا» كما يأتي:

سار «رعمسيس الثاني» في السنة الخامسة من حكمه، الشهر التاسع، اليوم العاشر (حوالي ١٧ أبريل سنة ١٢٩٦ ق.م) مجتازاً حدود مصر عند قلعة «ثارو» القريبة من القنطرة الحالية على رأس جيشه الذي كان يتألف من أربعة فيالق، فكان فيلق «أمون» الذي تحت قيادته مباشرة يتقدم الفيالق الأخرى، أما الفيالق الأخرى وهي: فيلق «رع»، وفيلق «بتاح»، وفيلق «ستخ» فكانت تتبعه على حسب الترتيب، ولا نعلم على وجه التأكيد الطريق التي اتخذتها هذه الجيوش في «فلسطين»، ولكن نعلم أنها وهي في جنوبي «لبنان» كانت تسير على امتداد الطريق الساحلي، وتشير القصيدة في أولها إلى أن الملك كان قد نظم أول قوة للميدان من كل ضباط جنوده الخاصين حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض «أمور» (راجع p. 28)، وهذه الفرقة هي التي كُتِبَ عليها في المناظر: «وصول جنود الفرعون الشباب (نعرن) من أرض أمور». وسنتكلم عن عمل هذه الفرقة فيما بعد. أما بلاد «أمور» فهي الجزء الساحلي من شواطئ بلاد البحر الأبيض المتوسط الذي استولى عليه في السنين السالفة لهذه الحملة، كما ذكرنا من قبل، وبالقرب منه تقع بلدة «وسر ماعت رع» (مري أمون رعمسيس ماعت) الواقعة في وادي الأرز، ولا نزاع في أن هذه البلدة كانت قاعدة «رعمسيس» البحرية، ولا بد أنها كانت عند مصب نهر الكلب أو بالقرب منه، بجوار اللوحة التي كان قد أقامها في هذا المكان من قبل، وأطلق عليها لوحة «نهر الكلب». ومن ثم أوغل «رعمسيس الثاني»

^{٦٥} راجع: Maspero Struggle of the Nations. p. 212. Note. 5.

وجيشه في داخل البلاد مولياً وجهه شطر «قادش»، وهذه المدينة — كما ذكرنا آنفاً — موحدة بالمكان المسمى «تل نبي مند» الحالي، وتحديثنا نقوش الوثائق المصرية على أن آخر مكان ضرب فيه الجيش المصري خيامه قبل نشوب الواقعة كان على الهضبة التي جنوب «قادش» (انظر المصور). ويقول الميجر «برن»^{٦٦} الذي ناقش تصوير الأستاذ «برستد» لهذه الواقعة من الوجهة الحربية (١): «إن الجيش المصري حتى هذه النقطة كان يسير بلا انقطاع مدة ثلاثين يوماً، بمعدل ثلاثة عشر ميلاً في اليوم»، ولا نزاع في أن هذه كانت سرعة عظيمة كلفت الجنود المشاة جهداً أكثر من المعتاد، ونعلم من جانبنا من تواريخ «تحتمس الثالث» أن أول حملة قام بها على «مجدو» تحدثنا أنه ترك قلعة «ثارو»، وسار بجيشه إلى «غزا»؛ فقطع المسافة بينهما، وهي مائة وخمسة وعشرون ميلاً في عشرة أيام — أي بمعدل اثني عشر ميلاً ونصف ميل في اليوم — (مصر القديمة ج ٤)، وبذلك نرى على حسب رأي الميجر «برن» أن سرعة سير جيش «رعمسيس الثاني» كانت تفوق سرعة جيش «تحتمس الثالث»، أو تعادلها. ولما وصل «رعمسيس» إلى الهضبة الواقعة جنوبي «قادش» ضرب خيام جيشه فيها، وهذه الهضبة توجد الآن عند قلعة «الهرمل»، وهي ضمن هضاب البقاع، وهو الوادي المرتفع الواقع بين جبال لبنان،^{٦٧} وكان على «رعمسيس» أن يسير مسافة يوم كامل ليصل إلى «قادش»، من ثم سار الفرعون بجيشه شطر الشمال؛ فوصل جلالته جنوب مدينة «شبتونا» (ربله)، وكان «رعمسيس» الذي بقيادته فيلق «آمون» يسير شمالاً على الشاطئ الشرقي من نهر «الأرنت»، أما الفيالق الأخرى فكانت خلفه تتبعه في سيره على مسافات مختلفة، والظاهر — كما تدل النقوش — أن رجال الكشافة لم يكن في مقدورهم أن يستطلعوا مواقع العدو بالضبط، وكانت الفكرة السائدة بينهم هي أن جيش العدو كان لا يزال بعيداً جهة الشمال، وعندما اقترب «رعمسيس» من مخاضة «الأرنت» الواقعة فوق بلدة «شبتونا» حضر إليه جاسوسان من العدو (شاسو) ليخبراه

^{٦٦} راجع: Burne. Some Notes on the Battle of Kadesh. J. E. A. VII, p. 192. & The Art of

War on Land p. 36-47

^{٦٧} راجع: Breasted. The Battle of Kadesh p. 19

بأنهما ومواطنيهما كذلك يرغبون في التخلص من جيش «خيتا»، والانضمام إلى المصريين، وأن ملك «خيتا» قد تقهقر إلى حلب في شمالي «تونب»، وأن العدو يتوجس خيفة من أن يأتي جنوباً لمحاربة المصريين؛ وهذا البلاغ كان — بطبيعة الحال — مختلفاً من أساسه؛ إذ الواقع أن ملك «خيتا» الخاسي كان مختبئاً بعيداً عن الخطر هو وجيشه خلف مدينة «قادش»، وتقول النقوش المصرية صراحة: إن العدو كان يكمن للجيش المصري خلف مدينة «قادش»، أو في الشمال الغربي من مدينة «قادش» كما جاء في نص البردية، وهذا هو الموقع الذي بنى عليه الأستاذ «برستد» مصوره الجغرافي التخطيطي (انظر المصور) لمركز الجيوش^{٦٨} المصرية، غير أن الميجر «برن» قال: إن الشمال الغربي لا بد أن يكون غلطة من جانب كاتب البردية، وهذا ليس ببعيد؛ لأن المتون الأخرى التي على جدران المعابد لم يأت فيها تحديد الجهة، بل ذكرت كلها على أنه كان خلف «قادش» وحسب.

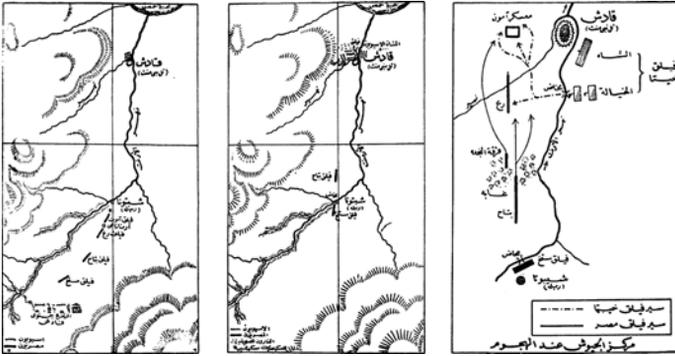
وحقيقة الأمر أن هذا المكان بعينه هو الذي عسكر فيه «رعمسيس» بعد بضع ساعات فيما بعد في أثناء النهار بعدما تحرك بجيشه إلى الشمال. والآن يتساءل الإنسان: كيف يتسنى للمصريين أن يضربوا خيامهم دون أي حذر في مكان قد أخلي في الوقت نفسه من عدد عظيم من الرجال، والخيل، والعربات دون أن يلحظ المعسكرون الجدد أي أثر يدل على أنه كان محتلاً بالعدو من قبل؟ وكذلك يتساءل الميجر «برن» كيف يتسنى لكاتب القصيدة أو التقرير أن يعرف موقع الجيش المعادي قبل أن يشتبك في القتال؟ ولذلك يعتقد أن الشمال الشرقي هو الوضع الصحيح لا الشمال^{٦٩} الغربي؛ إذ الواقع أن «رعمسيس» قد عبر النهر عند «شبتونا» (ربله) متجهاً نحو «قادش» على الشاطئ الغربي، وعلى ذلك يحتمل أن الكاتب عندما كان يتكلم عن «خيتا» واختبائهم خلف «قادش» كان يفكر في أنهم لا بد كانوا في الشمال الشرقي من «قادش» مختلفين عن أعين المصريين وراء منازل المدينة، والتل المرتفع في وسطها، يضاف إلى ذلك أن «رعمسيس» كان في هذا الوقت معسكراً في الشمال الغربي من «قادش»،

^{٦٨} راجع: Breasted A. R. Vol. III, p. 128 fig. 8.

^{٦٩} راجع: J. E. A., VII, p. 161.

رعمسيس الثاني

وكان جيش خيتا وقتئذ بلا نزاع معسكرًا شرقي المدينة، وإذا كانوا كما يقول «برستد» في الأصل في الشمال الغربي، وكما جاء في متن البردية، فإن هذا الانتقال كان يحتم نقل جيش قوامه حوالي عشرين ألف مقاتل عبر النهر في رائعة النهار، ويظن «برن» أنه كان لا يمكن ذلك في تلك المدة الوجيزة التي ذكرت.



شكل ٦: موقعة قادش في عهد «رعمسيس الثاني».

والواقع أن «رعمسيس» قد خانة الحظ بعدم استطاعة كشفاته معرفة موقع العدو، هذا بالإضافة إلى أنه — على ما يظهر — قد صدّق ما قصه عليه الجاسوسان، وعلى ذلك سار بحرسه في سرعة خاطفة على بلدة «قادش»، وقد كان سيره سريعًا إليها لدرجة أن جيش «أمون» لم يكن في استطاعته أن يجاريه في السير؛ إذ لم يكن بصحبته إلا حرسه الخاص، وقد كانت المسافة بين جيش «أمون» وجيش «بتاح» نحو ميل ونصف، في حين كان جيش «ستخ» يتعثر في سيره في المؤخرة بعيدًا، حتى أن مؤلف القصيدة قد ذكر بإبهام أنه كان سائرًا على الطريق، والواقع أنه لم يشترك في الموقعة قط. ولا نزاع في أن مثل هذا التوزيع للجيش المصرية يعد طريقة فاشلة في القيادة الحربية، هذا على زعم أن «رعمسيس» كان يعرف أن جيش العدو قريب منه، ولكن الحقيقة أنه ظن أن أمير «خيتا» الخاسى كان على مسافة لا تقل عن مائة ميل بعيدًا عنه عند «حلب»؛ ولذلك كان

لسير جيوشه على هذا النظام الذي يفصل بعض الفرق عن بعض مسافات ما يبرره، هذا فضلاً عن أن سيرها متباعدة بعضها عن بعض يريح الجنود؛ إذ يجعلهم يصلون إلى ساحة القتال دون أن يصيبهم إعياء كبير قد يؤثر على سير الواقعة.

بعد ذلك تحدثنا القصيدة والتقارير الرسمي على السواء أن «رعمسيس» قد وصل إلى شمالي مدينة «قادش» على الشاطئ الغربي من نهر «الأرنت» يتبعه فيلق «أمون»، وعسكر هناك وقت الظهر، أما فيلقا «رع»، و«بتاح»، فكانا وقتئذ لا يزالان يسيران على الطريق مخترقين غابة «أرنانامي»، أما فيلق «ستخ» فلم يأت له ذكر في المتن (انظر المصور).

وكان «رعمسيس» في موقفه هذا في غفلة عما ينتظرها من أحداث جسام، بل ظن أنه يُحسد على ما قام به من خطط مرضية ينتظر من ورائها النصر العاجل، ولكن آماله كلها قد تبددت؛ إذ إنه في أثناء جلوسه على أريكته الذهبية في معسكره أحضر إليه كشافان من الأعداء، وبعد أن ضرباً ضرباً مبرحاً ليطلقا عقال لسانيهما كي ينطقا بالحقيقة أذعنا وصدا، فأسمعنا الفرعون الأخبار المفجعة التي أنبأته أن العدو واقف له بالمرصاد خلف «قادش» المخادعة، وعندئذ أخذ «رعمسيس» يكيل لجنوده اللوم والتقريع، وفي ساعة توبيخهم انقض العدو بعد أن عبر النهر على فيلق «رع» في أثناء سير جنوده نحو مكان الفرعون. وقد أمر الفرعون وزيره — غير عالم بالكارثة الأخرى — أن يحث فيلقه — أي فيلق «رع» — على الإسراع، وأطاع الوزير الأمر، وعندئذ وصل إلى «رعمسيس» رسول يخبره بالكارثة التي حلت بفيلق «رع»، وفي هذه اللحظة بدأ الملك الفتى يدرك الخطر المحقق به الذي جلبه عليه طيشه وتسرع.

وعلى أثر ذلك مباشرة أخذ الفارون من فيلق «رع» يهرعون إلى معسكر «رعمسيس»، والعدو يطاردهم بعنف وشدة، وقد ساد الهلع، وانتشر الفزع والرعب، والتفرقة بين رجال فيلق «أمون»؛ فأطلقوا لسيقانهم العنان مولين مدبرين مع الفارين، وبذلك استولى جيش «الخيتا» على معسكرهم، وأخذوا ينهبون ما فيه، وفي هذه اللحظة أظهر «رعمسيس» للملأ عظمتة الحقيقية؛ إذ انتهز فرصة جشع جنود العدو في السلب والنهب، وقبض على ناصية الموقف، وهجم على العدو — ولم يكن معه إلا حرسه — في أضعف نقطة بشدة بأس وعنف بالغين حتى إنه قذف بهم في النهر.

وقد كان في مقدور «رعمسيس» أن يثبت في ميدان القتال بشجاعته الشخصية؛ حتى وصلت إليه نجدة أشار إليها المتن المصري «بالمدة»؛ مما جعل كفة ميزان الموقعة تميل إلى جانبه، ولم تأت الظهرية حتى سيطر المصريون على الموقف، على أنه — لا متن القصيدة،



شكل ٧: ضرب الجاسوسين ليقراً بمكان موقع العدو.

ولا تقرير الموقعة — قد فسر لنا كُنه أولئك الجنود الذين أخذوا بناصر «رعمسيس»، وهم — بلا شك — لم يكونوا من أحد الفيالق السالفة الذكر.

وقد فحص الميجر «برن» هذا الموضوع بعناية، واستنتب أنهم لا بد كانوا يؤلفون جزءاً من الحامية التي كان «رعمسيس» قد تركها في قاعدته البحرية في السنة السالفة، وقد ساقهم معه في سيره إلى «قادش»، وقد ضمهم إما لمؤخرة فيلق «رع»، أو جعلهم يسيرون في مقدمة فيلق «بتاح»، وقد حدد «برن» مكان هؤلاء الجنود بين الفيالقين السالفي الذكر على المصور الذي رسمه «برستد»، ويظن أن الوزير — حين حاقت به الكارثة — قفل راجعاً على جناح السرعة ليحث فيلق «بتاح» فمر بهم — أي جنود المدد — في طريقه، وحضهم على الإسراع قُدماً بكل ما لديهم من جهد للحاق بـ «رعمسيس» ونجده.

وفي الحق وصل هؤلاء الجنود في اللحظة الأخيرة؛ إذ من البدهي أن «رعمسيس» لم يكن في مقدوره أن يقاوم أكثر مما قاوم أمام تلك الجنود الجبارة التي حشدها ملك «خيتا» عليه، غير أن هذا الرأي الذي قدمه لنا الميجر «برن» قد عارضه الأستاذ «إدوردمير»، وتناوله كذلك «جاردنر»، وجاء بتفسير آخر، ويتلخص فيما يأتي: جاء في متن القصيدة بعد وصف مواقع الفرعون، وفيالقه الأربعة قبل نشوب المعركة مباشرة، وكذلك قبل ذكر حضور أمير «خيتا» في وسط جيشه، جملة مبهمة حُشرت في سياق الكلام، وقد ترجمها «برستد» (راجع Br. A. R. III § 310) كالاتي: «إن جلالته قد أَلَّف الصف الأول من كل قواد جيشه حينما كانوا على الشاطئ في بلاد أمور». وهو يشير بذلك إلى التوزيع الأول

الذي قام به «رعمسيس» بين جنوده في نقطة ما في جنوب بلاد «لبنان»، ومن ثم اتجه «رعمسيس» بجيشه في الداخل. ويخيل لي على أية حال أن هذه العبارة لا بد أنها تشير إلى القوة التي صوّرت في مناظر الموقعة على جدران المعابد كلها، وهم الذين قد حضروا على حين غفلة إلى الميدان، وعندما وجدوا معسكر الفرعون قد أُحيط من كل جهة هاجموا «الخيتا» في المؤخرة. والنقش الذي كُتب عنهم هو: وصول الجنود الشبان (نعرن) — وهم صنف من الجنود في الجيش المصري (راجع Onomastica I, p. 171) — من بلاد «أمور». والتفسير الوحيد لذلك هو ما قاله «إدوردمير» عندما صحح ترجمة «برستد» للجملة المبهمة السالفة الذكر بقوله: «إنهم كانوا أول قوة ميدان خاصين» لا «الصف الأول من كل قواد جيشه». وكانوا قد اندفعوا على الساحل بعد «طرابلس»، ومن ثم أوغلوا في الطريق الهام التي تعبر «النهر الكبير»، وتؤدي إلى «حمص»، أو جاءوا عن طريق آخر على مسافة قصيرة جنوباً، ومن الطبيعي أن نلاحظ هنا أن «رعمسيس» كان يريد أن يبسط أمامنا معظم أعماله العظيمة التي تبرهن على شجاعته، ولذلك لم يضع أمامنا إلا تفاصيل ضئيلة مختصرة بقدر المستطاع عن هذه القوة التي كانت سبباً في نجاته من هزيمة ساحقة، وهذا في الواقع هو التفسير المعقول لنجدة «رعمسيس»، بالإضافة إلى انصراف جنود «الخيتا» عن متابعة هزيمتهم لجنود الفرعون إلى نهب معسكره، وأخذ ما فيه من نفائس.

ولدينا أمر غريب لم يفسر بعد، وهو: ما السبب في أن ملك «خيتا» — بعد ما أحرزه من تقدم حتى الآن، وبعد أن كان النصر يكون في قبضة يمينه — لم يفكر في إرسال فيلق مشاته، الذي كان يبلغ ثمانية آلاف مقاتل إلى ساحة القتال، وبذلك يضمن عقد لواء النصر النهائي لنفسه؟ وقد ناقش الميجر «برن» هذه المسألة فقال: من المحتمل أن المخاضة كانت أعمق مما يجب على المشاة مما لم يشجعه على العبور،^{٧٠} ولكنني أظن أن السبب الأرجح لذلك هو انعدام تلك الهبة العالية في القائد العظيم عند ملك «خيتا»، وأعني بذلك قوة الأعصاب، والعزيمة الجبارة عند ساعة الخطر، والواقع أن هجوم نجدة الأموريين من الخلف هي التي أوقعت الرعب في جنود «خيتا»، وشتت شملهم (راجع مواقع الجيش المصري في المصور المقابل لهذه الصحيفة).

^{٧٠} راجع: J. E. A. VII, p. 194-195.

وعندما خيم الظلام ولى الأحياء من جنود «خيتا» الأدبار نحو المدينة، وكان «رعمسيس» ومدده الظافرين في هذا النزال، والواقع أنه حاق بـ «الخيتا» خسائر فادحة، وكان من بين القتلى كثير من أسرة الملك وموظفيه، ولكنه لم يكن النصر الفاصل لـ «رعمسيس» وجيشه، ولا بد أن الجيش المصري قد حاقت به خسائر فادحة، غير أن النقوش لا تعترف بذلك، وقد لخص الأستاذ «برستد» الموقف في العبارة التالية: «على أن ما جعل النتيجة نصرًا لـ «رعمسيس» هو إنقاذه لنفسه من الدمار الساحق، أما إنه استولى في النهاية على ساحة القتال فلم يضاف هذا إلى النصر إلا فائدة قليلة فعلية.»

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كشف سجل «بوغازكوي» عاصمة خيتا القديمة، ودرس ما جاء فيها قد أثبت بصورة قاطعة ما جاء في النقوش المصرية عن العلاقات التي كانت بين الدولتين، ومن هذه السجلات قطعة صغيرة من النقوش عن موقعة «قادش» نفسها مكتوبة بوجهة نظر «خيتا»،^{٧١} وكذلك وجد بين هذه السجلات لوحتان عليهما جزء من مسودة المعاهدة التي عقدت بين الدولتين،^{٧٢} وسنفحصهما فيما يلي. وعلى الرغم من أن نتائج موقعة «قادش» كانت منبع سرور شخصي، وابتهاج لـ «رعمسيس الثاني» لما كشفت عنه من الشجاعة العالية والعبقرية الكامنة، التي ظهرت عند اشتداد الخطوب، وخرج الموقف، فإنها لم تكن من جهة أخرى كل ما تتوق إليه نفسه، وتطمح إليه أماله الكبار؛ إذ لم يستولِ «رعمسيس» على «قادش»، بل اضطر إلى العودة إلى مصر دون أن يصل إلى مأربه الأصلي، وفضلاً عن ذلك فإنه فقد معظم رجال فيلق من جيشه الذي زحف به من «ثارو»، ولا نزاع في أن هذه الحوادث كان لها أثر سيئ العاقبة بالنسبة لسمعة مصر وسيادتها في آسيا، ولم يترك «الخيتا» هذه الفرصة تقلت من أيديهم إذ أثاروا الفتن والقلقل في الأملاك المصرية للقضاء على سلطانها، فقامت الثورات في الإقليم الشمالي من فلسطين التي كان قد أعادها «سيتي» لمصر، ثم انتشرت الفتن جنوباً حتى أبواب المعازل المصرية الواقعة في الشمال الشرقي من الدلتا، وبذلك تبخرت تلك الإمبراطورية التي اكتسبها «سيتي» لمصر في آسيا في بضع سنين قليلة، غير أن روح «رعمسيس» الحربي، وحبه للغزو اضطره أن يبدأ فتح إمبراطوريته من جديد، والمصادر التي لدينا عن الحروب التي تلت موقعة «قادش» ضئيلة، هذا إلى أن ترتيب وقوعها غير مؤكد.

^{٧١} راجع: Hogarth. Cambridge Ancient History II, p. 265.

^{٧٢} راجع: Ibid. p. 266.

الثورة في فلسطين

وكل ما نعرفه حتى الآن أنه بين السنة الخامسة، والثامنة هبَّ كل أمراء «فلسطين» بالثورات على «رعسيس» بتحريض من «خيتا»؛ ولذلك اضطر إلى إعادة فتح كل أملاكه الآسيوية من جديد مبتدئاً «بعسقلان»، ولدينا على جدران معبد «الكرنك» منظر يمثل الهجوم على مدينة «عسقلان»، والنقوش المفسرة للمنظر تشير إلى قيام عصيان فيها، والواقع أن «عسقلان» لم تكن المدينة الوحيدة التي شقت عصا الطاعة، بل لا بد أنها كانت في حلف مع مدن «فلسطين» الأخرى. وفي هذا المنظر نشاهد الملك في عربته يهاجم الآسيويين ذوي اللحي، وهم مصطفون فوق شرفات المدينة الواقعة على مرتفع من الأرض، ويلاحظ أن سلالم الهجوم قد نُصبت، وأن ضابطاً مصرياً يهدم بوابة المدينة ببلطته، في حين نشاهد السكان على الجدران يطلبون الرحمة، وقد نُقش مع منظر المدينة المتن التالي: «مدينة «عسقلان» الخاسئة التي استولى عليها جلالته عندما ثارت، وتقول — أي المدينة — إنه لسرور أن نكون رعايك، وإنها لبهجة أن نعبّر حدودك، خذ إرثك حتى نتحدث عن شجاعته في كل البلاد المجهولة.» ولم تحل السنة الثامنة من حكم «رعسيس» حتى كان قد وصل إلى شمال «فلسطين» ثانية، واستولى على مدينة «الجليلي الغربي»، والوثيقة الوحيدة التي لدينا عن هذه الفتوح^{٧٢} هي قائمة تظهر فيها صفوف مدن ذوات شرفات يسوق فيها ضباط مصريون الأسرى، وكل مدينة نقش عليها المتن التالي: «مدينة نهبها جلالته في السنة الثامنة»، وبعد ذلك يذكر اسم المدينة، غير أنه لم يبقَ من هذه الأسماء إلا قليل قد فحصه «مولر»^{٧٤}.

حصار «دابور»: والمكان الوحيد من بين هذه المدن الذي لا يقع غربي إقليم «الجليل» هو مدينة في أرض «أمور» تُدعى «دابور»، وتقع — على ما يظهر — في إقليم حلب على حسب أحدث الآراء.^{٧٥}

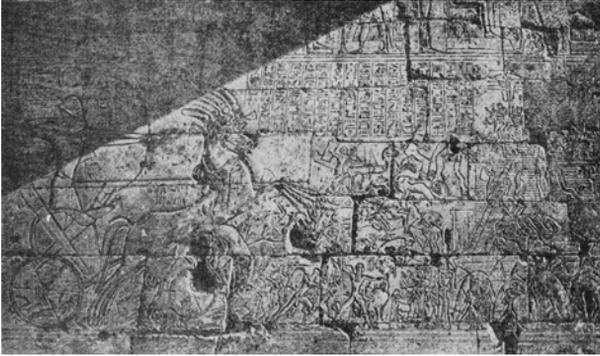
^{٧٢} وتقع على الجانب الغربي من البرج الشمالي للبوابة الأولى من معبد «الرمسيوم» (راجع Champ. Notices I, 870-1; L., D., III, 156 & Taxte III, 127-8).

^{٧٤} راجع: Muller. Asien Und Europa 220-222.

^{٧٥} راجع: Gardiner Onomastica I, p. 179, 189.

وقد مثل المفتن المصري الاستيلاء على هذه المدينة في صورة رائعة حية بتفاصيل شيقة على جدران معبد «الرمسيوم»^{٧٦} وفيها يظهر أولاد «رعمسيس» يقومون بدور هام في الموقعة.

والنقوش المفسرة لهذا المنظر على الرغم من أنها تكاد تكون كلها عقود مدح للفرعون فإنها مع ذلك تظهر لنا حقيقة هامة هي أن «خيتا» كانوا منذ واقعة «قادش» قد أوغلوا في هذه الأصقاع جنوباً، واحتلوا مؤقتاً بلدة «دبور» التي يقصدهم عنها «رعمسيس»، وتعد هذه البلدة أقصى بلدة في الجنوب وصل إليها «الخيتا» في إيغاله، وهذا الإيغال كان بطبيعة الحال وقتياً؛ إذ لم نجد لهم آثاراً جنوبي «حماة»، والواقع أن هذا التقدم العظيم كان له علاقة بالثورة في فلسطين.



شكل ٨: حصار حصن دابور.

ومن المحتمل في هذه الفترة أن إقليم شرق الأردن — أي حوران — كان قد عاد ثانية في قبضة الفرعون «رعمسيس الثاني»؛ إذ قد دون هناك موظف نقشاً تذكاريًا لنفسه مثل عليه، وهو يقدم القربان لأحد الآلهة المحلية، ويحمل على ما يظهر اسمًا ساميًا.^{٧٧}

^{٧٦} راجع: Champ. Mon. 331 = L. D., III, 166; Br. A. R., III, § 357.

^{٧٧} راجع: Zeitschrift des Deutschen Palestina Vereins XIV, p. 142 ff.

أما المنظر الذي يمثل الاستيلاء على بلدة «دبور» — وهو أكبر وثيقة لدينا عن تاريخ هذه الفترة في حروب سيتي مع «خيتا» — فيحتوي النقش التالي:

قال خاسئ «خيتا» في مدح الإله الطيب: أعطنا النفس الذي تهب، يأيها الحاكم الطيب، تأمل إننا تحت نعليك، وإن الفزع منك قد نفذ إلى أرض «خيتا»، وإن أميرها قد سقط بسبب شهرتك، وأنا مثل قطيع من الخيل عندما ينقض عليه الأسد ذو العين المفترسة، وإنه الإله الطيب العظيم الشجاعة في الممالك، والقوي القلب في ساحة القتال، الثابت على الجواد، والجميل في العربة عندما يقبض على القوس ليرمي به أو يحارب يدًا ليد، الثابت الذي لا يفلت منه أحد ... والذي يرتدي الزرد الجميل في ساحة القتال، والذي يعود بعد انتصاره على أمير «خيتا» الخاسئ، وعندما تغلب عليه ذرّاه مثل التبّين في الهواء حتى إنه تخلى عن مدينته خوفًا منه، وقد وضع «رعمسيس» شهرته هناك لكل يوم، وقد كانت قوته في أعضائه مثل النار، وإنه ثور يناضل عن حدوده، ويستولي على الأشياء التي وقعت في قبضته، ولم تترك يده إنسانًا حيًّا، وإنه عاصفة في الممالك، عظيم في المعمة، مرسل الصاعقة على الرؤساء لتخريب مدنهم، ومصير كل أماكنهم أصقاعًا صحراوية، وسهامه خلفه مثل «سخت» عندما تنقض كالريح ... أرض «خيتا» الخاسئة عدوته، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «رعمسيس» محبوب «أمون».

وفي هذا المنظر ذكر لنا أسماء ستة من أولاده وهم: «خعموا ست»، و«منتو»، و«مري أمون»، و«أمون مويا»، و«سيتي»، ثم «ستبن رع». ولدينا نقش آخر على قطعة من الحجر في «الرمسيوم» تدل على أن «دبور» تقع في إقليم «تونب» في أرض النهرين، إذ قد جاء فيه: «بلد خاسئ و«خيتا» الواقعة في إقليم بلدة «تونب» في أرض نهرين». وقد ظهر في الصورة أن المدافعين عن البلد كانوا من «خيتا».

ومن ثم نعلم أن «رعمسيس» أوغل في بلاد «نهرين» التي كانت تحت سيطرة «خيتا»، وفي نهاية هذه الحروب التي دامت ثلاث سنوات أصبح «رعمسيس» يمد سلطانه على البلاد التي كانت تحت قبضته بعد موقعة «قادش»، بل زاد عليها، غير أن هذه البلاد التي استولى

عليها من «خيتا» لم تكن تحت الحكم المصري تمامًا، بل كان يحكمها حكام من «خيتا» بإشراف «رعمسيس».

وعلى حسب قائمة فتوح «رعمسيس» نجد أنه قد استولى على بلاد «نهرين»، و«رتنو» السفلى (شمال سوريا)، و«إرواد»، وبلاد «كفتيو»، و«قطنة» على نهر «الأرنت»، و«خلاصة القول أن «رعمسيس الثاني» بعد أن ارتكب غلطة الطائشة في بادئ حروبه مع «خيتا» عندما سار بجيشه، وألقى بنفسه ببراءة وسذاجة في الفخ الذي نُصّب له عند «قادش» أصبح — بعد أن حنكته التجارب وصهرته ميادين القتال وحيل الأعداء وثوراتهم العديدة — جنديًا ثابت الجنان، واسع الحيلة؛ مما جعله في نظر جيرانه «الخيتا» خطرًا حقيقيًا على دولتهم في سوريا.

وبعد حروب دامت أكثر من خمسة عشر عامًا مات «مواتالو» ملك «خيتا»، أو قُتل على حسب بعض الآراء، وخلفه على العرش أخوه «خاتوسيل»، وكان سياسيًا قديرًا، ففطن في الحال إلى أن سقوط دولة «متني» قد عرضت حدود بلاده الشرقية لهجوم «آشور» القوية، فعمل على أن تكون علاقاته مع «بابل» علاقة سلم ومهادنة، ثم شرع في اتخاذ التدابير لإنهاء الحرب بينه وبين مصر، ولذلك نجده قد طلب إبرام معاهدة مع مصر قوامها السلم الدائم، والود الأكيد كما سنرى.

والواقع أننا نعلم أنه على الرغم من هذه الانتصارات لم يكن في مقدور «رعمسيس» أن يضم إلى أملاك مصر — لا شمالي سوريا، ولا وادي نهر «الأرنت»، ولا معظم أراضي «أمور»، ولم يستطع أن يبقي تحت سلطانه الفعلي إلا بلاد «فلسطين»، وإقليم «لبنان».^{٧٨} وقد وصلتنا بريدية^{٧٩} نتحدث عن جنوبي «سوريا»، وفلسطين من الوجهة التجارية، ومنها نعلم أن «سميرا» كانت تُدعى باسم «رعمسيس الثاني» «سميرا سسو»، و«سسو» تصغير اسم «رعمسيس الثاني»؛ وذلك يبرهن على أن هذا الحصن كان ضمن أملاك مصر، وبذلك بقي نهر «الكلب» الحد الفاصل لأملاك مصر في آسيا.^{٨٠}

^{٧٨} راجع: Gardiner Onomastica I, 179.

^{٧٩} راجع: Pap. Anastasi I, 18, 8.

^{٨٠} راجع: Ed. Meyer, Cesch II, 1. p. 471.

(ج) معاهدة التحالف التي أبرمت بين «خاتوسيل» ملك خيتا، وبين الفرعون «رعمسيس» الثاني

مقدمة: لقد كان لنشر سجلات مملكة «خيتا» التي كُشف عنها في «بوغازكوي» الأثري «هوجو فنكر» في أثناء الحرب العالمية الأولى أهمية عظمى للتاريخ العالمي؛ إذ جعلت من السهل قرن الرواية المسماية بالرواية المصرية بالتفصيل للمعاهدة الشهيرة التي أبرمت بين الملك «خاتوسيل» ملك «خيتا»، و«رعمسيس الثاني» فرعون مصر، والواقع أن علم الآثار — وما احتواه من حوادث عجيبة — ليس لديه ما يسديه للعالم من مصادفات عجيبة مفيدة خارقة للمألوف أكثر من الكشف في قلب آسيا الصغرى التي تبعد نحو ألف ميل عبر البحر الأبيض المتوسط عن هذه اللوحات المصنوعة من الآجر التي نُقش عليها باللغة والكتابة البابلية نفس المعاهدة التي خلد ذكرها «رعمسيس الثاني» على لوحتين باللغة المصرية القديمة في معبدي «الكرنك»، و«الرمسيوم» ب «طيبة».

ولما كانت قصة هذا الكشف غير معروفة لمعظم المصريين، فإنني سأعرضها هنا ببعض الاختصار قبل أن أتناول الكلام عن المعاهدة نفسها من الوجهة التاريخية والسياسية، والواقع أن «شامبليون» عندما أخذ في حل رموز النقوش التي على المعابد المصرية وجه عناية خاصة للمتون والنقوش الخاصة بحروب «رعمسيس الثاني» مع قوم سماهم «شيتو»، وكانت نتائج هذه الحروب معاهدة نُقشت شروطها التامة باللغة المصرية على لوحتين عظيمتين في معبدي «الكرنك»، و«الرمسيوم» على التوالي.

وقد نقل كليهما «شامبليون»،^{٨١} غير أنه لم يفهم مضمون ما جاء في النقوش، وكان أول من فهمها تلميذه «روزليني»؛ إذ كان أول من حاول ترجمتها كلها،^{٨٢} ومنذ ذلك العهد لم يَقم أحد من علماء الآثار بنقل هاتين اللوحتين نقلًا علميًا واضحًا، وأحسن طبعة لدينا لهما هي التي قام بوضعها «مولر» عام ١٩٠٢،^{٨٣} وقد وضع لهذه المعاهدة الأستاذ «برستد» ترجمة لا بأس بها،^{٨٤} وقد كان «شامبليون» يميل إلى توحيد ما نسميه أهل

^{٨١} راجع: Champ. Notices Desc. II, pp. 195.

^{٨٢} راجع: Monumenti Storici Vol. III, Part II, pp. 268–82.

^{٨٣} راجع: Der Bündnisvertrag Ramses II, und des Chetiterkonig in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft (1902) 5. W. Keiser Berlin.

^{٨٤} راجع: Br. A. R. III, §§ 367.

«شيتو» «بالسيثين». وفي عام ١٨٥٨ ذهب «بروكش» إلى أن هؤلاء القوم هم «الخيتيون» الذين ذُكروا في التوراة.^{٨٥}

على أن ما كان ظناً من جانب «بروكش» قد تحول تدريجاً حقيقة؛ إذ أخذت تظهر آثار «خيتا» شيئاً فشيئاً في شمالي سوريا وآسيا الصغرى، فقد كشفت لنا خطابات «تل العمارنة» عن وجود مملكة خيتية عظيمة كان حكامها المحاربون يوغلون جنوباً نحو «فينيقيا»، و«فلسطين» في عهد «أمنحتب الثالث»، وخلفه «إخناتون»، وأخيراً كشف «هوجو فنكلر» عام ١٩٠٦ عن عاصمة أهل «خيتا» أنفسهم، وهي مدينة «خاتوشا» الشاسعة التي قامت على أنقاضها مدينة «بوغازكوي» في محيط نهر «هاليس»، فقد عثر في مخازن أكبر قصور هذه المدينة، وفي مكان آخر على عدة لوحات من الحجر، دل البحث على أنها سجلات وزارة الخارجية لدولة «خيتا»،^{٨٦} وكل هذه اللوحات مكتوبة بالخط المسماري، ولكن في كثير منها كانت لغتها هي التي يتكلم بها أهل «خيتا»، وكانت المراسلات في تلك الأيام تكتب باللغة «البابلية»، فكان مثلها كمثل اللغة الفرنسية في أيامنا تستعمل في المخابرات السياسية، وإبرام المعاهدات مع الممالك المجاورة، وقد كان «فنكلر» أول من فطن إلى وجود نص معاهدة «رعمسيس الثاني» مع «خيتا» بين لوحات «بوغازكوي»، غير أن المتن لم يفسر كاملاً إلا عام ١٩١٦؛ أي بعد عشر سنين من الكشف عنه. والواقع أنه وجدت بين هذه اللوحات قطعتان عليهما جزءان من نصوص المعاهدة، وقد كُتبتا بلهجة كنعان البابلية، وعلى الرغم من وجود بعض اختلافات عن النص المصري، فإن الفحص دل على أن نقوش «بوغازكوي» هي الأصل الذي تُرجم عنه إلى المصرية، وقد قام بعض العلماء بترجمة هذه النصوص وموازنة بعضها ببعض، وآخر ترجمة يعتمد عليها حتى الآن هي ما وضعه الأستاذ «لنجدن Langdon» للأصل الخيتي، وترجمة الأستاذ «جاردنر» للنص المصري (راجع J. E. A. Vol. 6. p. 179 ff.).

^{٨٥} راجع: Brugsch Geographische Insch. II, p. 20.

^{٨٦} راجع: Ed. Meyer Reich und Kultur der Chetitér pp. 127 ff.

نص المعاهدة في اللغتين

مقدمة إيضاحية (بالمصرية فقط):

(١) السنة الحادية والعشرون، الشهر الأول من فصل الشتاء، اليوم الواحد والعشرون في حكم عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع» «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة أبداً ومخلداً، محبوب «أمون رع»، و«حور اختي»، و«بتاح جنوبي جداره»، سيد «عنخ تاوي»، والإلهة «موت» سيدة «إشرو»، و«خنسو نفر حتب» الذي اعتلى عرش «حور» الأحياء مثل والده «حور اختي» مخلداً وسرمدياً.

(٢) في هذا اليوم عندما كان جلالتة في بلدة «بررعمسيس مري آمون» يعمل ما يسر والده «أمون رع»، و«حور اختي»، و«آتوم» رب أرض «هليوبوليس»، و«أمون»، و«رعمسيس مري آمون»، و«بتاح رعمسيس مري آمون»، و«ستخ» عظيم الشجاعة ابن «نوت» بقدر ما يعطونه أعياداً ثلاثينية لا عداد لها، وأبدية سنين سلم، وكل البلاد، وكل الممالك الجبلية تحت نعليه سرمدياً، (في هذا اليوم) أتى رسول الملك، والقائد نائب الفرعون ... ورسول الملك ... «وسر ماعت رع ستبن رع» ... «تشب»، ورسول «خاني» ... حاملاً اللوحة الفضية التي أمرنا بإحضارها رئيس «خيتا» العظيم «خاتوسيل» إلى الفرعون ليرجو الصلح من جلالة «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع» «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مخلداً وسرمدياً مثل والده «رع» يومياً.

التعليق: هذه المقدمة تكاد تعد صورة تقليدية في النقوش المصرية التاريخية، إذ تبدأ بالتاريخ والألقاب، ثم يأتي بعد ذلك المقر الذي يسكنه الفرعون، وما يقوم بعمله عندما ينظر في الأمر الذي يُعرض عليه. وتاريخ اللوحة وهو العام الواحد والعشرون مهم بطبيعة الحال، وكان «رعمسيس» كما جرت العادة يقطن في عاصمته الشمالية «بررعمسيس» (قنتير الحالية). ومما يؤسف له هنا أن الفقرة التي ذُكر فيها أسماء رسل ملك «خيتا» وجدت مهشمة، ولا يمكن استنباط شيء منها، والظاهر أن اسمي الضابطين الحربيين اللذين يحتمل أنهما كانا القائدين على الحدود المصرية، هما اللذان صحبا رسول ملك «خيتا» إلى حضرة الفرعون. هذا، وتدل ألفاظ المقدمة على أن بلاد «خيتا» كانت تطلب صلحاً، ولكن الواقع أن الرسل قد حضروا لعقد معاهدة ومحالفة مع ملك مصر كما سنرى بعد.

عنوان للترجمة المصرية: صورة من اللوحة الفضية التي أمر بإحضارها رئيس «خيتا» العظيم «خاتوسيل» إلى الفرعون على يد رسوله «ترتشوب Tartesub»، ورسوله «رع موسى» رجاء الصلح من جلالتة «وسر ماعت رع ستبن رع» (ابن رع) «رعمسيس مري آمون» ثور الحكام، ومن يقيم حدوده حيث يريد في كل أرض. وتدل عبارة «رجاء الصلح» على أن النص هنا في أصله مصري؛ لأنه تعبير مصري صريح.

ديباجة المعاهدة الحقيقية

المتن المصري: المعاهدة التي عقدها أمير «خيتا» العظيم «خاتوسيل» القوي ابن «مورسيلي Mursili»، رئيس «خيتا» العظيم القوي ابن ابن «شوبيليلوما»، رئيس «خيتا» العظيم على لوحة من الفضة لأجل «وسر ماعت رع ستبن رع»، حاكم مصر العظيم القوي ابن «من ماعت رع»، حاكم مصر العظيم القوي ابن ابن «من حبتي رع» (رعمسيس الأول) حاكم مصر العظيم القوي: المعاهدة الطيبة للسلام والإخاء والتي تهب السلام والإخاء (?) ... بيننا بوساطة معاهدة (?) «خيتا» مع مصر أبدياً.

المتن الخيتي البابلي: وهكذا يكون، فإن «رياماساسا ماي أمانا» الملك العظيم ملك مصر القوي قد أبرم معاهدة مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه؛ لأجل أن يمنح صلحاً وحسن إخاء، وليحصل على مملكة (?) عظيمة بينهما^{٨٧} ما دنا أحياء إلى الأبد.

«ريا ماساسا ماي أمانا» ملك مصر العظيم القوي في كل الأراضي ابن «منمواريا» الملك العظيم ملك مصر القوي ابن ابن «منباخير يتاريا»، الملك العظيم ملك مصر القوي إلى «خاتوسيل»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي ابن «مورسيل»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي ابن ابن «شوبيليلوما»، الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوي، انظر الآن فإنني أقدم إخاء حسناً وسلاماً حسناً بيننا إلى الأبد؛ لأجل أن تعطي سلاماً طيباً وإخاء حسناً بتحالف مصر مع «خيتا» إلى الأبد، وهكذا يكون.

التعليق: يلاحظ هنا أن المتنين كليهما متفقان في محتوياتهما كما أنه يوجد تشابه في التعبير، والفرق الرئيسي في المتنين أن المتن الخيتي يذكر نسب الملك إلى الجد الثاني.

^{٨٧} يلاحظ هنا عدم الدقة في استعمال الضمائر.

المعاهدة تدل على استئناف العلاقات الودية القديمة بين البلدين

المتن المصري: والآن في الزمن السالف منذ الأبدية فيما يخص سياسة حاكم مصر العظيم، ورئيس «خيتا» العظيم، فإن الإله لم يسمح بخصومة تحدث بينهما، وذلك بوساطة معاهدة، ولكن في عهد «مواتالو» رئيس «خيتا» العظيم أخي تحارب مع «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم، ولكن بعد ذلك من ابتداء هذا اليوم تأمل، فإن «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم أصبح في معاهدة لأجل أن تكون السياسة التي عملها «رع»، والتي عملها «ستخ» دائمة لأرض مصر مع أرض «خيتا»؛ حتى لا يسمح بقيام مناوشات بينهما أبدًا.

المتن الخيتي البابلي: تأمل سياسة الملك العظيم ملك مصر، والملك العظيم ملك «خيتا» منذ الأبدية، فإن الإله لم يسمح بقيام خصومة بينهما، وذلك بوساطة معاهدة سرمدية

...

تأمل! «رياماساسا ماي أمانا» الملك العظيم ملك مصر، فإنه لأجل أن يجعل السياسية التي عملها «شاماش»، و«تشب» لمصر مع أرض «خيتا» بسبب سياسته التي كانت منذ الأبد أئمة؟ (فإنه لن يكون خصام أو عداة بينهما إلى الأبد، وإلى الزمن السرمدى).

إعلان المعاهدة الجديدة

المتن المصري: تأمل، إن «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم قد جعل نفسه في معاهدة مع «وسر ماعت رع» «ستبن رع» ملك مصر العظيم، وقد ابتدأ بهذا اليوم، فأمر بإبرام صلح طيب، وإخاء حسن بيننا أبدًا، وأنه في إخاء معي، وفي صلح معي، وإني في رضى معه، وفي صلح معه أبدًا.

ومنذ أن أسرع «مواتالو» رئيس «خيتا» العظيم أخي إلى قدره (توفي)، وأخذ مكانه «خاتوسيل» رئيسًا عظيمًا لـ «خيتا» على عرش والده. تأمل، لقد أصبحت مع «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم، نحن معًا في صلحنا وإخائنا، وإنه لأفضل من الصلح والإخاء السابقين الذين كانا في الأرض (بين البلدين). تأمل، إني بوصفي رئيس «خيتا» العظيم مع «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم في صلح طيب، وفي إخاء حسن، وإن أولاد أولاد رئيس «خيتا» العظيم سيكونون في صلح وإخاء مع

أولاد أولاد «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم، وأنهم سيكونون في سياستنا الأخوية، وسياستنا السلمية، وأرض مصر ستكون مع أرض «خيتا» في سلام، وفي إخاء مثلنا أبداً، وإن التخاصم لن يقوم بينهما سرمدياً.

المتن الخيتي البابلي: إن «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر قد جعل نفسه في معاهدة على لوحة من الفضة، مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه منذ هذا اليوم ليقدم صلحاً طيباً، وإخاء حسناً بيننا أبداً، وإنه أخ لي، وفي مهادنة معي، وإني أخ له، وفي مهادنة معه أبداً. وقد عقدنا إخاء وسلاماً وحسن نية أفضل من الإخاء والسلام الذي كان في الأزمان السالفة بين «مصر» و«خيتا».

تأمل، إن «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر في سلام طيب، وإخاء حسن مع «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا». تأمل! إن أولاد «رياماساسا ماي-أمانا» ملك مصر سيكونون في صلح، وإنهم إخوة مع أولاد «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أبداً، وإنهم سيكونون على حسب سياستنا في إخائنا ومهادنتنا، وإن مصر مع الأرض «خيتا» في وئام، وإنهما أخوان مثلنا أبداً.

تبادل الثقة بالنسبة للغزو

المتن المصري: ولن يعتدي رئيس «خيتا» العظيم على أرض مصر أبداً بأخذ أي شيء منها، ولن يعتدي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم على أرض «خيتا» لأخذ أي شيء منها أبداً.

المتن الخيتي البابلي: ولن يعتدي «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر على أرض «خيتا» لأخذ أي شيء منها أبداً، ولن يعتدي «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» على مصر بأخذ أي شيء منها أبداً.

التجديد الرسمي للمعاهدة السابقة

المتن المصري: أما عن المعاهدة الرسمية التي كانت في عهد «شوبيليو ليوما» رئيس «خيتا» العظيم، وكذلك المعاهدة الرسمية التي كانت في عهد «مواتالو»^{٨٨} رئيس «خيتا» العظيم والذي فإني أحافظ عليها — تأمل! فإن «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم يحافظ على السلم الذي تعلمه (?) معنا، كذلك منذ هذا اليوم، وسنعمل على حسب هذه السياسة المحكمة.

المتن الخيتي البابلي: تأمل! المرسوم الأبدي الذي أصدره «شماش» و«تشوب» لمصر وأرض «خيتا» للمهادنة والمؤاخاة، حتى لا تقوم مخاصمة بينهما. وتأمل! «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر يتسلمه لأجل أن يبرم صلحًا منذ هذا اليوم، وتأمل! إن «مصر» و«خيتا» في سلام وهما إخوة أبدًا.

الشروع في معاهدة دفاعية

المتن المصري: فإذا أتى عدو آخر لأراضي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، وأرسل إلى رئيس «خيتا» العظيم قائلًا: «تعالَ معي مساعدًا عليه»، فإن على رئيس «خيتا» العظيم أن يأتي إلي، وينبغي على رئيس «خيتا» العظيم أن يذبح عدوه، ولكن إذا لم يكن لرئيس «خيتا» العظيم رغبة في المجيء، فعليه أن يرسل خيالته ويذبح عدوه.

المتن الخيتي البابلي: وإذا أتى عدو آخر على أرض «خيتا» وأرسل إلي «خاتوسيل» ملك بلاد «خيتا» العظيم قائلًا: تعال إلي لمساعدتي عليه فعلى «رياماساسا ماي-أمانا» الملك العظيم ملك مصر أن يرسل جنوده وعرباته، ويجب أن يقتل عدوه ويعيد الثقة (?) إلى أرض «خيتا».

^{٨٨} المقصود هنا هو «مورسيلي».

العمل المتبادل الذي يُتخذ ضد الرعايا الثائرين

المتن المصري: أو إذا غضب «رعمسيس مري آمون» ملك مصر العظيم على خدم له، وارتكبوا جريمة أخرى ضده ثم ذهب لقتل عدوه، فإن رئيس «خيتا» العظيم يجب أن يعمل معه للقضاء على كل فرد سيغضبنا عليه.

المتن الخيتي البابلي: وإذا غضب «خاتوسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» على خدم له، وارتكبوا ذنباً ضده، وأرسل إلى «رياماساسا» الملك العظيم ملك مصر بهذا الخصوص، فإن جنود وعربات «رياماساسا ماي-أمانا» يجب أن ترسل في الحال وتقتضي على كل من أصبحت غاضباً عليه.

مادة متبادلة تقابل المادة ٦

المتن المصري: ولكن إذا أتى عدو آخر ضد ملك «خيتا» العظيم، فإن حاكم مصر العظيم «وسر ماعت رع ستبن رع» يجب أن يأتي إليه مساعداً لقتل عدوه (ولكن) إذا لم تكن رغبة «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم في أن يأتي فإنه ... «خيتا» (ويجب أن يرسل جنوده وخيالته)، هذا عدا إرسال رد لأرض «خيتا».

المتن الخيتي البابلي: (وإذا) أتى عدو آخر ضد مصر، وأرسل «رياماساسا ماي-أمانا» ملك مصر إلى أخيه «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» قائلاً: تعال تعال لمساعدتي عليه، فإنه على «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» أن يرسل في الحال جنوده وعرباته، وعليه أن يذبح عدوي.

مادة متبادلة تقابل المادة ٦

المتن المصري: ولكن إذا تعدى خدم رئيس «خيتا» العظيم عليه، و«رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم ...

المتن الخيتي البابلي: وإذا أصبح «رياماساسا» الملك العظيم ملك مصر غاضباً على خدام له ثم ارتكبوا إثماً ضده، وأرسل إلى «خاتوسيل» ملك «خيتا» أخي بخصوص ذلك فعندئذ يجب على «خاتوسيل» الملك العظيم أن يرسل لملك مصر جنوده وعرباته، وأن يقضي عليهم كلهم، وإني «سا ... (?)».

مادة خاصة بالوراثة

المتن الخيتي البابلي: (٤٠) وتأمل! إن ابن «خاتوسيل» ملك أرض «خيتا» (المعاهدة التي أبرمناها (؟) ...) (٤١) في قصر «خاتوسيل» والده بعد سنين ... (٤٢) ... أرض قد ارتكبوها جريمة ... (٤٣) ... عربات حيث كنت سأعود ... (٤٤) ... في أرض «خيتا» (؟) ...

المتن المصري: ... أرض «خيتا»، وأرض مصر ... (٢٠) ... الحياة على فرض إنني سأذهب إلى مصري، وبعد ذلك فإن «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم عائشًا أبدًا سيعمل؟ ... أتيا إلى أرض «خيتا» ... ليجعله يعمل (؟) ... (٢١) ... هم (؟) ليعملوه لأنفسهم ليسيطروا حتى يجعل «وسر ماعت رع ستبن رع» ملك مصر العظيم يصمت بغمه أبدًا، وبعد ... أرض «خيتا»، ويرجع (؟) لينصب رئيس «خيتا» العظيم وكذلك ...

تعليق: يلاحظ أنه عند هذه النقطة أصبح كل من المتنين مهتمًا حتى إن ما يفهم منهما لا يخرج عن الحدس والتخمين فحسب، ويظن الأثري «ميسنر Meissner» أن المتن البابلي يشترط أن يعترف «رعمسيس» بأن وارث «خاتوسيل» هو الابن الذي اختاره الأخير مدة حياته، وبرهن على ذلك باقتباس ما جاء في معاهدة عُقدت بين ملك «خيتا»، و«شوناشورا» ملك «كزواتنا». أما المتن المصري فإن الكلمات الحساسة فيه التي قد سيئ فهمها حتى الآن تميل للأخذ بهذا الرأي، وإن كان واضحًا أن كلاً من الروايتين يختلف عن الأخرى في التفسير اللفظي، وما تبقى من المتن المصري يمكّن الإنسان من الظن بأن «خاتوسيل» كان يفكر في حالة موته أن «خيتا» بلاده قد تنتخب حاكمًا لها لم يكن على حسب اختياره.

تسليم الفارين من المذبذبين العظماء

المتن المصري: إذا فرَّ رجل عظيم من أرض مصر، وجاء إلى أراضي رئيس «خيتا» العظيم، أو إلى بلد، أو مركز ... تابع لأراضي «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم، وأتى إلى رئيس «خيتا» العظيم، فعلى رئيس «خيتا» العظيم ألا يستقبله، بل يجعله يعاد إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم سيده بسبب ذلك — أي فراره.

ومن هذه النقطة في المعاهدة ليس لدينا إلا المتن المصري، غير أن التشابه بين ما جاء فيه، وما سبقه من المتون الخيتية ظاهر.

تسليم الفارين من صغار المذنبين

إذا فرَّ رجل أو رجلان غير معروفين (٢٣)، وأتوا إلى أرض «خيتا» ليكونوا عبيدًا لفرد آخر؛ فيجب ألا يقيموا في أرض «خيتا»، بل يجب أن يرسلوا إلى «رعمسيس مري آمون» حاكم مصر العظيم.

مادة متبادلة تقابل المادة الحادية عشرة

أو إذا هرب رجل من أرض «خيتا» وأتى إلى أراضي «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، أو إلى بلدة، أو مركز، أو (٢٤ ...) تابع لأرض خيتا، وأتوا إلى «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم، فعلى «وسر ماعت رع ستبن رع» — أي رعمسيس — حاكم مصر العظيم ألا يستقبلهم، بل عليه أن يجعلهم يرسلون إلى رئيس ... ويجب ألا يبقوا.

مادة متبادلة تقابل المادة الثانية عشرة

وكذلك إذا ذهب رجل أو رجلان ليسا بمعروفين إلى أرض مصر ليكونوا رعايا لآخرين، فعلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر ألا يتركهم، بل يجب عليه أن يأمر بإحضارهم إلى رئيس «خيتا» العظيم.

آلهة خيتا ومصر شهود في المعاهدة

وألفاظ المعاهدة التي أبرمها رئيس «خيتا» العظيم مع «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم كتابة على هذه اللوحة الفضية، قد شهد كلماتها معي عليها ألف إله من الذكور، وإلهات من الإناث من آلهة أرض مصر السامعين لهذه الكلمات — أي كلمات المعاهدة — وهم: «برع» رب السماء، و«برع» بلدة «أرينا»، و«ستخ» رب السماء، و«ستخ» رب «خيتا»، و«ستخ» رب «أرينا»، و«ستخ» إله بلدة «زبالاندا»، و«ستخ» إله بلدة «بتيارك»، و«ستخ» إله بلدة «جيشا شابا»، و«ستخ» إله بلدة «سارشا»، و«ستخ» إله بلدة «حلب»، و«ستخ» إله بلدة «لخزن»، و«ستخ» إله بلدة ... و«ستخ» إله بلدة ... و«ستخ» إله بلدة «سمس»؟ و«ستخ» إله بلدة «سبخن»، و«عشتارت» صاحبة أرض «خاتي»،

وإله «زيتخارياش»، وإله «كارزيش»؟ وإله «خابنتارياش»، وإلهة «كارخنا»، وإلهة بلدة «صور»، وإلهة ... وإلهة «زن» (?)، وإله «بنت» (?)، وإله ... وإله «خبت» (?)، ومملكة السماء، والآلهة أرباب القسم، وهذه الإلهة سيدة الأرض، وسيدة القسم «إسخارا»، وسيدة ... وجبال وأنهار أرض «خاتي»، وآلهة أرض «كزواتنا»، و«أمون»، و«برع»، و«ستخ»، والآلهة الذكور، والإلهات الإناث، وجبال مصر وأنهارها، والسماء والأرض، والبحر العظيم، والرياح والسحاب.

ومما تجدر ملاحظته في هذه المادة من المعاهدة، أن تفصيلها في مجموعه مصبوغ بالصبغة البابلية الخيتية، غير أن الكلمات الافتتاحية هنا نجد لها صورة معروفة في المعاهدات الخيتية، أما عن الآلهة الذين جاء ذكرهم هنا، فيلاحظ أن معظم المدن التي كانوا يعبدون فيها مهشمة أو مبهمة، وبخاصة الإلهة «ستخ» الذي يقابل عند الخيتيين الإله «تشب» رب السماء.

أما الإله «برع» رب السماء المصري، فيقابل «برع» ربة بلدة «إرنن»، وهي الإلهة الحامية لأرض «خيتا»، وبلدة «إرنن» موحدة ببلدة «أريناً» على نهر «ساروس» في «كبادوشيا» بأسيا الصغرى.

اللغات على الذين ينقضون هذا العهد والرحمات على الذين يحافظون عليه

أما الكلمات التي على هذه اللوحة الفضية الخاصة بأرض «خيتا»، وأرض «مصر»، فإن من لا يرعاها ينقض ألف إله من آلهة أرض «خيتا»، وألف إله من آلهة أرض مصر سيخرب بيته وخدمه، أما من يرعى هذه الكلمات التي على هذه اللوحة الفضية خيتيين أو مصريين، وكذلك من لا يهملها، فإن ألف إله من آلهة أرض «خيتا»، وألف من آلهة مصر سيجعلونه معافي، ويعيش مع بيوته، وأرضه، وخدمه.

العفو عن الأشخاص المذنبين الهاربين

إذا فرَّ رجل من أرض مصر، أو رجلان، أو ثلاثة رجال، وأتوا إلى رئيس «خيتا» العظيم، فإن رئيس «خيتا» العظيم ينبغي عليه أن يقبض عليهم، ويأمر بإعادتهم إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، أما الرجل الذي سيحضر إلى «رعمسيس» محبوب

«أمون» حاكم مصر العظيم؛ فيجب ألا تُوجه إليه جريمة، ولن يضارَّ في بيته، وزوجته، أو يقضى على أطفاله، ويجب ألا يُقتل، وألا يُضار في عينيه، أو أذنيه، أو فمه، أو ساقيه، ويجب ألا توجه أية جريمة إليه.

مادة متبادلة مع المادة السابعة عشرة

وكذلك إذا فرَّ رجل من أرض «خيتا»، أو اثنان، أو ثلاثة، وأتوا إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم، فعلى «رعمسيس» محبوب «أمون» أن يأمر بإرسالهم لرئيس «خيتا» العظيم، وعلى رئيس «خيتا» العظيم ألا يوجه إليهم تهمة جريمتهم، كما ينبغي ألا يقضى على بيته، وأزواجه، أو أطفاله، ويجب ألا يقتل ولا يضار في أذنيه، أو عينيه، أو فمه، أو ساقيه، ويجب ألا توجه أية جريمة نحوه.

وصف اللوحة الفضية

ما يوجد في وسط اللوحة الفضية على واجهتها الأمامية: منظر (?) يحتوي صورة الإله «ستخ» يضم صورة أمير «خيتا» العظيم محاطاً بمتن (?) جاء فيه: خاتم «ستخ» حاكم السماء، وخاتم المعاهدة التي أبرمت بين «خاتوسيل» رئيس «خيتا» العظيم القوي ابن «مورسيلي» رئيس «خيتا» العظيم القوي. أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بهذا المنظر فهو: «خاتم ستخ حاكم السماء»، وعلى الجانب الآخر: منظر يحتوي على صورة إلهة «ختي» تضم صورة رئيسة «خيتا» يحيط بها متن ينص: «خاتم «برع» ربة بلدة «أرينا» ربة الأرض، وخاتم «بودوخبا» رئيسة أرض «خيتا»، بنت أرض «كزواتنا» كاهنة بلدة (?) «أريناً» سيدة البلاد، خادمة الإلهة»، أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بالمنظر فهو «خاتم «برع» صاحب «أريناً» رب كل أرض».

التعليق: لا نزاع في أنه من الصعب على الإنسان أن يتصور منظر هذه اللوحة الفضية أمام عينيه، كما وصفها المترجم المصري. حقاً إن مخصص كلمة لوحة هو: شكل مستطيل به حلقة مستديرة يعلّق منها، غير أنه ليس من المؤكد لدينا أن هذا الرسم يمثل الصورة الحقيقية للوحة التي أرسلها «خاتوسيل» للفرعون «رعمسيس الثاني»، هذا على الرغم من أن اللوحات المسماة كانت دائماً مستطيلة الشكل، ولكن لا تمثل اللوحات المصنوعة من الآجر، ومع ذلك نستطيع أن نتصور أن المتن المسماة الذي كان يغطي وجهي اللوحة إلا وسطها كان يحتوي صورة خاتم يشهد بصحة الوثيقة.

والظاهر أن الكاتب المصري قد تورّط عندما صادفته كلمة «شمس»، وكذلك كلمة إله الشمس «رع»، وهو في المصرية مذكر في حين أن إلهة الشمس (أرينا) مؤنث في الديانة الخيتية؛ ولذلك نجده في هذا المتن يكتب «سيد كل أرض» بدلاً من «سيدة كل أرض»، ويلحظ أن ملكة «خيتا» قد اشتركت في توقيع هذه المعاهدة.

العلاقات التي بين الروايتين

يدل الفحص الدقيق على أن هذه المعاهدة في صورتها الأولى قد اتفق على موادها في بلدة «بوغازكوي» (خاتوشا) بالتشاور مع سفراء مصر هناك — على ما يظهر، وعندما تم الاتفاق على صورتها النهائية كُتبت على لوحة من الفضة، وأحضرت إلى مصر حيث وقّع «رعمسيس» بالموافقة عليها، وأعطى التعليمات للكتّاب البابليين بكتابة صورة منها باسمه هو، وهذه الصورة كانت تحوي بطبيعة الحال معظم الجمل التي في الأصل الخيتي، مع حذف الإشارات إلى «مواتالي» ملك «خيتا»، هذا بالإضافة إلى تغييرات بسيطة كان لا بد منها، وأخيراً نُقشت الصورة التي أُلُفت لـ «رعمسيس» بدورها على لوحة من الفضة، وخُتمت بخاتم الفرعون وأُرسلت إلى بلاد «خيتا»، وقد وُضع الأصل عند قدمي الإله «تشوب» إله بلاد «خيتا» في حين أن نسخاً أخرى لا بد أنها كُتبت على الأجر لتحفظ في السجلات الملكية، وهي التي عثر عليها الأثري «فنكلر».

وهذه النظرية التي ذكرناها هنا قد تُعد أحسن تفسير ممكن لتوضيح الرواية التي كُتبت بالخط المسماري، غير أنها مع ذلك لا تخرج عن مجرد نظرية وحسب. على أنه من جهة أخرى ليس لدينا أي ظل من الشك في أن اللوحتين اللتين عثر عليهما في معبد «الكرنك» و«الرمسيوم» يحوي كل منهما النص النهائي للمعاهدة التي قبلها «خاتوسيل».

والظاهر أن المادتين السابعة عشرة والثامنة عشرة، وهما الخاصتان بالعفو عن المجرمين السياسيين قد أُضيفتا بعد وضع صيغة المعاهدة النهائية، ومن الجائز أن يكونا قد وُضعا في اللوحة الفضية أولاً، ولكن ليس من الواضح لدينا أن الواضع لهما هو «خاتوسيل»، أو «رعمسيس الثاني».

ومما تجب الإشارة إليه هنا أن علماء الآثار والتاريخ لم يستنبطوا النتيجة الصحيحة عن الفقرات التي تشير إلى «مواتالي»، وهي فقرات كُتبت في المتن الخيتي كما برهنا على ذلك، وتدل شواهد الأحوال على أنها تحتوي على نوع من الخضوع من ناحية ملك «خيتا»،

والواقع أنه كانت توجد فكرة قبل ذلك تميل إلى القول بأن المصريين هم الذين خسروا الحروب مع «خاتوسيل»، ولكن البحوث التي وصلنا إليها تظهر أن «خاتوسيل» هو الذي سعى إلى الصلح، وأنه هو الذي نادى بإبرامه بين البلدين.

الموقف التاريخي لهذه المعاهدة

لقد انتهت الحروب التي نشبت بين «مصر»، وبلاد «خيتا» في عهد الملك «خاتوسيل»، وقد شن «رعمسيس الثاني» أول حرب سورية قام بها في السنة الرابعة، وفي السنة الخامسة حارب في موقعة «قادش» التي فاخر بها كثيراً على جدران معابده، وإن لم تكن في الوقت نفسه من المواقع الحاسمة، وكان قرنه فيها على ما يظهر ملك «خيتا» المسمى «مواتالي» ابن «مورسيلي»، والظاهر أن «مواتالي» بعد حروب أخرى مع «رعمسيس» قد مات حتف أنفه، يدل على ذلك أن التعبير الخيتي (أسرع إلى مصيره)، وهو الدال على الموت، قد أطلق على موت ملك «خيتا» هذا في المتن المصري كما جاء في المادة العاشرة من المعاهدة، وكذلك في المعاهدة التي أبرمها أخوه، وخلفه مع ملك الآموريين، وقد كان «خاتوسيل» في مناوشات في بادئ حكمه مع ملك مصر، يدل على ذلك إشارة جاءت في خطاب طويل كتبه «كادشمان أنليل» ملك «بابل» الكاسي،^{٨٩} وفي هذا الخطاب يدعي «خاتوسيل» أنه عقد معاهدة مع «كادشمان تورجو» (١٣٠٠-١٢٨٤ ق.م) والد «كادشمان أنليل»، وقد جاء فيه: «إن والدك وأنا قد أبرمنا معاهدة، وبها رجعنا إلى الإخاء، ولم نتحول عنها يوماً واحداً. ألم أبرم الإخاء والمخالفة إلى الأبد؟» وبعد ذلك يذكر الملك الكاسي كيف أنه على أثر موت والده كتب إلى أشرف البلاط مصرًا على الاعتراف بأن يكون «كادشمان أنليل» هو الملك. ولا شك في أن ذلك قد عمل وفاء لما جاء في معاهدة أخذ فيها كل من «كادشمان تورجو»، و«خاتوسيل» على نفسه أن يعترف بوارث العرش الشرعي الذي تم الاتفاق عليه بينهما. والمعاهدة التي أبرمت بين مملكتي «متني»، و«كزواتنا» فيها مادة مثل هذه أيضاً، وكذلك يظهر أن في المعاهدة المصرية بقايا كلمات تدل على مادة مشابهة لهذه المادة، ثم نجد أن ملك «خيتا» بعد ذلك يشكو من أن الآشوريين وقبيلة «أخلامو» الأرامية كانوا

^{٨٩} راجع: H. H. Figulia and E. F. Weidner Keilschrifttexte aus Boghazokoi Part I, (Leipzig)

يتدخلون في العلاقات السياسية بين «بابل»، و«خيتا»، وأنه يوبخ الملك «كادشمان إنليل» لحجز الرسل، وفتور الصداقة بينهما، ثم تأتي بعد ذلك إشارة هامة عن مصر:

... ورسول مصر الذي كتب بخصوصه أخي — أي كادشمان إنليل — (...)
الملك،) وقد أبرمت معاهدة وبها عدنا إلى الإخاء. «وكادشمان تورجو والدك»،
وإننا أبرمنا معاهدة سويًا، وبها عدنا إلى الإخاء ... وتحادثنا قائلين: إننا أخوان
قائلين: سنكونان مخاصمين لعدو يكون خصمًا مشتركًا لنا، ومع صديقنا
المشترك سنكون حقًا في سلام، وبعد أن كنت أنا وملك مصر متخاصمين سويًا
كتبت إلى والدك «كادشمان تورجو» قائلًا: إن ملك مصر في حرب معي، وعلى
ذلك كتب والدك قائلًا: إذا أتت جنود ملك مصر فعندئذ سأذهب معك، وسأتي
في وسط الجنود والعربات، ولما كان والدك مستعدًا للذهاب معي، فهكذا الآن
يا أخي، فإنك إذا طلبت إلى جنودك، فإنهم سيقولون لك دعنا نذهب بالجنود
والعربات، وحقًا قد تكلموا هكذا رغبة في الذهاب معي ... ولماذا أخذ (؟) عدوي
لأرض أخرى ... ذهب بخصوص مصر. وعندما كتب ... فإن عدوي لم يجعلها
تحضر، وأنا وملك مصر كنا غاضبين سويًا، وأنا ووالدك قد ذهبنا سويًا لنهب
عدوي (والآن ... فإن (؟) رسول) مصر قد قطع، وبعد أن كنت أنت يا أخي قد
كتبت بخصوص موضوع رسول ملك مصر، ومسألة الرسول^{٩٠} ...

وهذه الفقرة الممزقة لها أهمية عظمى لما جاء فيها من توافق زمني في تاريخ مصر
و«بابل» و«خيتا»، وقد ترجمت بطريقة جعلتها تشير إلى المعاهدة التي أبرمها «خاتوسيل»
مع مصر،^{٩١} غير أن القطعة التي كانت بالقرب من بداية آخر الاقتباس يُحب أن تصحح
لتشير لا إلى هذه المعاهدة، بل إلى المعاهدة التي أبرمت بين «خاتوسيل»، و«كادشمان
تورجو»، والواقع أن هذه الفقرة مثلها كمثل القطعة الأخرى التي نجدها في خطاب من
«خاتوسيل» إلى «كادشمان إنليل» تشير إلى حروب بين «خاتوسيل» و«رعمسيس الثاني»
في عهد «كادشمان تورجو» الذي ساعد ملك «خيتا» على حسب شروط المعاهدة التي كانت

^{٩٠} راجع: K. T. B. I, p. 37, 55-72.

^{٩١} راجع: Meissner, zur Geschichte Chattireiches p. 24.

مبرمة بينهما. وعندما كتب الخطاب الذي نحن بصدده الآن كان السلم سائداً بين «خيتا» و«مصر»؛ لأن «خاتوسيل»، و«كادشمان إنليل» كانا نائرين على قوم قطعوا المواصلات بين مصر وبابل، وهذا هو السبب الذي جعل ملك «خيتا» يلتجئ إلى ملك «بابل» لاحترام المعاهدة بشن حرب مشتركة على المشاغبين؛ أي على «الأشوريين»، أو على «الآراميين»، وهذا الموقف التاريخي يؤدي بنا إلى استنباطين هامين:

- (١) كان «خاتوسيل» في حرب مع «رعمسيس الثاني» قبل موت «كادشمان تورجو».
- (٢) أنه أعلن الصلح مع «رعمسيس» قبل موت «كادشمان تورجو».

وإذا أخذنا أقل التقديرات التاريخية الكاسية، وقرناها بالتواريخ المصرية المعتمدة للملك مصر وجدنا اختلافاً مقداره بضع سنين، فأقل تقدير لحكم الملك «كادشمان تورجو» هو ١٣٠٠-١٢٨٤ ق.م أما «كادشمان إنليل» فهو حوالي ١٢٨٣-١٢٧٨ ق.م.^{٩٢} ويؤرخ «برستد» هذه المعاهدة المصرية الخيتية (السنة الواحدة والعشرين من حكم «رعمسيس») بـ (١٢٧١ ق.م) في حين أن «إدورد مير» قد أرخها بسنة ١٢٧٩ ق.م وأرخ «برستد» موقعة «قادش» بعام ١٢٨٧ ق.م ويؤرخها «إدورد مير» ١٢٩٥ ق.م.

والتواريخ «الكاسية» لا يمكن أن تكون أقل من ذلك، وإذن يكون الحل الوحيد هو رفع نسبة التاريخ المصري قليلاً، فإذا جعلنا تاريخ المعاهدة عام ١٢٨٠ ق.م؛ أي تسع سنوات قبل التاريخ الذي وضعه «برستد»، فإن موقعة «قادش» تكون قد حصلت في عام ١٢٩٦ ق.م وتولية «رعمسيس الثاني» في عام ١٣٠١ ق.م وهذه التواريخ التي تقرب مما اتبعه «إدورد مير» تحل لنا معظم الصعوبات التاريخية. ونعلم من خطاب كتبه الملك «شوبيليووما» إلى «أمنحتب الرابع» (إخناتون) من بين خطابات «تل العمارنة» أن هذا الملك قد أبرم معاهدة مع «أمنحتب الثالث»، وهذا يسمح لنا أن نضع اقتراحاً لتواريخ هذا العصر بشيء من التأكد، وعلى حسب هذا الاقتراح يمكننا أن نفهم أن الفرعون الذي أبرم معه «مورسيلي» معاهدة لا يمكن أن يكون إلا الفرعون «حور محب»، وقد دلت البحوث الدقيقة في متون «بوغازكوي» على أنه لا توجد إشارة إلى معاهدة مصرية مع الملك «خاتوسيل»، وقد نشر حديثاً الأستاذ «ألبرخت جوتس» قطعة من خطاب جديد أرسله الفرعون «رعمسيس الثاني» إلى «خاتوسيل الثاني»، وقد بحث على ضوئه قطعة من

^{٩٢} راجع: Weidner Studien zur Assynisch-Babylonischen Chronologie.

خطاب آخر معروف منذ زمن بعيد، وهذا الخطاب الأخير قد أرسله «رعمسيس الثاني» إلى «خاتوسيل الثاني»، وقد أُرِّخ قبل تولي الأخير الملك بزمن قليل، والخطاب الأول فقد منه الجزء الذي يحتوي على المراسيم الدبلوماسية، غير أن ذكر اسم مصر وأسماء الأعلام الكثيرة التي نجدها في خطابات أخرى من مكاتبات «رعمسيس الثاني» تشعر بأنه متصل بهذه الرسالة، والظاهر أن مضمون هذا الخطاب هو أن «خاتوسيل» كان يشكو من أن «رعمسيس الثاني» لم يعامله معاملة الملوك، وقد أجابه «رعمسيس» بألقاب الملك. ويرى الأستاذ «جوتس» أن في ذلك إشارة إلى العقبات التي أدت إلى خلع الملك المسمى حتى الآن «أورخي تشوب»؛ وقد كان معروفًا فعلاً أن ملك «آشور» قد تردد في الاعتراف بهذا المغتصب، وبعد ذلك يتكلم عن رسل — وبخاصة عن طبيب مصري — إلى البلاط الخيتي.^{٩٣} ولدينا من جهة أخرى خطابات من «رعمسيس الثاني» ملك «ميرا»، وهي أرض مجهولة لنا قد تكون بلاد «ماير» القديمة Maer، ومضمون الخطاب أن ملك «ماير» قد وصله خبر عن سوء تفاهم حدث بين ملك مصر وملك «خيتا»، ولكن «رعمسيس الثاني» يعلن في صراحة أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة، ويؤكد احترامه للمعاهدة التي بين البلدين، وكذلك نعلم من هذه الوثيقة أن نص المعاهدة التي أرسلها «رعمسيس الثاني» إلى الملك «خاتوسيل» قد وُضعت تحت قدم الإله «تشوب»، في حين أن النص الذي أرسله «خاتوسيل» إلى «رعمسيس» قد وُضع تحت قدمي «شاماش»؛ أي «رع»، ومن المحتمل إذن أنه كانت قد جرت العادة أن توضع المعاهدات في معابد الآلهة الذين كانت تطلب إليهم الموافقة عليها. وكذلك لدينا إشارة أخرى لمعاهدة بين «خيتي» و«مصر» في خطاب أرسلته «نبترا»؛ أي «نفتاري» محبوبة الإلهة «موت»، زوج «رعمسيس الثاني» إلى ملكة «خيتا» (بودي خبا) تقول فيه:

إني في سلام وأرضي في سلام، وإني أتمنى لك يا أختي السلام، ولأرضك السلام، تأملي! إني أسمع أنك يا أختي قد كتبت إليّ تسأليني عن سلامتي، وأنتِ قد كتبت إليّ عن علاقة الود الطيب، وعن علاقة الإخاء الطيب الذي بين الملك العظيم ملك مصر وبين الملك العظيم ملك أرض «خيتا» أخيه، وإني أرجو أن يرفع رأسك «شاماش»، و«تشوب»، وأن يمنح «شاماش» السلام لتحل الطيبة، وأن يمنح

^{٩٣} راجع: Chronique D’Egypte 45-46 Avril 1948 p. 88.

إخاء طيباً بين الملك العظيم ملك مصر، وبين الملك العظيم ملك أرض «خيتا»
أخيه إلى الأبد.^{٩٤}

ومن هذا الخطاب نعلم جلياً أن المعاهدة التي أبرمت بين «رعمسيس الثاني»، والملك «خاتوسيل» في السنة الواحدة والعشرين كانت نهاية عهد مخاصمة، سواء أكانت ممثلة في حروب فعلية، أم في منازعات سياسية، وهذه الخصومات قد ظلت حتى بعد موقعة «قادش»، ولكن منذ السنة الواحدة والعشرين نجد أن السلام قد خيم على ربوع كل من «خيتا» ومصر، وقد أدت العلاقات الطيبة بينهما إلى زواج «رعمسيس الثاني» من بنت ملك «خيتا»، كما هو مدون على لوحة «بو سمبل»، ونسختها المؤرخة بالسنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون كما سنرى بعد.

(د) العلاقات بين مصر و«خيتا» بعد المعاهدة

عاش «رعمسيس الثاني» بعد عقد هذه المعاهدة مع ملك «خيتا» ما يربى على ست وأربعين سنة، كان السلام في أثنائها بين البلدين تاماً لم يعكر صفوه أي حادث أليم. هذا إلى أنه لم تجسر دولة أسيوية على منازلة «رعمسيس» بعد إبرام معاهدته مع «خيتا» القوية السلطان، العزيزة الجانب، والواقع أن «رعمسيس الثاني» كان يعد إبرام هذه المعاهدة من جانبه بمثابة نصر لمصر، ولذلك كان دائماً يشير بعد إبرامها في نقوشه إلى أنه قاهر بلاد «خيتا»، كما نشاهد ذلك حتى في القصيدة التي نقشها على جدران معبده كما ذكرنا ذلك من قبل، وعلى جدران معبد «بو سمبل» نقرأ بوجه خاص ما يأتي: «الذي صير أرض «خيتا» كأن لم تغن بالأمس، والذي جعل أرض «خيتا» تحجم عن المعارضة بفمها ... ضارب أرض «خيتا» ... ضارب أرض خيتا التي أصبحت أكداً من الموتى إلخ».^{٩٥} ونجد نفس هذه النغمة في النقوش التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» على مسلاته التي أقامها في «تانيس»؛ إذ جاء في إحداها: «أنه ساق رؤساء «رتنو» أسرى أحياء، وحطم أرض «خيتا».» وعلى مسلة أخرى يقول: «إنه اقتحم أرض «خيتا» هذه واستولى عليها

^{٩٤} راجع: K. T. B. No. 29.

^{٩٥} راجع: L. D. III, 195.

بشجاعة، وعمل مذبحاً عظمى بين أبطالها.^{٩٦} وعلى الرغم من هذه النغمة التي كانت عادة متبعة عند ملوك مصر في أثناء تحدثهم عن أي قوم حاربوهم، فإن أوامر السلام لم تنفك عراها بين البلدين. وتحدثنا النقوش التي وصلتنا حتى الآن عن العلاقات الودية التي بقيت مرعية بين البلدين نحو ست وأربعين سنة، وهي المدة الباقية من عهد «رعمسيس الثاني»، بل لقد ظلت تلك العلاقات السلمية حتى في عهد خلفه وابنه «مرنبتاح»؛ ولدينا وثائق عدة تحدثنا عن هذه العلاقات، أو تشير إليها في أثناء سرد ما تحتويه من حوادث وأخبار لها في ذاتها أهمية في كشف النقاب عن أحوال هذا العصر من الوجهة الدينية، والاجتماعية، والهندسية؛ ولذلك نجد لزماً علينا أن نسرد هنا بعض تلك الوثائق التاريخية عن هذا العصر الذي كانت تترفع عليه أجنحة السلام، وتنعم فيه البلاد بالرخاء والثروة الوفيرة، ومن أهم هذه الوثائق اللوحة المعروفة باسم «بركات بتاح»، فاستمع لما جاء فيها من وصف رائع لحالة مصر وقتئذ.

قصيدة «بركات بتاح»^{٩٧}

السنة الخامسة والثلاثون، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الثالث عشر في عهد جلالة «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

مقدمة: خطاب «بتاح تاتنن» صاحب الريشتين العاليتين، والمتأهب بقرنيه، ومنجب الآلهة لابنه ومحوبه وبكره من صلبه، الإله المقدس، ملك الآلهة، العظيم الأعياد الثلاثينية الملكية مثل «تاتنن» الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

خطاب «بتاح» وولادة «رعمسيس»: إني والدك الذي أنجبك مثل الآلهة، فكل أعضاءك أعضاء آلهة، ولقد تشكلت في صورة الكبش سيد «مديس» (تل الربع الحالي)، ووضعتك

^{٩٦} راجع: Petrie. Tanis I, VII, No. 45 & VIII, No. 49.

^{٩٧} هذه الوثيقة منقوشة على لوحة عظيمة في القاعة الأولى من معبد «بو سمبل» (راجع Naville Trans. S. B. A. VII, 119 ff. & L. D, III, 194)، وقد انتحلها فيما بعد «رعمسيس الثالث»، ونقشها على البوابة الأولى من معبده بمدينة هابو (Br. A. r. III, 394 ff.) مع بعض تغييرات تتفق مع الأحوال التي قيلت بسببها. الترجمة هنا مقتبسة من النصين معاً؛ لأن النص القديم غامض في بعض النقاط. Dumichen Historische insch. I, 7-10; & De Rougé Inscip Hierog II, 131 ff.

في فرج أمك الفاخرة منذ أن عرفت أنك ستكون حامياً لي، وإنك ستقوم حقاً بعمل أشياء مفيدة لحضرتي، ولقد سويتك لتشرق مثل «رع» (الشمس)، ورفعتك أمام الآلهة يأيها الملك، يا «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، ورفيقات «بتاح» هن منشأتك، والإلهات اللائي ساعدت في وضعك (مسختن) يمرحن في السرور منذ أن رأوك صورة من جسمي الفاخر القوي؛ أي إنه عندما يرون «رعمسيس» كأنهم يرون «بتاح»، وكاهنات بيت «بتاح»، والإلهات «حتحور» في بيت «آتوم» في عيد وقلوبهن في حبور، وأكفهن مرفوعة بالتصفيق منذ أن رأين صورتك الجميلة، ولطفك مثل لطف جلاتي، والآلهة والإلهات يهللون لجمالك مادحين ومقدمين لي الثناء قائلين: إنك والدنا الفاخر الذي سويت لنا إلهاً مثلك وهو «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

الإله «بتاح» يعد الفرعون منحة السعادة: وعندما أشاهدك يفرح قلبي، وأستقبلك بضمّة ذهبية، وإني أحيطك بالبقاء والثبات والرضى، وإني أمنحك الصحة وفرح القلب، وإني أغمسك في الابتهاج والفرح، وسرور القلب، والحبور أبداً.

«بتاح» يعد «رعمسيس» الحكمة: إني أجعل قلبك قدسياً مثلي؛ وإني أنتخبك، وإني أزنك، وإني أعدك ليستطيع قلبك التبصر، وليكون نطقك مفيداً، ولا يوجد شيء مهما كان لا تعرفه؛ لأنني قد أتممتك هذا اليوم، ومن قبل حتى تستطيع أن تجعل كل الناس تعيش من معرفتك يأيها الملك، يا «رعمسيس الثاني» معطي الحياة.

«بتاح» يعد «رعمسيس» القوة: لقد مكنتك ملكاً مخلصاً وحاكماً مثبّتاً أبداً، وصنعت أطرافك من السام، وعظمتك من النحاس، وأعضاءك من الحديد، وإني منحتك الوظيفة المقدسة لتستطيع أن تحكم الأرضين بمثابة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بمثابة مملكته).

الإله «بتاح» يعد «رعمسيس» ثروة زراعية: إني أمنحك نبلاً عظيماً، وأجري على الأرضين من أجلك ثروة ومحصولاً، وطعاماً، وطرائف، وأبذل الرخاء في أي مكان تطوّه، وإني أمنحك حصاداً دائماً لتغذي الأرضين، وحزم قمح (في رواية أخرى الحبوب)، ومخازن غلالها تناهض السماء (في علوها)، وعرم حبوبها مثل الجبال، والفرح والحبور يعمّان عند رؤيتك؛ لأن وفرة السمك والدواجن تحت قدميك، والجنوب والشمال راضون بحضرتك، والسماء وما فيها قد أعطيتها، والأرض قد سيقت إليك بما فيها، والبرك تأتي إليك حاملة دواجنها، والإلهة «سخت حر» (مرضعة أولاد حور) تحمل مؤنثتها وهي

أحسن طعام «رع»، وقد وضعها «تحت» على كل جانب من جانبيك حتى تستطيع أن تفتح فمك لتغني من تحب بقدر ما أنت «ختوم» الحي، وأملاكك في ظفر، وقوتك مثل قوة «رع» عندما كان يحكم الأرضين، يأيها الملك «رعسيس الثاني» معطي الحياة.

«بتاح» يعد ثروة معدنية وصناعية: إني أجعل الجبال تصور لك آثارًا عظيمة ضخمة تامة، وأجعل الممالك تسوي لك كل حجر فاخر ثمين لتستعمله في الآثار باسمك، وأجعل كل الأعمال مثمرة لك، وأجعل كل الصناع في خدمتك: من كل من يمشي على ساقين، أو على أربع، ومن كل ما يطير، ومن كل ما يحلق في الجو، وأضع في قلب كل بلاد أن يتقرب أهلها إليك، وأن يعملوا لك بأنفسهم، والرؤساء والعظماء والصغار يعملون متحدين أشياء مفيدة لحضرتك يا «رعسيس الثاني» معطي الحياة.

المدينة التي اتخذها رعسيس مقرًا له ومبانيها: لقد أقمت مقرًا فخماً لتجعل حدود الأرضين متينة، وسميتها بيت «رعسيس محبوب آمون» معطي الحياة حتى تنمو على الأرض مثل عمد السماء الأربعة ... ملكًا فيها حتى تقيم الأعياد الثلاثينية الملكية التي احتفلت بها فيها، وإني أتوجك بيدي عندما تظهر على السلم العظيم المزدوج، والناس والآلهة يهللون باسمك مثلما يهللون باسمي عندما تحتفل بالأعياد الثلاثينية الملكية، وإنك تحت التماثيل، وتقيم أماكنها المقدسة مثل ما فعلت في الأزل.

«بتاح» يعد الفرعون حياة طويلة وفلاحًا: إني أمنحك سنين أعيادًا ثلاثينية، وكذلك أمنحك حكمي، ومكانتي، وعرشي، وإني أجزل الحياة لأعضائك، والرضى والحماية خلفك، وكذلك الفلاح والصحة، وإني أحمي مصر تحت سلطانك، والأرضين تملؤهما الحياة الرضية التي يتمتع بها «رعسيس» معطي الحياة.

«بتاح» يعد «رعسيس» القوة: لقد مكنت لك القوة والنصر، وبطش سيفك في كل أرض، وغللت لك قلوب كل الأراضي (أراضي الآسيويين)، ووضعتهم تحت قدميك، وعندما تشرق كل يوم يحضر إليك أسرى الأقواس التسعة، والرؤساء العظام في كل البلاد يقدمون لك أطفالهم، وإني أهب سيفك البتار إياهم لتتصرف فيهم كيف تشاء، يأيها الملك، يا «رعسيس» معطي الحياة، ولقد وضعت الرعب منك في كل قلب، وحبك في كل جسم، ومكنت سلطانك في كل مملكة، والخوف منك يحيط بالجبال، والرؤساء يرتعدون عند ذكرك، وإن جلالتك تفلح على الدوام بوصفك رئيسهم، وإنهم يأتون إليك صائحين معًا يرجون السلام منك، وإنك تترك من تريد ليحيى، وتذبح من تشاء ... تأمل! إن عرش كل أرض تحت سلطانك.

«بتاح» رب نعمة «رعمسيس»: «وإني أجعل معجزاتك العظيمة تحدث، وكذلك كل شيء طيب يصيبك، والأرضان اللتان تحت إدارتك في ابتهاج، ومصر تسعد فرحة يا «رعمسيس» معطي الحياة، وإني نقلت عزتي إليك، وسموك العظيم المدهش يصل إلى عنان السماء، والأرضان في حبور، ومن فيهما يبتهجون بما حدث لك، أما الجبال والمياه والمباني التي على الأرض تتحرك ثانية عند اسمك الطيب (المظفر) عندما يشاهدون هذا الأمر.

زيارة الخيتين لأرض مصر: قد جعلت أرض «خيتا» رعايا قصرك، وقد وضعت في قلوبهم أن يقدموا أنفسهم لحضرتك بخطوات خائفة، حاملين جزيتهم التي استولى عليها رؤسائهم، وكل متاعهم جزية لشهرة جلالته — له الحياة والفلاح والصحة، وبكر بناته قد سارت في المقدمة لتسر قلب رب الأرضين الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، وإنها لأعجوبة غامضة؛ فهي لا تعرف الأمر الممتاز الذي علمته على حسب رغبتك، حتى يكون اسمك العظيم سامياً أبداً، وإن نجاح البطل المظفر سر عظيم يصل من أجله، ولم يسمع به منذ زمن الآلهة، والوثائق السرية كانت في بيت الصحف منذ زمن «رع» حتى عهد جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — ولكن علاقة «خيتا» بمصر متحدتين لم تكن معلومة من قبل. تأمل! لقد صدر الأمر الكريم بقتلهم تحت قدميك ليجعل اسمك باقياً أبداً، يأيها الملك «رعمسيس الثاني».

جواب «رعمسيس» للإله تاتن: نطق الملك المقدس رب الأرضين السيد من صورته مثل «خيري»، ومن في أعضائه «رع»، والذي خرج من «رع»، ومن أنجبه «بتاح تاتن»، الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة لوالده، والذي خرج من صلبه، «تاتن» والد الآلهة: «إني ابنك الذي أجلسه على العرش، لقد منحنتي مملكتك وخلقتني في صورتك وهيبتك التي أعطيتها وسويتها، وإني سأعمل ثانية كل شيء جميل ترغب فيه حينما أكون السيد الفرد كما كنت لأجل أن أضع أمور البلاد في نصابها، ولقد خلقت لك مصر من جديد، وقد جعلتها كما كانت في البداية، وصنعت أشكال الآلهة من أعضائك حتى لونها وأجسامهم، وجهزت مصر على حسب رغبتهم، وقد شيدتها بالمعابد.»

إقامة معبد «منف»: لقد وسعت بيت «منف»، وجعلته محمياً بالأعمال المخددة، والصناعة الممتازة بالحجر المغشى بالذهب، والأحجار الكريمة الأصلية، وبنيت الردهة الأمامية الواقعة في الشمال بواجهة فخمة مزدوجة أمامك، وباباها مثل أفق السماء؛ مما جعل جميع الناس حتى الأجانب يمدحونك، وقد أقمت لك معبداً فاخراً في وسط

السياج، وأنت يأيها الإله الذي شكلته، إنك في مقصورته السرية — أي المعبد — جالسًا على عرشها العظيم في قدس الأقداس.

أوقاف معبد «منف»: وإنه مجهز بالكهنة المطهرين، وبالكهنة خدام الإله، وبالعبيد الفلاحين، وبالأرض وبالماشية، وأصبح في عيد القربان الإلهية التي يخطئها العد، والتي تشمل كل الأشياء الطيبة، وإني حفلت بأعيادك الثلاثينية الملكية العظيمة كما أمرتني به، وكل الأشياء الموجودة قد أتى بها إليك قربات عظيمة كما ترغب من ثيران وماشية لا تُحصى، وقد أحضرت كل عددهم بالملايين، أما الشحم المستخرج منها فقد وصل إلى عنان السماء، وتسلمه أهل السماء.

الفتوح الخارجية: لقد جعلت كل أرض ترى جمالك في الآثار التي أقمته لك، وإني وسمت أهل الأقواس وكل البلاد باسمك، فهم ملك حضرتك أبدًا؛ لأنك أنت خالقهم بأمر ابنك هذا الذي على عرشك يا سيد الآلهة والناس، الملك المحتفل بالأعياد الثلاثينية مثلك عندما تحمل الصاجتين، ابن التاج الأبيض، ووارث التاج الأحمر، ومالك الأرضين في سلام «رعمسيس الثاني» معطي الحياة مخلصًا وسرمديًا.

مغزى هذه الوثيقة

هذه اللوحة نُقشت على جدران القاعة الأولى من جدران معبد «بو سمبل»، ويشاهد في أعلاها صورة تمثل «رعمسيس الثاني» يضرب ثلاثة من الأسويين الأعداء أمام الإله «بتاح تاتنن» الذي كان يقود أمامه ستة من الأسرى، واحد منهم أسود، والآخرين ذوو لحى، ومن أسمائهم نعلم أنهم لا بد كانوا من السود أيضًا.

وعلى الرغم من الطابع الديني الذي ظهرت به هذه الوثيقة فإنها تمدنا بمعلومات تاريخية واجتماعية عظيمة، تكشف النقاب عن نقط هامة في تاريخ هذا الفرعون، بل في استطاعتنا أن نعددها ملخصًا لكل أعماله التي قام بها بعد تولية الملك، وهي تلك الأعمال التي أوضحها لنا في نقشه العظيم الذي تركه على جدران معبد «العرابة المدفونة»، وقد سبق تفصيل القول فيه.

وأول ما يلفت النظر هنا أن هذه اللوحة لم تكن مقدمة لأحد الآلهة الذين يسكنون في الجهة التي أقيم المعبد فيها الذي نقشت اللوحة على جدرانه، بل أهديت للإله «بتاح تاتنن» رب «منف» وأعظم آلهتها، ولا غرابة في ذلك فإن «رعمسيس» وأسرتة كانوا من

أهل الدلتا التي كانت عاصمتها «منف» منذ القدم، وبقيت صاحبة نفوذ وسلطان في كل عصور التاريخ المصرية. ولقد أهدى «رعمسيس» لهذا الإله تلك اللوحة لأنه ناصره، وعززه على أقوام الشمال في آسيا المجاورين لهذا الإله العظيم؛ لأنه ابنه، إذ قد تمثل «الإله بتاح» لأمه في صورة كبش «منديس»، ووضع فيها بذرتة، ومثله في ذلك مثل بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة «حتشبسوت»، و«أمنحتب الثالث» اللذين تمثلن لأميهما الإله «آمون» في صورة الملك، ووضع بذرتة فيهما؛ من أجل ذلك نجد أن الإله «بتاح» قد ناصر «رعمسيس الثاني»، وعني بتربيته وثقافته عناية بالغة، فوهبه السعادة والصحة في الحياة الدنيا، كما نفخ فيه من روحه، وجعل قلبه قدسيًا مثل قلبه، ثم أعطاه القوة، ومكّن له في الأرض، وجعله ملكًا على العباد، وأسعد البلاد التي كان يحكمها، فجعل النيل يفيض على مصر الخصب والنماء حتى أصبحت غلات البلاد وفيرة كرمال الشاطئ، وصارت مخازن الغلال تناطح السماء في علوها، وأكوام القمح كالجبال الشامخات، كما جعل له من الماء لحمًا طريًا، ومن طيور السماء لحمًا شهياً تفيض بهما البلاد من بين أيديهم، ومن تحت أرجلهم، وكذلك منحه السماء وما فيها، وأتت إليه الأرض طائعة بما تخرج من بطنها، فبرك الماء تجود بطيورها، والإلهة «سخت حور» رمز الغذاء تحمل له كل مؤنّها، وهو الذي جعل الجبال الراسيات تخرج له الأحجار التي يشيد بها آثاره العظيمة، كما جعل كل البلاد تصنع له الأحجار الغالية اللازمة لآثاره، وكذلك أوحى لكل ما يمشي على اثنين وعلى أربع، وكل ما يطير، وكل ما يخلق ليكون في خدمته، كما أوحى في نفوس كل البلاد أن يعمل أهلها، ويقدموا له القربان؛ وفضلًا عن ذلك شيد له مقرًا للحكم ليحمي حدود الأرضين وسماه «بررعمسيس» معطي الحياة، وهي العاصمة الجديدة التي أقامها في الجزء الشمالي من ممتلكاته ليكون بعيدًا عن نفوذ رجال الدين في «طيبة»، وقريبًا من البلاد التي استردها لمصر في آسيا، وتدل كل المعلومات التي وصلت إلينا حتى الآن على أنها في أغلب الظن «قنتير» الحالية كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، هذا إلى أن «بتاح» قد وعد ابنه حياة طويلة وفلاحًا عظيمًا على الأرض، وقوة جبارة، وسيفًا بتارًا يهزم به الأعداء، حتى أصبحت كل الممالك التي فتحها طوع بنانه، ورهن إشارته، يضاف إلى ذلك أنه قد سلمه كل عزته وكرامته وسلطانه، حتى إن الجبال والمياه، وما على الأرض من مبانٍ كانت تسير إليه عندما يصدر أمره بذلك.

وأعظم من ذلك أن جعل هذا الإله ملك «خيتا»، وبلاده من رعايا قصره يأتون إليه بالهدايا، وهم يتوجسون خيفة، كما حمل إليه ملك هذه البلاد كبرى بناته معه لتكون

زوجه لهذا الفرعون العظيم، وبعد أن سرد الإله «بتاح» كل هذه النعم التي أنعم بها على ابنه الذي أنجبه من صلبه أجابه هذا الفرعون معترفًا بأنه ابنه، وأنه هو الذي وضعه على عرش الملك، وأنه قد خلقه صورة ناطقة منه، وأنه في مقابل ذلك سيفعل كل ما يرغب فيه هذا الإله. وهنا يشير «رعمسيس» إلى أنه خلق له مصر من جديد، وجعلها كما كانت من قبل، وربما يشير بذلك إلى العهد الذي كانت عليه قبل الفوضى الذي أحدثها «إخاتون» وشيعته، فأعاد بذلك تماثيل الآلهة كما كانت عليه من قبل حتى ألوانها وأجسامها، وأمد البلاد بما يلزمها، وأقام فيها المعابد. ومن أهم ما لفت نظره في هذه الناحية توسيع معبد «بتاح» بـ «منف»، وتزيينه بكل النفائس، كما أقام له معبدًا في وسط سور المعبد الكبير، ونحت له تماثلاً وضعه في قدس الأقداس على عرشه العظيم، ثم أجزل لمعبده العطاء، فحبس عليه الأوقاف، وأمده بالكهنة من كل صنف، واحتفل بأعياد ثلاثينية كما أمر هذا الإله، أما القرابين التي كانت تقرب إلى «بتاح» فكانت من البقر والماشية التي تُحصى بالملايين. وفي نهاية المطاف نجد «رعمسيس الثاني» يظهر اعترافه بالجميل للإله لما حباه به من نصر على البلاد الأجنبية؛ إذ جعلهم يشاهدون ما أقامه لهم من آثار عظيمة، هذا إلى أنه قد وسم قوم الأقواس التسعة وكل الأرض باسمه؛ لأنهم ملكه، وهو خالقهم، وذلك بأمر منه. ومن هذه النظرة العجلى التي تكشف لنا القناع عن سلطان «رعمسيس» في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه، نعلم أن البلاد كانت في رخاء، وأنها تتمتع بأحسن نعمة، وهي نعمة السلام الذي كان ناشراً ألويته على ربوع البلاد كلها، وبخاصة مع بلاد «خيتا» التي كان «رعمسيس» على ما يظهر صاحب مكانة عند عاھلها الذي سعى إليه، ومعه كبرى بناته لتكون من بين زوجاته، وقد خص الفرعون هذا الحادث الذي كان يعد في نظره أمراً جلاً بنقوش تحدّثنا عن هذا الزواج، وعلاقاته بملك «خيتا» الذي أصبحت بلاده حاجزاً بين مصر والبلاد المتمدينة الأخرى التي قد تهدد مصر من جهة حدودها الشمالية؛ لأن «خيتا» كانت مسلحة تسليحاً قوياً يمكنها من الوقوف في طريق المغيرين، ومن ثم كانت سدّاً منيعاً تقف أمامه قوى العدو إذا أراد أن ينفذ منها إلى أرض الكنانة. وفي الحق كان العاهلان المصري والخيتي يحافظان كل المحافظة على المعاهدة التي أبرمت بينهما، وقد كان من أكبر علامات الود والمصافاة بينهما وحسن النية زيارة ملك «خيتا» لفرعون مصر «رعمسيس الثاني» عند تولية عرش الملك، وحمله الهدايا إليه على ما يظهر مما سنتكلم عنه بعد، ثم زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة عاهل «خيتا» «خاتوسيل»؛ مما زاد في رابطة الود بين البلدين، بعد أن قامت بينهما حروب طاحنة



شكل ٩: ملك خيتا وابنته أمام رعمسيس الثاني.

فصلنا فيها القول، وقد كان الفرعون بوجه خاص فخورًا بهذا الزواج؛ ولذلك ترك لنا وثيقة ساذجة في وصفها، وقد نقشها على الجدار الجنوبي من ردهة معبد «بو سميل»، وغيره كما سيأتي. وقد بدأها «رعمسيس» بعبارات التفاخر، وما طبع عليه من شجاعة، وما قام به من أعمال البطولة، والخوف الذي بعثته انتصاراته في أرجاء العالم، وتسابق ولايات سوريا لقضاء مآربه، وما ذكره من أن أمير «خيتا» كان يرسل إليه هدايا فاخرة في كل فرصة ممكنة.

ولما لم يكن لديه وسيلة أخرى للتقرب منه، والتحبب إليه، خاطب عظماء رجال بلاطه مذكرًا إياهم بأن بلادهم كانت قد اجتاحت بالحروب، وأن إلههم «ستخ» قد حاربهم، وأنهم قد تخلصوا من شرورهم ومصائبهم بلين جانب شمس مصر ورحمته، وبعد ذلك قال لهم ملك «خيتا»: «فلنأخذ متاعنا، ونضع كبرى بناتي على رأسه، ثم نذهب إلى بلاد ذلك الإله العظيم حتى يعترف بوجودنا.» والواقع أنه فعل ما اقترحه، وذهب رسوله بالهدايا من الذهب والفضة والخيل المسومة، وحاشية من الجنود، وكذلك ساق معه الماشية، وحمل المؤن لطعامهم على الطريق، وعندما وصل «خارو» (بلاد سوريا) كتب الحاكم هناك في الحال للفرعون قائلاً: «إن أمير «خيتا» ومعه وفد قد حضروا ومعهم كبرى بناته، وعدد من الهدايا من كل نوع، وأن هذه الأميرة قد وصلت ومعها رئيس كل بلاد «خيتا» إلى تخوم جلالتك بعد أن قطعا الجبال العديدة، وقاسيا رحلة شاقة من بلاد نائية، ونحن في انتظار التعاليم التي ستتبع معهما.» وقد كان الفرعون عندما وصلت هذه الأخبار في عاصمة ملكه «بررعمسيس». فلما ألقيت على مسامعه أعلن سروره رسمياً؛ لأنه لم يسمع

من قبل في تاريخ البلاد أن أميرًا عظيم الشأن قوي السلطان مثل ملك «خيتا» يحمّل نفسه هذه المتاعب الجسيمة، ويأتي مصر ليزوج ابنته من حليف له. وعلى أثر ذلك أرسل الفرعون أمراء قومه، ومعهم جيش لاستقباله، غير أنه كان حريصًا طوال هذه المدة على إخفاء قلقه، وكما جرت العادة استشار ربه «ستخ» على مألوف العادة، فسأله عن القوم الذين أتوا برسالة في هذا الوقت لأرض «زاهي»؟ وقد طمأنه الوحي الإلهي على مقاصدهم، فأسرع في الاستعداد لمقابلتهم كما يجب، ودخل الوفد بفخامة وعظمة مقر ملك «رعمسيس»، وعلى رأسه الأميرة، وفي ركابها الجنود المصريون الذين أرسلوا لهذا الغرض، ومعهم مشاة «خيتا» وفرسانهم الذين كانوا يؤلفون نخبة جيش هذه البلاد، وقد أقام الفرعون حفلًا مهيبًا تكريمًا لهم؛ مقدمًا فيه الطعام والشراب بسخاء مصري، وفي نهايته عقدت مراسم الزواج على الأميرة من «رعمسيس الثاني» في حضرة عظماء القوم، وأمراء كل الأرض.

ولما كان «رعمسيس الثاني» لا يريد أن يضع أميرة من أصل رفيع مع حظياته العاديات، فإنه خلع عليها لقب ملكة كأنها من دم شمسي؛ أي بنت الإله رع، ووضع اسمها في طغراء، وأطلق عليها اسم «مات نفرو رع»؛ أي التي ترى جمال «رع»، وقد احتلت منذ تلك اللحظة في الأحفال وعلى الآثار المكانة التي كانت تحتلها نسوة الفرعون اللائي من دم ملكي طاهر، ومن الجائز أن هذا الشرف العظيم الذي انفردت به على غير المألوف قد جعل هذه الأميرة الغضة الإهاب تتجاوز عن ارتفاع سن «رعمسيس» عندما تأهل بها؛ إذ كان في هذا الوقت يربى على الستين من عمره. هذا هو ملخص هذه الوثيقة التي وصلتنا ممزقة بعض الشيء.

لوحة زواج «رعمسيس الثاني» (A. S. XXV, p. 181-228)

وقد عُثر على عدة نسخ من لوحة زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة ملك «خيتا»، وهي:

(١) لوحة «بو سمبل»، وقد نُقشت على الجدار الخارجي للمعبد.^{٩٨}

(٢) لوحة «إلفنتين».^{٩٩}

^{٩٨} راجع: L. D. III, p. 196; Rec. Trav. XVIII, p. 160-166.

^{٩٩} راجع: A. S. XXV, p. 182.

(٣) لوحة «الكرنك». ١٠٠

وقد جمع الأثري «كونز» كل هذه النسخ التي يكمل بعضها بعضاً إلى حد ما، وكتب عنها، وهاك ما جاء في هذه الوثيقة:

في أعلى اللوحة يشاهد ملك «خيتا»، وكبرى بناته في حضرة الفرعون، وأمّام ابنة ملك «خيتا» الكلمات التالية:

لقب أميرة «خيتا»: الزوجة الملكية العظيمة «مات نفرو رع» بنت رئيس «خيتا» العظيم.

خطاب رئيس «خيتا» العظيم: لقد أتيت إليك، وإني أعبد جمالك ... وإنك حقاً محبوب «ستخ»، وإنه قد جعل أرض «خيتا» من نصيبك، ولقد جردت من كل أملاكي، وكبرى بناتي على رأسها لأقدمها لوجهك البهي، فهل تتعطف أن تظل عند موقف قدمك أبد الأبدين، وكذلك بلاد «خيتا» قاطبة؟ ومع ذلك فإنك تظهر على عرش «رع»، وكل الممالك تحت قدميك أبداً.

تاريخ اللوحة ومديح الفرعون: السنة الرابعة والثلاثون في عهد جلالة الصقر، الثور القوي محبوب «ماعت»، سيد الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتن»؛ المنسوب للإلهتين، حامي مصر، وقاهر البلاد الأجنبية، محبوب «رع»، والد الآلهة، ومؤسس القطرين، الصقر، قاهر «ست»، الغني بالسنين، العظيم الانتصارات، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسيد القطرين، المسمى «قوية عدالة رع»، والمنتخب من «رع» ابن الشمس، سيد الإشراف، محبوب «آمون»، وإن «رع» هو الذي خلقه (رعمسيس) معطي الحياة، وهو الذي فتح كل البلاد بشجاعته وقوته، ومن تذكر الأقطار القصى انتصاراته، ومن خوفه في كل القلوب أبداً، «رعمسيس» رب مصر وسيد الصحراء، عاهل الأرضين مثل «آتوم»، وسور من الظران حول مصر، وبطل مشاته، وحامي خيالته، وحمى البلاد، و«بعل مصر»، ومانحها النصر على كل البلاد الأخرى، جميل الوجه عندما يرتدي التاج الأزرق، فائق الوجه عندما

يلبس تاجي الوجه القبلي والوجه البحري؛ لأنه جمع المملكتين في سلام مثل والده «حورتنن»، وقد أجلسه «رع» على عرشه ليحمي هذه المملكة على حسب رغبته، ومن اسمه عظيم، ومن ألقابه فاخرة، ولا يوجد إله مثله، ومن كلامه مختار، ومن أفكاره مستحبة، ومن قلبه يقظ، ومن يحكم الأرض بقراراته: «رعمسيس».

المديح الثاني: وهنا يبتدئ هذا الأثر الذي لا يفنى، والذي مآله هو تعظيم قوة رب الساعد، وتفضيم شجاعته، والافتخار بشدة بأسه، وهو الأثر الذي يذكر بالمعجزات العظيمة الخفية التي وقعت لرب الأرضين، وأنه «رع» في شخصه أكثر من كل الآلهة، وهو الذي على أثر وضعه في عالم الوجود كان من نصيبه الشجاعة: «رعمسيس».

وهو ملك يقظ، وفرعون شجاع، ابن «ست»، ومحبوب «منتو»، ونجم الأرض، وقمر مصر، وشمس الدنيا، معطيهم النور، وقرص الشمس، المضيء للناس، ومن النظر إليه يجعلهم يحيون، ومن عدد سنه مرتفعة، ومن حكمه عظيم، ومن أعياده الثلاثينية فخمة، وأعاجيبه عديدة، ومن خيره يفيض على الأرضين، وثروته تفيض على الصعيد والدلتا، فالمئونة في يديه، والخير العميم تحت قدميه، والمأكولات موضوعة تحت نعليه، ومن اسمه عزيز في قلوب الآلهة، ومن يحبه الناس حباً عميقاً، وإنهم يفرحون عندما يرونه كما يرون «رع» عندما يشرق في الأفق: «رعمسيس».

ومن عرشه ثابت، ومن ... مبدل، ومن حكمه ... بسرور، ومن اسمه بارز، وإنه يصل إلى السماء مثل «رع» في أعماله الأولى، ومن قراراته كاملة، وتعليماته ثابتة ... شجاع ...: «رعمسيس»؛ وجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — ملك الأقواس التسعة، السيد العظيم لكل الممالك، وإن السماء أغلقت، والأرض زلزلت عندما استولى على مملكة «رع»، وإنه استولى على تيجان «آتوم» مع صل سيد الكون على رأسه، واجتمع على شخصه رمز السيدين «حور»، و«وست»، وسلطانهما وملكهما في متناوله، وقد فتح الجنوب والشمال، والغرب والشرق يحنيان رأسيهما، وإنه البذرة المقدسة لكل إله، وأنه وُضع من كل إلهة، وقد نشأه الكبش سيد «منديس» في المأوى العظيم في «هليوبوليس»: (رعمسيس) ... وثامن آلهة «الأشمونيين» عندما

خلقوا (؟)، وأنه مثل «خبري» عندما يرتفع، ومثل «شو»، و«تفوت» أمام «حورتنن» لأجل أن ينظم مصر كما يجب عليه، وعندما يمد الأرض بالمعابد: «رعمسيس». وإنه صورة «رع» الحية، ورمز من يسكن «هليوبوليس»، ومن لحمه من ذهب، وعظامه من فضة، وأعضاؤه من حديد، ابن «ست»، ومرابي «عتنا»، والثور القوي مثل «ست» صاحب «أمبوس» «حور» المقدس (؟) محب الناس، والإله العظيم بين الآلهة، حامي مصر، والمدافع عن القطرين، ومن يجعل حدوده على حسب ما يريد، وكل البلاد في سكينته، وليس بجانبه خارجون، والماهر في غزواته، إذ يسير إليها، ويحز النصر: (رعمسيس) ... لمصر، والثمين للناس من الجنسين ... ويأتون إليه ... وكل فيضاناته تأتي بالخير ...: «رعمسيس»، والمفيد في الصعيد، والمحبوب في الدلتا، ومن برؤيته تبتهج كل الأنام، ومن جماله لهم بمثابة الماء والهواء، وحبه كالطعام واللباس، وقرص الشمس لمصر قاطبة، والإله شو، للقطرين، والقطران متحدان معًا كرجل واحد، قائلين لـ «رع» عند شروقه: امنحه الأبدية في الملك حتى يسطع لنا كل يوم مثلك، واجعله يجدد لنا دائمًا مثل القمر، وأن ينعم كنجوم (؟) السماء، امنحه الأبدية كما منحها ابنك «ست» الذي في قارب ملايين السنين: «رعمسيس». وإنه «رع» الحي والجميل من الذهب، وسام الآلهة، ومن يملأ الأرضين بانتصارات يمينه، والفخار في الأعمال التي يأتيها ساعده، وهو بكر «بتاح تنن» الذي أنجبه ... «رعمسيس» ... وهذا الإله الكامل هو «آتوم»، ووارث «رع»، والصورة المعظمة لمن في «عين شمس»، ومن يكون معه جسمًا واحدًا، ومن يشرق كل يوم في الأفق ليسمع التضمرات التي يوجهها إليه عندما يخاطبه كل شروق في الصباح: ماذا تريد؟ لأجل أن أفعله لك، وهو يتكلم على الأرض، ويسمع في السماء ... على طريقة الإله نفسه بقلب منبسط مثل «رسي انيف»: أي الذي جنوبي جداره يقصد الإله بتاح، فإنه ... مثل جلاله «تحت»: «رعمسيس»، والذكي مثل ... جاسًا الأجسام مثل «رع» رب السماء، وإن خوفه هو الذي ... الناس هذه البلاد في عيد لشجاعته عندما ... كل البلاد بقوته: «رعمسيس».

الموضوع: تأمل! لقد كان رؤساء البلاد العظام يتعلمون تلك الأخلاق الهائلة التي فطر عليها جلالته، فقد تقهقروا مذعورين؛ إذ كان الفزع من

جلالته في قلوبهم، وكانوا يعبدون شهرته، مقدمين الخضوع لوجهه الكامل ... وأطفالهم ورؤساء «رتنو» العظام، والبلاد التي لا يصل الإنسان إليها والمجهولة؛ لأجل أن يهدئوا قلب الثور القوي، ويطلبوا إليه السلام: «رعمسيس»، وإنه استولى على أملاكهم جزية تقدم كل سنة. وكان أولادهم على رأس هداياهم متعبدين منبطحين على الأرض ... «رعمسيس»، وكل البلاد الأجنبية قد أحنت رءوسها حتى الأقدام لهذا الإله الكامل، وقد عمل حدوده معهم ... (٢٤) ... إلا ... بلاد «خيتا» التي لم تكن منضمة إلى هؤلاء الرؤساء، وكما أنه حقًا قال جلالته: إن والدي «رع» قد خصني أبدًا ملكًا على القطرين، وجعلني أشرق مثل قرص الشمس، وأرتفع مثل «رع»، وكما أن السماء تركز حقًا على عمدها الأربع، فإني سأصل إلى نهاية حدود «خيتا» القصوى، وأجعلها تحت قدمي أبدًا، وإني أنا «رعمسيس» سأجعلهم يفرّون، وهم يحاربون في ساحة القتال حتى يسكتوا عن وقاحتهم في بلادهم؛ وذلك لأنني أعلم أن والدي «ستخ» قد جعل من نصيبي النصر على كل البلاد، وقد قوّى يميني حتى جعله يصل إلى عنان السماء، وجعل سلطاني شاسعًا مثل الدنيا.

وعلى ذلك جهز جلالته مشاته وخيالته، وانقض بهم على بلاد «خيتا» ففتحها منفردًا بنفسه ... جميعًا، وقد اكتسب شهرة أبدية: «رعمسيس»، حتى إنهم حفظوا ذكرى انتصار ساعدي، أما الذين تركتهم يده فقد لعنهم، وكانت أرواحهم فيهم كأنها شعلة متقدة، ولم يترك الرؤساء على عروشهم ... «رعمسيس»، وقد أمضوا سنين في البؤس، و... من سنة لسنة تحت سلطان أرواح الإله العظيم الحي ملك الأرضين وسيد الأقواس التسعة: «رعمسيس»؛ ولكن ملك «خيتا» العظيم أرسل رسالة إلى جلالته معظمًا أرواحه ومفخمًا ... قائلًا ... غضبك ... نفس الحياة ... بلاد «خيتا» الضرائب، وسنعملها إلى قصرك الفاخر، وما نحن عند موطن قدميك يأبها الملك القوي، فافعل بنا ما قد عزمت عليه يا «رعمسيس»، ولقد أرسل رئيس «خيتا» رسلاً لإرضاء جلالته السنة بعد السنة، و«رعمسيس» لم يعرهم أذنًا صاغية مرة واحدة، ولكن لما رأوا بلادهم في هذا الموقف البائس تحت سلطان الأرواح العظيمة لسيد الأرضين «رعمسيس» عندئذ قال الرئيس «خيتا» العظيم

لجيشه ولرؤسائه: ثم ماذا؟ إن بلادنا قد خربت، وسيدنا «ستخ» غاضب علينا، والسماء لا تمنحنا ماء أمامنا ... فلنجرّد أنفسنا من ملك متاعنا، وعلى رأسه كبرى بناتي، ولنحمل هدايا خضوعاً للإله الكامل ليمنحنا السلام، ولنعيش: «رعمسيس». وعلى ذلك أمر باستصحاب كبرى بناته مع الجزية الثمينة أمامها من ذهب وفضة وطرائف عدة وهامة، وخيول يخطئها العد، وثيران وغنم بعشرات الألوف، وكل محاصيل بلادهم قاطبة «رعمسيس»، وقد جاءت الأخبار لجلالته تقول: «تأمل! إن رئيس «خيتا» العظيم حقيقة قد جاء بكبرى بناته، وهدايا عديدة، وطرائف من كل صنف ... بنت ملك «خيتا»، وابنته ملك «خيتا» والموكب، قد اجتازوا جبلاً وعرة، ومسالك شاقة يا «رعمسيس»، وسيصلون إلى تخوم جلالتك، فأرسل جنوداً ووجهاء ليستقبلوهم يا «رعمسيس».» وقد أخذ جلالته ... والقصر كان في فرح عندما سمع بهذا الخبر الخطير، وهو ما لم يسمع بذكر مثله في مصر منذ الأبد، فأرسل الجيش مسرعاً، والعظماء ليتقدموا الوافدين: «رعمسيس»، وقد تناقش وفكر جلالته مع لبه فيما يخص هذا الجيش قائلاً: «ما حالتهم إذن، هؤلاء القوم الذين أرسلتهم، وهم الذين سيذهبون في بعثة نحو بلاد «سوريا» في أثناء تلك الأيام المطيرة، والمتساقطة الثلوج التي تنزل في الشتاء؟» وعندئذ قدم قريباً عظيماً لوالده «ستخ» ودعاء ... بهذه العبارات: «إن السماء على يدك، والأرض تحت قدميك، وكل تخرجه بإرادتك، ليتك تجعل المطر وريح الشمال والثلوج تسكن إلى أن تحدث على يدي المعجزات التي وهبتنيها: «رعمسيس».» وقد حقق والده «ستخ» كل تضرعاته؛ فهذأت السماء، وهلت أيام الصيف ... وجنوده، وكانوا سعداء كلهم، وارتاحت أجسامهم، وفرح قلبهم: «رعمسيس»، وبنت رئيس «خيتا» العظيم ... سارت نحو مصر، وقد سار المشاة والعظماء والخيالة في ركابها، وكان مختلطاً بالجنود والخيالة وعظماء «خيتا»، والجنود المحاربين الآسيويين، وكذلك المشاة: «رعمسيس»، وكذلك خيالاته، وكل أهل «خيتا»، وقد امتزجوا بأهل مصر، وأكلوا وشربوا سوياً، وأصبحوا قلباً واحداً كالإخوان الذين لا ... الواحد من الآخر، وقد ساد السلام بينهم مثل الإله نفسه، و«رعمسيس».

وقد مر الرؤساء العظام من كل بلد ... متقهقرين، وملفتين برءوسهم مشدوهين عند رؤية أهل «خيتا»، ممتزجين بجنود الملك «رعمسيس»، وهؤلاء

الرؤساء كانوا يتحدثون فيما بينهم، فيقول الواحد للآخر: هل صحيح ما قاله جلالته ... مثل ما أنهم عظماء، وهذه ... الذين نراهم بأعيننا؛ وكل بلاد معه بمثابة خادم ... فأصبحوا قلباً واحداً مع مصر ... «رعمسييس».

... وبلاد «خيتا» له مثل مصر، وحتى السماء تحت خاتمه، ويعمل كل شيء كما يريد «رعمسييس». وحقاً بعد ... وصل في مقر «رعمسييس» ... المظفر بالمدهشات العظام، وبالقوة والشجاعة في السنة الرابعة والثلاثين الشهر الثالث من الشتاء: «رعمسييس».

وقد جيء ببنت رئيس «خيتا» العظيم، تتهادى نحو مصر أمام جلالته، وسارت خلفها هدايا هامة جداً، يخطئها العد ... وحقاً وجد جلالته أنها صبيحة الوجه ... آلهة، وقد كان حادثاً عظيماً غامضاً، بل أعجوبة ممتازة محيرة، ولم يدُر مثلها في أفواه الناس، ولم يُذكر مثلها في سجلات الأجداد، البنت ... «رعمسييس»، وكانت محببة لقلب جلالته الذي أحبها أكثر من كل شيء، وذلك بالسعادة التي منحها إياه والده «بتاح تنن»: «رعمسييس»؛ وقد جعل اسمها الزوجة الملكية «مات نفرو رع» — لنعيش — بنت ملك «خيتا» ... العظماء والمواطنون (?) ... وعندما يذهب رجل أو امرأة إلى بلاد «آسيا» في بعثة كانوا يصلون بلاد «خيتا» دون أي خوف في قلبهم بسبب انتصارات جلالته ...

وقد فهم الأستاذ «برستد» المعنى العام لهذا المتن؛ فهو — كما قال — يبحث في تحالف بين «رعمسييس الثاني» مع الأسرة الحاكمة في بلاد «خيتا»، وذلك بوساطة الأميرة «مات نفرو رع» (التي ترى جمال رع)، وقد قرن «برستد» بين اسم هذه الأميرة، وبين اسم آخر ساعة من ساعات الليل «مات نفرو رع»، وفي رواية أخرى «مات نفرو نبس»، أو «بترت نفرو نبس»؛ أي إن اسمها يمثل بنور الفجر.

والواقع أن هذه القصة على ما يظهر يرجع تاريخها إلى عهد سحيق في القدم في تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد «خيتا»؛ ولذلك يجب أن نحاول هنا أن نوفق بين ما يمكن استخلاصه من هذا المتن، وبين ما يُعرف من مصادر أخرى، غير ما ذكرناه من شرح مجمل سابقاً.

ففي المتن الذي بين أيدينا نستخلص إشارات للحوادث التالية:

- (١) امتنعت بلاد «خيتا» أن تنضم إلى الرؤساء الآسيويين الذين كانوا يحملون جزيتهم إلى «رعمسيس الثاني» (٢٤).
 - (٢) وقد قام ملك مصر بدوره وأعلن الحرب عليهم، وخرب البلاد الخارجة (٢٤-٢٧).
 - (٣) كانت بلاد «خيتا» مستعدة كل سنة لتحمل الفرعون جزيتهما، ولكن عرضها هذا كان يُرفض دائماً (٢٨-٣٠).
 - (٤) ولكن في إحدى السنوات انتقل ملك «خيتا» إلى دور العمل، ولأجل أن يجبر «رعمسيس» على العفو عنه أحضر إليه - فضلاً عن الهدايا الفاخرة التي جلبها - كبرى بناته (٣١-٣٣).
 - (٥) وعندما سمع «رعمسيس» هذا الخبر أمر بإرسال ركب على جناح السرعة لمقابلة الوفد (٣٤-٣٥).
 - (٦) ولما كان ذلك في فصل الشتاء، وكانت أحوال الجو في آسيا رديئة، فقد أتى «رعمسيس» بمعجزة على يد الإله «ست»، فانقلبت الأحوال الجوية (٣٦-٣٨) الرديئة إلى جو معتدل لطيف.
 - (٧) وقد وصل الركب الخيتي إلى مصر في رفقة مصريين، فوصل إلى أرض الكنانة في السنة الرابعة والثلاثين، الشهر الثالث من الشتاء في وسط أفراح عظيمة (٣٨). وعند هذه النقطة أصبح المتن ممزقاً وناقصاً، ولكن يمكننا أن نخمن أن الأميرة أعجبت الفرعون، وصارت ملكة. ومن ثم أصبح ذلك الحادث بداية عهد علاقات ودية بين البلدين.
- ونقط الاتصال المعروفة عن تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد خيتا هي - كما ذكرنا من قبل - تتلخص في النقاط الآتية:

- (١) الحملة التي قام بها «رعمسيس الثاني» على «خيتا»، وانتهت بموقعة «قادش»، على الرغم من أنه كان على ود ومصافاة مع ملك خيتا في أول حكمه، كما سنشرح ذلك بعد.
- (٢) إعادة فتح «فلسطين»، و«سوريا» من السنة الخامسة حتى السنة الثامنة من حكمه، ثم المعاهدة مع ملك «خيتا» في السنة الواحدة والعشرين، ولكن كيف يمكن ربط هذه الحوادث بقصة اللوحة التي نحن بصدها؟ ففي استطاعتنا أن نقدر أن الحملة المظفرة التي جاء ذكرها في لوحتنا من (٢٤-٢٧) تتفق مع حملة موقعة «قادش» في

السنة الخامسة، ولكن يتساءل المرء: لماذا مر متن اللوحة على معاهدة السنة الواحدة والعشرين دون الإشارة إليها من قريب أو بعيد؟ من أجل ذلك يجوز لنا أن ننظر إلى هذا العصيان، وإلى قمعه بأنهما وقعا بعد المعاهدة، وأن هذه اللوحة تحدثنا حينئذ عن الحوادث التي وقعت بين العام الحادي والعشرين والرابع والثلاثين. والتاريخ الأخير يعلم لنا المهادنة التي قامت بين «خيتا» و«مصر»، والزواج الذي عُقد بين «رعمسيس» والأميرة الخيتية، وعيده الثلاثيني الثاني.

وتدل شواهد الأحوال على صحة هذه المحالفة الجديدة، وتاريخها بين البيتين الخيتي المصري، فقد أكدتها النقوش، كما أظهر ذلك بحق «برستد» بالأثار التي نجد فيها ذكرها.

ماعت نفرو رع

قد دعيت بلقب ملكة، وهي التي كانت في الأصل تسمى بنت ملك «خيتا»، وكما جاء على لوحة «بو سمبل» المؤرخة بالسنة الخامسة والثلاثين، وهي التي تشير إلى وصول الخيتيين بهداياهم، وفي مقدمتهم الأميرة، وهذه اللوحة تبرز بنوع خاص الصيغة المدهشة التي صيغ بها هذا التحالف، ويلاحظ في الفقرة الثانية التي جاءت في الوصف الشعري لمدينة «رعمسيس» أن ملك «خيتا» قد كتب إلى أمير «قدي» يدعوه للرحيل إلى مصر؛ ليكسب عطف الفرعون؛ لأن إلههما «ستخ» أبقى قبول قربانهم؛ فحرمهم ما هو ضروري لهم؛ وهو الغيث، «والإله لم يتقبل قربان «خيتا»، وهذه بدورها لم ترَ بعد الماء». وهذه الظاهرة نجدها ثانية الآن في فقرة من فقرات لوحة الزواج ذُكرت بصفة قاطعة في متن الكرنك (A. 31 = K. 24)، «والإله «ستخ» غاضب علينا، والسماء لم تعد تهب ماء أمامنا». وهذه الصيغة الخاصة بالإله سيد العناصر، وبنوع خاص عنصر الغيث لا تقتصر على الإله «ستخ» المصري وحسب، بل هي كذلك من خواص الإله «بعل»، وآلهة أخرى أسيوية كثيرة، ويرجع الفضل إلى «ستخ» في أن «رعمسيس» كان قادرًا على أمر الغيث والتلج بالوقوف. أما موضوع المعجزة الجوية التي نُسبت إلى «رعمسيس» و«ستخ»، فإنها تفسر بدون شك بظاهرة رجوع الحرارة المؤقتة في وسط فصل الشتاء، وهذه الظاهرة يطلق

عليها عند الأوروبيين «صيف القديس مارتن»، غير أن متن هذه القصيدة يشير إلى حادث آخر سنشرحه فيما يلي:

زيارة ملك خيتا لمصر عند تولي رعمسيس الملك

والظاهر أنه حدثت زيارة قام بها ملك «خيتا» إلى أرض الكنانة، وكانت هذه الزيارة مفخرة لـ «رعمسيس» يتحدث بها على آثاره، كما كانت الحال في عهد «تحتمس الثالث» وأخلافه، غير أننا لم نعثر حتى الآن على المتن الدال على ذلك في النقوش المصرية التي على جدران المعابد، بل وجدنا إشارة إليها على بردية^{١١١}، ولا بد أن مثل هذه الزيارة كان قد سبقها محادثات ورسائل، كما نجد أمثال ذلك في خطابات «تل العمارنة»، والمتن الذي لدينا وُضع في صورة شعرية جاء فيه: «إن ملك «خيتا» قد طلب إلى أمير «قدي» الذهاب لزيارة فرعون مصر «رعمسيس الثاني»، فاستمع إلى ما جاء في هذه القصيدة:

أعد نفسك للرحيل إلى مصر
لنستطيع أن نقول: إن أمر الإله ينفذ
ودعنا نفتح «رعمسيس الثاني» له الحياة والفلاح والصحة
لأنه يمنح النفس من يريد
وكل بلاد توضع تحت تصرفه
فالخيتا تحت سلطانه وحده
وإذا لم يقبل الإله قربانه
فإنها لن ترى الغيث
لأنه في سلطة «رعمسيس الثاني» (له الحياة والفلاح والصحة)
الثور المحب الشجاعة.

وقد ظل سبب هذه الزيارة والغرض منها مجهولاً، وظن بعض الباحثين أن مثل هذا الشعر لا يخرج عن نسج الخيال الذي حاكه أحد شعراء البلاط، كما نشاهد ذلك في شعراء الشرق عامة، ولكن البحوث الحديثة قد أظهرت أن ملك «خيتا» قد تقابل مع ملك «مصر» قبل موقعة «قادش»، وقد بحث الأثري «كافنيك» هذا الموضوع على ضوء

^{١١١} راجع: 10-7، pl. VI، Ibid IV، 5-1، pl. II، Anastasi II، Papyrus.

وثيقة من الوثائق التي حللها الأستاذ «سومر»^{١٠٢} في كتابه الأخير، وقبل أن نبحت هذا الموضوع نعيد إلى ذاكرة القارئ شيئاً مما مضى لربط الحوادث بعضها ببعض، فقد كانت مصر حتى بداية حكم «أمنحتب الثالث»؛ أي قبل عام ١٤٠٠ ق.م لم يكن لديها ما يشغل بالها كثيراً من جهة بلاد «خيتا» على وجه عام، غير أن العلاقات بين البلدين بدأت تأخذ شكلاً جدياً عندما أخذت بلاد «خيتا» تنتعش ثانية على مسرح التاريخ، وتهدد كيان دولة «متني»، ومع ذلك بقيت العلاقات بين «مصر» و«خيتا» سليمة محترمة حتى تولى «أمنحتب الثالث» الملك؛ أي حوالي عام ١٣٨٢ ق.م.

وقد بدأت تلك العلاقات تسوء عندما أخذ «شوبيلوليوما» يزحف بجيوشه في «سوريا» الشمالية، وقد بدأ أول تصادم حربي بين البلدين في نهاية حكم هذا العاهل؛ أي حوالي نحو ١٣٥٥ ق.م كما سبق (راجع ج ٥). وفي عهد «مورسيل» ملك «خيتا» (حوالي ١٣٥٠-١٣٢٠ ق.م) نعلم أن المناوشات التي كانت بين البلدين لم تتزل في بدايتها، وفي السنتين السادسة والسابعة من حكم هذا العاهل تدخلت مصر بقوتها المسلحة بسبب الاضطرابات التي كانت قائمة في «سوريا» الشمالية، وتحديثنا النقوش أن جنود الفرعون قد انسحبوا أمام قواد «خيتا» المظفرين. وفي السنة التاسعة من حكم هذا العاهل كذلك نقرأ عن اضطرابات قامت في «نوخاشي» و«قادش» (كنزا)، ومع أن اسم مصر لم يُذكر صراحة في هذه الاضطرابات، فإنه يستغرب ألا تكون مصر هي المحرّضة للثوار من وراء ستار.^{١٠٣} والواقع أنه عثر على أشكال جنود من أهل الشمال في مناظر مقبرة «حور محب»^{١٠٤}، وعلى وجه عام يظهر أن مصر لم تكن قد فقدت سيادتها في «فلسطين» إلا عند نهاية حكم «حور محب».

أما باقي مدة حكم «مورسيل» فليس فيه ما يخص موضوعنا، ومن الجائز أنه قد عُقدت معاهدة بين الفرعون «حور محب» و«مورسيل».

ولكن في بداية عهد الفرعون «سي تي الأول» (حوالي ١٣٢١-١٣٠٢ ق.م) حدث تصادم بين الدولتين، وقد افتخر «سي تي» في نقوشه أنه قهر «خيتا»، كما فصلنا القول في ذلك من قبل؛ ولذلك ظن بعض المؤرخين أن المعاهدة لم توقع بين «حور محب» و«مورسيل»، بل

^{١٠٢} راجع: Sommer, Die Ahhijava Urkunden. C IV, p. 242.

^{١٠٣} راجع: Cavaignac. Subbilulima, et Son Temps p. 72 ff.

^{١٠٤} راجع: Rev. D'Assyr (1929) p. 168 ff.

بين «سيتي» وملك «خيتا»، ونحن نعلم السبب الذي دعا إلى هذا الزعم، فقد جاء في المعاهدة التي عُقدت بين «رعمسيس الثاني» و«خاتوسيل» (حوالي عام ١٢٨٠) إشارة إلى معاهدتين سابقتين، كما ذكرنا آنفًا، واحدة منهما قديمة جدًا من عهد الملك «شوبيلليولوما»، والثانية من عهد والدي «مواتالو» كما يقول «خاتوسيل»، ونعلم أن والد «خاتوسيل» هو «مورسيل»، أمَّا «مواتالو» فكان أخاه، وعلى أية حال فلا بد أنه توجد هنا غلطة كما ذكرنا آنفًا، فإما أن يكون «خاتوسيل» قد استعمل التعبير «والدي» بالمعنى الذي يستعمله غالبًا ملوك الشرق «سلفي»، أو أن الكاتب المصري قد كتب «مواتالو» بدلًا من «مورسيل»، وعلى أية حال توجد فترة سلام بعد حكم «شوبيلليولوما» بين «مصر» و«خيتا»، ولكن هل نضع تلك الفترة بعد معاهدة أبرمت بين «مورسيل» و«حور محب» أم قبل حملة «سيتي الأول» على بلاد «خيتا»، أو بعد انتهاء هذه الحملة بمعاهدة أبرمت بين «مورسيل» و«مواتالو»، وبين «سيتي الأول»،^{١٠٥} وقد تناول الأستاذ «زيتيه» هذا الموضوع بالبحث، وفضل النظرية الثانية.^{١٠٦}

فقد أثبت أن القصيدة التي ذكرناها فيما سلف، وهي التي جاء فيها: مشروع زيارة ملك «خيتا» لمصر لا علاقة لها بزواج «رعمسيس الثاني»، بل يعزوها إلى بداية حكم هذا الفرعون (حوالي عام ١٣٠٢ ق.م) وسواء أكانت هذه الزيارة قد تمت أم بقيت مجرد مشروع يراد تنفيذه، أو أن هذا المشروع نفسه لم يفكر فيه إلا في مخيلة الشاعر المصري، فإن القصيدة تدل على العلاقات الودية بين المصريين وأهل «خيتا» عندما اعتلى «رعمسيس الثاني» عرش الملك، وفي اعتقادي أنه يجب أن يكون ذلك هو موضوع الوثيقة التي حللها الأستاذ «سومر»، فقد جاء ذكر رحلة قام بها ملك «خيتا» إلى «مصر» مرات عدة، ويقول «سومر»: إنه لم يتردد أحد قبل ما كتبه الأستاذ «زيتيه» من ملاحظات في أن يربط هذا المتن بالرحلة الشهيرة التي قام بها ملك «خيتا» إلى مصر من أجل زواج ابنته «مات نفرو رع» من «رعمسيس الثاني»، وفي مقدورنا الآن أن نحدد لهذا الحادث تاريخًا أقدم من تاريخ رحلة الزواج، وذلك أننا نجد في هذه الوثيقة التي فحصها «سومر» إشارات تشير بوضوح إلى عهد «مواتالو»؛ إذ نعلم أن ملك «خيتا» المجهول اسمه الذي كتب الوثيقة بعد أن قال إنه لا يسكن العاصمة «خاتوشا»، قال إنه ولَّى وجهه شطر مصر، ثم قال: «وفي

^{١٠٥} راجع: Maspero Hist. Anc. II, p. 372.

^{١٠٦} راجع: Sethe. Deutsche Literaturz., (1926), p. 1873 ff.

السنة المقبلة نقلت أشياء ثمينة من «خاتوشا».» وبعد عدة أسطر تتحدث الوثيقة عن بلدة «داتاشاش» في فقرة ممزقة.^{١٠٧}

ونعلم من ترجمة «خاتوسيل» لنفسه أن «مواتالو» هجر «خاتوشا» التي كان مهددة بغزو «جاسجاس» (حوالي ١٣٢٠-١٣١٠ ق.م) وحمل معه آلهته إلى البلاد المنخفضة في مدينة «داتاشاش»، وقد بقيت عاصمة الملك مدة نهاية حكم «مواتالو»، ثم في عهد ابنه «أوهي تشوب»، وحتى بداية عهد «خاتوسيل».

والمعلومات التي جاءت في الخطاب (أو الوثيقة) الذي نحن بصدده تشير إلى هذه الفترة؛ ولذلك فإن الهدايا الخاصة التي حملت إلى الفرعون — وهي التي ورد ذكرها في هذا الخطاب بجانب هدايا ملوك «أهيفا» — لا بد كانت أرسلت لـ «رعمسيس» بمناسبة توليه العرش،^{١٠٨} ويوجد في المجلد الأخير من (K. U. B.) قطعة صغيرة خاصة جاء فيها ذكر «بيامارادو» و«أهيفا» مما يدل على السنين الأولى من حكم الملك «مواتالو»،^{١٠٩} وقد جاء ذكر مصر في هذه القطعة أيضًا.

ومهما يكن من أمر فإن «مواتالو» قد قام برحلة إلى «مصر» (حوالي عام ١٣٠٢)، ولا نعلم إذا كانت هذه الرحلة قاصرة على محادثة بينه وبين «رعمسيس الثاني» جرت على شواطئ النيل، أم كانت في «فلسطين» وحسب، ونحن من جانبنا نعلم السبب الذي من أجله لم تبقى العلاقات طيبة بين البلدين؛ إذ قام سكان «أمور» بثورة نقضوا بها ولاءهم لبلاد «خيتا»، وولوا وجوههم شطر مصر، وقد كان من جراء ذلك حملة «رعمسيس الثاني» في السنة الخامسة، والقتال الذي وقع في «قادش» (حوالي عام ١٢٩٧ ق.م) كما فصلنا القول في ذلك.

لوحة «بنترش» أو لوحة «بختان»

والظاهر أن موضوع زواج «رعمسيس الثاني» من ابنة ملك «خيتا» كان له أثر عظيم في نفوس الشعب المصري الذي لم يتعود أمثال تلك المناظر منذ عهد «أمنحتب الرابع»؛

^{١٠٧} راجع: Keilschr. a. Boghazkoi II, V, I, 9-10, I. 20.

^{١٠٨} راجع: Keilschr. a. Boghazkoi II, V, I, 13.

^{١٠٩} راجع: Keilschrift Urk. a. Boghazkoi XXVI, 76.

مما جعل هذا الحادث ينتشر بينهم، وتتناقله الأجيال، وخطوه بقصة زواج أخرى حدثت في عهد أسلافه خلال الأسرة الثامنة عشرة من أجنبية أيضاً؛ إذ الواقع أنه — كما ذكرنا من قبل — قد أرسل «دوشرتا» ملك «متني» إلى مصر الإلهة «عشتارت» إلهة «نينوي» في العام الخامس والثلاثين، أو السادس والثلاثين من زمن العاهل العظيم «أمنحتب الثالث» لتشفيه من سقامه (راجع ج ٥)، وكانت هذه الإلهة قد ذهبت إلى مصر في عهد جدِّ والد العاهل «دوشرتا»، وكذلك أرسل ملك «خيتا» يطلب إلى فرعونها الإله «خنسو» أن يشفي ابنته، وهي الأخت الصغرى للملكة «مات نفرو رع» زوج «رعمسيس الثاني»، وقد أجاب «رعمسيس» رغبة ملك «خيتا»، ولكن على الرغم من أن هذا الحادث لم يدوّن في وثائق هذا العهد فإنه قد بقي تتناوله الألسن حتى صبح ضمن أساطير القوم وقتئذ. وبعد مضي ما يقرب من تسعة قرون على هذا الحادث؛ أي في العهد الفارسي. أراد كهنة الإله «خنسو» أن يعظموا من شأن إلههم، ويرفعوا مكانته الطيبة في أعين الشعب المصري الذي كانت الخرافات قد طغت عليه بدرجة عظيمة، وبخاصة في عهد الانحلال، كما يقول الأستاذ «إرمان»: فوضعوا لذلك قصة بلغة عتيقة بقدر ما سمحت لهم معلوماتهم؛ ليوهموا الشعب أنها وصلت إليهم باللغة القديمة نقشوها على لوحة من الحجر، وهي مصدرنا الوحيد.^{١١٠}

وقد درس الأثري «بوزنر» هذه اللوحة، وبعد بحث طويل يقترح أن هذه اللوحة قد كتبها الكهنة قاصدين إظهار ما كان لمصر من عظمة وقوة سلطان في الأزمان السالفة، وأنها كانت سيدة بلاد الفرس (بكتريان = «بختان») التي كانت تحكم مصر في ذلك العهد؛ وبذلك أيقظوا العزة القومية في نفوس الشعب المصري، وذكروهم بماضيهم المجيد (راجع B. I. F. A. O. Vol. 34 p. 75 ff) على الرغم من حكم الفرس لهم، وفي اعتقادي أن هذا هو الرأي الصواب؛ لأن المصري يعتز دائماً بقوميته، وماضيه المجيد في كل أطوار حياته، وفي كل مناسبة.

وقد عثر عليها في معبد صغير من العهد الإغريقي الروماني كان قائماً بجوار معبد «خنسو» في الكرنك، وكان أول من عرف حقيقة هذه اللوحة هو الأستاذ «إرمان»؛ إذ

^{١١٠} راجع: A. Z. (1883) p. 54; A Propos de La Stele de Bentresh, B. I. F. A. O., 34 (1933), p. 75; Hermann Die Agyptische Konigsnovelle, Leipziger Agyptologische Studien, Helft, 10 (1938) p. 56; Chroniqu D'Egypte No. 38 (Juillet) 1944 p. 214

وجد أن الملك الذي يتحدث عنه في اللوحة هو «رعمسيس الثاني» محبوب «أمون»، غير أن الكهنة، لجهلهم على ما يظهر، لما أرادوا أن يضعوا ألقاب «رعمسيس» الرسمية قبل اسمه كما جرت العادة، وضعوا ألقاب «تحتمس الرابع»، وهو أول من تزوج بأجنبية بدلاً منها، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا على علم بالتاريخ يؤهلهم لحذف المتناقضات في القصة، فقد قالوا: إن المدة اللازمة لقطع المسافة ما بين «مصر» و«بختان»، وهي بلاد غير معروفة لنا تستغرق نحو سبعة عشر شهراً، ويحتمل أنها ضمن بلاد فارس القديمة؛ ولذلك كتبوا اسم الأميرة «نفرو رع» بدلاً من «مات نفرو رع»، وهو الاسم الذي أطلقه «رعمسيس» على ابنة ملك «خيتا»، وكذلك جعلوا زواج «رعمسيس» من هذه الأميرة قبل العام الثالث والعشرين، والواقع أن الزواج حدث في السنة الرابعة والثلاثين، وهذه الأغلاط وغيرها تجعلنا على حذر من قبول ما جاء على لسان أولئك الكهنة في العصر المتأخر، وبخاصة «منيتون» الذي كان يعيش في هذا العهد عندما كُتبت هذه الأقصوصة وأمثالها. أما اللوحة نفسها كما حاكها خيال الكهنة فتتألف نقوشها من جزأين: الجزء الأعلى، ويشغل ربع مساحة اللوحة، عليه منظر يتألف من قارين مقدسين للإله «خنسو»، ثم رسم على كلا جانبي اللوحة، ويحمل كلاً منهما عدد من الكهنة، فالقارب الذي على اليمين يُسمى خنسو في طيبة «نفر حتب»، ويحرق له «رعمسيس الثاني» البخور، أما القارب الذي على اليسار فيسمى «خنسو» واضع الخطة في «طيبة» الإله العظيم، ضارب الأرواح الشريرة، وأمامه كاهنه يطلق البخور، والنقش المفسر التالي: اسم خادم الإله كاهن «خنسو واضع الخطة في طيبة»، هو «خنسو حات نترنب» (ومعنى الاسم خنسو: سيد كل الآلهة). أما الجزء الثاني من اللوحة فيشمل المتن التالي: وهو القصة كما رواها كهنة العهد الفارسي.

مقدمة: «حور» الثور القوي شبيهه التيجان، الباقي في الملك مثل «آتوم»، حور الذهبي، عظيم القوة، طارد الأقواس التسعة، ملك الوجه القبلي، والوجه البحري رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن» ابن الشمس، من جسده «رعمسيس مري أمون»، محبوب «أمون رع رب طيبة»، وكل آلهة «طيبة» الإله الطيب ابن «أمون»، ونسل «رع حور اختي»، ومن تنبئ له بالانتصارات على أثر خروجه من البيضة.

جزية بلاد «نهرين»: تأمل! لقد كان جلالته في بلاد «نهرين» على حسب عاداته السنوية عندما أتى الرؤساء من كل مملكة منحنيين أمامه في أمان؛ لما لجلالته من شهرة، وكانت

جزيتهم من المستنقعات — عند نهاية حدود الأرض، فالفضة والذهب واللازورد، وكل خشب حلو من أرض الإله كانت على ظهورهم، وكان كل واحد منهم يقود جاره.

زواج «رعمسيس» وبنت رئيس «بختان»: وعندئذ أمر رئيس «بختان» بإحضار جزيته، ووضع كبرى بناته أمامها مادحاً جلالته ملتتمساً عنده الحياة، وكانت آية في الجمال لقلب الفرعون الذي أحبها أكثر من أي شيء، وبعد ذلك دونوا لقبها بوصفها زوجة الملك العظيمة «نفرو رع»، وعندما وصلت إلى جلالته في مصر أدت كل وظائف الزوجة الملكية.

وصول الرسول من «بختان»: ولما حلت السنة الثالثة والعشرون، الشهر العاشر، اليوم الثاني والعشرون، عندما كان جلالته في «طيبة» المظفرة سيدة المدن، يؤدي شعائر والده «أمون رع» سيد «طيبة» في عيدهِ الجميل الخاص بالأقصر مقره الجميل المحب منذ الأزل لجلالته؛ جاء جلالته: أن رسولاً من رئيس «بختان» قد حضر يحمل هدايا عدة لزوج الملك، وبعد ذلك مثل أمام جلالته، ومعه الهدايا، فقال مادحاً جلالته: «الحمد لله يا شمس الأقواس التسعة»، امنحنا الحياة منك، وهكذا تكلم مقبلاً الأرض أمام جلالته، ثم تكلم ثانية أمام جلالته: «إني أت إليك يا أيها الملك، يا سيدي بسبب «بنترش» = (بنت السرور) الأخت الصغرى^{١١١} لزوج الملك «نفرو رع»، لقد نفذ المرض في أعضائها ليت جلالتك ترسل طبيباً ليفحصها.»

إرسال الطبيب إلى «بختان»: وعندئذ قال جلالته: أحضروا إليّ الكتاب الإلهيين، وموظفي البلاط، فأحضروا إليه في الحال، فقال جلالته: فليقرأ لكم واحد حتى تسمعوا هذا الأمر، ثم أحضروا إليّ واحدًا ذا تجربة في قلبه في استطاعته أن يكتب بأصبعه من بينكم، فمثل أمام جلالته كاتب الملك «تحتو محب»، فأمره جلالته بالذهاب إلى «بختان» مع هذا الرسول.

وصول الطبيب إلى «بختان»: ووصل الطبيب إلى «بختان»، ووجد «بنترش» في حالة إنسان تحت سلطان عفريت، ووجد فضلاً عن ذلك أنه كان عدواً يمكن محاربتة، وقد كرر «رئيس بختان في حضرة جلالته قائلاً يا أيها الملك، يا سيدي، ليأمر جلالته بإحضار

^{١١١} راجع التصليحات التي أدخلت على هذه الترجمة (Chronique D'Egypte No. 38 (Juilet 1944) (p. 214-218).

هذا الإله»، وبعد ذلك رجع الطبيب الذي أرسله جلالته في السنة السادسة والعشرين، الشهر التاسع في وقت عيد «أمون» عندما كان جلالته في «طيبة».

«رعمسيس» يتحدث مع الإله «خنسو»: وبعد ذلك أعاد جلالته هذا القول أمام الإله «خنسو» في «طيبة» «نفرحتب» قائلًا: «يا سيدي الطيب، إنني أعيد أمامك حالة بنت رئيس «بختان».» وبعد ذلك قادوا «خنسو واضع الخطة»، الإله العظيم ضارب الأرواح الشريرة، ثم قال جلالته أمام «خنسو في طيبة نفرحتب»: ^{١١٢} أنت أيها الرب الطيب، إذا أحنيت وجهك إلى «خنسو واضع الخطة»، الإله العظيم، ضارب الأرواح الشريرة، فإنه سيحمل إلى «بختان»، وقد حدث انحناء عنيف، وعندئذ قال جلالته: «أرسل حمايتك معه حتى أجعل جلالته يذهب إلى «بختان» لينجي بنت رئيس بختان.» فهز بعنف «خنسو في طيبة نفرحتب» رأسه، وعندئذ عمل حماية «خنسو واضع الخطة» أربع مرات؛ بتحريك رأسه طبعًا.

سفر «خنسو واضع الخطة»: وقد أمر جلالته بأن يُحمل «خنسو واضع الخطة» إلى سفينة، ومعها خمس سفن نقل وعربات عديدة، وخيل من الغرب والشرق.

وصول الإله إلى «بختان»: وقد وصل هذا الإله في مدى سنة وخمسة أشهر، وعندئذ جاء رئيس «بختان» بجنده وأشرافه أمام «خنسو واضع الخطة»، وانبطح أمامه على بطنه قائلًا: لقد أتيت إلينا فرحًا بك عندنا بأمر الملك «وسر ماعت رع ستين» «رعمسيس الثاني».

شفاء «بنترش»: وبعد ذلك ذهب هذا الإله إلى المكان الذي فيه «بنترش»، وعندئذ عمل على حماية بنت رئيس «بختان»؛ فشفيت في الحال.

مصالحة العفريت: وعندئذ قال هذا العفريت الذي كان يتقمصها أمام «خنسو واضع الخطة في طيبة»: إنك تأتي في سلام أنت أيها الإله العظيم ضاربًا الأجانب، وإن «بختان» مدينتك، وأهلها خدامك، وإنني خادمك، فسأذهب من حيث أتيت لأرضي قلبك فيما يخص الأمر الذي أتيت من أجله، ولكن مرَّ بأن يقيم يوم عيد لي مع رئيس «بختان»، وعندئذ هزَّ هذا الإله رأسه لكاهنه قائلًا: دع رئيس «بختان» يقدم قربانًا عظيمًا أمام هذا

^{١١٢} «نفرحتب» = لقب الإله «خنسو» في «طيبة».

العفريت، وحينما كانت تحدث هذه الأشياء التي عملها «خنسو واضع الخطة في طيبة» مع العفريت كان رئيس «بختان» واقفاً مع جنوده يتوجس خيفة، وبعد ذلك قدم قرباناً عظيماً أمام «خنسو واضع الخطة في طيبة» والعفريت، واحتفل رئيس «بختان» بيوم عيد معهما، ومن ثم برح العفريت في سلام إلى المكان الذي يرغب فيه بأمر من «خنسو واضع الخطة في طيبة»، وفرح بذلك رئيس «بختان» غاية الفرح مع كل رجل كان في «بختان».

حجز الإله في «بختان»: ولكنه بعد ذلك تشاور مع قلبه، قائلاً: «سأجعل هذا الإله يبقى معي في «بختان»، ولن أسمح له بالعودة إلى مصر، وعلى ذلك لبث هذا الإله في «بختان» ثلاث سنين وتسعة أشهر.»

رؤيا رئيس «بختان»: ثم نام رئيس «بختان» على سريره، فرأى هذا الإله مقبلاً عليه ليهجر محرابه، فكان في هيئة صقر من الذهب، وطار عاليًا نحو مصر، وعندئذ استيقظ رئيس «بختان» منزعجًا.

سفر الإله إلى مصر: وعلى أثر ذلك قال لكاهن «خنسو واضع الخطة في طيبة»: «إن هذا الإله لا يزال معنا، ولكن دعه يرحل إلى مصر، دع عربته تنزح إلى مصر.» وبعد ذلك جعل رئيس «بختان» هذا الإله يسير إلى مصر، وأعطاه هدايا عديدة جدًّا من كل الأشياء الطريفة، وعددًا عظيمًا من الجنود والخيول.

وصول الإله إلى مصر: فوصلوا إلى «طيبة» في سلام، ثم ذهبوا نحو مدينة «طيبة»، و«خنسو واضع الخطة في طيبة» إلى بيت «خنسو» في طيبة» «نفرحتب»، فوضع الإله الهدايا من الأشياء الطريفة التي أعطاه إياه رئيس بختان أمام «خنسو في طيبة نفرحت»، غير أنه لم يقدم كل شيء أخذه هذا البيت، وقد وصل «خنسو واضع الخطة في طيبة» إلى مكانه في أمان في العام الثالث والثلاثين، الشهر الثاني، اليوم التاسع من حكم «وسر ماعت رع ستبن رع» لبيته يعطي الحياة مثل «رع» أبدًا (راجع Br. A. R. III § 429 ff.).

وهكذا يرى الباحث المدقق كيف تشوّه الحقائق التاريخية عندما ينقلها من لا يعرف كنهها عن أفواه العامة، والروايات المشوّهة إلى أن يقيض لها علماء ينخلونها، وينقونها من كل شائبة، ويبنون استنباطهم للحقائق على قواعد علمية لا يتسرب إليها الشك، كما يعتمدون في كتاباتهم على أسس متينة ترتكز على الحقائق التاريخية الثابتة، ولولا ذلك

لظلت هذه الحادثة التاريخية وغيرها من الحوادث التي لها شأن في تاريخ القوم أساطير تعد من نسج الخيال، وقصة يتحدث بها للأطفال؛ والواقع أنها كانت قد كُتبت — كما قلنا — لإظهار فضل مصر، وعظمتها على «الفرس» الذين كانوا يحكمونها في تلك الفترة التي كُتبت فيها القصة، وأن مصر قد حكمت الفرس وسيطرت عليها في الأزمان الغابرة.

(٣) آثار رمسيس الخالدة

(١-٣) النقوش الأثرية التي تركها «رمسيس الثاني» في بلاد النوبة والسودان على مبانيه العظيمة

كان «رمسيس الثاني» أعظم ملك أقام مبانٍ من حيث الضخامة والروعة في طول البلاد وعرضها، ولن نكون مبالغين ولا مسرفين في القول إذا قرّرنا هنا أنه لا يكاد يوجد مبنى أثري في البلاد من الشلال الثاني شمالاً حتى مصب النيل إلا عليه اسم «رمسيس الثاني»، يضاف إلى ذلك المباني والآثار التي خلفها في «فلسطين»، وغيرها من البلاد التي فتحها في آسيا ثانية مما تكلمنا عنه في حينه؛ ولذلك فإن من العبث أن يحاول الإنسان وصل آثاره كلها هنا بالتفصيل، وسنكتفي بالتحدث عن أهمها، وبخاصة التي كان له اليد الطولى في إقامتها؛ إذ الواقع أن «رمسيس الثاني» قد جار على أسلافه كثيراً باغتصاب كثير من آثارهم، ونسبتها لنفسه مدة حكمه الطويل الذي قارب السبعة والستين عاماً، على أنه لو فحصنا كل الآثار التي تُنسب إليه حقاً لوجدناه على الرغم من ذلك أعظم الفراعنة المشيدين للآثار في مصر، وغيرها من أملاك الإمبراطورية في آسيا وبلاد النوبة.

(٢-٣) مبانيه في بلاد النوبة

ففي بلاد النوبة حيث تكنف الصحراء النيل تراه قد انتهج نهجاً جديداً في إقامة الآثار؛ إذ إنه بدلاً من قطع الأحجار، وبناء المعابد للآلهة المحلية أخذ في نحت تلك المعابد في الصخر نفسه، وبخاصة لأنه لم يكن لديه الفضاء الكافي لإقامة هذه المعابد بين النيل والتلال الصخرية التي تكنفه من الجانبين. على أن فكرة قطع المعابد الكهفية لم تكن فكرة مبتكرة لـ «رمسيس الثاني»، بل ترجع في الواقع إلى عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الرابعة، بل منذ الأسرة الأولى عندما كان أولاد الأسرة المالكة، وعظماء القوم ينحتون مزاراتهم في الصخور التي بُنيت بجوارها الأهرام العظيمة لإقامة شعائرهم فيها، وربما

لم يفكر مصريو الدولة القديمة في نحت معابد الآلهة، أو الملوك في الصخر؛ لأنه لم يكن الطراز الشائع في ذلك الوقت بالنسبة للآلهة، ولكن لم يحل عهد الدولة الوسطى حتى رأينا هذا الطراز من المعابد والمزارات يظهر، فنجدته في «بني حسن»، وفي «أسيوط» في عهد الأسرة الثانية عشرة، كما نجده في «الدير البحري»، و«الكاب»، و«جبل سلسلة» كما ذكرنا من قبل، ومما هو جدير بالملاحظة في هذه المعابد الكهفية أنه قد روعي فيها أن تكون على غرار المعابد المقامة بالحجر من حيث التخطيط، اللهم إلا بعض تغييرات تحتمها طبيعة الصخر الذي نُحت فيه المعبد، ويشاهد أنه من الأمكنة التي فيها تمتع على ضفة النيل كان ينحت جزء من المعبد في الصخر فقط، أما الجزء الأمامي منه فكان يبني في الهواء الطلق بقطع أحجاره من المحاجر المجاورة، وبهذه الكيفية كان المعبد يتألف من جزأين: أحدهما مبني، والآخر مقطوع في أصل الصخر. وأهم هذه المباني وأعظمها من الوجهة التاريخية والفنية ما يأتي:

معبد «بيت الوالي»

وعلى هذا النسق نظم مهندسو «رعمسيس الثاني» ردهة معبد «بيت الوالي» وبوابته، وقد نُحِتَت حجراته في الصخر عند فوهة وإِ جانبِي، ويتألف من دهليز وقاعة عمد منحوتة في الصخر، ومحراب صغير ودهليزه الذي لم يبقَ منه إلا جدرانُه المنحوتة من الصخر، وقد استعمل في العهد المسيحي كنيسة، وأهم ما يلفت النظر في هذا المعبد النقوش التاريخية التي نُقِشت على جدران الدهليز، وقد عملت منها — لجمالها وأهميتها — نماذج محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، والواقع أن هذه المناظر لها أهمية تاريخية عظيمة في حياة «رعمسيس الثاني» قبل انفراده بالحكم كما سبق الكلام عن ذلك.

فعلى الجدار الذي على يسار الداخل يشاهد منظران يمثلان انتصار الفرعون على النوبيين، ويرى الملك في المنظر الأول جالساً على عرشه تحت قبة، وفي الصف الأسفل فيه نشاهد عظماء القوم يقدمون له الجزية من مختلف الأنواع، وأهم ما يلفت النظر من بينها لوحة محلاة بالنباتات يتدلى منها حلقات وجلود، وخلف ذلك يرى نوبيان مكبَّلان، ثم يأتي خلفهما نوبيون يحملون القرب، وتتألف من قردة وكلاب صيد وفهود وزرافة ونعامه وماشية، وكذلك نساء معهن أطفالهن، إحداهن تحمل طفلها على ظهرها في سلة بواسطة سير مربوط على رأسها، ويلاحظ أن أحد الثيران المهداة له قرنان ممثلان كالذراعين بينهما رأس عبد أسود يطلب الرحمة.

وفي الصف الأعلى نشاهد اللوحة السالفة الذكر موضوعة أمام الفرعون في حين كان نائب السودان (ابن الملك) يحلّي صدره سلاسل شرف من الذهب؛ مما أنعم به الفرعون عليه، ويشاهد بعد ذلك حلقات من الذهب، وكراس، وأسنان فيلة، وأقواس، ودروع، وجلود فهود، وأبنوس، ومراوح، ومواد أخرى قُدمت جزية، وكذلك نرى عبيدًا يتقدمون بهداياهم التي تتألف من ماشية وغزلان، وأسود، وغير ذلك. وفي المنظر الثاني نشاهد الملك وولديه يظهران في عرباتهم يهاجمون الأعداء من السود، فيهرب العبيد إلى قريتهم التي تقع بين خمائل الدوم، ويلاحظ أن نوبيًا مجروحًا قد قاده صديقان له إلى زوجه وأولاده، في حين نرى امرأة أخرى تقعد بجانب نار تطهو طعامًا.

أما المنظر الذي على الجدار الأيمن فيمثل حروب الفرعون مع السوريين واللوبيين، ففي الصورة الأولى من جهة اليمين نشاهد الفرعون يقف فوق عدوين مطروحين أرضًا، ويقبض على ثلاثة آخرين من السوريين من نواصيهم، على حين نشاهد أميرًا يسوق أسرى موثقين أمامه.

وفي المنظر الثاني نشاهد الفرعون أمام حصن سوري على شرفاته رجال ونساء يطلبون الرحمة، ومن بينهم امرأة تحمل طفلًا بين ذراعيها، ويرى الملك قابضًا على أحد الأعداء — الذي كان ممسكًا بقوس مهشم — من شعره ليقبله، وفي أسفل نشاهد أحد الأمراء يهشم بابًا ببلطته.

وفي المنظر الثالث يشاهد الفرعون في عربته يهاجم السوريين الفارّين، ويقتل اثنين من الأعداء، على حين يرى اثنان آخران مربوطين في عربته.

وفي المنظر الذي يلي ذلك نرى الفرعون يضرب لوبيًا في حين كان كلبه يقبض على العدو، وفي آخر المطاف نشاهد الفرعون جالسًا تحت قبته على عرشه، وبجانبه أسده الأليف، وابنه المسمى «أمون حرونف» يقدم له أسيرًا سوريًا.

ولا نزاع في أن هذه المناظر تقدم لنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد التي حاربها «رعمسيس الثاني»، وما كان عليه أهلها من رخاء ومدنية؛ فأهل بلاد النوبة كانوا — على ما يظهر — في سعة من العيش إذا كان ما يقدمونه للفرعون من جزية واقعيًا، كما يضع أمامنا صورة ناصعة عن محاصيل هذه الأصقاع في تلك الأزمنة، وبخاصة الذهب وأنواع الحيوان، والمصنوعات التي كانوا يحذقونها، كما تعطينا صورة عن قُراهم وحياتهم المنزلية. وتدل كل ظواهر الأحوال على أن حالة بلاد «السودان» كانت في ذلك العهد في رخاء مثلها في ذلك مثل الوادي نفسه، أما في «سوريا» فنرى أن القوم كانوا متحصنين

في قلاعهم التي كان يهاجمها «رعمسيس» وابنه في المقدمة، ومما يلفت النظر كذلك أن الفرعون كان يستعين في حروبه بالكلاب كما كانت الحال في عهد الدولة الوسطى (راجع ج٣)، وكذلك كان يصحب أسده الأليف في كل مكان.^{١١٣}

معبد «جرف حسين»

يقع هذا المعبد على الضفة اليمنى، وقد سماه مؤسسة «رعمسيس الثاني» «بربتاح» (بيت بتاح)، وقد أقامه «ستاو» (راجع ج٥) حاكم بلاد النوبة في تلك الفترة باسم «رعمسيس»، وأهدى للإله «بتاح» رب «منف» وزوجه «سختم» وابنه «نفرتم»، ويلاحظ أن بوابة هذا المعبد قد هدّمت ولم يبقَ منها إلا بعض آثار مبعثرة، ولكن جزء المدخل الذي كان يحيط بالردهة لا يزال قائماً، وكذلك جزء من العمود والتماثيل التي تركز بظهورها على هذه العمود لا تزال في مكانها، وبعد هذا المدخل نجد قاعة عظيمة مقطوعة من الصخر، يرتكز سقفها على ستة أعمدة مقطوعة في الصخر، كذلك يستند على كل واحد منها صورة الفرعون، وكذلك توجد أربع كوات في كل جانب من جوانب هذه القاعة، مثل على جدرانها الفرعون بين «أمون رع» و«موت»، وبين «حور» سيد «باكي» (كوبان)، و«حور» رب «بوهن»، وبين «بتاح تنن»، والبقرة «حتحور»، وبين «بتاح» و«سختم»، وكذلك نشاهده بين «خنوم» و«عنقت» وبين «نفرتم» و«ساتت»، وبين «حور» رب «معم» (عنيبة)، وبعد ذلك نصل إلى قاعة أخرى مثل فيها الفرعون أمام آلهة أخرى، كما نجده هو مؤلهاً، ومن هذه الحجرة يصل الإنسان إلى قدس الأقداس في نهاية المعبد، حيث نجد في وسطها طواراً مقطوعاً من الصخر كان يوضع عليه القارب المقدس.^{١١٤}

معبد «السبوعة»

يقع معبد «السبوعة» — كما يسمى الآن — على الضفة الغربية من النيل، ويسمى بالمصرية «برأمن» — أي بيت آمون — وقد أهداه «رعمسيس الثاني» لكل من الإله «أمون»، وإله الشمس «رع حور اختي»، وقد بني بنفس التصميم الذي وُضع لمعبد «جرف حسين»،

^{١١٣} راجع: Roeder, Der Felsentempel Von Bet el Wali p. 31 ff.

^{١١٤} راجع: Baedeker's, Egypt (1929) p. 420 ff.

وكان «رعمسيس» ضمن الآلهة الذين كانوا يُعبدون فيه، وهذا المعبد كان محاطاً بجدران من اللبن حُطمت الآن، وبوابته من الحجر، يكنفها تمثال «رعمسيس الثاني»، وتمثال «بولهول» يمثل الفرعون أيضاً، وهذه البوابة تؤدي إلى الردهة الأمامية من المعبد، وقد حُلي ممرها الأوسط بستة تماثيل «بولهول» في صورة أسد يرتدي كل منها التاج المزدوج، ومن ثم أُطلق على المعبد الاسم الحديث «السبوعة»، وبعد ذلك ينفذ الإنسان من بوابة ثانية من اللبن إلى الردهة الثانية المحلاة من جانبيها بتمثالين في صورة «بولهول»، ورأسه رأس صقر، وهو رمز للإله «رع حور اختي»، ومن ثم يصل الإنسان إلى المعبد الأصلي بوساطة سلم يؤدي إلى بوابة من الحجر، أقيم أمامها أربعة تماثيل للفرعون، ومن هذه البوابة يدخل الإنسان إلى القاعة العظمى المزينة بالأعمدة والتماثيل الضخمة للفرعون، ومنها إلى قاعة العمدة العظمى، التي تؤدي بالزائر إلى قدس الأقداس، وقاعة أخرى جانبية مثل على جدرانها الفرعون مع آلهة مختلفين، ولكن مما يلفت النظر في هذه النقوش صورة «رعمسيس الثاني» يقدم قرباناً لصورته هو؛ أي إن «رعمسيس الثاني» كان يتعبد لتمثاله هو.^{١١٥}

ونقش الإهداء الذي تركه لنا «رعمسيس» هو: «رعمسيس الثاني» قد عمله بمثابة أثر لوالده «أمون رع» ملك الآلهة» (L. D. III, 180). وكذلك نقش على عمود في الردهة الأمامية الإهداء التالي: «رعمسيس مري أمون» في «بيت أمون» قد أقامه بمثابة أثر لوالده «أمون رع» صانعاً له عموداً عظيماً وفاخراً، محلياً بكل حجر ثمين غالٍ، ليعطي الحياة والثبات والرضى مثل «رع» يومياً.

معبد «الدر»

يقع عند سفح التلال، وهو مقطوع في الصخر أيضاً، ويسمى معبد «رعمسيس» في بيت «رع»، وقد أقامه «رعمسيس الثاني»، وأهداه إلى إله الشمس «حور اختي»، وهاك نص الإهداء: «لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر لوالده «حور اختي»، فعمل له بيت «وسر ماعت رع مري أمون في بيت رع». كذلك نجد نقش إهداء آخر وهو: «رعمسيس الثاني» أقامه بمثابة أثر لوالده «أمون رع» رب «طيبة»، وملك الأرضين فأقام له معبداً في بيت «رع».

^{١١٥} راجع: Baedeker's Egypt (1929) p. 424.

وبوابة هذا المعبد وردته قد مُحيتا، والزائر يدخل الآن أولاً قاعة مخربة، لم يبقَ منها إلا بعض أعمدة في نهايتها، تركز عليها تماثيل ضخمة للفرعون، أما جدران هذه القاعة فلم يبقَ منها إلا الجزء الأسفل، وقد نُقش على تلك الجدران مناظر لها أهمية تاريخية؛ إذ نشاهد مناظر من حملة على بلاد النوبة على الجدار الأيمن، يظهر فيها الفرعون وهو يقود بعض الأسرى أمام الإله، وفي الصف الأسفل من هذا المنظر يشاهد الفرعون وهو في عربته يفوق سهامه على العدو الهارب، كما نشاهد الهاربين يحملون جرحاهم إلى الجبال؛ حيث نشاهد أسرة راعٍ محاطة بمواشيها تنتظر في حزن وأسى إلى الجرحى. ومما يلفت النظر في أحد هذه المناظر أن الأسد الذي يتبع الفرعون كان يقبض على أحد الأسرى من ساقه، وهذه القاعة تؤدي إلى قاعة عمد تكاد تكون مربعة الشكل، ومنحوتة كلها في الصخر، ويشاهد على جدارها الخلفي صور الآلهة الذين كانوا يُعبدون في هذا المعبد، وهم: «بتاح»، و«أمون رع»، والملك، و«حور اختي»، وهكذا كان يؤله «رعمسيس» في هذا المعبد أيضاً.^{١١٦}



شكل ١٠: معبد «بو سمبل» الذي أقامه «رعمسيس الثاني».

^{١١٦} راجع: Baedeker's. Egypt p. 428.

معبد «بو سمبل»

قد لا نكون مبالغين إذا قرّرنا هنا أن معبد «بو سمبل» يعد أعظم بناء ضخم صنعه الإنسان على وجه البسيطة في زمانه، والواقع أن بانيه كان يقصد أن ينحت لنفسه مبنى منقطع النظير، يفوق به كل من سبقه؛ ولذلك نجد أنه حوّل صخرة «بو سمبل» إلى أثر يدل على عظمته وضخامة ملكه بين الفراعنة. حقاً إن صخور الشاطئ هنا تبرز تجاه النيل، وتؤلف نتوءاً مخروطي الشكل، وقد حلى وجهها «رعسيس الثاني» بنقش لوحات مجد وظفر يُقرأ في سطورها الملاحون أو الجنود الذين ينحدرون في النهر، أو يصعدون فيه مدائح هذا الفرعون، وأعماله العظيمة التي كتبها لنفسه في سجل التاريخ.^{١١٧}

وإذا وازنا هذا المعبد بالمباني الفرعونية الأخرى في مصر نفسها نجده يفوقها من كل الوجوه، وهو منحوت كله في الصخر الصلب، وقد أهداه بانيه أولاً للإلهين «أمون رع» رب طيبة، و«حور اختي» إله «هليوبوليس» وهما الإلهان الرئيسيان في مصر، ولكن نجد أن الإله «بتاح» رب «منف» و«رعسيس الثاني» نفسه كانا يقدّسان كذلك فيه، والقول المشهور عن تأسيس هذا المعبد أنه يُنسب إلى «رعسيس الثاني»، غير أن الأستاذ «برستد» يقول: إنه كان قد بُني منه جزء كبير عند تولية «رعسيس» الملك، وقد عزز رأيه هذا بقوله: إنه يوجد نقش باسم «سي تي الأول» على المدخل في نهاية القاعة الأولى، وهذا المدخل هو الذي يصل منه الإنسان للقاعة الثانية.

والواقع أن الأستاذ «برستد» قد بنى رأيه هذا على اعتقاده أن «رعسيس الثاني» لم يشترك مع والده في الملك عدة سنين قبل انفراده بالملك كما بينا ذلك من قبل، وعلى ذلك قد يجوز أن يكون البناء كله وتصميمه من عمل «رعسيس الثاني» في أثناء اشتراكه مع والده في الحكم. أما نقش الإهداء فيصاحبه منظر يُرى فيه «رعسيس الثاني» على عرشه، ومعه موظف يُدعى «رعسيس عشاحب» منحنيًا أمامه، والمتن يدل على أن «رعسيس» يعطيه التعليمات ليقم معبدًا باسم الإله «حورحا»، ومن المحتمل أنه معبد «سرة» المسمى «إكشه» لا معبد «بو سمبل». ويقول «برستد» كذلك: إن الإشارة الهامة إلى استعمال الأسرى الأجانب في بناء المعبد تدل على أن المعبد قد أُقيم بعد بداية حروب هذا الفرعون، ولا بد أنه يعنى هنا عندما انفرد بالملك، ونحن لا نعرف حروبًا شنها في السنة

^{١١٧} راجع: .Ed. Meyer Gesch. II, I, p. 500; Maspero, The Struggle of the Nations p. 411 ff.

الأولى من حكمه، بل الواقع أن هؤلاء الأسرى كانوا من الذين استولى عليهم في حروبه قبل انفراده بالحكم، هذا إذا صدقنا كل ما حدثنا به الأثري «كيث سيلي» في كتابه عن اشتراك «رعمسيس» مع والده في الحكم، ونجد أمام الموظف «رعمسيس عشاحب» المتن التالي: «الساقي الملكي لجلالته — له الحياة والفلاح والصحة — «رعمسيس عشاحب». المظفر يقول: أما وصف كل ما يخرج من فيك فهو مثل كلمات الإله «حور اختي».^{١١٨} ونجد كذلك فوق هذا الموظف وخلفه نقشاً يبتدئ بألقاب هذا الفرعون كاملة، ويتلوها بعض نعوت شعرية مثل: «من ينشر جناحيه على جيشه»، ثم تنتهي هذه النعوت بقوله: «صانع الآثار في بيت «حور» والده الفاخر». وبعد ذلك يقول المتن:

تأمل أما جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — فإنه يقظ في البحث عن كل فرصة مفيدة، بعمل أشياء ممتازة لوالده «حور» رب «حا» (وهو الإقليم الذي يقع فيه معبد «بو سمبل»)، مقيمًا له بيت عشرات آلاف السنين بحفره في جبل «حا» هذا، وهو ما لم يأتَه أحد من قبله إلا ابن «أمون» فقوّته في كل الأراضي، وقد أحضر له جمًّا غفيرًا من العمال ممن استولى عليهم بسيفه في كل مملكة، ولقد ملأ بيوت الآلهة بأولاد «رتنو»، وبعد ذلك أعطى ساقي فرعون «رعمسيس عشاحب» الأوامر لإعداد بلاد «كوش» من جديد باسم جلالته العظيم — له الحياة والفلاح والصحة — فقال: «الحمد لك يَاها الملك الشجاع، يا شمس الأقواس التسعة، إنه لا يوجد تائر في زمنك، بل الأرض كلها في سلام.^{١١٩} وقد قرر والدك «أمون» من أجلك أن تصير كل أرض تحت قدميك، وإنه يمنحك الجنوب والشمال والغرب والشرق، والجزر التي في وسط البحر.»

ويوجد إهداء للإله «حور اختي» وهو:

«إن «رعمسيس الثاني» قد عمله بمثابة أثر لوالده «حور اختي» الإله العظيم رب النوبة» وسنفضل القول بعض الشيء في وصف نقوش هذا المعبد لما لها من الأهمية العظمى من الوجهة الحربية والدينية والسياسية في تاريخ البلاد في ذلك العهد.

^{١١٨} راجع: L.D. III, 191 m. n.

^{١١٩} راجع: L. D. III, p. 187, a. b

يتألف هذا المعبد من ردهة أمامية قُطعت في الصخر أمام المعبد الأصلي، وكانت محاطة في الأصل بسور من اللبن، ويتصل بهذه الردهة طوار يصل إليه الإنسان بسلم، وعلى اليمين واليسار منه كوتان ربما كانتا تحتويان على أحواض للطهور لزائري المعبد، وعلى جدرانها نقوش لـ «رعمسيس الثاني»، وهو يقدم القربان، ويحرق البخور للآلهة «أمون»، و«رع»، و«حور اختي»، و«بتاح»، وعلى جدران هذا الطوار صفوف من الأسرى تنتهي بشرفة نقش عليها متن الإهداء الذي نقشه «رعمسيس»، وخلف هذه الشرفة أربعة تماثيل هائلة الحجم للفرعون مقطوعة في الصخر، كل منها يربى على خمس وستين قدمًا في الارتفاع؛ أي أعظم حجمًا من تمثالي «ممنون» اللذين أقامهما «أمنحتب الثالث» أمام معبده الجنائزي بطيبة الغربية (راجع ج ٥). وقد نُحت على يمين وشمال كل من هذه التماثيل الجالسة صورتان لبعض أفراد الأسرة، نذكر منها الأميرة «نب تاوي»، والأميرة «بنت عنتا»، ثم الملكة «تويا» والدة «رعمسيس الثاني»، وزوجه «نفرتاري»، وبين ساقبي تماثل منها الأمير «أمون حرخبشف».

أما واجهة المعبد التي تمثل هنا البوابة في المعبد المبني بناءً عاديًا فموجّهة بكرنيش على هيئة جريد النخل، ويعلوها صف من القرده يتعبدون للشمس المشرقة، وهنا نجد نقش الإهداء لـ «أمون رع»، و«حور اختي»، وبعد المرور من هذه البوابة تدخل المعبد المقطوع في الصخر، ويبلغ عمقه حوالي ثمانين ومائة قدم من الأسكفة حتى آخر حجرة داخلية؛ أي حتى قدي الأقداي، والحجرة الأولى من هذا المعبد، وهي قاعة العمد العظيمة، تقابل في المعبد العادي الردهة المفتوحة ذات العمد المسقوفة، ويبلغ عرضها أربعًا وخمسين قدمًا، وعمقها ثمان وخمسون قدمًا، ويرتكز سقفها على ثمانية أعمدة مربعة الشكل، يستند على كل منها صورة الملك في هيئة «أوزير»، وسقف الطريق الوسطى في هذه الحجرة محلى بعقبان طائرة، أما الطريقان فيحلى سقفيهما نجوم.

ويشاهد على النصف الأيمن من جدار المدخل الملك وهو يضرب زمرة من الأعداء في حضرة «رع حور اختي» الذي يقدم له السيف المعقوف، وعلى النصف الأيسر من الجدار منظر آخر يماثل الأول، غير أن الملك في هذه المرة يقف أمام الإله «أمون رع»، وعلى الجدار الجنوبي نشاهد الملك في عربته يهاجم قلعة سورية، على حين نرى المحاصرين يطلبون الرحمة، وهم فوق الشرفات والسهام نافذة في أجسامهم، ويتبع الملك ثلاثة من أولاده، وفي أسفل هذا المنظر نشاهد راعياً يفر بقطيعه إلى المدينة، كما نشاهد الفرعون يضرب بحرته لوبياً، وفي النهاية يعود الملك مظفراً من الواقعة، ومعه الأسرى من السود.

أما الجدار الشمالي فقد مثل عليه منظر من مناظر حملة الملك على «الخيتا»، وهي التي مثلت على معابد «الرمسيوم»، و«الأقصر»، و«العرابة»، وغيرها كما ذكرنا. (انظر صورة ٥ موقعة قادش بمعبد بو سمبل).

ففي النصف الأسفل من الجدار نشاهد أولاً سير الجيش المصري الذي يحتوي على مشاة وخيالة، والمعسكر المصري ودروع الجنود مصفوفة حوله كأنها أقيمت حاجزاً، وجلبة الجيش ممثلة هنا بصورة حية، ونشاهد الخيل غير المرسجة يوضع أمامها علفها، كما نشاهد الجنود يأخذون نصيبهم من الراحة، وكذلك أتباع الجيش الذين يحملون الأمتعة، وعلى اليمين نشاهد السراشق الملكي، والصورة الثالثة على هذا الجدار يظهر فيها الفرعون على عرشه عاقداً مجلساً حربياً استشارياً مع ضباطه، وأسفل هذا نرى جاسوسين تنتزع منهما الاعترافات بالضرب، وفي المنظر الأخير على اليمين ترى عربات المصريين و«الخيتا» مشتبكة فعلاً في معركة، أما المنظر الذي على النصف الأعلى من الجدار فنشاهد فيه الواقعة على أشدها، فيرى الفرعون على اليسار وهو ينقض بعربته على العدو الذي أحاط بعرباته، وفي الوسط نشاهد قلعة «قادش» محاطة بنهر «الأرنت»، والمدافعون عنها يرقبون سير القتال من الشرفات، وفي أقصى اليمين نشاهد الملك في عربته يفحص ضباطه الذين يعدون أيدي العدو المقطوعة، كما يحضرون أسرى مكبلين بالأغلال، وعلى الجدار الخلفي على يمين الباب الأوسط نرى «رعمسيس الثاني» يقود صفين من أسرى «خيتا» أمام الإله «حور اختي»، وأمام تمثاله المؤله (تمثال «رعمسيس الثاني»)، والإلهة «ورت حكو» برأس أسد، وعلى اليسار يقدم صفين من العبيد للإله «أمون»، ولصورة «رعمسيس» المؤله، وللإلهة «موت».

ويوجد بين آخر عمودين في هذه القاعة من جهة اليسار لوحة مؤرخة بالسنة الخامسة من حكم «رعمسيس»، نُقش عليها متن يُذكر فيه «رعمسيس» أنه قد أقام معبداً للإله «بتاح» في «منف» وأوقف عليه منحة عظيمة كما ذكرنا، ويتصل بهذه القاعة العظيمة ثماني حجرات صغيرة ربما كانت خاصة بأدوات العبادة، وبعد ذلك يدخل الزائر قاعة عرضها ست وثلاثون قدماً، وعمقها خمس وعشرون قدماً ترتكز على أربعة أعمدة، وعلى جدرانها مناظر يظهر في أحدها الملك وزوجه «نفرتاري» يقدمان البخور أمام القارب المقدس للإله «أمون» محمولاً على أعناق كهنة، ومن هذه القاعة نصل إلى حجرة أخرى من ثلاثة أبواب، ومن ثم إلى قدس الأقداس الذي يحتوي على قاعدة منحوتة في الصخر ليوضع عليها القارب المقدس، وخلفها نشاهد صور الآلهة الأربعة الذين يقَدِّسون في هذا

المعبد وهم: «بتاح»، و«أمون»، و«رعمسيس» المؤلَّه، ثم «حور اختي» (راجع Baedeker ibid. p. 431)، ويوجد خارج هذا المعبد بعض آثار صغيرة تابعة له من عمل «رعمسيس الثاني»، منها لوحة نقشت على الجدار الجنوبي للردهة الأمامية، وهي المعروفة بلوحة الزواج، وقد نقشت في السنة الخامسة والثلاثين من حكم هذا الفرعون تذكيرًا لزواجه من بنت ملك «خيتا» التي أحضرها والدها إلى مصر، ففي أعلى هذه اللوحة يرى الفرعون جالسًا بين إلهين تحت قبة، في حين أن ملك «خيتا» وابنته يتعبدان له.

معبد «حتحور»

وعلى مقربة من هذا المعبد العظيم معبد آخر أقامه «رعمسيس» للإلهة «حتحور» و«نفرتاري» زوجة التي ألَّهت مثله، وواجهة هذا المعبد التي تقوم مقام البوابة عرضها اثنتان وتسعون قدمًا، والظاهر أنه لم يكن أمامها ردهة، وعلى كلا جانبي الباب نحت «رعمسيس الثاني» تماثيلين ضخمين له يتوسطهما تماثيل لزوجته «نفرتاري»، وبجانب هذه التماثيل نُحِتت تماثيل بعض أولاد الفرعون، فبجانب تماثيل «نفرتاري» نُحِتت صورة الأميرة «مريت أمون» على اليمين، وصورة الأميرة «حنت تاوي» على اليسار، وبجانب تماثلي الملك نُحِتت صور الأمراء أولاد الملك، وهم: «مري أتوم»، و«مري رع»، و«أمون مرخبشف» و«بارع حرونمف».

وقاعة العمدة العظمى في هذا المعبد منحوتة في الصخر، ومحمولة على عمد مزينة من الأمام بصاجات «حتحور» ورأسها. أما أوجه العمدة الأخرى فمحللة بصورتَي الفرعون وزوجه «نفرتاري»، وبأللهة أخرى، والمناظر التي على جدران هذه القاعة ليست لها أهمية تاريخية، بل تمثل تعبد الفرعون وزوجه للإلهة «حتحور»، والإلهة «ست»، و«حور»، و«عنقت»، و«أمون»، و«بتاح»، و«حرشفي»، و«حور اختي»، و«موت». وفي الجهة الشمالية نجد لوحة المهندس «رعمسيس عشاحب»، وكذلك يوجد جنوبي المعبد الكبير معبد صغير مهدى للإله «تحوت»، وهو مقطوع في الصخر أيضًا. ١٢٠

١٢٠ راجع: J. D., III, 195 b. c., Petrie Hist. III. P. 81; Baedeker Egypt (1929) p. 435 f. f.

محراب «فرس»

وعلى الضفة اليمنى للنيل نحت «رعمسيس» محرابًا للإلهة «حتحور» لا تزال بقاياها محفوظة حتى الآن، وبه مقصورة صغيرة لحاكم السودان «ستاو» الذي كلف تولي العمل فيه (راجع مصر القديمة ج ٥).

معبد «سره»

وقد أقام «رعمسيس الثاني» في جنوب بلدة «سره» على الضفة اليمنى للنيل على مسافة عشرة أميال شمالي حلفا معبدًا لا تزال بقاياها محفوظة حتى الآن، وقد باد نقش الإهداء الذي كان على الواجهة، غير أنه لحسن الحظ قد حفظ لنا حتى الآن على أحد الأبواب النقش التالي مكرراً: الباب العظيم للفرعون «وسر ماعت رع ستبن رع» قد عمله بمثابة أثره لصورته الحية في بلاد النوبة، واسمه الجميل الذي وضعه جلالته هو «وسر ماعت رع سام في قوته»، ومن ذلك نعلم أن «رعمسيس» كان نفسه رب هذا المعبد كما كان «أمنحتب الثالث» رب معبد «صولب» في بلاد النوبة.^{١٢١}

وفي «نباتا»

بنى «رعمسيس الثاني» معبدًا للإله «أمون» في المعبد الكبير الذي أسس في عهد الأسرة الثامنة عشرة في حكم «توت عنخ آمون».^{١٢٢}

٣-٣) المعابد الضخمة التي أقامها «رعمسيس» في القطر المصري ونقوشها التاريخية

والمعابد التي أقامها «رعمسيس» داخل القطر لا تقل في روعتها وبهاؤها وكثرتها عن التي شيدها في بلاد النوبة والسودان، بل أكثر منها عددًا، وتنتشر في البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وسنذكر ما تبقى منها حتى الآن مبتدئين من الجنوب.

^{١٢١} راجع: Sayce Recueil, XVII, 136 t., Br. A. R. III, § 502.

^{١٢٢} راجع: Petrie Hist. III, p. 81.; Baedeker Ibid. p. 446.

(أ) معبد «الكاب»

ففي مدينة «الكاب» أقام «رعمسيس» معبدًا صغيرًا داخل أسوار المدينة القديمة للإلهة «نخبت»، وقد وجد فيه الإهداء التالي: لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لأمه «نخبت»، فشيّد لها بوابة عظيمة ... من الحجر الرملي الجميل، وطوله خمس عشرة ذراعًا، وبابه من خشب الأرز، ومغشى بالنحاس اسم جلالته العظيم^{١٢٣} ...

(ب) معبد «الأقصر»

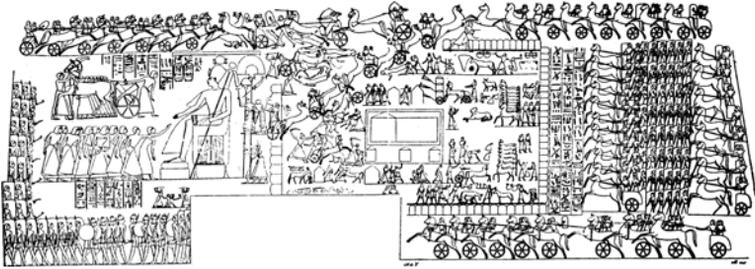
كان المؤسس لهذا المعبد — كما ذكرنا في (الجزء الخامس) — «أمنحتب الثالث»، وكان «تحتمس الثالث» قد أقام مقصورة من الجرانيت قبالة هذا المعبد، غير أنه في عهد الثورة الدينية مُحيت صور الإله «آمون»، وبُنِي هناك محارِب للإله «آتون» بجوار المعبد الكبير، وقد أزيل معبد «آتون» في عهد «سيتي الأول»، وأعيدت صور «آمون» كما كانت. ولما تولى الحكم «رعمسيس الثاني» الذي يُعد بحق أكبر مقيم للمباني الدينية وغيرها لم يسعه إلا أن يضيف شيئًا لمعبد الأقصر، فأقام ردهة عظيمة ذات عمد أمام المعبد الذي كان يُعد كاملاً، ولكن قضت الأحوال — لأجل إتمامه — أن يغتصب مقصورة «تحتمس الثالث» السالفة الذكر، فمحا نقوشها القديمة، ونقش غيرها جديدة باسمه، وكذلك أقام البوابة الضخمة التي لا تزال قائمة حتى الآن.

وقد أقام «رعمسيس الثاني» أمام البوابة الرئيسية ستة تماثيل ضخمة لنفسه، وأمام هذه التماثيل نَصَب هذا الفرعون مسلتين من الجرانيت الوردية بمناسبة ذكرى أحد أعياده الثلاثينية، وتوجد إحدهما الآن في ميدان «الكونكورد بباريس» منذ عام ١٨٣٦م، ونقوش هذه المسلات تحتوي نعوًا وألقابًا ضخمة، يدعي فيها أنه هو الذي أسس المبنى الفاخر في الأقصر الجنوبية «إبت»، أما الثانية فلا تزال في مكانها.

وتزين جدران هذه البوابة العظيمة نقوش غائرة تشير إلى حملة «رعمسيس» على «خيتا» في السنة الخامسة من حكمه (انظر صورة المعسكر ١١ لموقعة قادش على بوابة معبد الأقصر)، فعلى جدران البرج الأيمن من جهة الشمال نشاهد الفرعون على عرشه

^{١٢٣} راجع: L. D. Text. IV, 37; Br. A. R, III. § 505

عاقداً مجلساً حربياً مع أمرائه، وفي وسط المعسكر المحصن بدرع الجنود يهاجمه جيش «خيتا»، وعلى اليمين يشاهد الفرعون في عربته يندفع وسط المعركة.



شكل ١١: منظر معسكر موقعة قادش كما صُوِّر على جدار بوابة معبد الأقصر.

أما المناظر التي على البرج الأيسر فتضعنا في وسط معمعة القتال، فالفرعون ينقضُّ على الأعداء الذين أحاطوا به، ويفوقُ سهامه عليهم. ولذلك نجد ساحة القتال مغطاة بالقتلى والجرحى في حين أن جنود «خيتا» يولون الأدبار في ارتباك متجهين نحو قلعة «قادش» التي كان يبرز منها جنود جدد. وعلى مسافة من ذلك شمالاً نشاهد بلدة «قادش» محاطة بالماء، وعلى شرفاتها يقف المدافعون عنها كما يُرى بعيداً عن ساحة القتال أمير بلاد «خيتا» واقفاً في عربته محاطاً بحرسه، وهو يرتعد خوفاً أمام جلالته، وتحت هذه المناظر نقرأ على جدران البرج الغربي القصيدة التي تصف هذه الحروب، وضروب الشجاعة التي أظهرها الفرعون.

وتؤدي هذه البوابة الرئيسية إلى الردهة العظيمة التي أقامها «رعمسيس الثاني»، وكانت محاطة بالعمد التي يبلغ عددها أربعة وسبعين عموداً بردية الشكل، وجدرانها مغطاة بالمناظر والنقوش الدينية والحربية.

والمهندس الذي أشرف على بناء هذا الجزء من معبد «الأقصر» هو «باكنحنسو» الكاهن الأكبر للإله «أمون»، وقد ترك على تمثاله ملخصاً عن بناء هذا المعبد (راجع حياة «باكنحنسو»).

أما الوثائق الثلاث الوحيدة التي نُشرت عن هذا البناء فهي الإهداءات التالية:

الأول: الثور القوي مَفْحَم «طيبة»، محبوب الإلهتين، ممكن الآثار في الأقصر لوالده «أمون» الذي وضعه على عرشه، «حور» الذهبي الذي يبحث وراء الأشياء المتنازة لمن صوّره، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»، لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أمون رع» ملك الآلهة مقيمًا له معبد «رعمسيس مرى أمون» في بيت «أمون» من الحجر الرملي الدقيق الذي عمله له «ابن رع» (رعمسيس) معطي الحياة مثل رع أبدًا.

أما النقشان الآخرا فلهما كأول حتى جملة بيت «أمون»، ثم يستمر واحد منهما بالكلمات: «أمام الأقصر مقيمًا له بوابة جديدة تقترب عمد أعلامها من الأفق، وهي التي أقامها ابن «رع».» والمتن الثالث يستمر «وجماله يصل إلى عنان السماء، وهو مكان الأزهار لرب الآلهة في عيده بالأقصر». ١٢٤

(ج) أعمال «رعمسيس» في معبد «الكرنك»

لقد كان الرأي السائد عند علماء الآثار أن ينسبوا — دون برهان مقنع — تصميم قاعة العمدة العظمى بالكرنك، والبوابة الثانية للفرعون «حور محب»، وكذلك ينسبون إتمام هذين البناءين إلى أخلافه «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، ثم «رعمسيس الثاني»، ١٢٥ ويستندون على وضع تاريخ هذه المباني قبل «رعمسيس الأول» الذي نجد طغراءاته على خمسة مناظر على الوجهة الشرقية من البرج الشمالي للبوابة الثانية، وعلى السمك الشرقي للخارجة الشمالية للجزء الجنوبي من الدهليز الواقع أمام البوابة، إلا أن هذا الفرعون الذي لم يدُم حكمه أكثر من سنتين لا يستطيع في هذه المدة القصيرة أن يتم مثل هذه الأبنية الضخمة التي تحتويها قاعة الأعمدة العظمى، وقد أجاب الأثري «كيث سيللي» عن هذا الاعتراض بما يلي: ١٢٦

١٢٤ راجع: A. Z. (1896) p. 122–38 f.

١٢٥ راجع: Legrain. Les Temples de Karnak Bruxelles (1929) p. 133; Ed. Meyer, Gesch, II,

I p. 428 Note 2; Petrie Hist. III, p. 20

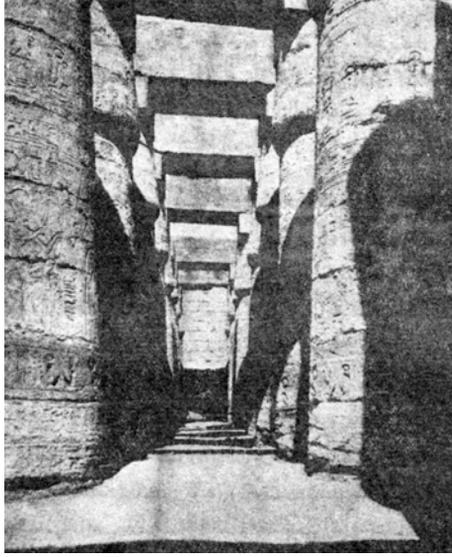
١٢٦ راجع: K. Seele Coregency, § 33–38

لما كان «رعمسيس الأول» هو أول ملك زين جدران البوابة الثانية على حسب التخطيط الجديد لقاعة العمد، ولما كانت النقوش التي قام بها تدل على وجود نقش ثانوي مضاف إلى أحجار السقف، فقد أصبح من الضروري بدهاء أن تفحص فيما إذا كانت فكرة قاعة العمد كما نعرفها من ابتداعه، أو قد ورثها عن أسلافه،^{١٢٧} والجواب على هذا السؤال على ما يظهر يتوقف — على ما يمكن استنباطه — من أمرين رئيسيين، وإن كانت معلوماتنا عنهما محدودة للغاية.

فالأمر الأول هو طول مدة حكم «رعمسيس الأول» التي نعلم أنها كانت على ما يظن قصير جداً، والتاريخ الوحيد المحقق لدينا هو السنة الثانية، اليوم العشرون من الشهر الثاني من فصل الزرع، وهذا التاريخ يعد أقل مدة لحكمه، وقد يجوز أنه حكم خمسة أعوام على أكبر تقدير، غير أن معظم علماء الآثار يعتقدون أنه لم يحكم أكثر من سنتين، وقد كان من الطبيعي أن يوجه الفرعون جل همه لبناء معبد جنازي له لا إلى إقامة المباني في «الكرنك»، اللهم إلا إذا كان قد أجبر على ذلك إجباراً من كهنة «آمون»، أو بعوامل أخرى ساعدته على ادعائه بأحقيته في تولي عرش البلاد، ومع ذلك لم نجد أن هذا الفرعون قد أتم بناء واحدًا باقياً للآن؛ إذ الواقع أن ابنه «سيتي الأول» هو الذي أقام له معبده الجنازي الصغير في «العرابة»، وقد حُفظ جزء منه في متحف «متروبوليتان»، وكذلك شاركه ابنه في معبده الخاص، ولم يتممه «سيتي» بدوره في عهد حكمه الذي بلغ اثنتي عشرة سنة أو أكثر، وهذه الحقيقة تجعلنا نعتقد أن ما قام به «رعمسيس الأول» من المباني كان محدوداً، اللهم إلا إذا كانت هناك ظروف خارجة عن حد المؤلف جعلته يشد من عزمته، ويضعف من همته.

أما الأمر الثاني فينحصر في فهمنا طرق البناية عند المصريين للمعابد الضخمة، وقد اتفق علماء الآثار المهرة والمهندسون منهم بخاصة على أن قاعة العمد قد أُقيمت

^{١٢٧} لا نزاع في أن تأثير كهنة «آمون» وخططهم وميولهم كانت تلعب دوراً هاماً في هذه الأمور الخاصة بالآلهة، وربما تعد قليلة الأهمية للذين يكتبون في هذا الموضوع، ولكن الواقع أن طائفة الكهنة هم الذين كانوا بلا نزاع يرشدون ويلهمون الملوك بالقيام بالمشاريع البنائية في المعابد، ونشاهد ذلك بنوع خاص في العهد الذي أعقب إعادة ديانة «آمون»، بل من الجائر أنهم كانوا هم القوة العاملة وراء الفرعون، فكانوا في مكانة تؤهلهم أن يملوا على الملوك ما يشاءون في هذا الصدد، وبخاصة من عهد «توت عنخ آمون» حتى عهد «رعمسيس الثاني»، وهي الفترة التي كان التحمس فيها للدين القديم على أشده من العنف والتعصب.



شكل ١٢: قاعة العمد بالكرنك.

باستعمال الطوارات الخارجية لبناء الجدران الجانبية، وباستعمال طريقة المء والتفريغ في إقامة قاعة العمد، وتفسير ذلك: أنه بعد وضع أسس الأعمدة، وإقامة قواعده كانت تُملأ القاعة بالتراب حتى قمة قواعد العمد التي وُضعت، وبعد ذلك كانت تجلب قطع الأحجار الأخرى اللازمة لبناء العمد مع تغطية الأتربة بعد بناء كل قطعة، فإذا ما انتهى تركيب قطع كل أبحار الأعمدة تكون القاعة قد مُلئت بالأتربة. ومن الأمور الثابتة التي لها أهمية قصوى أن النقوش الوحيدة التي تُنسب لـ «رعمسيس الأول» في قاعة العمد العظمى توجد في الصف الأعلى تحت الإطار الذي يلي أبحار السقف، وأقصى منظر نقشه في الجهة الجنوبية من القاعة يبتدئ مباشرة على مسافة اثنتي عشرة أو عشرين بوصة من قطعة عارضة السقف التي تمتد من البوابة حتى العمود الحادي والثمانين، وفوق

هذا المنظر نشاهد منظرًا نقشه «حور محب»، وقد [... هـ] ١٢٨ «رعمسيس الأول» بعض الشيء، هذا بالإضافة إلى أننا نجد الكوة التي نُقِرت في بناء البوابة لتوضع عليها العارضة الثانية من جهة الجنوب ظاهرة للعيان فيها الإطار الثعбاني الشكل الذي يُنسب إلى عهد ما قبل الرعامسة، وهو منقوش نقشًا غائرًا، وربما يعزى عدم محوه إلى أن هذا الجزء من الجدار لم يكن معرّضًا لنظر الجمهور، ولأن محو النقوش الأولى قد حدث بعد التغييرات الهندسية، وبعد الانتهاء من الإضافات التي عملت.

وفي اعتقادي أن إعادة نقش البوابة، وبناء قاعة العمدة كان كالاتي: على أثر وضع تصميم لقاعة العمدة كان من البدهي أن النقوش الغائرة الأصلية التي عملها «حور محب» لم تعد صالحة لأسباب مختلفة؛ ولذلك أزيلت، وعلى ذلك بدأت أعمال محو المناظر — وكانت هذه العملية تجرى في أثناء إقامة الأعمدة — عندما كانت القاعة تُملأ تدريجيًا بالأتربة لرفع الأحجار اللازمة، وقد استمرت عملية المحو حتى وصلت إلى كتل الأحجار التي كانت مخبأة وراء «مداميك» السقف هذه، وهذه العملية ربما تمت في عهد «حور محب» إذا كان هو الذي أمر بتغيير تصميم المبنى في أواخر حكمه، وبذلك يكون قد محا نقوشه التي عملها، أو أن الذي قام بهذه العملية هو «رعمسيس الأول»، ويحتمل أنه أشرك ابنه «سي تي الأول» معه في ذلك، والرأي الأخير هو المرجح.

وعند الانتهاء من بناء قاعة العمدة كان كل البناء قد ملئ بالأتربة، وكانت الأعمدة الخالية من الزينة المقامة حديثًا بطبيعة الحال مدفونة تحت هذه الأتربة، ولم يكن ظاهرًا للعيان غير أحجار السقف، وعند هذه المرحلة من البناء كان الصناع على استعداد لبدء تهييب وجوه الأعمدة كلما أزيلت عنها الأتربة التي كانت تغمرها، وهي التي كانت تستعمل بمثابة «سقالات» في أثناء بناء القاعة، وقد نقش «رعمسيس الأول» نقوشه الجميلة عندما بُدئ في إزالة هذه الأتربة في الصف الأعلى من البرج الشمالي للبوابة، وقد كان مضطرًا أن يعمل نقوشه على الصف الأعلى؛ لأن باقي القاعة كان مغطى طبغًا بالأتربة.

ويدل انتهاءه من نقش خمسة مناظر فقط — وهو عمل لا يتطلب أكثر من بعض أسابيع — على أن إقامة هذا الجزء من قاعة العمدة يمكن أن ينسب إليه بدون أي شك، ويقدر كل من المهندس «كلارك»، و«انجليباخ» لردم قاعة العمدة بالتراب ستة أسابيع،^{١٢٩}

^{١٢٨} السياق غير متصل، هكذا بالأصل.

^{١٢٩} راجع: Ancient Egyptian Masonry p. 91.

وهذا التقدير يجعل من المرجح إمكان إقامة كل الأعمدة مدة حكم «رعمسيس» القصيرة، وبخاصة إذا كانت عملية قطع لأحجار منظمة لمد البنائين بالأحجار اللازمة، ونحن من جانبنا نعلم أن كثيراً من نشاط «حور محب» الذي خلفه «رعمسيس الأول» — وهو الذي بنى الدهليز، والبوابة الثانية، والبوابتين التاسعة والعاشر في الكرنك — كان متجهًا طوال مدة حكمه إلى إعادة تنظيم الحكومة بعد سقوطها في عهد العمارنة، وعلى ذلك لا يبعد أنه قد سار في إصلاح كل فروع الأشغال العامة بدرجة عظيمة من القوة والنظام مما كانت تتمتع به البلاد من قبل عدة أجيال على الأقل، ولا أدل على هذا النظام وحسن سيره مما تم في عهد «أمنحتب الثالث» الذي أنجز حفر بحيرة النزهة المشهورة للملكة «تي» في مدة خمسة عشر يومًا، ويبلغ طولها سبعمائة وثلاثة آلاف ذراع، وعرضها سبعمائة ذراع (راجع ج ٥).

وسواء عزونا إلى «رعمسيس الأول» إقامة طريق واحد من قاعة العمد هذه أم لم نعر، فمن المؤكد أنه توفي قبل أن يتقدم كثيرًا في إعادة نقش البوابة، وقد أخذ «سي تي الأول» في إتمام هذا العمل الذي قام به والده من النقطة التي انتهى إليها، ومن ثم استمر «سي تي» في تزيين هذا الصف، وتابع العمل بالتوالي في الصفوف الباقية كلما أزيل التراب، وكانت الطريق الشمالية كلها من القاعة من عمل «سي تي الأول» ولم يحمل واحد من عمدها اسم «رعمسيس الأول»، والسبب في ذلك ظاهر إذ إنه عند موت «رعمسيس» كانت كل الأعمدة مغطاة بالتراب الذي كان قد ملأ القاعة لرفع الأحجار عليه لوضعها في أماكنها من البناء، ومما سبق نفهم أن الذي رفع بنيان عمد هذه القاعة هو «رعمسيس الأول» على الأرجح، وأن ابنه «سي تي» قد نقش عمدها، ولما اشترك «رعمسيس الثاني» مع والده في الملك شاركه في هذا العمل كما يدل النقش الغائر الذي اتخذته «رعمسيس الثاني» طرازًا له، بل نجد أنه — فضلًا عن ذلك — نسب معظم هذه القاعة لنفسه، كما اغتصب الاسم الذي وضعه لها والده، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد موت «سي تي الأول»، فقد كان اسم القاعة أولًا «معبد روح سي تي محبوب آمون في بيت آمون»، وبعد موت «سي تي» محا «رعمسيس» هذا الاسم، وجعله «معبد روح رعمسيس محبوب آمون في بيت آمون»، فإذا قبلنا ما استعرضه «كيث سيللي» في نظريته الخلافة هذه أصبح إدعاء «رعمسيس الثاني» فيما نسبه لنفسه من إقامة قاعة العمد تشبه تمامًا ما ادعاه لنفسه من إقامة آثار عدة في طول البلاد وعرضها، وهاك نص الإهداء الذي ينسب فيه «رعمسيس» قاعة العمد لنفسه:

«رعمسيس الثاني» الملك القوي، المقيم الآثار في بيت والده «آمون»، والبابي بيته بناء مخلصًا ثابتًا أبدًا. تأمل! إن الإله الطيب قد مال قلبه ليقوم آثارًا، وسواء

أكان قائماً أم يقظاً فإنه لم يفتر عن البحث في عمل أشياء ممتازة، وقد كان جلالته الذي وضع الأنظمة، وقاد العمل في آثاره، وكانت كل خطته تنفذ في الحال مثل خطط والده «بتاح جنوبي جداره»، وهو صورة في الواقع مما عمله ذلك الصانع الممتاز الذي يضع الأشياء الممتازة التي عملها جلالته ... من عمل ممتاز مخلد. وكل مملكة تحت قدميك يأبها الملك، يا حاكم الأقواس التسعة، يا رب الأرضين «رعمسيس الثاني». لقد عمله بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب «طيبة»، فأقام معبد «روح رعمسيس محبوب آمون في بيت آمون» بالكرنك من الحجر الرملي الأبيض بمثابة مثوى لرب الآلهة، ومأوى للتاسوع المقدس، وقد أحيط بـ ... عمد، وجدرانه مثل جبلي أفرديتبوليس (كرم أشقاو) ثابتة، وقد عمل ... وجماله يصل إلى عنان السماء.

الإله «آمون» يخاطب الآلهة

تأملوا أنتم هذا الأثر الطاهر الباقي الذي أقامه لي ابني من صلبني محبوب الملك «رعمسيس الثاني»، وهو الذي نشأته، وهو في الرحم ليعمل أشياء ممتازة لبيتي، وهو الذي أنجبته في صورة أعضائي نفسها ليحتفل بخروج قربان قريني (روحي)، وإنكم ستمنحونه حياة راضية، وستصيرون أتباعه الحامين له، وستكونون إخوانه عندما يكون منكم، وسيكون روحاً كما أنتم أرواح، وسيفلح اسمه مثل ما تفلح أسماؤكم، حتى نهاية جيلين (ستين سنة)، ومخلداً، وذلك من أجل ما بني لمعبد الكرنك للمرة الأولى من الحجر الرملي الجميل، وإنه قد منح مقامي السرور أكثر مما عمله أسلافه^{١٣٠} ... لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثره لوالده «آمون» رب «طيبة»، فعمل له معبد «روح رعمسيس» «محبوب آمون في بيت آمون» من الحجر الرملي الجميل، وجماله يصل إلى عنان السماء في الكرنك، وأعدته الفخمة من السام عملت مثل كل مكان في السماء، وإنها سيدة الفضة، ومملكة الذهب، وتحتوي كل حجر فاخر ثمين، وقد أقمته

^{١٣٠} راجع: Br. A. R. III §§ 510-512.

لك بقلب محب كما يعمل الابن البار لوالده، وذلك بتوسيع آثار من أنجبه،
وتمكن بيت من جعله يستولي على كل الأرض.

يعيش الإله الطيب الذي يقيم آثارًا لوالده «أمون رع». ١٣١

أما الإهداءات التي على واجهات القاعة فوق النوافذ فهي لـ «رعمسيس الثاني» أيضًا،
والمهندس الذي أقام هذه الأعمدة من قاعة العمد يُدعى «حاتي»، وهو يشير إلى أعماله
العظيمة في ألقابه كما يأتي: ١٣٢

الرئيس الأعلى للأعمال في كل آثار جلالته، الذي يقيم أعمدة عظيمة في بيت
«أمون».

وإذا كان ما يقوله هذا المهندس حقًا فإن ذلك حدث — ولا بد — في أثناء اشتراك
«رعمسيس» مع والده في الحكم كما يقرر ذلك «سيلي».

مقبرة «رعمسيس الثاني»

وقد حفر «رعمسيس الثاني» لنفسه مقبرة في «وادي الملوك»، وتُعرف برقم ٧، وليس
للمقبرة شهرة واسعة مثل قبر والده «سيتي الأول»، ويرجع ذلك إلى أنها مملوءة بالرمال
والطين، وقد نُهبت في الأزمان القديمة، ولكن القبر يعد من الأعمال العظيمة التي عملها
«رعمسيس الثاني»، فقد حفره إلى عمق أربعمئة قدم في الصخر، وممره الذي يبلغ نحو
مائة وخمسين قدمًا يؤدي إلى قاعة عظيمة تبلغ مساحتها أربعة وأربعين قدمًا مربعًا، كما
يحتوي على أربع حجرات أخرى، وهو في الواقع مثل قبر والده في الطول إلا أنه أعظم منه
مساحة، أما من جهة النقش والرسوم التي على جدرانها فإنها تتضاءل أمام مقبرة والده.
ومما يلفت النظر أننا نجد على كلا جانبي المدخل متناً من قصيدة في مديح إله الشمس
نُقشت بالحروف البارزة، وعلى اليسار نشاهد صورة الفرعون أمام إله الشمس «رع حور
اختي»، وصورة تمثل إله الشمس برأس كبش، وجعران ونقوش هذه المقبرة عادية.

١٣١ راجع: Champ. Notices II, p. 79.

١٣٢ راجع: Budge: Some Account of Egyptian Antiquities in the Possession of Lady Meux, p. 143.



شكل ١٣: مومية «رعمسيس الثاني».

أما مومية «رعمسيس» فلم توجد في قبره، بل وجدت في خبيثة الدير البحري، والسبب في ذلك: أنه كان سبق ذكره في غير هذا المكان عند نهاية الدولة الحديثة، لم يكن في استطاعة الحكومة المصرية أن تحمي مقابر ملوكها العظام، إذ لم يكن التعدي مقصوراً على «جبانة ذراع أبو النجا»، بل كذلك على مقابر الملوك المنعزلة في وادي الملوك؛ ولذلك اكتفى رجال الإدارة بالمحافظة على موميات الفرعنة فحسب، فنشاهد أن موميات ثمانية من الملوك قد وضعت في حجرة جانبية من مقبرة الملك «أمنحتب الثاني»، ولنفس هذا السبب نُقلت مومية «رعمسيس الثاني» من مثنواها الأصلي بأبواب الملوك إلى مقبرة «سيتي الأول»، وفيما بعد إلى مقبرة «أمنحتب الأول»، وأخيراً في نهاية الأسرة الثانية والعشرين صممت السلطة الإدارية على صيانة الموميات الملكية من العبث بها مرة أخرى، فدفنوها معاً حيثما اتفق مع ملوك الكهنة المنتسبين للأسرة الحادية والعشرين في مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى الأسرة الحادية عشرة بالقرب من الدير البحري، وهكذا بقيت مومية «رعمسيس الثاني»

مع الملوك الآخرين الذين دفنوا معها في مقبرة والده «سيتي» في أمان حتى سنة ١٨٧٥م؛ عندما كشف فلاحو هذه الجهة المكان الذي دفن فيه الفرعنة، ثم بدأت المقابر الملكية تُنهب ثانية، وفي عام ١٨٨١م تعقب رجال الأمن أثر السرقة، واستولوا على ما وجدوه، وسلم للمتحف المصري وبقي فيه.

ومما يؤسف له جد الأسف أن التنقلات الأخيرة التي حدثت للموميات الملكة قد سببت بعض العطب لها، وبخاصة مومية «رعمسيس الثاني»،^{١٣٣} فقد نُقلت إلى ضريح «سعد» وبعد فترة نُقلت ثانية إلى بيت مدير مصلحة الآثار وأخيرًا نُقلت إلى المتحف المصري في الطابق العلوي.

(د) معبد «الرمسيوم»

يقع معبد «الرمسيوم» الذي بناه «رعمسيس الثاني» ليكون معبده الجنائزي على الضفة اليمنى من النيل، وتدل الآثار الباقية على أن هذا الفرعون قد بنى معه في نفس المكان قصرًا منيفًا لسكانه، وقد أطلق «رعمسيس» على هذا المعبد اسم «بيت وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثاني) — له الحياة والفلاح والصحة — في بيت «آمون».

ومن المحتمل أن هذا المعبد هو الذي قال عنه «ديدور الصقلي» الذي عاش في القرن الأول بأنه قبر «أوسيماندياس Osymandyas»، وهو تحريف للقب «رعمسيس الثاني» «وسر ماعت رع»، والمعبد الآن في حالة خربة، وما بقي منه يدل على أن نقوشه كانت تعد سجلًا تاريخيًا ودينيًا لأعمال «رعمسيس الثاني».

ويعتقد الأستاذ «بترى» أن «معبد الرمسيوم» كان تصميمه في الأصل ليكون معبدًا للفرعون «سيتي الأول»، وأن «رعمسيس الثاني» قد اغتصبه لنفسه كما اغتصب لوالده معبد «القرنة» الذي كان مخصصًا لجده «رعمسيس الأول» فيقول ما معناه:

إن جل النشاط الذي أظهره «رعمسيس الثاني» في بداية حكمه — على ما يظهر — كان موجهاً لإقامة معبد «الرمسيوم»، فالتواريخ التي وجدناها على أواني الخمر التي عثر على بقاياها في أكوام الفخار هناك كلها من السنة الأولى حتى الثامنة دون ذكر اسم الفرعون، وقد نسبها بعض الباحثين إلى أحد أخلاف «رعمسيس»، وفي ذلك شك

^{١٣٣} راجع: Baedeker Egypt 1929, p. 101 ff.

كبير؛ لأنه ليس لدينا مجموعة عظيمة أخرى من التواريخ يمكن نسبتها لتلك الأكوام الضخمة من الأواني المتخلفة في هذا المكان، وهي التي لا يمكن إلا أن تكون قد تخلفت من بناء معبد ضخم مثل «الرمسيوم» (راجع مقبرة سنموت الجزء الرابع ٣٧٣). أما المؤرّخة بالاسم الفرعوني فعلاً الأواني فهي: أربعة للفرعون «سيتي»، وستة وأربعون للفرعون «رعمسيس الثاني»، في حين أنه لم يوجد إناء باسم ملك آخر،^{١٣٤} ومن ثم نعلم أن «الرمسيوم» كان قد بُني من السنة الأولى حتى الثامنة من حكم «رعمسيس الثاني» هذا فضلاً عن أنه قد ظهرت صيغة اسم لهذا الفرعون لم تكن معروفة فيما بعد، وهي: «وسر ماعت رع ستبن رع حرحر ماعت»، ويمكن تخمين السبب في أن هذا المعبد الجنائزي كان باكورة أعمال شبابه عندما نفحص مباني معبد «القرنة»، وذلك أن هذا المعبد — كما قلنا آنفاً — يظهر في بنائه قصد غريب مختلط، فالنقوش التي عليه تدل على أنه أقيم لكل من «رعمسيس الأول» و«سيتي الأول» على أن هذا الاشتراك في معبد واحد لا يعرف له مثيل قط، ومن البدهي على ما يظهر أن «سيتي» قد أقام معبد «القرنة» لوالده، في حين كان قد بدأ في الوقت نفسه بناء «الرمسيوم» ليكون معبده الخاص، غير أنه لاقى حتفه عقب ذلك مباشرة، وقد غير ابنه «رعمسيس الثاني» — العاق — الغرض الذي كان يرمي إليه والده، إذ أتم النقوش في معبد «القرنة» باسم «سيتي»، وجعله معبداً جنازياً لكل من والده وجده، في حين أنه استولى لنفسه على معبد «الرمسيوم» الضخم الذي كان قد بدأ العمل فيه والده «سيتي» لنفسه، وأتمه ونقشه ليكون مفخرة له. ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يحفظ لنا إناء من أواني الخمر التي عثر عليها باسم «سيتي»؛ لأن التواريخ التي على قطع الفخار المستخرجة من هذه البقعة يمكن في الواقع أن تحدد لنا مدة حكم «سيتي الأول» لو وجد شيء منها باسمه (راجع Petrie Hist. III, p. 42 ff.).

والواقع أن ما ذكره الأستاذ «بترى» مقبول ومعقول في ظاهره؛ ولكن عندما نطبق عليه النظرية التي جاء بها الأستاذ «كيث سيللي» في موضوع اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في الحكم تنهار نظرية الأستاذ «بترى» من أساسها بالنسبة لاغتصاب «رعمسيس الثاني» معبد «الرمسيوم» لنفسه؛ إذ لا يدل على حسب هذه النظرية وجود اسم «سيتي» في هذا المعبد على شيء قط؛ لأنه من المحتمل جداً أن «رعمسيس الثاني» قد بدأ بناء معبده

^{١٣٤} راجع: Spiegelberg Hieratic Ostraca, 139, 141, 168, 230.



شكل ١٤: بقايا معبد الرمسيوم «رمسيس الثاني».

الجنائزي أيام والده، واستمر في بنائه مدة انفراده بالحكم، وأن «رمسيس» لم يبدأ في بنائه بعد أن جلس وحده على عرش البلاد.

وقد حفظت لنا بعض قطع «الاستراكا» المتخلفة من نحت الأحجار وقطعها، وهي التي كان يستعملها الكتّاب الذين كان يوكل إليهم عمل الحسابات والمذكرات في أثناء بناء هذا المعبد بعض تفاصيل هامة عن سير البناء فيه، كما لاحظنا ذلك عند الكلام على بناء مقبرة «سنموت» بالقرب من الدير البحري (راجع ج٤)؛ فمن هذه الاستراكا نعلم أن الأحجار التي أقيم بها «الرمسيوم» كانت تنقل في سفن صغيرة الحجم بحجم السفن النيلية التي تستعمل في عصرنا الحاضر، وهي التي تحمل نحو خمسة عشر طنًا، أو عشرين طنًا، أو سبعين إلى مائة أردب من الغلال، وكانت كل سفينة تحمل خمس أو ست قطع من الحجر، وأكبرها كان يبلغ طوله نحو خمس أقدام، أما حمولة السفينة فكانت ما بين أربعين وخمسة وخمسين ذراعًا مكعبًا، وكانت السفن تسير في النيل من محاجر السلسلة في طوائف كل منها خمس، وتدل نقوش اللوحات الخاصة بالحسابات التي وصلتنا على أنه قد دوّن عليها أبعاد نحو مائة وعشرين حجرًا، وهي أكثر من عدد الأحجار التي بُني بها الجدار الذي نُقش عليه منظر حرب «خيتا»، وحصار قلعة «دابور» السالفة الذكر، ومما يلفت النظر أن هذه السفن كانت تميز بأسماء ملاكها، أو رؤسائها،

وهي من الطراز الذي كان شائعاً في هذا العهد،^{١٣٥} وقد وضعت أحجار الأساس خلف المعبد في النهاية الغربية، كما يدل على ذلك وجود اسمه على الجانب الأسفل من قطعة حجر، وكذلك على ودائع الأساس نفسها.

أما نقش الإهداء فقد دوّن على أحجار الواجهة وهو:^{١٣٦}

لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر لوالده «آمون رع» فعمل له قاعة شاسعة عظيمة فخمة من الحجر الرملي الأبيض الجميل، ووسطها مزين بالعمد الزهرية الشكل، محاط بعمد على هيئة براعم ليكون مقاماً يأوي إليه رب الآلهة في «عيد الوادي الجميل»، ولينح أبدية الحياة، وقد وضع سفينته المقدسة مثل أفق الإله، وحابساً له قربات يومية، ومنفذ الأشياء التي تسر والده، وجاعلاً بيته له مثل «طيبة» مموّناً بكل شيء طريف من مخازن غلال تصل إلى عنان السماء، وبيت مال فاخر يحتوي فضة وذهباً، وكتاناً ملكياً، وكل حجر ثمين، أحضرها له الملك «رعمسيس الثاني».

وتخطيط هذا المعبد العام مثله كمثل تصميم المعابد الكبرى التي أقيمت في هذا العهد، فكان يحتوي على بوابة عظيمة أقيمت أمام المعبد، وكانت الردهة الأولى مكشوفة، أما الثانية فكانت مزينة بصفين من الأعمدة حولها، والقاعة الثالثة كانت قاعة العمدة العظيمة المسقوفة، وخلفها أربع حجرات يتلو بعضها بعضاً، يكتنفها من كل جانب حجرات صغيرة جانبية، وكان يحوط كل البناء جدران طويلة تخفي كل معالم المعبد للنّاظر إليه من الخارج، ولم يبقَ من هذا البناء الضخم إلا البوابة الأمامية والأعمدة، وكذلك الأعمدة التي لم يمكن نقلها، واستعمالها مادة للبناء، ونحو واحد من عشرة من الجدران المسطحة التي كانت مغرية للمصريين القدماء، والأحداث لاستعمالها في مبانيها؛ ولذلك لم يبقَ من المناظر التي كانت تزين جدران هذا المعبد، والتي كانت سجلاً تاريخياً عظيماً إلا نحو سُبُع ما كان منقوشاً في الأصل، وهذه البقية الباقية لا تعطينا إلا فكرة ناقصة عن المعبد ومحتوياته.

^{١٣٥} راجع: Spiegelberg Heiratic Ostraca, 134-7.

^{١٣٦} راجع: L. D. III, 183-4; Sharpe Egyptian Insc. II, p. 53; A. Z. (1883) p. 32; Br. A. R. III, § 514 ff.

أما المباني التي أقيمت حول هذا المعبد فتعد أعظم مثال باقٍ لنا عن المباني المقامة باللبن، وبعضها يُنسب إلى عهد «رعمسيس الثاني»، كما نعلم ذلك من الأختام التي على اللبانات. ومن بين هذه المباني بعض قباب مُحكمة البناء كانت في الأصل مغطاة بطوار مسطح، وبدرس قطع أواني النبيذ التي بقيت والسدادات المختومة، أمكننا أن نستخلص بحق أن هذه المباني كان بعضها يستعمل مخازن للمعبد. ومما يلفت النظر في هذه المباني أيضًا طريقة الإضاءة فيها بواسطة نوافذ ضيقة طول الواحدة منها نحو قدم، وتبعد الواحدة عن الأخرى نحو اثنتي عشرة قدمًا، ويمكن رؤية حوالي سبعين قاعة طويلة كل منها نحو ثلاثين قدمًا، أو ما يقرب من ذلك، وأكثر من أربعين قاعة أقصر من السابقة، إذ يبلغ طول الواحدة نحو خمس عشرة قدمًا، وقد كشف عنها وعمل تخطيطها،^{١٣٧} وقد كشف عما يبلغ مساحته أكثر من نصف ميل من الأروقة التي يبلغ عرضها اثنتي عشرة قدمًا. ومن طرق الإضاءة يمكن أن تكون قد استعملت ثكنات للجنود فضلًا عن المخازن.^{١٣٨}

أما النقوش التي على الجدران الباقية في هذا المعبد فتتخصر أهميتها بوجه خاص في المناظر الحربية، فعلى البوابة العظيمة التي كان عرضها نحو عشرين ومائتي قدم نشاهد على الجزء الداخلي من جدرانها المحفوظة مناظر توضح لنا حملة «رعمسيس الثاني» على بلاد «خيتا»، وبخاصة في السنة الخامسة من حكمه (موقعة قادش).

على البرج الشمالي: نشاهد في أقصى الشمال الحصون التي استولى عليها «رعمسيس» في السنة الثامنة من حكمه، ويمكن التعرف على ثلاثة عشر من الثمانية عشر المعروف كل منها بالاسم الدال عليه، ويلاحظ الأسرى وهم يساقون، وفي الوسط نشاهد مناظر من الحرب مع «خيتا»، وتستمر هذه المناظر على البرج الجنوبي، ففي أسفله نشاهد الجيش المصري يتابع السير، وفوق ذلك يظهر المعسكر المصري في صورة سور من الدروع، وجنوده في حركة عظيمة، فالعربات تُصَفُّ في أماكنها، وبجانبها جيادها غير مسرجة، وعلى مقربة منها نشاهد عربات الأمتعة الثقيلة بحيواناتها التي لا تهاب أسر الفرعون الأليف الرابض أمامه، وترى الحمير التي كانت تستعمل لحمل الأثقال وراء الجيش بصورة بارزة في المعسكر، إذ نشاهدها بعد أن وُضعت عنها أثقالها تُظهر الرضى،

^{١٣٧} راجع: Quibell Ramesseum, 6, 1.

^{١٣٨} راجع: Petrie Hist. III, p. 45; Baedeker, Egypt (1929) p. 327.

بوساطة حركات وأوضاع كان لا يمل المفتن من إظهارها. وكذلك نشاهد الجنود يتجاذبون أطراف الحديث معاً، ويرى واحد منهم وهو يشرب من قربة ماء، هذا ولا نعدم رؤية قيام المشاحنات والمخاصمات فيما بينهم، وفوق هذا المنظر من جهة اليمين نرى أن صفو هذه السكنينة قد عُكِر بقوة انقضاض جيش «خيتا» على المعسكر المصري، وعلى اليمين نشاهد الفرعون يعقد مجلساً حربياً مع الأمراء، وتحت هذا المنظر نرى جاسوسين يُعذبان ليعترفا بمكان موقع العدو، أما النصف الأيسر من جدار البرج الجنوبي للبوابة فقد صور عليه موقعة «قادش» وقد شاهدناها على بوابة معبد الأقصر (راجع صورة المعسكر)، فيمتطي هنا «رعمسيس الثاني» عربته، وينقض بها على الأعداء فيرديهم بسهامه، ويهربون في ارتباك مفزع، ويسقطون في نهر الأرنط «العاصي»، ويتبع الفرعون عربات الحرب.

وكذلك نشاهد على اليمين من ساحة القتال أمير «خيتا» واقفاً على بُعد، وفوق هذا نشاهد منظراً «للخيتا»، وهم يهربون إلى حصنهم، أما النقوش التي على اليمين فتمثل الفرعون يقبض على الأعداء من نواصيهم منها لا بالضرب عليهم، وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين يُرى الفرعون قابضاً على صولجان طويل يتبعه حاملو المراوح، وعلى الجدران الداخلية لمدخل هذه البوابة نرى مناظر عادية يقرب فيها «رعمسيس الثاني» القربان للآلهة المختلفين.

الردهة الأولى: هذه القاعة قد هُدمت تماماً، ولم يبقَ منها إلا بقايا تمثال ضخم جداً لـ «رعمسيس الثاني»، ويعد من أكبر التماثيل التي عثر عليها، وقد وجد عليه اسم هذا الفرعون على ذراعه، وعلى القاعدة، وما بقي منه يدل على دقة صنع هذا الأثر الضخم، ويبلغ ارتفاعه على ما يظهر ٥٧ ½ قدماً، ووزنه نحو ألف طن.

الردهة الثانية: وجدت كذلك مهشمة إلا أنها أحسن حالاً من الأولى، وفيها بعض تماثيل للفرعون على هيئة «أوزير»، وعلى جدارها الأمامي مناظر تمثل موقعة «قادش» ١٥، وتمجد ضروب الشجاعة التي أظهرها «رعمسيس» في أثنائها، (راجع منظر موقعة «قادش» الذي على جدار البوابة الثانية لمعبد الرمسيوم)، ففي الصف الأسفل نشاهد «رعمسيس» في صورة أضخم بكثير من الجنود الذين حوله منقوضاً بعربته، فتخترق سهامه «الخيتا» وتدوسهم عربته، ويجدلون على الأرض مكسدين بعضهم فوق بعض، كما يرمي بأحشاد منهم في نهر العاصي، وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين تظهر قلعة «قادش» ذات الشرفات، وينساب حولها نهر العاصي، وبجانبتها من الجهة الأخرى

من النهر يرى جنود من «الخيتا» لم يشتركوا في الموقعة، ولكن بعضهم كانوا يمدون يد المساعدة لزملائهم الغارقين في النهر.

أما الصف الأعلى فيمثل مناظر من عيد «مين» إله الحصاد، وقد كان يُحتفل به عندما يعتلي ملك عرشه ملكه كما هو ممثل في معبد مدينة «هابو»،^{١٣٩} فعلى اليمين يقف الفرعون ينتظر الموكب الذي يرأسه كهنة يحملون صور الملوك القدامى، وقد نصب أمام الفرعون قضيبان طويلان يحملان تاج الفرعون، وبجانب هذا كهنة يطلقون أربعة طيور لتحمل الأخبار إلى جهات العالم الأربع بأن الملك قد اعتلى العرش، وعلى اليمين يظهر الفرعون يحصد حزمة من القمح ليقدمها للإله، وتشمل الردهة الثانية تماثيل ضخمة للفرعون، ومنها يصل الإنسان إلى دهليز مقام على طوار يصعد إليه في درج، ولم يبقَ من جدرانه إلا جزء من الجدار الخلفي الجنوبي، وعليه ثلاثة صفوف من النقوش عليها أحد عشر ولداً للفرعون.

وخلف الدهليز قاعة العمد العظمى التي لها ثلاثة مداخل، ومثلها كمثل قاعة عمد الكرنك تشمل صحناً يحتوي على ثلاثة ممرات من العمد أعلى من الممرات الستة الجانبية،^{١٤٠} وعلى سيقان عمد هذه القاعة «رعسيس الثاني» يقدم القربان للألهة.

^{١٣٩} راجع: Baedeker, Egypt (1929) p. 350.

^{١٤٠} راجع ما كُتب حديثاً عن سبب ارتفاع صحن المعبد Chronique d'Egypte No. 34 (Juillet 1942) (p. p. 169-76) وهذا المعبد له شهرة كبيرة عند كتّاب اليونان، فقد ذكر «ديدور الصقلي» بأنه قبر «أوسيماندياس Osymandyas» كما ذكرنا، وقد حقق «مسبرو» أن المقصود هو «رعسيس الثاني»، والواقع أن اسم معبد هذا الفرعون كان يدعى «حات وسر ماعت رع مري آمون» (أي قصر «وسر ماعت رع» محبوب «آمون») وقد درس «جو دفروى جوسنس» وصف «ديدور» لهذا المعبد، وقال عنه: إنه نقله عن «هكاتا أدير» اليوناني، واستخلص النتيجة التالية بعد قرنه «بمعبد الرمسيوم»: إن معبد «الرمسيوم» قد استعمل بمثابة محجر منذ تاريخ لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، غير أننا نعلم أن «رعسيس الثالث» قد نقل منه بعض أحجار إلى معبده بمدينة «هابو»، ومن المحتمل أن اقتفى أثر هذا الملك ملوك آخرون منذ أن عاد النشاط إلى إقامة هذا المعبد في عهد الأسرة الرابعة والعشرين؛ فترى أنه لم يمضِ خمسون عاماً على موت «رعسيس الثاني» حتى بُدئ بتخريب معبده في «الرمسيوم»، وبعد ذلك بألف سنة لم يبقَ من هذا المعبد قائماً إلا نصفه، وفي أيامنا لا نرى منه إلا خرائب باقية، وتماثله الشامخة أصبحت طريحة الأرض بعد ذلك البهاء الذي انطفأ مصباحه، وهاك ترجمة النقوش التي قرأها «ديدور» على تماثله الضخم: إنني «أوسيماندياس» ملك الملوك «فليفوقني فرد ما في عمل من أعماله...»

وعلى النصف الجنوبي من الجدار الشرقي يرى الهجوم على حصن «دابور» الخيتية في الصف الأسفل، وعلى اليسار هجوم الفرعون على العدو بعربته، فيقتل بعضهم، ويولي الباقي من خيالة ومشاة وعربات الأدبار، وعلى اليمين القلعة التي يحميها «الخيتا»، والمصريون يهاجمونها متسلقين سلالم، أو يقتحمون الجدران تحت حماية المظلات والدروع، وهنا نرى أولاد الملك بأسمائهم يظهرون شجاعتهم في حومة الوغى. أما قاعة العمد الصغرى، فقد زين نقشها بصورة ملكية، وبصور للفرعون والآلهة، وأهم منظر يلفت النظر على جدران هذه القاعة على الجدار الغربي، تمثيل الفرعون جالساً تحت شجرة «هليوبوليس» المقدسة، والإله «آتوم» يكتب اسم الفرعون على أوراقها: والإلهة «سشات» ربة الكتابة، والإله «تحتو» إله العلم على يساره، وقاعة العمد الصغيرة الثانية لم يبقَ من جدرانها إلا جزء بسيط.^{١٤١}

(هـ) معبد القرنة

تكلمنا فيما سبق عن تاريخ هذا المعبد الذي تركه «سيتي» قبل أن يتمه، وقد حدثنا «رعمسيس الثاني» نفسه عن إتمامه له، غير أنه عندما قص علينا ذلك في نقش الإهداء قد غطى على ما قام به والده فيه، فاستمع لما يقوله في هذا الصدد:

لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون رع» ملك الآلهة، وسيد السماء، وحاكم «طيبة»، فقد أصلح بيت والده الملك «سيتي الأول» المرحوم. تأمل! لقد ذهب إلى مثواه، ورُفِعَ إلى السماء، في حين كان البناء لا يزال جارياً في بيته هذا، وكانت أبوابه مخزّبة في محاطها، وكل جدرانه من الحجر واللبن، ولم ينجز فيه عمل كتابة ولا صور. وعندئذ أمر ابنه رب الأرضين «رعمسيس الثاني»

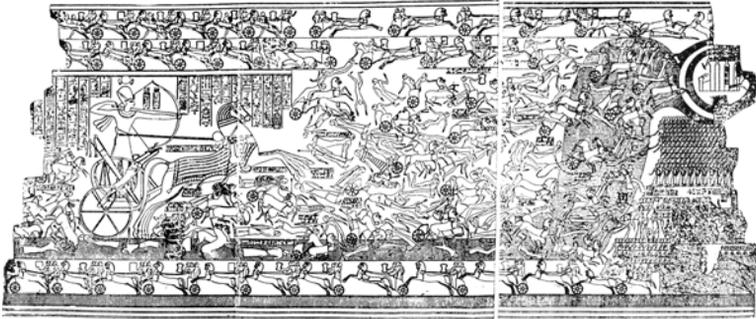
فهل هذه ترجمته من نسج خيال الكاتب القديم، أم خرافة؟ نعم إنها كذلك ولكنها تعبر عن روح هذا الفن الزخرفي الذي يمثّل الفخر الكاذب، والغرور اللذين كانا يمثلان في النظام الحكومي الذي أوحى بهما، وأعني بذلك تلك العظمة التي أرادها «رعمسيس» من الأحجار (راجع Ibid. P. 177)، ومع ذلك فإننا نجد ضمن ألقاب «رعمسيس الثاني» أنه كان يدعى «حاكم الحكام»، أو بعبارة أخرى ملك الملوك في بعض نقوشه (راجع ص ٣٨٧ و 223 Hall, Egyptian scarabs p. 223).

^{١٤١} راجع: Baedeker. Egypt (1929) p. 324 ff.

بإقامة الأعمال في بيته لملايين السنين قبالة «الكرنك»، وبنحت صورته التي تبقى في بيته مغطاة بالسام؛ عندما يقلع الإله بشخصه في «عيد الوادي» ليأوي إلى بيته بوصفه أول الملوك.

نطق الآلهة والإلهات الذين في الأرض الشمالية، لابنهم الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة:

لقد أتينا إليك وأذرعتنا تحمل القربان مموّنة بالزاد والطعام، وقد جمعنا لك كل شيء مستطاب مما تخرجه الأرض لأجل أن تجعل بيت والدك في عيد، وبما أنك ابنه المحبوب فإنك إذن مثل «حور» حامي والده تأخذ وراثة الأرضين، فما أبرّ الابن الذي يصلح ما خرب! لقد أقمت بيت والدك وأنجزت عمله، ولقد سويت صورته لأجل ... من الذهب، وعندك ... قربات مقدسة ... وعندني ... ما فعلته ثانية لبيت والدك، ومنحته حياة رضية، وبقدر ما يكون الابن باراً كنت كذلك.^{١٤٢}



شكل ١٥: منظر موقعة قادش كما صوّر على جدار البوابة الثانية لمعبد الرمسيوم.

^{١٤٢} راجع: Deverid. Biblioth. Egypt. IV, 292-3; Champ. Notices I, 694; Brugsch. Recueil .de Mon. 513; L. D. III 152, A., Br. A. R. III § 516 ff.

وكذلك نجد الإهداء التالي:

لقد أقامه «رعمسيس» الثاني بمتابة أثره لوالده «أمون رع» رب طيبة، والمشرف على «الكرنك» مصلحاً بيت والده الملك «سيتي الأول» ... فأقاموا كل جدرانهم من ... حجر، ولم يكن قد تم فيه عمل ولا نقش، ولا نحت.^{١٤٣}

(وباقى النقش كالكلام السابق.)

ولدينا إهداء آخر وهو:

لقد أقامه «رعمسيس الثاني» بمتابة أثره لوالده «أمون رع» مصلحاً له بيت والده الملك «سيتي الأول». تأمل إنه في السماء ... وأبوابه من خشب الأرز الحقيقية، محوَّط بجدران من اللبن، وممكن للأبد، وهو الذي عمله له ابن «رع» «رعمسيس محبوب أمون». ^{١٤٤}

وقد ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الثاني» قد أعد هذا المعبد ليكون مكان تقديس لجده «رعمسيس الأول»، وهاك النقوش الدالة على ذلك:

لقد أقامه بمتابة أثره لجده الطيب «رعمسيس الأول» صادق القول (المرحوم). ^{١٤٥}

وجاء في نقش آخر:

تجديد الآثار التي أقامها «رعمسيس الثاني» لوالده والده الإله الطيب «رعمسيس الأول» في معبد والده رب الأرضين «سيتي الأول».

^{١٤٣} راجع: Piehl Inscip. I, 145 A. f.

^{١٤٤} راجع: Champ. Ibid. I 296; L. D. III 152 b.

^{١٤٥} راجع: Champ. Ibid. I, 307. 704; L. D. III, 152 G; Br. A. R. III § 521.

وجاء في نقش ثالث:

لقد أقامه «رعسيس الثاني» بمثابة أثره لوالده الإله الطيب «من بحتي رع» (رعسيس الأول)، فأقام له بيتاً لملايين السنين على الشاطئ الغربي من طيبة من الحجر الرملي الأبيض؛ حيث يثوي «أمون» مثل «رع» في أفق السماء.^{١٤٦}

على أننا من جهة أخرى نجد أن «رعسيس الثاني» قد أضاف سلسلة إهداءات باسمه هو، فأصبح بذلك هذا المعبد مكاناً لإقامة شعائر الملوك الثلاثة «رعسيس الأول»، «سيتي الأول»، «رعسيس الثاني»، وهاك نص الإهداء الذي نقشه «رعسيس» لنفسه: «لقد أقامه «رعسيس» بمثابة أثره لوالده لأجل والده «أمون» رب طيبة مقيماً له بيتاً لملايين السنين في غربي «طيبة» من الحجر الرملي الأبيض، وأبوابه من الأرز الحقيقي، وهو الذي أقامه له ابن «رع» «رعسيس» محبوب «أمون» معطي الحياة مثل «رع»، وقد عمل له قاعة فسيحة للظهور أمام بيته العظيم، وهي مكان للظهور لأجل رب الآلهة في «عيد الوادي»...»^{١٤٧}

(و) معبد «سيتي الأول» بالعرابة المدفونة، ومباني «رعسيس الثاني» فيه

وقد تحدثنا عنه في تاريخ «سيتي الأول».

معبد «رعسيس الثاني» بالعرابة

يدل على ما بقي لنا من نقوش وآثار في معبد «رعسيس الثاني» الذي أقامه بالعرابة على أنه كان على جانب عظيم من الروعة والفخار، وأنه أقامه ليناهاض به معبد والده «سيتي الأول» الذي رفع بنيانه في هذه البقعة المقدسة لوالده «أوزير»، ولعبادته هو بوصفه إلهًا، وعلى الرغم من صغر حجم معبد «رعسيس» بالنسبة لمعبد والده، فإنه مبنى عظيم تبلغ مساحته حوالي ثلاث وعشرين ومائتي قدم، وعرضه خمس وعشرون ومائة قدم، والواقع أن المعبد الآن في حالة سيئة من التخريب والتدمير، والبقايا الضئيلة التي بقيت لنا حتى

^{١٤٦} راجع: Champ. Ibid. I, 705; Br. A. R. Ibid.

^{١٤٧} راجع: Mariette Abydos I, 1, Sculptures II-XX.

الآن تدلنا على أنه كان يحتوي على دهليز محلّى بالأعمدة الأوزيرية الشكل، وعلى قاعتين ومحراب، وخلف هذه حجرات أخرى مختلفة، وما بقي قائماً من جدران هذا المبنى لا يزيد ارتفاعه على خمس أو ست أقدام، وإذا حكمنا — من بقايا النقوش والمباني التي نشاهدها على الجدران — على مكانة هذا المعبد، فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان على جانب عظيم من الفخامة، ودقة الصنع والجمال مما لا يضارعه فيه مبنى آخر من المباني التي تركها لنا «رعمسيس الثاني»، إذ لم يستعمل في إقامته الحجر الجيري الأبيض فحسب، بل كذلك الجرانيت الأحمر، والجرانيت الأسود، فقد استعملت لصنع الأبواب كما استعمل للعمد الحجر الرملي، والمرمر لقدس الأقداس، هذا إلى أن ألوان الجدران التي لا تزال ساطعة في الحجرات الخلفية بما فيها من نقش دقيق بارز يذكرنا بالنقوش التي زين بها «سيتي الأول» معبده في هذه الجهة أيضاً؛ مما يدل على أن هذا المعبد قد بدأ «رعمسيس» في إقامته في عهد اشتراكه مع والده في الحكم.

والنقوش التي على الجدار الأمامي تمثل سلسلة من الأقوام الأسرى، أما التي على الجنوب فتمثل مناظر من الحروب التي شنّها هذا الفرعون على بلاد «خيتا»، ولما كانت الجدران قد هُدمت، ولم يبقَ قائماً منها إلا أجزاء ضئيلة فلم يبقَ عليها إلا نتف صغيرة من المتون، منها جزء من الملحمة المشهورة التي دوّنها «رعمسيس» عن حروبه مع «خيتا»، وعلى الجدران في الداخل نشاهد موكباً طويلاً، وقائمة بأسماء المدن التي تقدم القرابين، وكذلك نشاهد قاعدة قائمة الملوك التي دوّنها «رعمسيس» كما فعل والده على معبده في العرابية أيضاً، والأحجار التي في المتحف البريطاني من هذه القائمة مثل عليها منظر «رعمسيس الثاني» يقدم قرباناً لعدة آلهة حكموا مصر قبله، وقد حذا حذو والده «سيتي» في إغفال ذكر أسماء الملوك التالية: «حتشبسوت» و«إخناتون» و«توت عنخ آمون» و«أي» من بين الملوك الشرعيين،^{١٤٨} وقد اشتراها المتحف البريطاني من القنصل الفرنسي في مصر. هذا إلى جزء من قصيدة تمجيد إله الشمس، ويشاهد كذلك عدة حجرات وكوّات مهداة لآلهة مختلفين، ولكن على الرغم من ضياع معظم معالم هذا المعبد الفخم، فإن القدر قد حفظ لنا متن الإهداء الذي دونه «رعمسيس الثاني»، وهو يقدم لنا صورة رائعة عن

^{١٤٨} راجع: Budge Guide to Sculptures p. 163 (No. 592 (117)).

وصف هذا المعبد، وهي تتفق في كثير مع ما بقي من آثاره، وهذا النقش قد دُون على الجدار الجنوبي الخارجي.^{١٤٩} وهاك النص فاستمع لما جاء فيه:

تأمل إن جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — كان «الابن الذي يحبه» حامي والده، «وننفذ»، بإقامة معبد جميل فاخر له ثابت إلى الأبد من حجر «عيان» الجيري الأبيض له بوابة مزدوجة ممتازة الصنع، ومداخله من الجرانيت، وأبوابها من النحاس المغشى بالصور المصنوعة من السام الحقيقي، وعرشه من المرمر، مقام على جرانيت، وهو عرشه الأزلي، وقاعة مسخت (الولادة) لتاسوعه المقدس، ووالده المبجل هو الذي يسكن فيه، و«رع» عندما رُفِع إلى السماء، وصورته الحامية مستقرة بجانب من سواه مثل «حور» على عرش والده. وقد رصد له قربات يومية في بداية الفصول مقدّمة لروحه كل الأعياد في مواقيتها، وقد ملاًها بكل شيء حتى أصبحت مفعمة بالطعام والرزق من فحول، وعجول، وثيران، وأوز، وخبز، ونبيد، وفاكهة. وكانت مكتظة بالعبيد الفلاحين، وضوعفت حقولها، وجعلت قطعانها عديدة، ومخازن الغلال قد ملئت حتى فاضت، وأكوام الحبوب ناهضت السماء في ارتفاعها ... لمخزن القربان المقدس من أسرى سيفه المظفر.

وكانت خزائنه مليئة بكل حجر غال، وفضة وذهب في هيئة ركانز، والمخازن كانت مليئة بكل شيء من جزية الممالك كلها، وقد غرس عدة حدائق زرعت فيها كل أنواع الشجر، وكل الأخشاب الحلوة والعطرة، وهي من نباتات «بنت»، وقد أقامه له ابن «رع» رب التيجان «رعمسيس مري آمون» محبوب «أوزير» أول أهل الغرب، والإله العظيم رب «العرابة».

وكذلك وجدنا الإهداءات التالية على أبواب المعبد:^{١٥٠}

لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أوزير» في بيت «رعمسيس مري آمون» صاحب «العرابة»، فصنع له مدخلاً من الجرانيت الأسود، ومصرعين مغشيين

^{١٤٩} راجع: Mariette Abydos II pl. 3 (ef Ibid) 11 & 139; Mariette Voyage dans La Haute

Egypte 1 p. 29

^{١٥٠} راجع: Brugsch. Recueil de Monuments I, pl. XII

بالنحاس، ومطليين بالسام، وهو الذي قد عمله له ابنه «رعمسيس الثاني»، وهذان المصراعان قيل عنهما في نقش على قاعدة نفس هذا الباب إنهما صنعا من السام، واسم الباب هنا «مدخل وسر ماعت رع ستبن رع» ملك الأبدية، يعيش الإله رب الأرضين «رعمسيس الثاني»، لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أمون أوزير» رب العرابة، فصنع له مدخلًا عظيمًا من الجرانيت الوردي، ومصراعا من البرنز المطروق، وسمي مدخل «رعمسيس وسر ماعت رع ستبن رع» رافع الآثار في العرابة.

وهذه الأوصاف إذا وزانها بما تبقى من آثار هذا المعبد وجدنا أن «رعمسيس الثاني» كان غير مسرف في أوصافه التي قدمها لنا عن هذا المعبد على الأقل في أنواع الأحجار التي أقيم منها، وبخاصة عندما نقرأ الإهداء الذي تركه لنا على حجرة المحراب المصنوعة من المرمر، والتي لا تزال لدينا منها خمس قطع من هذا الحجر الثمين، فاستمع لما يقوله:

لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أوزير»، فصنع له مقعدًا عظيمًا من
المرمر الخالص^{١٥١} ...

(ز) معابد «منف»

تدل الحفائر التي قام بها «بيري» في «منف» على أن معبد «بتاح» الذي كشف عنه يرجع إلى عهود بعيدة في القدم، وأن «رعمسيس» قد جدد بناءه كما تدل على ذلك الآثار الباقية من هذا المعبد، وكما جاء في لوحة بركات بتاح التي سنتحدث عنها فيما بعد، وأهمها ما يأتي:

(١) مجموعة مؤلفة من «رعمسيس الثاني»، والإله «بتاح» عثر عليها في داخل حدود المعبد أمام المدخل العظيم، وهذه المجموعة موجودة الآن في متحف «كوبنهاجن»^{١٥٢}.

^{١٥١} راجع: Br. A. R. III § 529.

^{١٥٢} راجع: 8 p. VII. La Collection Egyptienne. Morgensen. Ny Carlsberg Museum.

- (٢) «بولهول» يمثل «رعمسيس الثاني»، وهو الآن في متحف «فلاديفيا»^{١٥٣} في المدخل الغربي للقاعة الغربية.
- (٣) وجد له تماثيل ضخمة، وبقايا متن على قاعدة تمثال ضخم من البازلت.^{١٥٤}
- (٤) تمثال من الحجر الجيري جالس بالقرب من المدخل الشمالي.^{١٥٥}
- (٥) كما وجدت أمام المدخل العظيم قطع من لوحات، وقطع أبواب أخرى، وعمد.^{١٥٦}
- (٦) وأمام المدخل العظيم للمعبد وجد تمثال ضخم لا يزال محفوظًا في بناء خاص به، وقد عثر عليه سنة ١٨٢٠ م.^{١٥٧}
- (٧) وبجوار التمثال السالف وجد تمثال آخر ضخم من الجرانيت الأحمر، وعليه صورتان للأمير «مرنبتاح»، والأميرة «بنت عنتا»، وقد عثر عليه في عام سنة ١٨٥٣ على مسافة مائتي ياردة من الشمال الشرقي من التمثال الجيري، وقد تُرك في مكانه.
- (٨) وفي هذه البقعة وجد لهذا الفرعون كذلك تمثال راعع بدون رأس، وفي يده رأس الإلهة «حتحور»، وتمثال آخر يقبض على علم برأس^{١٥٨} إله.
- (٩) وفي متحف «كوبنهاجن» توجد له قطعة من عمود صوّر عليها وهو يقدم للإله «بتاح» القرايين.^{١٥٩}
- (١٠) وقد عُثر على مبنى من المرمر في هذه الجهة نُقش عليه اسم «رعمسيس الثاني».
- (١١) وقد وجدت ودائع أساس في مبنى أقامه «رعمسيس»، غير أن المبنى قد تهدّم، ولا تزال الودائع محفوظة في متحف «مانشستر».^{١٦٠}
- (١٢) وفي غرب البحيرة المقدسة لمعبد «بتاح» وجدت قطع من تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون.^{١٦١}

^{١٥٣} راجع: Petrie, Memphis V, pl. LXXVII; VI, pl. LXI, 33.

^{١٥٤} راجع: Petrie Ibid. p. 10; A. S. III, p. 25.

^{١٥٥} راجع: Ibid. p. 25.

^{١٥٦} راجع: Ibid. 28-31.

^{١٥٧} راجع: Porter & Moss III, p. 219.

^{١٥٨} راجع: Porter & Moss Ibid. p. 219.

^{١٥٩} راجع: Ny Carlsberg Mus. Ibid. pl. XXXI, p. 39-4.

^{١٦٠} راجع: Porter & Moss Ibid. p. 220.

^{١٦١} راجع: A. S., XX, 167-8.

(١٣) هذا وقد وجد له بعض آثار في هذه الجهة لا يعرف موقعها بالضبط منها مجموعة تمثل الإله «بتاح تنن»، والفرعون «رعمسيس»، وهي الآن بالمتحف المصري.^{١٦٢}
(١٤) وكذلك عثر له على قاعدتي تمثالين.^{١٦٣}

والواقع أن التمثالين الضخمين اللذين نحتهما «رعمسيس الثاني» لنفسه — وهما الموجودان الآن في خرائب منف — يدلان على أن «رعمسيس الثاني» أقام معبدًا في هذه الجهة، ولا نزاع في أن المكان الذي وجدا فيه يحدد بقعة مدخل المعبد على ما يظهر، وكان هذا المعبد للإله «بتاح» أو «أمون»، وقد عثر للأول على تمثال في هذه الجهة، وهو الآن بالمتحف المصري، وكذلك يوجد في المتحف البريطاني قبضة يد من الجرانيت لتمثال ضخم؛ مما يقوي وجود معبد هناك، ويحتمل أن هذا المعبد كان في جنوب البحيرة المقدسة. والواقع أن المباني الدينية التي أقامها «رعمسيس الثاني» في «منف» قد زالت بزوال المدينة نفسها، وكان يطلق على أحد المعابد التي أقامها هناك اسم «ملايين السنين للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت أمون بمنف.»

ومعظم ما نعرفه عن مباني هذا الفرعون في «منف» هو ما نجده في الوثائق المعاصرة، وبخاصة في نقوش إهداء معبد «العرابة» التي فصلنا القول فيها، وفيها يشير إلى أنه أتم ضريح «منف»، وأهدى التمثال الذي كان قد قطعه «سي تي الأول»، ولم يتمه، وبعد ذلك أخذ في العمل على ملء المدينة بالمباني التي من ابتداعه هو، فأقام حجرات من الجرانيت والحجر الرملي شرقي البحيرة المقدسة، وهي التي حُفر جزءًا منها «ماريت»، ومن المحتمل أن هذا هو المعبد الذي ورد اسمه في لوحة بركات بتاح المنقوشة في معبد «بو سمبل» كما ذكرنا، وكذلك أقام بوابة عظيمة في الجنوب، ونصب أمام واحدة منها التمثال الضخم مصنوع من الجرانيت، وقد كشف عنه في عام ١٨٨٨ ويبلغ طوله حوالي اثنين وثلاثين قدمًا،^{١٦٤} وقد أشير كذلك لمبانيه في «لوحة بركات بتاح».^{١٦٥}

^{١٦٢} Borchardt. Stat. II, pl. 93 p. 101 راجع:

^{١٦٣} Porter & Moss Ibid. p. 226 راجع:

^{١٦٤} Maspero, The Struggle of the Nations p. 422; Baedeker Egypt (1929) p. 154 راجع:

^{١٦٥} Spiegelberg, Recueil 17, 158. Pap. Turin 19, 2 راجع:

والواقع أن المصادر التي لدينا عن معبد للإله «بتاح» في هذه الجهة قليلة، إلا أنه عثر على قطعة من لوحة كبيرة في خرائب معبد للإله «بتاح» في منف، والمرجح أنها تُنسب للفرعون «رعمسيس الثاني»؛ لأنها وجدت في المعبد الذي يُنسب إليه.^{١٦٦}

وقد جاء في نقوش هذه اللوحة «محط الفرعون»، أو المكان الذي يحتله الفرعون عندما كان يحتفل بتتويجه في المعبد كما ذكرنا من قبل، وهذه اللوحة كغيرها من اللوحات التي أقيمت في معابد «طيبة» لـ «أمنحتب الثالث»، و«إلفنتين»، و«أمداء»، وقد نقش عليها قصة إقامة المبنى الذي نصبت فيه؛ ولذلك بدت كمثيلاثها ببيان عن تتويج الفرعون، وقد بقي من هذا المتن المهشم ما يدل على أن الإله «أمون» قد ظهر علناً كما حدث في تتويج «تحتمس الثالث» (راجع ج ٤)، وفي تتويج «حور محب» (راجع ج ٥). ونزل وحيه معلناً «رعمسيس» ملكاً، وسار حتى المكان الذي هو فيه؛ ولذلك فإن من المرجح جداً أن يكون الوحي والتتويج على يد «أمون» عادة مرعية عند اعتلاء كل فرعون العرش في عهد الإمبراطورية، ومن ثم نعلم أن الإشارات التقليدية بأن «أمون» هو الذي ثبَّت التاج على رأس الفرعون تدل على وجود احتفال فعلي كان يقام لذلك، ومن البدهي أن هذا الامتياز الذي خص به «أمون» لم يكن وفقاً عليه في الأصل، بل اغتصبه من إله الشمس «رع» إله الدولة الأصلي، ولا نزاع في أن مثل هذا الاحتفال كان يُعقد في الأصل في «هليوبوليس» عند تولية كل فرعون منذ الأسرة الخامسة فصاعداً إلى أن ظهرت «طيبة» على «هليوبوليس»، وأصبح إلهها «أمون» إله الدولة، وأطلق عليه اسم «أمون رع»، وبذلك أصبح يشارك «رع» في هذا الاحتفال، غير أننا لا نعرف على وجه التأكيد في أي تاريخ حدث ذلك.

وهناك ما تبقى من النص:

أمون وأهته يخرجون: ... بيته في الأقصر وتأسوعه خلفه، وعندما أضاءت الأرض ثانية وطلع النهار ... الوحي يسمى الملك ... إنك ابني والوارث الذي خرج من أعضائي؛ وكما أكون أنا ستكون أنت مع غيرك ... وقرباتهم ستضاعف وسيعرفون بك بوصفك ابني الذي خرج من صلبني. ولقد جمعت ...

التتويج في القصر: «... أشياء له إلى القصر، وقد أجلس نفسه أمامه في محراب ابنه الفاخر ... «أمون» []، تأمل لقد أتى «أمون» وابنه أمامه إلى القصر ليضع التاج على رأسه، وليرفع الريشتين ...»

^{١٦٦} راجع: A. S., III, p. 27, 28.

حالة حكمه: «... لأجل أن يفعل ما يرضيك. ولقد تجنب الخداع وأقصى الكذب من الأرض، وكانت قوانينه متينة في إدارة أنظمة الأجداد ... التاج [...]»، وكان عنده [...] ما تحيط به الشمس، وكل الأراضي تقوم بخدمة هذا الإله العظيم [] مثل ...»

محط الملك ومتن المباني: «لقد أقامه بمثابة أثر لوالده «بتاح القاطن جنوبي جدارة» فأقام له محط الحاكم من حجر الجرانيت في [] ... عليها أبوابها من خشب الأرز الحقيقي لأجل أن يجعل فحماً بيت ... ليظهر الطريق التي يسلكها والده بتاح. وقدم له بيتاً جديداً ... ذراعاً من كل حجر فاخر غالٍ، وأعمدة أعلامه من خشب الأرز الحقيقي مغطاة بنحاس أسبوي وأطرافها من السام، وقد عملت قاعة واسعة ...»

وعلى الرغم من أن نقش الإهداء قد سبقه حفلة تتويج الفرعون على يد الإله «آمون رع» في «طيبة»، فإن ما لدينا من النقوش يثبت أن الفرعون «رعمسيس الثاني» قد احتفل بتتويجه في «هليوبوليس»، مما يدل على أن الفراعنة كانوا يتوجون في «طيبة»، وكذلك في «هليوبوليس»، ولأن «رعمسيس» كان من الدلتا فلم يغفل عن أن يتوج كذلك في عاصمتها الدينية الأصلية، ولدينا قطعة حجر باسم «رعمسيس الثاني» محفوظة الآن في معهد «باث» من الحجر الرملي عليها نقوش تمثل جزءاً من الاحتفال بتتويج «رعمسيس الثاني»، فقد اعترف به الإله «آتوم» رب «هليوبوليس» ملكاً على البلاد. ويظن الأستاذ «جريفث» أن هذا الحجر أتى به من «هليوبوليس»، وهو المكان الذي أقيم فيه الاحتفال.

وصف المناظر: فنرى من اليسار الملك الصغير يقوده «حور» إلى حضرة الإله «آتوم»، وإله آخر قد هشم، ولكن بالموازنة نحكم أنه الإله «ست» أو «تحت»، ويتبع هذا المتن الثاني: ««حور» الذهبي الغني في السنين ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب القربان «وسر ماعت رع ستبن» رعمسيس محبوب «آمون»، و«حور» يُدعى «حور في المعابد»، ويوصف المنظر أنه يقود الملك إلى البيت العظيم في محراب «برنو»، وبعد ذلك نشاهد «رعمسيس» يصحبه الإله «آتوم» الجالس على عرشه، ويوجد فوق الفرعون طغرائه، وخلفه تقف روحه «كا» في صورة إنسان أصغر حجماً من صاحبه، ويحمل فوق رأسه اسم الفرعون «الحوري» الثور المظفر محبوب «ماعت»، ويده اليمنى تقبض على عمود علم يعلوه رمز في صورة رأس الفرعون، والمتن الذي تبع هذا المنظر هو: «روح الملك فرعون الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» الذي في القصر.»

والنقش الذي خلف «آتوم» هو: «كلام الإله العظيم رب البيت العظيم، لقد منحت كل الحياة والحياة الرضية، والصحة لابني المحبوب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس من جسمه «رعمسيس محبوب آمون» ... ثم نشاهد «آتوم» رب البيت العظيم جالسًا على عرشه داخل محراب ممسكًا بيد «رعمسيس» الواقف أمامه في حين نجد الكاهن «عمود أمه» مزينًا بصفيرة شعر جانبيه، ورداء من جلد الفهد، وينطق بالكلمات التالية: «قربان يقدمه «جب»، وقربان يقدمه «حور»، وقربان يقدمه التاسوع ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «وسر ماعت رع ستبن رع» رب الأرضين، يظهر على عرش «حور» ممنوحًا الحياة والثبات والرضى (?)، وقلبه فرح مثل «رع» أبدًا. ويشاهد خلف الكاهن «عمود أمه» في صفين أرواح «بي»، و«نخن» كل منها برأس صقر، أو رأس ابن آوى على التوالي راكعين تعظيمًا للملك الذي توجَّ حديثًا، والأولى تقدم له كل الحياة والعيشة الرضية (?). والأخرى تقدم له الثبات والعيشة الرضية، وأسفل هذه المناظر تمتد علامة السماء.

وفي ركن هذا الحجر منظرًا مهشمًا فيه «حور بحدت» الغني بالسنين، والثري بالسحر، القاطن في محراب الوجه القبلي يقوم ببعض احتفال يحتمل أنه احتفال صب الماء على الملك، وقد ظهر «رعمسيس» بطبيعة الحال لابسًا العباءة التي يلبسها ملوك مصر في احتفال التتويج في العيد الثلاثيني.^{١٦٧} والواقع أنه على الرغم مما لدينا من نقوش ومناظر لا حصر لها عن الفرعون «رعمسيس الثاني»، فإن المناظر التي تمثل الاحتفال بتتويجه قليلة جدًا، غير أنه لدينا تمثال جميل الصنع لهذا الفرعون يمثلته في وضع، وهو يقوم بشعيرة من شعائر احتفال تتويجه، وأعني بذلك التمثال الموجود الآن بالمتحف المصري،^{١٦٨} ويمثله وهو يزحف ويدفع أمامه قاعدة مربعة الشكل، يجلس عليها ثلاث صور تمثل «رع» و«آمون»، وطفلاً، وتحتهم علامة = وكل هذه الإشارات معًا هي هجاء اسم الملك «مري آمون رعمسيس»، ومعنى هذا التمثال يفسره لنا تمثالان آخران.^{١٦٩} ففي التمثال رقم ٤٢١٤٣ الذي لم يبقَ منه إلا قطعة نشاهد الفرعون كذلك يزحف على الأرض، ويدفع أمامه اسمه المنحوت، وقاعدة هذا التمثال محلاة بفروع شجرة اللبخ

^{١٦٧} راجع: Naville Festival Hall of Osorkon II, pl. XXIII (sed feast).

^{١٦٨} راجع: Legrain Stat II, Go 42144 pl. VI.

^{١٦٩} راجع: Legrain Ibid. 42143, 42142 & J. E. A., XVI, p. 31 ff.



شكل ١٦: «رعمسيس الثاني» يقدم اسمه للإله.

التي كتب على ورقها اسم فرعون، وهذا هو نفس ما نشاهده على التمثال رقم ٤٢١٤٢، غير أن الشيء الذي يقبض عليه الفرعون قد فُقد، ولكنه بلا شك هو اسمه كما على التمثالين السابقين، وتدل كل شواهد الأحوال على أن هذه التماثيل قد عملت لأجل الاحتفال بالتتويج، إذ من المعروف أنه عند حفل التتويج كان اسم الفرعون، أو بعبارة أخرى: كل ألقابه تعلن رسمياً، ثم يكتبها الآلهة على شجرة «هليوبوليس» المقدسة (شجرة اللبخ = برسا)، وهذه الشعيرة مثلها كمثل شعيرة وضع التاج على رأس الملك، كانت من أهم الشعائر التي تُقام في هذا الاحتفال، ومن المحتمل أن هذه الشعيرة كان لها صلة بتقديم اسم الملك للإله، فكان الملك يزحف نحو الإله على مهل، دافعاً أمامه اسمه المنحوت، أو طغراءه، وهذه الحقيقة يمكن استنباطها من مناظر أخرى، فمثلاً: نشاهد «أمنحتب الثالث» في منظر يزحف نحو الإله «أمون» (؟).^{١٧٠}

وأهمية تقديم الفرعون اسمه للإله عظيمة جداً، فما علينا إلا أن نذكر أهمية الاسم في السحر لنقف على معنى هذه الشعيرة، فمعرفة اسم الإله أو اسم الشخص كانت تعطي الساحر قوة مطلقة على صاحب الاسم، كما أوضحنا ذلك في قصة «إزيس»، وإله الشمس «رع» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج ١ ص ١١٢)، هذا بالإضافة إلى أن الأهمية العظمى للأسماء المنقوشة للحصول على حياة مخلدة معروفة تماماً، كما أن المصريين كانوا يعتقدون أن الأسماء جزء أصلي من الشخص نفسه مثل: جسمه، وروحه، وقرينه، وظله، فإذا قدرنا كل هذه الحقائق حق قدرها استطعنا أن نقول: إن الفرعون عندما كان

^{١٧٠} راجع: Prsse, Monuments XI, 5.

يقوم بشعيرة تقديم اسمه للإله، فمعنى ذلك أن الملك كان يضع نفسه تحت سلطان هذا الإله، وفي نفس الوقت يكون قد اكتسب لنفسه حياة مخلدة؛ لأن اسمه الذي أخذه الإله كان المعتقد فيه أنه سيحفظ على شجرة «البرسا» المقدسة في «هليوبوليس» (عين شمس)، وكما أن «باتا» في قصة الأخوين (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج ١ ص ٨٧ إلخ) عائش ما دام لا يمكن الوصول إلى قلبه على قمة الشجرة التي وُضع عليها، فكذلك فرعون مصر كان يأمل أن يعيش مخلدًا؛ لأنه وضع اسمه على شجرة «هليوبوليس» المقدسة؛ حيث كانت أسماء الآلهة أنفسهم تُنعم هناك.^{١٧١}

(ح) معبد الإله «تحت» بمنف

تدل الوثائق التي في متناولنا، على أنه كان للإله «تحت» معبد في مدينة «منف» يُدعى: «مرتاح القلب بماعت»؛ أي العدالة، وقد جاء ذكره في خطاب موظف أرسله لأحد مرءوسيه بتعليمات خاصة؛ إذ يقول فيه: لقد سمعت أنك قد أخذت ثمانية العمال الذين كانوا يعملون في معبد «بيت تحت رعمسيس محبوب آمون» — له الحياة والفلاح والصحة — المسمى «مرتاح القلب بماعت» في «منف»، فيجب عليك أن ترسلهم لجرّ الأحجار لـ «بولهول» في «منف» (راجع Br. A. R. III, § 530). وكذلك ذكر اسم هذا المعبد في بردية محفوظة بمتحف «تورين» (راجع F. Rossi et Plyte Papyrus de Turin pl. XIX, 3,6)، وقد كشف حديثاً الأثري مصطفى الأمير في منطقة «منف»، في حوض الوسادا، الواقع على الطريق الرئيسي المؤدي من «منف» إلى «سقارة»، عن تمثال من الجرانيت الأحمر للفرعون «رعمسيس الثاني»، يبلغ ارتفاعه مترين وأربعين سنتيمترًا، وهو يمثل هذا الفرعون واقفًا وباسطًا ذراعيه على فخذه، وممسكًا بعصا في يده اليمنى، وأخرى في يده اليسرى، وتنتهي كل منهما برأس إله، وقد دلت النقوش التي عليهما أنهما للإلهين: «بتاح»، و«تحت»، وقد نعت كل من الإلهين بالنعت الغريب: «الذي تحت زيتونته»، والنقش الذي على العصا التي في يده اليمنى خاص بالإله الطيب، الذي يعمل الطيبات

^{١٧١} راجع: Le febure, L'Arbre Sacré D'Heliopolis in Sphinx V, p. 6

لوالده «بتاح» الذي تحت زيتونته، أما المتن الذي على العصا الأخرى فلإله الطيب صانع تمثال والده «تحوت» الذي تحت زيتونته، ملك الوجهين القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «رعمسيس الثاني»، ونقش على سنادة التمثال فوق الكتف الأيمن: رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» المحبوب مثل «تحوت» الذي تحت زيتونته، والظاهر أن هذه العبارة تدل على اسم التمثال، كما جرت العادة في إعطاء أسماء للتماثيل الضخمة، التي كانت تُنصب أمام المعابد؛ ليتعرف عليه الشعب، ويتعبدون له.^{١٧٢}

أما النعت الذي تحت زيتونته فكان على ما يظهر ينعت به بعض الآلهة، وبخاصة «بتاح» و«حور» و«ست»، وقد قال عنه «بدج» إنه يدل على أحد الملائكة السبعة الذين يحرسون «أوزير» (راجع A. S. LXII p. 361 ff.). وتحدثنا الآثار أن هذا اللقب كان يُذكر كثيراً مع الإله «تحوت» حتى عهد الأسرة العشرين. والآن يتساءل الإنسان: هل لهذا اللقب علاقة بزيت الإضاءة الذي كان يستخرج من شجرة الزيتون، وبوظيفة الإله تحوت الذي كان يمثل إله القمر الذي كان يضيء ليلاً (يوقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار)، وبخاصة إذا علمنا أن الإله «تحوت» قد مثل بهيئة قرد جالس تحت شجرة (راجع Bib. Egyptologique Vol 27).
والخلاصة هي أنه إذا كان هذا التمثال قد وجد في مكانه الأصلي فإنه يحدد لنا المكان الذي أقام فيه «رعمسيس الثاني» معبد هذا الإله.

ولا نزاع في أن هذا التمثال هو أحد الوثائق التي تقدم لنا فكرة عن عدد المعابد التي أقامها ملوك «الرعامسة» في عاصمة الملك الثانية التي كان لها شأن عظيم في تلك الفترة من تاريخ البلاد، وبخاصة إذا علمنا أن ملوك هذه الأسرة كانوا من أهل الدلتا، كما فصلنا القول في ذلك. وفي الحق قد دلت الكشوف الأثرية على وجود تسعة عشر معبدًا أقيمت في هذه المنطقة فعلاً، غير أن تحديد مواقع كثير منها لا يعرف حتى الآن كما نوهنا عن ذلك، وقد كشف حديثاً الأستاذ الدكتور أحمد بدوي مقرًا لعجول «أبيس» في كوم الفخري (راجع A. S. XLII, p. 363).

^{١٧٢} راجع: A. S. XLII, p. 359-63.

(٤) مدينة «بررعميس»

تحدثنا في الجزء الرابع عن توحيد مدينة «تانيس»، أو «قنتير» بمدينة «بررعميس» على حسب ما أدلى به كل من الأستاذين «جاردنر»، و«حمزة بك» من براهين تعزز نظريته، غير أنه على ما يظهر قد أصبحت كفة توحيد «بررعميس» «بقنتير» الحالية أرجح، وإن كان الموضوع لا يزال معلقاً كما قلنا، وقد تناول الأستاذ «جاردنر» هذا الموضوع حديثاً،^{١٧٣} وسنورد ملخص ما قاله عن هذه المدينة، وكذلك ملخص ما قاله الأستاذ «حمزة بك»؛ ليقف القارئ على ما وصل إليه هذا الموضوع من البحث، وإن كانت الكفة الراجحة — كما قلنا — أصبحت في جانب الأستاذ «حمزة بك».

فيقول الأستاذ «جاردنر»: إن مدينة «بررعميس مري آمون» التي تذكر كثيراً في النقوش بوصفها مقر الحكم في الدلتا في عهد «رعميس الثاني»، وأخلافه قد وحدها بعض المؤرخين بمدينة «تانيس»، ووحدتها آخرون ببلدة «قنتير» التي تبعد عن «تانيس» نحو تسعة عشر كيلومتراً، ومن «فاقوس» نحو تسعة كيلومترات، والفقرات الخاصة بهذه المدينة قد جمعها «جاردنر»^{١٧٤} أولاً، وقال عنها في بادئ الأمر: إنها تقع عند «الفرما»، ولكنه في مقال آخر^{١٧٥} حدد موضعها في «تانيس» على حسب ما وصلت إليه نتائج أعمال الحفر الأخيرة، وبخاصة ما ذكره الأستاذ «مونتييه»^{١٧٦} أخيراً، وهو ما جاء على قطعة حجر من معبد «تانيس» الكبير، فيقول: «أمون» صاحب «بررعميس مري آمون» ذو الانتصارات العظيمة، وهذا النعت يذكر كثيراً مع اسم «بررعميس» على الآثار المعاصرة لمؤسس المدينة، وبالاختصار ذكر في مقاله النهائي في هذا الصدد أن بلدة «أواريس» (حت وعرت) عاصمة الهكسوس، و«بررعميس» و«زعتي» (تانيس) هي أسماء لمدينة واحدة سميت بها على التوالي في التاريخ، وقد وافقه على ذلك الأستاذ «يونكر»، وخالفه الأستاذ «فيل» في توحيدها مع «أواريس»، ويجد الأستاذ «جاردنر» عقبة في سبيل استنباطه توحيد «تانيس» مع «بررعميس»؛ إذ يقول: إن كلاً من البلدين قد ذُكر منفرداً في قائمة أسماء

^{١٧٣} راجع: Gardiner Onomastica II, p. 171, 199, 278 ff.

^{١٧٤} راجع: J. E. A. V, 127 ff; 179, 242 ff.

^{١٧٥} راجع: J. E. A. XIX, 122 ff.

^{١٧٦} راجع: Kemi IV, p. 199.

«أمنمؤبي» التي هي موضوع كتابه الجديد، فيقول: لا يمكن أن ننكر — على أية حال — أن ذكر البلدين «بررعمسيس» و«تانيس» كل على حدة في البردية يُعد عقبة كأداء في توحيدهما، ولكن — مع ذلك — لا يجب علينا أن نعتقد في دقة ما جاء في هذه الورقة من كل الوجوه، ولهذا السبب وحده كان من المرغوب فيه أن نفحص بدقة أي رأي آخر، ولدينا الرأي الذي أبداه الأستاذ «حمزة» في مقاله عن الحفائر التي قام بها في بلدة «قنتير»، وهي التي يقترح فيها أن موقع «بررعمسيس» نفسها.^{١٧٧}

والآن نذكر ملخص ما جاء في مقال الأستاذ «حمزة» أولاً، ثم نورد اعتراض الأستاذ «جاردرنر» عليه، على الرغم من أنه اعترض على نفسه بوجود الاسمين كل منهما على حدة في قائمة جغرافية مصرية قديمة، وهاك ملخص كلام الأستاذ «حمزة»:

إن الأدلة الأثرية تعضد الرأي القائل بأن «قنتير» كانت على ما يظن مقر الملك الشمالي للفرعنة منذ عهد «رعمسيس الثاني» حتى نهاية عصر «الرعامسة»، وكانت مقر الحكومة في الدلتا، والظاهر أن «سيتي الأول» كان أول من أقام فيها قصرًا ليُجعله مكانًا لراحته بعد عودته من حروبه في «آسيا»، ولما جاء عهد «رعمسيس الثاني» رأى أنه تسهياً للقبض بيد من حديد على ممتلكاته في «آسيا»، وتخليص البلاد من غارات الساميين المتتالية أن يترك مقره في «طيبة»، ويجعله في الدلتا على مقربة من «فلسطين» ليقمع أي ثورة في مهدها؛ ولذلك يعد من الأمور الهامة في حكم «رعمسيس الثاني» انتخاب موقع «قنتير» ليكون مقره الملكي في الدلتا.

والواقع أننا وجدنا في الحقول والبيوت عوارض أبواب، وعتب نقش عليها اسمه، هذا بالإضافة إلى مئات القراميد، والزهريات المصنوعة من الخزف، والأشكال التي كانت تُؤلف جزءاً هاماً في تزيين القصر وزخرفته، على أن وجود مئات القوالب من الفخار المطلي باسم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، و«مرنبتاح الأول»، و«سيتي الثاني»، و«رعمسيس الثالث»، و«رعمسيس السابع»، و«رعمسيس العاشر» لبرهان على أن هؤلاء الفرعنة كانوا يقطنون في هذا القصر الذي كان يحلّى بمنتجات مصنع خاص؛ وذلك ليكونوا على اتصال بأملأهم الآسيوية. وكما قلت من قبل: كان «سيتي الأول» هو مبتكر هذه السياسة الحكيمة المثمرة في أول عهده؛ لأنه وجد أن حدود بلاده الشرقية كانت مهددة بالساميين المغيرين الذين كان يطلق عليهم اسم «شاسو»، وكذلك كان في «قنتير» معابد للإله «أمون»،

^{١٧٧} راجع: A. S., XXX, p. 31 ff.

و«بتاح»، و«ست»؛ وهذا فضلاً عن محارِب لآلهة آخرين أقل أهمية، كما يشاهد من قطع الجرانيت الضخمة التي لا تزال موجودة على سطح الأرض حتى الآن، وقد كان «أمون رع» هو الإله الرئيسي للمدينة بطبيعة الحال، وقد وجد اسمه وألقابه على كثير من الأشياء التي عُثِرَ عليها في هذه البقعة، وكانت الضرائب تُجلب إلى «قنتير» حيث كانت الإدارات العامة للحكومة. وكان الموظفون طبعاً يبنون مساكنهم حول قصر الفرعون، إذ وجدنا آثاراً تحمل أسماء بعضهم مثل «ست خرخبشف» رئيس جيش «رعمسيس»، و«بتاح معي» رئيس كتبة المعبد المسمى «بيت ملايين السنين لرعمسيس الثاني في بيت رع»، والوزير «خعي» الذي كان مكلِّفاً بتنظيم الأعياد الثلاثينية في جنوبي البلاد وشماليتها، وبعض القوالب كان عليها اسم حامل المروحة على يمين الملك، والكاتب الملكي، والمشرف على بيت رب الأرضين، كما نجد على غيرها الألقاب: حاجب الفرعون للعيد الثلاثيني الثالث للفرعون «رعمسيس الثاني» والحاجب الملكي للعيد الثلاثيني السادس للفرعون «رعمسيس الثاني». ومن المحتمل أن القصور والمساكن قد خربت في عهد الاضطرابات التي وقعت بين سقوط أسرة «الرعامسة»، وقيام أسرة «تل بسطة»، أما البقية الباقية فقد قضى عليها الأهلون الحاليون.

ومن المحتمل جداً إذن أن «قنتير»، و«بررعمسيس مري أمون» مقر الرعامسة المعروف في الدلتا موحدتان — وبعد ذلك يفند الأستاذ حمزة رأي الأستاذ «جاردنر» في أن بلدة «بلوزيوم» هي موقع العاصمة «بررعمسيس»، وهو نقد صائب وافق عليه جاردنر — ثم يستمر الأستاذ حمزة قائلاً: وعلى ذلك تكون «قنتير» — على أغلب الظن — هي «بررعمسيس»؛ إذ فيها على ما يظهر اتخذ «رعمسيس» مقره الشمالي، ولم يكن ذلك لأجل أن يكون آمناً من محاصرة الأسيويين له إذا قاموا بغزو البلاد المصرية فحسب، بل لأجل أن يكون كذلك على اتصال بشئون البلاد، والإشراف على كل أملاكه الشمالية (وقد ذكرنا أسباباً أخرى لاتخاذ «رعمسيس» العاصمة في الشمال راجع ع ٤).

وهكذا نعود إلى الفكرة الأولى التي ذكرها «نافيل»، وهي التي يقول فيها: إن «رعمسيس» أقام عاصمته الجديدة في مقاطعة العرب التي كانت عاصمتها «فكوسا» الإغريقية، وهي «فاقوس» الحالية، لا «صفت الحنا» كما زعم «نافيل».

وتدل أعمال الحفر على أن آلهة «قنتير»، وآلهة «بررعمسيس» موحدة وهم: «أمون»، و«ست»، و«بتاح»، و«رع»، ويحمل كثيراً من القوالب المصنوعة من الفخار المطلي التي عُثِرَ عليها في «قنتير» اسم «رعمسيس الثاني» مصحوباً باللقب «بانتر»؛ أي الإله، وأخرى تحمل طغراء نفس الملك مصحوباً بالنعيتين «شمس الأمراء»، و«حاكم الحكام».

ومثل هذه النقوش لا تبرهن على أن «رعمسيس» كان ملكاً فقط في «قنتير» بل كان يلقب كذلك بلقب «شمس الأمراء»، و«حاكم الحكام»، وفي ورقة «أنسطاس» الخامسة نجد فقرات هامة عن «بررعمسيس» ذكر فيها «رعمسيس الثاني» أنه إله في المدينة ووزير، ويلقب «شمس الأمراء»: «لقد بنى جلالته لنفسه قلعة اسمها عظيمة الانتصارات ... «رعمسيس مري آمون» فيها بمثابة إله ... والوزير شمس الأمراء». وهذه الحقائق تحمل على الظن بتوحيد «قنتير» مع «بررعمسيس».

وكذلك «الاستراكا» الهيراطيقية التي عثر عليها في «قنتير»، وعليها اسم «بررعمسيس» تشير إلى إيمان وجود دن للنبيل فيه أو أن مخزونة، لا لاستعمال المقر الملكي فحسب، بل كذلك لتموين الوجه القبلي بما يلزمه من النبيذ للمعابد؛ وهذا النبيذ على ما يظهر كان في حيازة موظف بالجيش يُدعى «وسر ماعت نخت»، كما تدل على ذلك النقوش الهيراطيقية. وأخيراً لدينا نقطة أخرى لا بد من ذكرها مع التحفظ الشديد حتى يفصل فيها بنتائج حفائر جديدة. فقد فسر لنا الأستاذ «جاردنر» بوضوح أن «ست»، أو «ستخ»، وهو أحد أعلام آلهة «بررعمسيس» كان كذلك الإله الرئيسي لبلدة «أواريس» عاصمة الهكسوس الحصينة، ولما كان اسم الإله «ست» يركب تركيباً مزجياً مع بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة مثل «سيتي»، و«ستنخت»، وأنه كذلك من المحتمل كان يُعبد في عهد «رعمسيس الثاني»، وأخلافه في عهدي الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، فإن ذلك يجعل «بررعمسيس»، و«أواريس» مدينة موحدة، ولكن إذا كانت «قنتير» هي «بررعمسيس»، فإنه لا بد من البحث عن «أواريس» في مكان آخر بالقرب من «قنتير» إلخ. وقد وافق الأستاذ «حمزة» في رأيه الأستاذ الأثري «هايس»^{١٧٨} و«قنتير» بمدينة «بررعمسيس»، وكذلك عضد «هايس» في رأيه الأستاذ «نيوبري»^{١٧٩} ويحتج «جاردنر» بأنه لم يعثر إلى الآن على معابد في «قنتير»، كما لم يكشف للآن عن قصر في هذه البقعة، وإن كان قد ذكر اسم قصر على جعران، وهو: «قصر رعمسيس محبوب آمون المحبوب مثل آتوم» في غربي ماء — «إتي»،^{١٨٠} غير أن ذلك فيه شك؛ إذ يحتمل أن كلمة «إتي» هي اسم فرع للنيل، ثم يقول: وعلى أية حال لا بد أن يبقى حكمي النهائي معلقاً في هذا الموضوع. وأخيراً نجد

^{١٧٨} راجع: W. C. Hayes, Papers of the Metropolitan Museum of New York No 3 (1937).

^{١٧٩} راجع: J. E. A., XXV.

^{١٨٠} راجع: J. E. A., V, p. 131; Gardiner, Onomastica II, p. 174.

برهاناً آخر يعضد رأي الأستاذ حمزة بك، ويقضي نهائياً على نظرية «جاردنر» القائلة: إن «تانيس» كانت في عهد «رعمسيس الثاني» تُدعى «بررعمسيس»، وذلك أنه عثر على خنجر ملك الأستاذ «جردزولوف» جاء عليه: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع»، محبوب «حور» رب «زعتن» (تانيس).»

ولذلك يقول «جاردنر»: إذا كان هذا الخنجر من عهد «رعمسيس الثاني» فإن كل نظريته عن أن «بررعمسيس» هي «تانيس» تنهار من أساسها، ولكنه يشك في أن هذا الخنجر من عصر هذا الفرعون.^{١٨١} وهكذا يظهر من كل ما سبق أن رأي الأستاذ «حمزة» — على الرغم من عدم اتساع الحفائر التي قام بها في منطقة «قنتير» — أكثر احتمالاً من رأي الأستاذ «جاردنر» على الأقل لأمرين هامين، وهما؛ أولاً: أن المصري نفسه عندما كتب عن جغرافية مصر في قائمة أسماء «أمنمؤبي» قد فرّق بين البلدين، وثانياً: ما جاء على الخنجر من نقوش تثبت وجود اسم «تانيس» في عهد «رعمسيس» الثاني. ويغلب على الظن أن «تانيس» كانت العاصمة الدينية للوجه البحري، وبخاصة لأنها كانت مركز عبادة الإله «ست» الذي تنسب إليه الأسرة الحاكمة كما كانت «بررعمسيس» هي العاصمة السياسية، على أن ذلك لا يمنع من أن «طيبة» كانت لا تزال حافظة لمركزها الديني؛ لأنها مقر «آمون». وكما قلنا في الجزء الرابع من هذا الكتاب كان فراعنة الأسرة التاسعة عشرة يريدون الابتعاد عن نفوذ كهنتها الذين كانوا قد تسلطوا تسلطاً عظيماً على كثير من مرافق البلاد (راجع الجزء الرابع). وقد وصل إلينا خطاب نموذجي من الخطابات التي كانت تُعلّم في المدارس في تلك الفترة، كتبه معلم يُدعى «أمنمؤبي» لتلميذه «بيبيس». وهذه الرسالة تصف لنا عظمة هذه المدينة، ورغد العيش الذي كان يتمتع به أهلها، وسنوردها فيما بعد، هذا وقد ذُكرت هذه المدينة في لوحة بركات الإله «بتاح».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المدينة كان قد بُدئ العمل فيها في العهد الذي اشترك فيه «رعمسيس» مع والده في الحكم، بل يحتمل أن «رعمسيس» قد اتخذها مركزاً له، ولما توفي والده وانفرد بالحكم نقل الحكومة إليها.

^{١٨١} راجع: Gardiner, Onomastica II, p. 279.

(٥) أعياد «رعمسيس الثاني» الثلاثينية ومسلاته

لقد ظلت الآراء متضاربة عند علماء الآثار عن العيد «سد» الذي كان يحتفل به المصريون القدماء إلى أن كشف الدكتور «أحمد فخري» عن مقبرة «خيوف» كشفًا شاملاً بعد أن كان لا يُعرف عن نقوشها إلا الشيء القليل، ومن ثم بدأنا نعلم حقائق هامة عن هذا العيد (راجع ج ٥)، غير أن تحديد المدة التي كان يُعقد فيها لا يزال غامضًا بعض الشيء. ومن نقوش حجر رشيد نفهم أنه كان يُعقد كل ثلاثين سنة، ويؤكد هذا الزعم أن الاحتفال به يُورَّخ بالسنة الثلاثين أو الحادية والثلاثين من حكم الفرعون الحاكم في أثناء الاحتفال به، وهذا العيد يمكن تكراره بعد فترات قصيرة من الاحتفال به للمرة الأولى في نفس حكم الملك. ولدينا أمثلة على ذلك، فقد احتفل به قبل السنة الثلاثين؛ إذ حدث أن أقيم في السنة الخامسة عشرة والثالثة والعشرين، وغير ذلك. وقد اقترح الأستاذ «زيت» أن مدة الثلاثين عامًا كانت تُحسب من يوم إعلان ملك المستقبل ولي عهد للبلاد.^{١٨٢}

وظن الأستاذ «شبيجلبرج» أن معنى كلمة عيد «سد» هو الاحتفال بالاستيلاء على نيل ابن أوى، وهو رمز للملكية في هذه المناسبة.^{١٨٣}

وردًا على الأستاذ «زيت» قال «إدوردمير»: إن «تحتمس الرابع» قد احتفل بعيد «سد» مرتين مع أنه لم يعيش أكثر من خمسة وعشرين عامًا،^{١٨٤} ولكن رأي «إدوردمير» عن عمر «تحتمس الرابع» فيه شك كبير (راجع ج ٥)، وعلى أية حال نجد «رعمسيس الثاني» يحتفل بعيد «سد»، أو العيد الثلاثيني ثلاث عشرة مرة على أقل تقدير.

والواقع أن هذا العيد على ما يظهر قد فقد الكثير من مراسيمه الأصلية كما فقد معناه، إذ كان على حسب ما جاء في مقبرة «خيوف» شمسي الصبغة في الأصل، ثم صبغ بالصبغة الأوزيرية، ثم جمع بينهما معًا، وقد كان من بين مظاهره الشمسية إقامة المسلات احتفالاً به؛ لأن المسلة كانت تُعد أبرز رمز للاله «رع» (راجع ج ٥)، ومما يلفت النظر في أعياد «سد» التي احتفل بها الفرعون «رعمسيس الثاني» أنه لم يدون على مسلاته الاحتفال بهذا العيد إلا نادرًا، ففي «تانيس» أقام هذا الفرعون حوالي اثنتين وعشرين

^{١٨٢} راجع: A. Z., XXVI (1898) p. 64.

^{١٨٣} راجع: Orientalistische. Literaturzeitung Band IV Col. 9.

^{١٨٤} راجع: Ed. Meyer. Gesch II, I p. 139.

مسلة لم يزل باقياً منها ثماني عشرة في حالة لا بأس بها، ومع ذلك لم نجده يذكر هذا العيد إلا على واحدة^{١٨٥} منها.

والواقع أن هذه المسلات لم يُنقش عليها حتى الإهداء التقليدي الذي نراه على المسلات الأخرى التي أقامها الفراعنة أمثال «تحتمس الثالث»، والمسلتان الوحيدتان اللتان نقش عليهما إهداء من بين المسلات التي أقامها كلها على ما نعلم هما اللتان أقيمتا في معبد الأقصر،^{١٨٦} وهك النص فاستمع لما جاء فيه:

لقد أقامها بمثابة أثر له لوالده «أمون رع» فنصب له مسلتين عظيمتين من الجرانيت»، والثانية قائمة الآن في «باريس»، وجاء عليها: «لقد أقامها «رعمسيس الثاني» بمثابة أثر له لوالده «أمون رع» فنصب له مسلة عظيمة تسمى «رعمسيس مري أمون»، ومحبوب «أتون».

ولم نجد النقش المعتاد الذي كنا نجده على مسلات ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا على المسلة التي تركها «سيتي الأول» في «هليوبوليس» بلا نقش، وقد قام بكتابة متنها «رعمسيس الثاني»، غير أنه كان في هذه المرة كريماً على غير عادته؛ إذ خصص ثلاثة من أوجه المسلة لنقوش والده، واكتفى هو بنقش واحد خُلد عليه ذكراه. ويوجد خارج القطر من مسلات «رعمسيس» غير التي في «باريس» أربع، واحدة منها الآن في «رومة»، وواحدة في «فلورنس»، وقد أقام «رعمسيس» مسلتين في الكرنك.^{١٨٧}

وفي «برلين» يوجد جعران نقش عليه متن يدل على الاحتفال بإقامة مسلات، وكذلك قطع من محاجر «إلفنتين»: ^{١٨٨} مسلتان يحتمل أن الذي أمر بهما «رعمسيس الثاني»، وقد احتفل الموظف المختص بذلك بذكرى إقامتهما في نقش على صخور جزيرة «سهيل»^{١٨٩} جاء فيه: «سمير الملك الحقيقي، ومحبوبه الذي أدار العمل في المسلتين العظيمتين الكاهن الأعظم للإله «خنوم»، والإلهتين «عنقت»، و«ساتت» «أمنحتب».^{١٩٠}

^{١٨٥} Les Obelisques de Ramses II, Kemi V (1936) pl. XXIII راجع:

^{١٨٦} Sharpe Egyptian Inscriptions II, 60 راجع:

^{١٨٧} L. D. III, 148 a راجع:

^{١٨٨} Ausführliches Verzeichnis des Berliner Museum 40 راجع:

^{١٨٩} Mariette, Mon. Div. V, 70 No. 17 = L. D. Text. IV, 125 (b) راجع:

^{١٩٠} L. D. III, 175; Brugsch. Thesaurus V, 1127; Champ. Notices I, 252 راجع:

والظاهر — كما قلنا — أن المسلة بعد أن كانت رمزاً شمسياً محضاً قد أصبحت بالتدريج مجرد أثر عادي الصبغة يقام لتخليد ذكرى الفرعون ومفاخره، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه على نقوش مسلات «رعمسيس الثاني» التي أقامها في «تانيس»، إذ كل ما عليها من نقوش تمجد شجاعة الفرعون، وقهره للأعداء، ونسبته للآلهة، أما أهميتها في أنها تذكّر للعهد الثلاثيني، فقد تلاشت تقريباً، ولا أدل على ذلك من أن النقوش التذكارية التي تشيد بذكرى الاحتفال بالأعياد الثلاثينية الملكية توجد في الوجه القبلي من «الكاب» حتى «فيلة» منقوشة على الصخور، كأن الأمر وقتئذ كان يحتاج إلى تسجيل هذه الأعياد على آثار أخرى غير المسلات، وهذا ما نشاهده في موضوع أعياد «رعمسيس الثاني» الثلاثينية التي احتفل بها مدة حياته، وهي أكثر من أعياد أي ملك آخر حكم مصر، ولا غرابة في ذلك فقد كان حكمه أطول حكم في الدولة الحديثة، كما أنه كان أعظم ملك أغرم بحب إقامة الآثار التذكارية في طول البلاد وعرضها؛ إذ الواقع أنه احتفل بهذا العيد، على حسب ما وصل إلينا حتى الآن، أكثر من ثلاث عشرة مرة، وها هي ذي:

(١-٥) التاريخ

- (١) في «جبل سلسلة»: «السنة الثلاثون، أول عيد ثلاثيني ملكي لرب الأرضين «وسر ماعت رع» معطي الحياة مخلداً، وقد أمر جلالتة بالاحتفال بالعيد الثلاثيني في كل البلاد.» ويشاهد في أعلى هذا النقش صورة ابن الملك «خعمواست»، مرتدياً ملابس الكاهن الأعظم، ونقش معه «ابن الملك الكاهن «سم خعمواست» المنتصر».
- (٢) وعلى صخور جزيرة «بجة»^{١٩١} نجد النقش التالي:

السنة الثلاثون، العيد الأول الملكي الثلاثيني، السنة الرابعة والثلاثون، إعادة العيد الملكي الثلاثيني، السنة السابعة والثلاثون، العيد الملكي الثالث الثلاثيني لرب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع»، رب التيجان «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مخلداً.

^{١٩١} Champ. Notices I, 162; Sharpe Egyptian Inscriptions II, 58; L. D. texte IV, 175, راجع:

.Brugsch Recueil II 83, 3

وقد كلف جلالته الكاهن «سم» — أي الكاهن الأكبر لمنف — ابن الملك «خعمواست» ليقوم الأعياد الملكية في كل البلاد.

وعلى صخور جزيرة «سهيل» نجد نقشاً جاء فيه:

السنة الثالثة والثلاثون، إعادة العيد الملكي الثلاثيني لرب الأرضين «رعمسيس الثاني». ١٩٢

(٣) النقش الثاني الذي على صخور «السلسلة»: يوجد على يمين المدخل لمعبد «حور محب» العظيم الذي نحته في صخور «السلسلة» نقش من عهد «رعمسيس الثاني» يشاهد في أعلى النقش «رعمسيس الثاني»، وابنه «خعمواست» يتعبدان للإله «بتاح»، والإله «سبك» رب جبل «سلسلة»، وهما نص المتن:

السنة الثلاثون: أول عيد ثلاثيني ملكي.

السنة الرابعة والثلاثون: إعادة العيد الملكي الثلاثيني.

السنة السابعة والثلاثون: العيد الثالث الملكي الثلاثيني.

السنة الأربعون: العيد الرابع الملكي الثلاثيني.

في عهد رب الأرضين «وسر ماعت رع»، رب التيجان «رعمسيس مري آمون» معطي الحياة مخلدًا، وقد أمر جلالته بتكليف الكاهن «سم» (كاهن منف الأعظم)، ابن الملك «خعمواست» ليحتفل بالعيد الملكي الثلاثيني في كل الأرض في الشمال وفي الجنوب. ١٩٣

(٤) نقش «جبل السلسلة» الثالث: يوجد كذلك على شمال مدخل معبد «حور محب» في جبل السلسلة نقش من عهد «رعمسيس الثاني». ١٩٤

١٩٢ راجع: Brugsch Thesaurus V, p. 1128.

١٩٣ راجع: Champ. Monuments, p. 116.

١٩٤ Champ. Ibid. p. 115 راجع:

ويشاهد فوق المتن منظر ممثل فيه «رعمسيس»، وابنه «خعمواست» يتعبدان أمام الإلهين «بتاح تاتنن»، و«آمون رع» ملك الآلهة. وهذا المتن صورة من المتن السالف، غير أنه يحتوي على غلطة؛ إذ يسمى عيد السنة السابعة والثلاثين العيد الرابع. (٥) نقش «جبل السلسلة» الرابع: هذا النقش مدون على لوحة كبيرة تقع على يمين باب معبد «حور محب» المنحوت في الصخر في «جبل السلسلة»،^{١٩٥} ويشاهد فوق المتن قبل التواريخ الوزير «خعي» راعيًا، وفوقه نشاهد «رعمسيس الثاني» أمام الآلهة «آمون رع»، و«حور اختي»، و«ماعت»، و«رع سبك» إله السلسلة، وهما المتن:

السنة الثلاثون: أول عيد ملكي ثلاثيني.

السنة الرابعة والثلاثون: تجديد العيد الملكي الثلاثيني.

السنة السابعة والثلاثون: وهو العيد الملكي الثالث الثلاثيني.

ولكن يقول الأستاذ حمزة: إن العيد الثالث والسادس قد احتفل بهما في «قنتير» عاصمة «رعمسيس» على حسب رأيه هو (راجع A. S. XXX, p. 50)، ويعاضده في ذلك الأستاذ هايس.^{١٩٦}

السنة الأربعون، العيد الرابع الملكي الثلاثيني في عهد جلالة رب الأرضين «وسر ماعت رع»، رب التيجان: «رعمسيس مري آمون»، معطي الحياة مثل رع مخلدًا.

قد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراثي، والكاهن محبوب الإله، ونائب «نخن»، وكاهن «ماعت» وقاضي القضاة، والقاضي وعمدة العاصمة، والوزير «خعي» المظفر أن يحتفل بالأعياد الملكية الثلاثينية في كل الأرض جنوبيها وشمالها.

^{١٩٥} راجع: Champ. Ibid. 118; Brugsch Recueil des Mon. II, 83.

^{١٩٦} راجع: Onomastica II, p. 173.

(٦) نقش جزيرة «سهيل»: وكذلك أمر «رعمسيس الثاني» بحفر نقش على صخور جزيرة «سهيل» عند الشلال الأول،^{١٩٧} وهو:

السنة الأربعون، لقد أتى ابن الملك الكاهن الأول للإله «بتاح» مرضياً قلب رب الأرض «خعمواست» لإحياء العيد الملكي الثلاثيني (الرابع) في كل الأرضين جنوبيها وشماليتها.

(٧) نقش مدينة «الكاب»: هذا النقش — على حسب ما جاء في «لبسيوس» — نحت في معبد «أمنحتب الثالث»،^{١٩٨} وقد مثل في أعلى اللوحة «خعمواست» بن «رعمسيس الثاني» في صورة «أوزير» وهاك النص:

السنة الأربعون، لقد حضر ابن الملك الكاهن الأول للإله «بتاح» إرضاء لقلب رب الأرضين «خعمواست» لإحياء العيد الملكي الخامس الثلاثيني في كل الأرض.

(٨) نقش جبل «السلسلة» الخامس: «السنة الثانية والأربعون، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الأول من عهد الملك «رعمسيس الثاني» معطي الحياة مخلدًا وسمديًا، لقد أمر جلالته بأن يكلف الوزير «خعي» بالاحتفال بالعيد الملكي الخامس للملك «رعمسيس الثاني» في كل الأرض.»

(٩) نقش جبل «السلسلة» السادس: هذا النقش نُحت على لوحة على يمين مدخل المعبد الذي نحتته «حور محب» في جبل «السلسلة»، وفوق المتن نشاهد «رعمسيس الثاني» تصحبه الإلهة «ماعت» أمام الآلهة «أمون»، و«موت»، و«خنسو»، و«حور اختي»، و«سبك» إله السلسلة، ونشاهد تحت المتن الوزير «خعي» راكعًا وأمامه متن للعبادة، ونص المتن الخاص بالعيد هو:

السنة الرابعة والأربعون (وفي متن شامبليون السنة الخامسة والأربعون) الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الأول من الشهر في عهد جلالة الملك رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» معطي الحياة مخلدًا ... ابن «رع» رب التيجان

^{١٩٧} راجع: Mariette Monuments Divers 71 No. 33.

^{١٩٨} L. D., III, 174 d.

«رعمسيس مري آمون» معطي الحياة مثل «رع» مخلدًا، لقد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراثي، والكاهن محبوب الإله رئيس العدالة والقاضي وعمدة المدينة الوزير «خعي» المظفر ليحتفل بالعيد السادس الملكي الثلاثيني في كل البلاد جنوبيها وشماليها.

(١٠) وفي معبد «أرمنت» كُشف حديثاً عن بعض نقوش على بوابة المعبد عند المدخل من الجهة الشرقية للباب تحدثنا عن أعياد ثلاثينية احتفل بها هذا الفرعون في هذا المعبد، وهي: ١٩٩

السنة الرابعة والخمسون، الشهر الأول من فصل الشتاء في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع» ابن الشمس «رعمسيس الثاني»، محبوب «آمون» معطي الحياة، أمر جلالته بتكليف الكاتب الملكي والمدير العظيم لمعبد «الرمسيوم» في ضياع «آمون» المسمى «إيوبوا» لإعلان العيد التاسع الثلاثيني للملك «وسر ماعت رع» ... كما كلف الوزير «نفررنبت» بالاحتفال بهذا العيد في السنة السابعة والخمسين، وكذلك السنة الستين، كما سيأتي بعد.

وقد وجدت على جدران هذه البوابة سنين أخرى تنبئ بالاحتفال بهذا العيد في نفس الشهر واليوم في السنين الحادية والخمسين، والثالثة والستين، والخامسة والستين، أو السادسة والستين، والتاريخ الأول يدعو إلى الغرابة والحيرة في تسلسل هذه الأعياد، غير أنه من الجائز أن يكون تاريخ عيد سابق، وعلى ذلك يكون إما العيد السابع أو الثامن، أما التاريخ الثاني والثالث فيكونان للعيدين الثاني عشر والثالث عشر. وعلى أية حال فإن هذه النقوش من الأهمية بمكان؛ لأننا كنا لا نعرف — حتى كشفها على حسب ما جمعه «برستد» — إلا سبعة أعياد ثلاثينية لـ «رعمسيس الثاني»، أما الآن فتحديثنا النقوش عن نحو ثلاثة عشر أو أربعة عشر عيداً كان يحتفل بها بعد مضي بضع سنين في نهاية حكم «رعمسيس» الطويل الذي أربى على سبع وستين سنة. ٢٠٠

ويلاحظ أن المكلف بإعلان هذا العيد في هذه النقوش كان في الحالة الأولى أحد الأشراف العظام في البلاط، وقد كان يحمل لقب كاهن من أصحاب المكانة، وفي الحالة الأخرى كلف

١٩٩ راجع: Temples of Armant (Text) pl. 163.

٢٠٠ Ibid p. 163 راجع.

بإقامته دفعتين وزيره العظيم «نفررنبت»، ويلحظ أن نفس الكلمات التي استُعملت في هذه المتون هي نفس الكلمات التي استُعملت في العيد الخامس في نقوش «جبل السلسلة». وقد استعمل الأستاذ «برستد» كلمة «سر» بمعنى يحفل، ولكنها تعني إعلان العيد القادم بواسطة حاجب، ونرى في نقوش «جبل السلسلة» أن الذي كان مكلّفًا بإقامة هذا العيد هو ابنه «خعمواست»، ومن بعده الوزير «خعي»، وقد كان الموظفون أصحاب الرُتب العالية يشتركون في إقامة هذا العيد كما نعلم في نقوش «بوصير»، و«تل بسطة»، وكما شاهدنا في العيد الثلاثيني الذي أقيم في عهد «أمنحتب الثالث» (راجع ج ٥).^{٢٠١}

ومن كل هذه النقوش نفهم أن هذه الأعياد لم يتبع في تدوين متونها تلك الأبهة والرخامة التي كانت تسير على نهجها ملوك الأسرة الثامنة عشرة عندما كانوا يقيمون لها المسلات الضخمة تكريمًا لهذا العيد، بل على ما يظهر نجد أن «رعمسيس الثاني» قد اكتفى بحفر نقوشها على صخور بلاد النوبة وبعض المعابد، ويحتمل أنه قد فعل ذلك وبالع في تكرارها؛ لأن العاصمة كانت في الوجه البحري، وأنه كان يريد أن يذكّر سكان مملكته النائين بعظمته وفخاره، وإن كان الاحتفال نفسه يقام في العواصم السياسية والدينية. ومما يلفت النظر في كل هذه النقوش أن الفرعون لم يكلف بها ابن الملك حاكم بلاد النوبة، بل كان يكلف بنقوشها إما بكر أولاده الذي كان سيخلفه على العرش، أو وزيره الأكبر بوجه عام؛ ولذلك فإنه من المهم جدًّا، إذا أتاحت لنا الفرصة، أن نعلم لماذا كان هؤلاء الأشخاص بالذات يكلفون القيام بهذه المهمة، وكذلك نعلم العلاقة الخاصة لبلدة «أرمنت» بهذا الحفل.

(٦) الآثار والمباني الصغيرة الأخرى التي خلفها «رعمسيس» في أنحاء القطر

كانت آثار «رعمسيس الثاني» منتشرة في أنحاء القطر لدرجة تفوق حد المؤلف، حتى إنه لا تكاد توجد بقعة أثرية إلا له فيها أثر. وقد ذكرنا أهمها من الوجهة التاريخية أولًا، وسنذكر هنا بعض آثاره الهامة المبعثرة في أنحاء القطر متوخين في ذلك الاقتصاد بقدر المستطاع؛ إذ إن تعدادها كلها يخطئه الحصر.

^{٢٠١} راجع: Naville, The Festival Hall of Osorkon II E. E. S. Tenth Memoire, London (1892)

pl. II, & p. 11

(١-٦) «سرابة الخادم» (في سيناء)

كان من الطبيعي أن نجد لهذا الفرعون الذي اشتهر بعظم مبانيه آثارًا في تلك الجهات التي اشتهرت بما فيها من أحجار ومعادن، والنقوش التي وجدت هناك كلها تذكارية، نقشها رؤساء البعوث تخليدًا لوفودهم على هذه البلاد النائية لاستخراج الأحجار منها، والواقع أنه قد وجد لهذا الفرعون لوحات مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه؛ أي عندما كان نشاطه عظيمًا في إقامة المعابد في طول البلاد وعرضها. وفي أعلى إحدى هذه يشاهد «رعمسيس» يقدم إناءين من الخمر لإله برأس صقر (حور)، وفي أسفل المنظر النقش التالي: «السنة الثانية، يعيش «حور» الثور القوي، محبوب الإلهين، حامي مصر، وهازم البلاد الأجنبية «حور الذهبي»، الكثير السنين، عظيم الانتصارات، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم الأقواس التسعة، مختار «رع» في سفينته، رب الأرضين ... الحاكم القوي، رئيس كل البلاد الأجنبية مثل والده «أمون رع» ملك الآلهة، ورب السماء «وسر ماعت رع ستين رع» ابن الشمس، رب التيجان «رعمسيس»، محبوب «أمون»، محبوب «حتحور» سيدة الفيروز، وسيدة السماء، وربة الأرضين.» ونشاهد أسفل هذا موظفين من رؤساء رماة جلالته، وهما يتعبدان لطغراء «رعمسيس الثاني»،^{٢٠٢} وكذلك وجدت لوحة أخرى في نفس المكان رُسم عليها «رعمسيس الثاني»، وملكة يتعبدان للإله «حتحور».^{٢٠٣}

(١) وفي «سرابة الخادم» كذلك وجد له قطعة من الحجر منقوشة، وقد ظهر عليها موظف يُدعى «عشو حب سد» يحمل مروحة وشرايط، يتعبد للملك «رعمسيس الثاني».^{٢٠٤}
 (٢) قطعة أخرى من الحجر صور عليها «رعمسيس الثاني»، وملكة تقدم قربانًا لإله، وقد جاء في هذا النقش اسم الوزير «باسر».^{٢٠٥}

^{٢٠٢} راجع: Gardiner & Peet Sinai pl. LXX, No. 256.

^{٢٠٣} راجع: Ibid, pl. LXIX No. 254.

^{٢٠٤} راجع: Ibid. pl. LXX, No. 253.

^{٢٠٥} راجع: Ibid. pl. LXX No. 255.

- (٣) ونجد كذلك نقوشًا للملك «رعمسيس الثاني» على عمد معبد «سرابة الخادم»، وعلى جزء من عتب «باب»،^{٢٠٦} وكذلك على عارضة «باب». ^{٢٠٧}
- (٤) ووجدت له لوحة مهشمة رُسم عليها الفرعون يتبعه ابنه «مري آمون»، وكذلك نجد عليها اسم رئيسي الرماة «امنمأبت»، و«عشو حب سد». ^{٢٠٨}
- (٥) لوحة مهشمة أهداها رئيس الرماة «عشو حب سد»، وقد نقش عليها طغراء «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، ويحمل «رعمسيس الثاني» في هذه اللوحة لقب «وسر ماعت رع»، ولكنه يُدعى ابن الملك،^{٢٠٩} وهذا دليل آخر يعزز الرأي القائل بأن «رعمسيس الثاني» كان مشتركًا مع والده في الملك كما سلف.
- (٦) قطعة من تمثال نقش على جانبها الأيسر صورة بنت «عنتا» ابنة الفرعون «رعمسيس الثاني»، وتلقب هنا «بنت الملك، والزوجة الملكية العظيمة». ^{٢١٠}
- (٧) قطع من تمثال للملك «رعمسيس الثاني»، والإله «حتحور»، وكذلك قاعدة تمثال آخر. ^{٢١١}
- (٨) وقد أقام «ست حتب» لوحة هناك في السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون، كما أقام «ست نخت» لوحة أخرى مؤرخة بالسنة السادسة في «سرابة الخادم»، ولا بد أنهما كانا قد أرسلتا من قبل هذا الفرعون لقطع الأحجار (راجع في Petrie Hist. III, p. 102).
- (٩) وتوجد له كذلك لوحة مؤرخة بالسنة الخامسة، وأخرى بالسنة الثامنة. ^{٢١٢}
- ومن هذه النقوش نعلم أن «رعمسيس الثاني» كان صاحب نشاط لاستخراج الأحجار الثمينة، وغيرها من الأحجار الضخمة لمبانيه العظيمة في أول حكمه.

^{٢٠٦} .Ibid. pl. LXXI; 258 & pl. LXIX, No. 257 راجع:

^{٢٠٧} .Ibid. pl. LXIX, 257 راجع:

^{٢٠٨} .Ibid. pl. LXXI, No. 260 راجع:

^{٢٠٩} .Ibid. pl. LXVIII, No. 250 راجع:

^{٢١٠} .Ibid. pl. LXXII, No. 263 راجع:

^{٢١١} .Ibid. LXXII, No. 263 & No. 264 راجع:

^{٢١٢} .Weil Recueil Inscription Sinai 126-9 راجع:

(٢-٦) أبو قير

يوجد في «متحف الإسكندرية» بعض آثار للفرعون «رعمسيس الثاني» جيء بها من «أبو قير»، وهي:

- (١) تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر، عثر عليه «دانيوس باشا» في «أبو قير»،^{٢١٣} نحت على جانبه الأيسر صورة ابنته، وزوجته المسماة «حنت مري رع».^{٢١٤}
- (٢) وعثر له على تمثال «بولهول» من الحجر الرملي مغتصب، كما تظهر ذلك النقوش.
- (٣) وعلى قطعة حجر من جدار يظهر «رعمسيس الثاني» بوصفه الإله^{٢١٥} «تاتن» (؟).
- (٤) وكذلك عثر له على تمثال أهدها للإله «آمون رع» ملك الآلهة.^{٢١٦}
- (٥) وفي نفس المتحف نجد قمة هرم من الحجر الرملي نقش عليها اسمه.^{٢١٧}

(٣-٦) الإسكندرية

- (١) ووجد له في «الإسكندرية» تمثال من الجرانيت على الميناء شمالي الجمرک.^{٢١٨}
- (٢) تمثال من الجرانيت الأسود وجد للإلهة «سخمت» كتب عليه اسم «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنه من معبد «آمون» «بالكرنك».^{٢١٩}
- (٣) تمثال من الجرانيت الأحمر بدون رأس باسم «رعمسيس الثاني»^{٢٢٠} في متحف «الإسكندرية».

^{٢١٣} راجع: A. S. V, p. 114-115.

^{٢١٤} راجع: Ibid. p. 116.

^{٢١٥} راجع: Ibid. p. 121.

^{٢١٦} راجع: Ibid. p. 121.

^{٢١٧} راجع: L. D. Texte I, 3.

^{٢١٨} راجع: L. D. III, 142 ac.

^{٢١٩} راجع: Daressy Statues de Divinités Cat. Cairo pl. II, p. 266.

^{٢٢٠} راجع: Briccia Alexandria. Ad Aegyptum (1922) p. 152.

(٤) وقد كتب «رعمسيس الثاني» اسمه على مسلتي «تحتمس الثالث» التي نقلت إلى الإسكندرية»، وهما المعروفتان بمسلتي «كليوباترا» (راجع ج٤).
(٥) وفي «سيزاريوم» عثر على قطعة من محراب عليها اسم «رعمسيس الثاني».^{٢٢١}

(٤-٦) القنطرة

وفي «تل أبو صيفة» وجدت قطعة حجر من قاعدة مهداة من «رعمسيس الثاني» للإله «حور-مين».^{٢٢٢}

(٥-٦) تل الفراعين

عثر على جزء من تمثال من الجرانيت للإلهة «بوتو» (وازيت) أهدها لها الفرعون «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنه كان في محراب.^{٢٢٣}

(٦-٦) «شديا» (؟)

وفي «شديا» عثر على قطعة حجر عليها اسمه.^{٢٢٤}

(٧-٦) كوم الأبقعين

وفي بلدة «الأبقعين» الواقعة في مديرية البحيرة مركز «أبو المطامير» عثر على قطعة الحجر الجيري من باب لمبنى مخرب مكتوب عليها اسم «رعمسيس»،^{٢٢٥} ويظهر أنها كانت جزءاً من باب.

^{٢٢١} راجع: Porter & Moss IV, p. 5.

^{٢٢٢} راجع: Petrie, Nebesheh in Tanis pl. 1 i.

^{٢٢٣} راجع: Ibid pl. X,7.

^{٢٢٤} راجع: Murry Guide to Egypt. p. 146.

^{٢٢٥} راجع: A. S. V, p. 129.

(٦-٨) كوم الحصن

وفي «كوم الحصن» وجد لهذا الفرعون تماثلان من الجرانيت الأحمر، ويحتمل أنهما في الأصل ملك من الدولة الوسطى، واغتصبهما لنفسه «رعمسيس الثاني» كما وجدت مجاميع تماثيل، وتماثيل منفردة في هذا المكان.^{٢٢٦} وقد وجد له هذا العام في الحفائر التي يقوم بها الأستاذ «حمادة» الجزء الأسفل من تماثل مزدوج هو والإلهة «حتحور» واقفين (تقرير مصلحة الآثار).

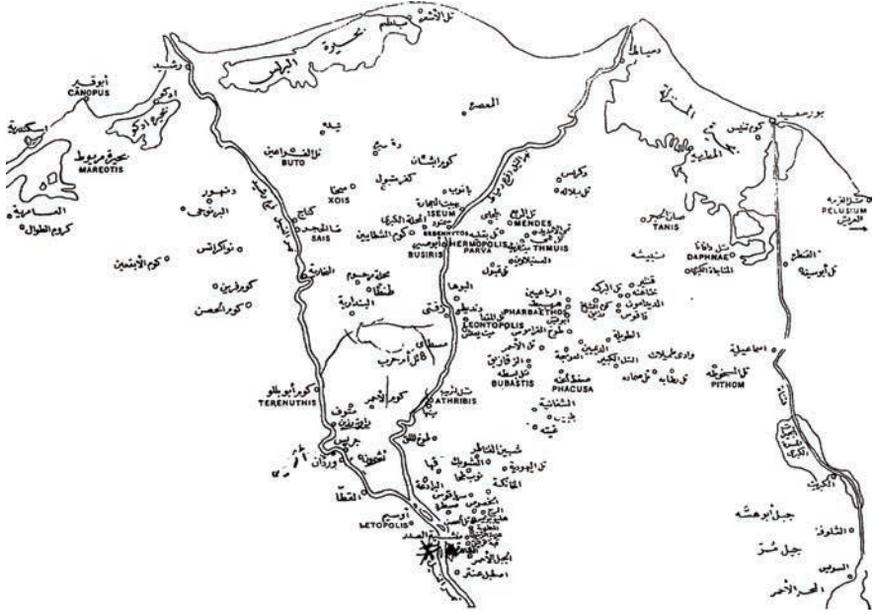
(٦-٩) قنتير

عثر فيها على آثار عدة لـ «رعمسيس الثاني» (راجع ما كتب عن «بررعمسيس»). ويتحدث الأستاذ «مونتيه» عن «قنتير» فيقول:^{٢٢٧} على مسافة قريبة من «الختاعة» تقع قرية «قنتير» الجميلة، تَلَفَّها خمائل النخيل الباسقة، وتشمل عوارض أبواب، وقطعاً من لوحات، وقد عملت فيها حفائر منذ عشرة أعوام كان لها ثمرة مجدية، فمنها قطع خزف من عهد «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وكذلك وجد فيها عدد عظيم من «الاستراكا» المنقوشة بالخط الهيراطيقي من نفس العصر، وخلافاً لذلك لوحظ على بعض الأواني التي كانت مملوءة بالنبيذ (نبيذ «بررعمسيس»)، وقد استنبط البعض — يقصد بذلك الأستاذ حمزة بك — من ذلك أن مقر «رعمسيس» الشهير في «الدلتا» الذي كان يسمى «بررعمسيس» هو «قنتير» نفسها، وهذا الاستنباط مبالغ فيه بعض الشيء؛ وذلك لأن المتون العدة القديمة الخاصة بالمقر الملكي تجيز أن نقرر وجود بعض حقائق نعلم منها أن هناك مكاناً آخر قديماً تتوافر فيه هذه الشروط، ويستحق أن نجعله هو المقر لهذه العاصمة، وأعني بذلك «تانيس». ولا يفوتنا أن نتجاهل أن الضياع الملكية كانت شاسعة جداً، وتحتوي على قصور رحبة، كان الملك والأمراء يتخذون مساكنهم فيها، كما كان الموظفون الآخرون يقطنونها، وكانت تُتخذ مكاناً للمؤمن، وتُزرع فيه الحدائق والخمائل والحبوب، وتُقام فيها

^{٢٢٦} راجع: Gardiner Naukratis II, 78, 82.

^{٢٢٧} Montet. Tanis p. 20.

برك للصيد. فإذا كان في «قنتير» كروم لعمل النبيذ ومساكن ملحقة بالعاصمة، فإن هذا يعد من الأمور الممكنة جداً (راجع Montet Tanis p. 19).



شكل ١٧: خريطة الوجه البحري.

ومن هذا نرى أن «مونتيه» لا يزال يميل إلى توحيد «برعمسيس» بـ «تانيس»، وقد فاته أن صاحب هذه الفكرة قد أخذ يتراجع بعض الشيء في التمسك برأيه، وأخذ ينظر بعين الجد إلى ما قرره الأستاذ «حمزة» على ضوء الكشوف الحديثة، هذا فضلاً عن أن الحفائر التي يقوم بها الأستاذ «ليب حبشي» في هذه المنطقة تدل نتائجها على أن ما قرره «حمزة بك» هو الرأي الصواب.

(١٠-٦) «نبيشة» (تل فرعون)

وجد فيها تمثال «رعمسيس الثاني» أهداه لإلهة هذه الجهة المسماة «وازيت»، وهي في المقاطعة التاسعة عشرة (أميت) التي كانت تُعبد فيها الإلهة «وازيت».^{٢٢٨}

(١١-٦) «صفت الحنا» (عاصمة المقاطعة العشرين)

من مقاطعات الوجه البحري

وجدت باسم هذا الفرعون قطعتان من الجرانيت الأسود من تمثال ضخم، وكذلك قطعتان أخريان من تمثال من البازلت^{٢٢٩} باسم «رعمسيس الثاني» أيضاً، والظاهر أنه أقام معبداً في هذه الجهة.

(١٢-٦) «صان الحجر» (تانيس)

لا نزاع في أن «تانيس» كانت تُعد من أهم المدن المحببة إلى ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وبخاصة لما ذكرناه عنها آنفاً من أنها كانت محل عبادة الإله «ست» الذي ينسب إليه ملوك هذه الأسرة، وقد فصلنا القول في ذلك في (الجزء الرابع) عند التحدث عن لوحة «أربعمائة السنة»، وقد أقام فيها «رعمسيس الثاني» مباني ضخمة هامة، وبخاصة مسلاته التي يبلغ عددها نحو اثنتين وعشرين مسلة، ويلحظ هنا أنه اغتضب آثاراً عدة من الملوك السالفين، ونقلها إلى هذه المدينة، ونسبها لنفسه، ومع ذلك نجد أنه أعاد بناء معبدها على طراز جديد، وآثاره الأصلية هنا تشمل التمثال الضخم الذي يبلغ ارتفاعه اثنتين وتسعين قدماً، وكذلك أربعة تماثيل ضخمة من حجر «الكوارتسيت»، وثمانى لوحات من الجرانيت يتراوح ارتفاعها بين تسع أقدام وتسع عشرة قدماً، وعمودين ارتفاع كل منهما نحو عشرين قدماً، وأجزاء كثيرة من الجرانيت، أما التمثال الهائل السالف الذكر الذي وُجدت منه قدمه، وبعض أجزاء أخرى فقط، فيعد أعظم تمثال نصبه هناك، ولا بد أنه كان يشرف على مباني المعبد، ويمكن رؤيته على مسافة عدة أميال من السهل، عندما كان يقترب الإنسان من زيارة هذه البلدة.

^{٢٢٨} راجع: Montet Tanis p. 20.

^{٢٢٩} راجع: Naville Goshen, 5; Porter and Moss IV p. 11.

أما الآثار التي اغتصبها «رعمسيس» من عصر الدولة الوسطى، وعصر الهكسوس، مما كان قد أُقيم في هذه البلدة، فتفوق بكثير ما عمله لنفسه في هذا المعبد.^{٢٣٠}

(١٣-٦) هربيط

وجد لهذا الفرعون آثار كثيرة، نُقلت إلى «متحف هلد سهايم» في أواسط ألمانيا، أهمها ثلاث لوحات مثل عليها «رعمسيس الثاني» وهو يقدم القربان لتمثاله،^{٢٣١} وكذلك يوجد في المتحف نفسه لوحة لضابط يُدعى «موسى»، ومعه رجال الجيش يتقبلون الإنعامات من «رعمسيس الثاني»، وهي حلقات من الذهب.^{٢٣٢}

(١٤-٦) تل بسطة

وجد في المعبد الكبير لهذه البلدة جزء من مجموعة تماثيل من الجرانيت الأسود، عليها اسم هذا الفرعون.^{٢٣٣} وفي القاعة الأولى من المعبد وُجد له أربعة تماثيل ضخمة من الجرانيت الأحمر، مقامة أمام قاعة الأعياد الثلاثينية،^{٢٣٤} ولا تزال قواعدها في أماكنها الأصلية. أما التماثيل فنُقلت إلى «المتحف البريطاني»، و«متحف برلين»، و«متحف كوبنهاجن»، ووجدت له لوحة صغيرة كذلك عند مدخل قاعة الأعياد الثلاثينية،^{٢٣٥} ووجد على آثار هذا المعبد اسم الأمير «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» الذي خلفه على عرش الملك، وكذلك اسم الأمير «خعمواست».^{٢٣٦}

وكان أمام مدخل المعبد تماثلان ضخمان منصوبان؛ أحدهما: الآن في «المتحف المصري» والثاني: في «لندن». ومما يلفت النظر في هذا المعبد أن «رعمسيس الثاني» قد استعمل أحجارًا في مبانيه هنا من عهد الدولة القديمة، عليها اسم «خوفو» و«خفرع».

^{٢٣٠} راجع: Porter & Moss IV, p. 14.

^{٢٣١} راجع: Roeder. Ramses Als Gott in A. Z. LXI, pl. IV, (3), pl. V, 3, 4 & p. 59, 62, 63.

^{٢٣٢} راجع: Roeder. Ibid. p. 65.

^{٢٣٣} راجع: Naville Bubastis pl. XXXVIII, (B) p. 40-1.

^{٢٣٤} Ibid. p. 38-9.

^{٢٣٥} راجع: Ibid. pl. XXXVI (E) pp. 39-4.

^{٢٣٦} راجع: Tanis. p. 12.

أما المعبد الصغير الذي أقامه «رعمسيس» في هذه الجهة — ويبعد نحو نصف كيلومتر عن المعبد الكبير — فقد ترك فيه آثارًا قليلة.^{٢٣٧}

(١٥-٦) «تل الربع» (منديس)

كان يوجد في هذه المدينة، وهي عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، معبد غير أنه أزيل عن آخره جملة، ومن بين أنقاضه إناء من الجرانيت، عثر عليه عند مدخل طريق «بولهول»، كما وجدت قطع من ودائع الأساس باسم كل من «رعمسيس الثاني»، و«مرنبتاح»، وقد ذكر على واحدة منها متن باسم «رعمسيس الثاني».^{٢٣٨}

(١٦-٦) «بهبيت الحجارة» (الواقعة جنوبي المنصورة)

وبها معبد عثر فيه على قطع من الحجر، نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني».^{٢٣٩}

(١٧-٦) «تل طنبول» (بمركز السنبلوين)

عثر المسمدون على قطع حجر باسم «رعمسيس الثاني» من «العصر السايي».

(١٨-٦) «تل المقدام» (مركز ميت غمر)

وجد لـ «رعمسيس الثاني» قاعدة تمثال واقف من الجرانيت الأحمر في هذا المكان،^{٢٤٠} كتب عليها «رعمسيس الثاني» المحبوب مثل «بتاح».

^{٢٣٧} Naville Ibid. p. 60-62 راجع:

^{٢٣٨} Naville Ibid. p. 18 راجع:

^{٢٣٩} Tanis. p. 26 راجع:

^{٢٤٠} Naville, Ahnas el Medineh p. 31 راجع:

(١٩-٦) «دنديت» (مركز ميت غمر)

وجدت فيها قطع من تماثيل ضخمة من الجرانيت لـ «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنها منقولة من بلدة «تل المقدام» القريبة منها.^{٢٤١}

(٢٠-٦) بلجاي

عثر فيها على لوحة عليها اسم ضيعة «رعمسيس الثاني»، وهي الآن «بالمتحف المصري»،^{٢٤٢} غير أن اللوحة تشير إلى الملكة «توازت».

(٢١-٦) «تل أم حرب»، أو «تل مسطاي» (مركز زفتى)

وجدت فيه قطع حجر نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني»،^{٢٤٣} وكذلك رسم عليه صور له، وهو يقدم القربان لبعض الآلهة كما كان يقدم «ماعت» (العدالة).

(٢٢-٦) «البرنوجي» (بدمنهور)

عثر فيها على بعض أحجار، نقش عليها اسم «رعمسيس الثاني»،^{٢٤٤} منها قطعة من الجرانيت كتب عليها اسمه، ولقبه، وبعض نعوته مثل: «ومن الخوف منه في كل الأراضي إلخ».

^{٢٤١} راجع: A. S., XIII, p. 123 (1-5).

^{٢٤٢} راجع: Gardiner. A. Z. L. 1, pl. IV, p. 49 ff.

^{٢٤٣} راجع: A. S., XI, p. 165 ff.

^{٢٤٤} Ibid. p. 278.

(٢٣-٦) «كوم فرين» القريبة من «الدلنجات» مديرية البحيرة

عثر في هذا الكوم على قاعدتي عمودين من الحجر الجيري عليهما اسم «رعمسيس الثاني».^{٢٤٥}

(٢٤-٦) «كوم القلزم» بالقرب من السويس

عثر في هذا المكان على قطعتين من الحجر عليهما اسم «رعمسيس الثاني».^{٢٤٦}

(٢٥-٦) «تل المسخوطة» (بيتوم)

عاصمة المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحري.

(١) بها معبد مخرب، وقد وجد فيه ثلاث من الجرانيت الوردي، يتألف من «رعمسيس الثاني» جالساً بين الإلهين «آتوم»، و«خبري»، والإله الأخير يلبس على رأسه قرص الشمس منقوشاً عليه جعران مجنح.^{٢٤٧}

(٢) ثلاث من الجرانيت الأحمر مثل فيه «رعمسيس» جالساً بين الإلهين «حور اختي»، و«خبري».

(٣) لوحة من الجرانيت الأحمر الوردي محلاة من جهاتها الأربع، وعلى أحد أوجهها الرئيسية نشاهد «رعمسيس» يقدم تمثال العدالة للإله «حور اختي» الذي يقدم له بدوره الحياة، وملايين السنين.

(٤) ولوحة أخرى لـ «رعمسيس» أقل حفظاً من السابقة، ومحراب من الجرانيت المحبب يشاهد فيه «رعمسيس» يحتفل بالأعياد الثلاثينية.

(٥) وتمثال «بولهول» من الدولة الوسطى، اغتصبه أحد ملوك الهكسوس، ثم اغتصبه ثانياً «رعمسيس الثاني»، وهو من الجرانيت الأسود.^{٢٤٨}

^{٢٤٥} A. S., XI, p. 277 راجع:

^{٢٤٦} راجع: Roeder, Agyptische Insch. Berlin Museum II, 236

^{٢٤٧} راجع: Desc. de L'Egypte Antique, V, pl. 29 (6-8) cf Texte V, p. 146

^{٢٤٨} Tanis. p. 15-16 راجع:

(٦) وصقر يحمي طغراء «رعسيس الثاني» من الجرانيت الأسود، وهو الآن «بالمتحف البريطاني» (راجع Tanis p. 16).

(٧) وكذلك وجدت على القناة بالقرب من «الكبريت» لوحتان لـ «رعسيس الثاني»، وهما الآن «بمتحف الإسماعيلية» (راجع Tanis p. 15-16)، وقد نصبت إحدهما على هضبة تشرف على منخفض القناة ومنقوشة من وجوهها الأربعة، ويشاهد على أحد وجهيها الرئيسيين صورة الإله «ست» برأس إنسان كالتي نشاهدها على لوحة «أربعمائة السنة»، ونقرأ على وجهيها الثانويين اسم الإله «ست»، وزوجه الإلهة «عنتا»، ونرجح أن صورتها كانت على الوجهين المحويين. أما اللوحة الأخرى فعلى مسافة ثمانية كيلومترات من الأولى، وقد لحق بها عطب كبير، ونشاهد على الوجه المحفوظ منها بعض الشيء «رعسيس الثاني» يقدم البخور للإله «سبد» رب الشرق، وصاحب مقاطعة العرب. ومما يلفت النظر أننا نجد على الوجه المقابل للسابق اسم الإله «بعل»، وهو الذي أصبح له — منذ عهد «رعسيس الثاني» — محراب من «منف» يطلق عليه اسم «بعل سابونا»، وقد حاول البعض أن يوحد مكان هذه اللوحة بالمحط الذي قبل الأخير من المحاط التي وقف عندها اليهود عند خروجهم من مصر، وهي التي يطلق عليها اسم «بلسفون»، ولكن مثل هذه الاستنتاجات يجب أن يقرأها الإنسان بحذر.

وقد كشف الأثري «كليدا» على مسافة قريبة من هذه اللوحة عن معبد صغير أقامه «رعسيس الثاني» مهدى للإلهين «ست» و«حتحور» سيدة الفيروز (Tanis. P. 17).^{٢٤٩}

(٦-٢٦) تل رطابة

عثر في هذا التل على بقايا معبد للإله «آتوم» (؟) على ما يظن، أقامه «رعسيس الثاني»، وقد وجد فيه جزء من واجهة المعبد الشمالية، وقد مثل عليها الفرعون وهو يضرب السوريين أمام الإله «آتوم»، كما وجد جزء آخر مثل فيه هذا الفرعون وهو يضرب هؤلاء

^{٢٤٩} وقد ظن هذا الأثري أن هذا المعبد هو مجدل (برج) مقلد من حصون سوريا، وأنه المجدل الذي مر بجواره الإسرائيليون قبل أن يصلوا إلى «بلسفون»، والواقع أن المبنى الذي كشف عنه لا يخرج عن أنه معبد مصري عادي.

الأعداء أمام الإله «ست»، وكذلك عثر فيه على تمثال مزدوج يمثل الفرعون، والإله «آتوم» في ردهة المعبد.^{٢٥٠}

(٢٧-٦) تل اليهودية

أقام «رعمسيس الثاني» معبدًا في هذه الجهة في الجزء الشمالي الشرقي من «سور المعسكر»، وقد عثر فيه على تمثال ضخم مزدوج يمثل هذا الفرعون والإله «رع» معًا.^{٢٥١} وكذلك وجد له تمثال ضخم بالقرب من بوابة هذا المعبد (9, p. II, Petrie Ibid).

(٢٨-٦) «مسطرد» (ضواحي القاهرة)

وجد فيها أثران من حجر الكوارتسيت عليهما اسم «رعمسيس الثاني».^{٢٥٢}

(٢٩-٦) بهتيم

ووجد في «بهتيم» قاعدة تمثال للملكة «نفرتاري» زوج «رعمسيس الثاني» (راجع Porter & Moss IV, p. 58).

(٣٠-٦) منطقة «هليوبوليس»

جبانة «هليوبوليس»

كشفت في «هليوبوليس» عن مقابر العجل «منفيس» (مرور) من عصر «الرعامسة»، على مسافة كيلومتر من «عرب الأطاولة»، وكان قبر العجل هنا من عهد «رعمسيس» يحتوي

^{٢٥٠} راجع: Petrie. Hykos & Israelite Cities pls. XXIX, XXXI, p. 31 & pl. XXXII, p. 30.

^{٢٥١} راجع: Petrie Ibid. pl. XVI & p. 8.

^{٢٥٢} راجع: Naville, Mound of the Jews & Griffith Tell el Yahudiyeh pl. XXI (10, 11) & p.

على رقعة مستطيلة الشكل، مساحتها خمسة أمتار وخمسة وعشرون سنتيمترًا في ثلاثة أمتار، وارتفاعها ثلاثة أمتار وعشرة سنتيمترات، محفورًا في الرمل تحت الأرض، وكان سمك الجدار نحو متر، وعندما كانت توضع مومية العجل في قبرها كان يسقف القبر بكتلة من الحجر، ثم يسد المدخل، ويحوط القبر بسياج من رمل، وكان داخل المقبرة محلىً بالنقوش البارزة، غير أنها عند الكشف عنها وُجدت متآكلة. وأهم مقبرة كُشف عنها شوهد فيها الثور نائمًا على سرير، له رأس أسد، وكان يحلي جيده قلادة ضخمة، وفوقه صقر منتشر الجناحين لحمايته، وكان الأثاث الجنائزي الذي معه يتألف من أواني الأحشاء وبعض تماثيل صغيرة، وعدد قليل من قطع البرنز، وقد اختفت مومية الثور ومعها كل حليها، وكذلك اختفى المزار أو المقصورة التي فوق القبر. وقد عثر على بقايا جدران حائط من اللبن كانت تحيط بالمقصورة، كما عثر على بعض قطع من لوحتين، نعرف من النقوش التي عليها أن الذي أقام هذا القبر هو «رعسيس الثاني».^{٢٥٢}

(٦-٣١) منشية الصدر

يوجد في المتحف المصري لوحة للفرعون «رعسيس الثاني» مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه، كتب عنها «أحمد باشا كمال»، وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد (راجع Rec. Trav. XXX, pp. 214).

(٦-٣٢) تل الحصن

أقام «سيتي الأول» معبدًا في هذه الجهة، وقد عثر فيها على عوارض أبواب من الحجر الجيري الأبيض باسم «رعسيس الثاني»،^{٢٥٤} كما عثر على قطع من الحجر عليها طغراؤه.^{٢٥٥}

^{٢٥٢} راجع: Montet Tanis p. 9 ff.

^{٢٥٤} راجع: Petrie. Heliopolis pl. III, p. 6. (13)

^{٢٥٥} راجع: Griffith Tell el Yahudiyeh in Naville Mound of the Jews p. XXI, p. 65

وكذلك وجد له في هذه الجهة قطعة من محراب من الجرانيت الأسود،^{٢٥٦} ظهر فيها «رعمسيس» يقدم العدالة للإله، وقطع من مناظر على جدران،^{٢٥٧} وفي متحف «جلاسجو» توجد لوحة لـ «رعمسيس الثاني» مثل عليها يقدم مسلة للإله «حور اختي».^{٢٥٨}

(٦-٣٣) الجيزة

وتدل النقوش على أن «رعمسيس الثاني» قد أتى لزيارة «بولهول»، وقد ترك هناك على أقل تقدير أربعة آثار تدل على تلك الزيارة، منها لوحة لم يبقَ إلا جزؤها الأعلى، ويظهر فيه «رعمسيس الثاني» يحرق البخور، ويقدم قرباناً لـ «بولهول» الذي يشاهد رابضاً على قاعدة مرتفعة على جانبها صورة باب، ونقوشها مدائح تقليدية يقدمها الملك لـ «حور ام اخت».^{٢٥٩}

وله لوحة أخرى محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وهاك ما جاء عليها:

السنة الأولى من عهد جلالة «حور» الثور القوي محبوب ماعت، والمنتسب للإلهتين، حامي مصر والمسيطر على الممالك الأجنبية «حور» الذهبي، الكثير السنين، العظيم الانتصار، الملك ... الإله الطيب المجدد بوصفه ملكاً، رب القوة الشجاع والمقدام على الأرض مثل «منتو» عندما يجري، والذي يسير حول ... على الـ ... الأقواس التسعة، ومقتحماً الطريق قافلاً، والمشرف على القتال ... مثل لهيب النار عندما يأتي ويصعد ... المخترق ممالك نهاية الأرض، وإنه لمسرع أكثر من السهم إلى الغرض، وإنه يطير مثل الصقر الذهبي خلف ... مخترقاً الممالك الأجنبية مثل ... شبوب النار وهو الأسد المفترس للأسويين ذو أسنان حادة، ومخالب فتاكة، والفاتح بلا هزيمة، والمقتحم في حومة الوغى.

^{٢٥٦} راجع: L. D. Texte I, p. 5.

^{٢٥٧} راجع: Petrie. Ibid. pl. V, (27-9) p. 6.

^{٢٥٨} راجع: Petrie. Ibid. pl. VIII, p. 7.

^{٢٥٩} Vyse, Operations Carried at the Pyramids in 1837 Vol. III, p. 117.

ويدل ما لدينا من آثار على أن «رعمسيس الثاني» قد عمل بعض إصلاحات في تمثال «بولهول»؛^{٢٦٠} إذ من المحتمل أنه هو الذي أضاف أول كسوة من الحجر على مخالب «بولهول»، فقد جاء في خطاب أرسله لأحد موظفيه خاص بإصلاحات في التمثال ما يأتي:

لقد سمعت أنك قد استوليت على ثمانية عمال كانوا يعملون في بيت «تحوت رعمسيس» محبوب «أمون» — له الحياة والصحة والفلاح — المسمى: «الراضي بالصدق في منف»، فعليك أن ترحلهم لأجل جر الأحجار لـ «بولهول» في «منف».

ويقول الأستاذ «شبيجلبرج»: ^{٢٦١} إن الإشارة هنا هي لتمثال «بولهول» الكبير. وعلى أية حال فالعبارة مبهمة، فلم يُعرف إذا كانت تشير إلى قطع الأحجار لـ «بولهول» نفسه أو لمبنى آخر.

(٦-٣٤) بنها

وجد لـ «رعمسيس الثاني» عدة آثار في «تل أتريب»، غير أن موضعها الأصلي لا يُعرف بالضبط:

(١) منها مجموعة من الجرانيت لـ «رعمسيس»، ومعه إلهان (راجع A. S. XXI pp. 212-13).

(٢) تمثال سبع من الجرانيت الأحمر محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني». ^{٢٦٢}

(٣) قطع عليها مناظر سحرية، ونقوش باسم «رعمسيس الثاني» (راجع A. S. XVII, 1-4 fig. p. 186-93).

^{٢٦٠} راجع: Br. A. R. III, § 224 & Spiegelberg Rec. Trav. 17 p. 158.

^{٢٦١} راجع: Br. A. R. III, § 224 & Spiegelberg Rec. Trav. 17 p. 158.

^{٢٦٢} Budge, Guide to Sculptures (1909) pp. 163-4, L. D. Texte I, p. 221.

(٣٥-٦) زاوية رازين

وجدت قطعة من واجهة بناء في هذا المكان عليها طغراء «رعمسيس الثاني» (راجع A. S. (XII, p. 193).

(٣٦-٦) كوم «أبوبللو»

عثر فيه على قطعة من الحجر عليها طغراء «رعمسيس الثاني». ٢٦٣

(٣٧-٦) القاهرة

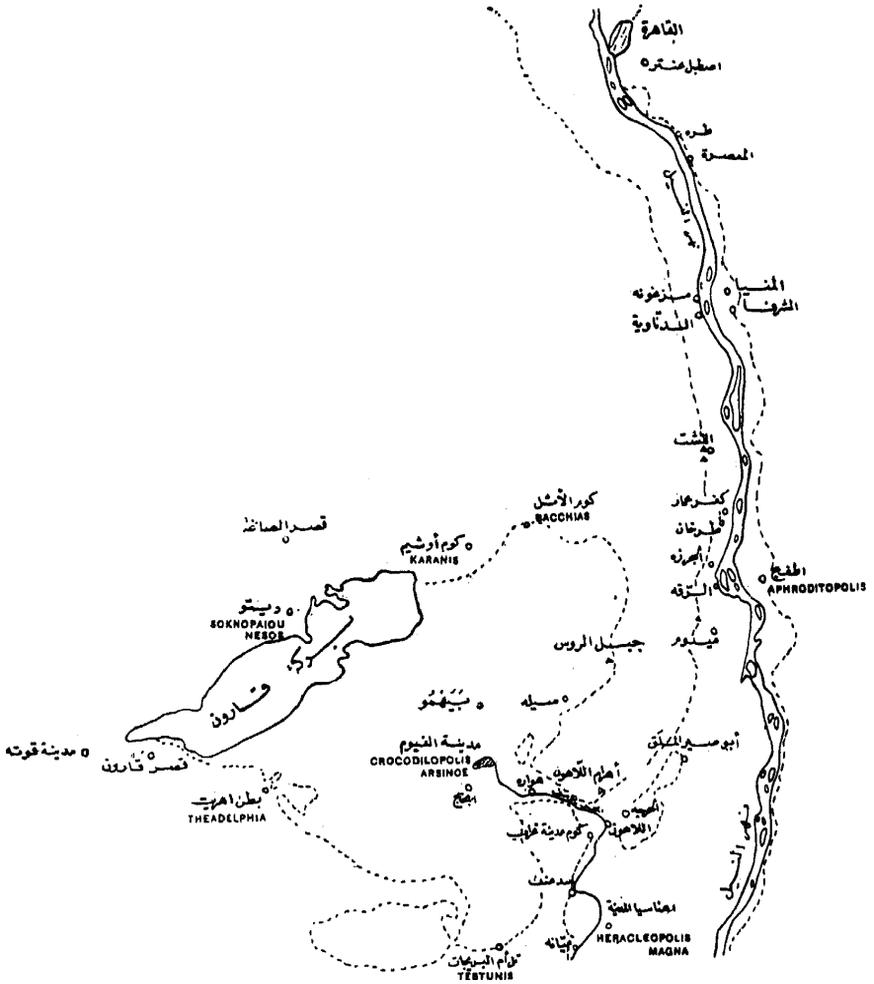
نقل الأهلون عدة قطع من آثار هذا الفرعون القريبة من القاهرة، واستعملوها في المباني الخاصة بهم، وقد استولي عليها بعد، ونقلت إلى «المتحف المصري»، وغيره من متاحف العالم، وأهمها ما يأتي:

- (١) جزء من تمثال في متحف «فلورنس» بإيطاليا (راجع Rec Trav. XX. P. 99).
- (٢) قطعة حجر من باب عليها بقايا متن، وقد استعملت بمثابة هاون وُجدت بجوار باب زويلة (راجع Descrip. De L'Egypte. VIII. P. 249 n. 6).
- (٣) مسلة من الجرانيت الأسود باسم «رعمسيس الثاني»، وقد كتب عليها ابنه «مرنبتاح» اسمه، ومن المحتمل أنها مغتصبة من آثار الدولة الوسطى من «تل أتريب» (بنها)، وقد استُعملت أسكفة في بيت من بيوت «القاهرة»، ثم نُقلت إلى متحف «برلين». ٢٦٤
- (٤) قطعة من مسلة من الجرانيت اغتصبها «رعمسيس الثاني»، ويحتمل أنها من «تل أتريب» أيضًا، وقد عثر عليها في مصر العتيقة، وهي الآن بالمتحف المصري (راجع A. S. (XVIII, p. 276).
- (٥) قطعة من تمثال الملكة «نفرتاري» زوج «رعمسيس الثاني»، وهي الآن بمتحف «بروكسل» (بلجيكا). ٢٦٥

٢٦٣ راجع: A. S., XIII, p. 281.

٢٦٤ راجع: Roeder, Aegyptische Inschriften aus den Koniglicher Museen Zu Berlin II, pp. 28 ff.

٢٦٥ راجع: Speelers. Rec. des Inscript. Egypt. p. 66.



شكل ١٨: من القاهرة إلى أهناسيا المدينة.

(٣٨-٦) أهناسيا المدينة

يوجد في هذه المدينة معبد للإله «حرف» (حرفيس)، ويرجع عهده للأسرة الثانية عشرة، ولكن أعيد بناؤه في عهد الأسرة الثامنة عشرة، ثم في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد عثر فيه لهذا الفرعون على مجموعة تمثله بين الإلهين «بتاح» و«حرفيس»، وقد وُجد ملقى أمام ردهة المعبد، والمجموعة في متحف «القاهرة» الآن.^{٢٦٦}

وقد أعاد كذلك «رعمسيس» بناء مدخل معبد الأسرة الثامنة عشرة، ويوجد منه عمود نخلي الشكل في «المتحف البريطاني»، وكذلك تمثال مغتصب يحتمل أنه كان في الأصل للملك «سنوسرت الثاني» أو الثالث، وهو الآن بمتحف جامعة «بنسلفانيا» بالولايات المتحدة.^{٢٦٧}

هذا بالإضافة إلى أنه قد وجدت له في هذا المعبد كذلك قطعة من تمثال راع، ومائدة صغيرة، وهي موجودة بالمتحف المصري.^{٢٦٨}

(٣٩-٦) «كوم العقارب» القريب من «أهناسيا المدينة»

أقام «رعمسيس الثاني» في هذه البقعة معبدًا ولكنه مخرب تمامًا الآن، وقد عثر فيه على تماثيل جالسين لـ «رعمسيس الثاني»، وقد استعملها ثانية ابنه «مرنبتاح»، فنسبهما لنفسه بدوره. ومن المحتمل أن المجموعة الأصلية مغتصبة من «سنوسرت الثالث»، وبجانب هذين التمثالين تماثيل صغيرة للأميرتين هما: «بنت عنتا»، و«مریت آمون»، وكذلك للأميرتين لم تسميا، والتمثالان بالمتحف المصري الآن.^{٢٦٩}

^{٢٦٦} راجع: Petrie, Ehnasya. pp. 9-10.

^{٢٦٧} راجع: Porter & Moss IV, p. 118.

^{٢٦٨} راجع: Borchardt, Stat. Cat. Cairo II, pl. 99. p. 131.

^{٢٦٩} A. S., XVII, pp. 36-8.

(٤٠-٦) «طهنا الجبل» (مركز المنيا)

أقام الإمبراطور «نيرو» معبدًا في هذه البقعة، وقد عثر في قاعة عمده على بعض قطع مستعملة في بنائها عليها طغراء «رعمسيس الثاني»؛^{٢٧٠} مما يدل على أنه قد أقام هنا مباني، أو أن هذه القطع قد نُقلت من مباني مجاورة لهذا الفرعون.

(٤١-٦) الأشمونين

أقيم في هذه البقعة معبد للإله «بتاح»، ويرجع عهده للفرعون «رعمسيس الثاني»، وقد استعملت في بنائه أحجار من مباني معبد لـ «أخناتون»، وقد وُجد لـ «رعمسيس الثاني» تماثيل ضخمة من الجرانيت الأحمر قاعدته من الحجر الجيري الأبيض، وقد اغتصبه ابنه الفرعون «مرنبتاح»، وهو الآن بالمتحف المصري،^{٢٧١} وكذلك وجدت له تماثيل ضخمة على كلا جانبي مدخل هذا المعبد.^{٢٧٢}

(٤٢-٦) الشيخ عبادة

(مركز ملوي) أقام «رعمسيس الثاني» معبدًا في هذه الجهة في غربي سور المدينة، وقد كشف عن بقاياها «جيبه».^{٢٧٣}

ولا يزال كثير من عمد القاعة قائمًا مكانه، وقد مثل عليها مناظر عدة تمثل الفرعون يقدم أزهار البشنين للإله «تحوت»، والبخور والقربان، كما يشاهد هذا الفرعون على أعمدة أخرى أمام الإله «خنوم»، والإلهة «حتحور»، والإلهة «سوكر»، و«تحوت»، و«ماعت»، و«حور اختي»، و«آتوم»، و«بتاح»، و«سختم»، و«خبري»، و«نفتيس»، و«نحمت عواي» (زوج تحوت)، و«أمون رع»، و«موث»، وغيرهم من الآلهة يقدم لهم القربان والأزهار

^{٢٧٠} راجع: Porter & Moss. IV, p. 129.

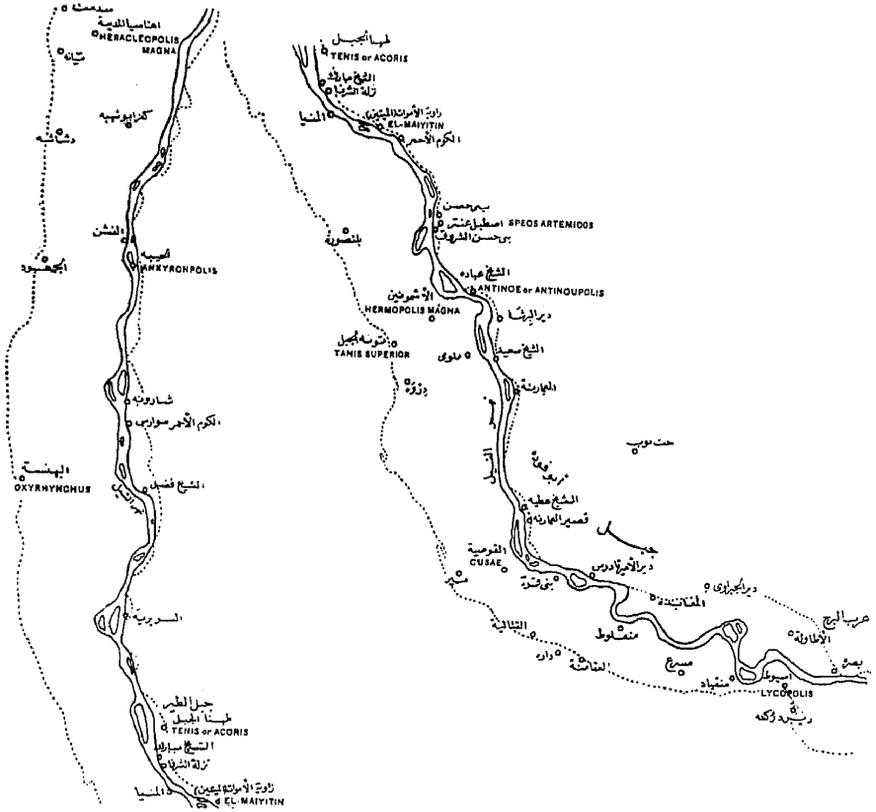
^{٢٧١} راجع: Maspero, Guide (1914) pp. 4-5, 151.

^{٢٧٢} راجع: Roeder, Hermopolis (1929-30) pls. XV (b), XVI (b), XVII (b) p. 95, 109.

^{٢٧٣} راجع: Gayet. L'Exploration des Ruines. D'Antinoë et La Decouverte d'un Temple de :

Ramses II, Ann. Mus. Guimet XXX, 2^m pattie (19-48); & Johnson. J. E. A., I, p. 173, pl.

رعمسيس الثاني



شكل ١٩: من أهناسيا المدينة إلى «درنكه».

والخبز، كما يتقبل الحياة من الإله «خبر» رب الوجود، ولا تزال أعمدة الردهة، وقاعة العمدة قائمة في مكانها.

(٤٣-٦) الشيخ سعيد

وفي جنوب «الشيخ سعيد» وجد في جبانة «شيخ زبيدا» الجزء الأعلى من لوحة ظهر فيها «رعسيس الثاني» أمام الإله «تحت»، وكذلك قطعة حجر فيها نقوش عن قطع الأحجار، يحتمل أنها من اللوحة.^{٢٧٤}

(٤٤-٦) أسيوط

وفي «أسيوط» أقام «إخناتون» معبدًا، وقد اغتصبه «رعسيس الثاني»؛ إذ عثر فيه على قطع من الأحجار عليها طغراؤه.^{٢٧٥}

(٤٥-٦) المطمر

أقام «رعسيس الثاني» معبدًا للإله «ست» في «المطمر» التابعة لمركز «البدارى»، واستعمل في بنائها أحجارًا مغتصبة من معبد «إخناتون»، وقد عثر هنا «برنتون» على بقايا مدينة من الأسرة التاسعة عشرة؛ حيث أقام فيها «رعسيس» معبده للإله «ست»، وقد وجد من بقاياها عتب باب نقش عليه طغراء هذا الفرعون، كما وجدت ودائع أساس في مكانها الأصلي، غير أن معظم أحجار هذا المعبد المكتوبة، وودائع الأساس الأخرى التي بقيت حتى عصرنا قد استولى عليها منذ بضع سنين، ومع ذلك لدينا قطعة أو قطعتان تدلان على أن «رعسيس» نفسه قد استعمل أحجار معبد «إخناتون» في بناء معبده هذا، وعلى أية حال تدل القطع الباقية من التماثيل المصنوعة من الجرانيت، وكذلك القطع الأخرى من المرمر على أن المعبد كان مبنين بناء حسنًا.^{٢٧٦}

^{٢٧٤} راجع: Rock Tombs of Shiekh Said, pp. 149 ff. fig. I.

^{٢٧٥} راجع: Chronique D'Egypte July 1931. pp. 237-43.

^{٢٧٦} راجع: Chronique D'Egypte July 1930. p. 224.

(٤٦-٦) طوخ (نبت)

يوجد في هذه البقعة بقايا معبد للإله «ست» من عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد أعاد بناءه «رعمسيس الثاني».^{٢٧٧}

(٤٧-٦) قفط

(١) عثر على قطعة من لوحة لشخص يُدعى «بكور» الحارس الأول للشونة مؤرخة بالسنة السادسة والستين من حكم «رعمسيس الثاني».^{٢٧٨} (٢) قطعة من عمود باسم «رعمسيس الثاني».^{٢٧٩} (٣) مجموعة ثالث مؤلفة من «رعمسيس الثاني» بين الإلهتين «حتحور» و«إزييس»، وهي مصنوعة من الجرانيت الأحمر، وقد وجدت عند مدخل معبد «قفط»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري،^{٢٨٠} وجوار هذه المجموعة وُجد جزء من لوحة من الكوارتسيت الأسود لهذا الفرعون، دُوّن عليها زيارة أمراء أسويين لمصر.^{٢٨١} ويدل الجزء الباقي من هذه اللوحة على أن «رعمسيس الثاني» قد كتب نقوشه مكان نقوش أخرى ترجع إلى عهد الدولة الوسطى محاها «رعمسيس» أولاً، ثم وضع بدلها نقوشه هو، وهاك ما جاء عليها:

- (١) رعمسيس محبوب «أمون» مثل الشمس. (٢) ... أشرف كل أرض حاملين جزيتهم من. (٣) ... كثير من الذهب وكثير من الفضة من كل نوع من المعدن. (٤) ... وكثير جداً من أسرى بلاد «كشكش»، وكثير جداً من أسرى.
- (٥) ... كتابات الفرعون «رعمسيس» محبوب «أمون» ... (٦) وكثير جداً من قطعان الماعز، كثير من العنزات، أمام بنته الثانية. (٧) ... محضرين الجزية لـ «رعمسيس» الذي يمنح مصر الحياة للمرة الثانية، على أنه لم يكن الجيش الذي جعلهم يحضرونها، ولم يكن ... (٨) ... بل كان آلهة أرض مصر، وآلهة

^{٢٧٧} راجع: Petrie & Quibell, Nagada & Ballas pl. LXXV, p. 67-8.

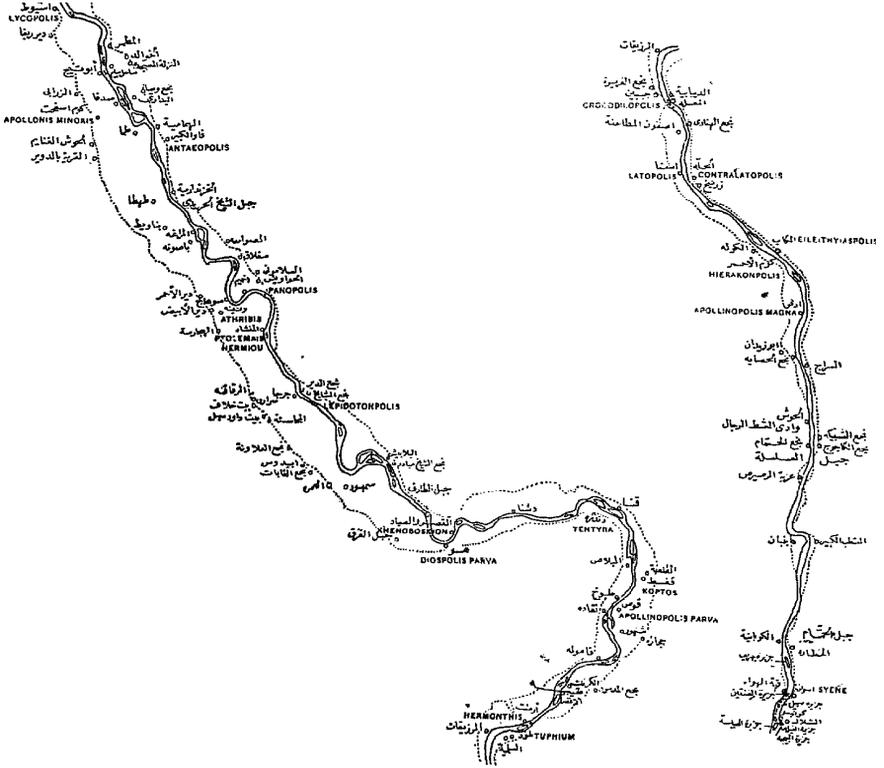
^{٢٧٨} راجع: Rec. Trav. IX, p. 100.

^{٢٧٩} راجع: Porter & Moss V, p. 132.

^{٢٨٠} راجع: Maspero, Guide 1914 p. 159 (592); & Borchardt Stat. Cat. II, pl. 93.

^{٢٨١} راجع: Petrie, Koptos pl. XVII (1) p. 15.

موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس)



شكل ٢٠: من أسيوط إلى أسوان.

كل البلاد الذين جعلوا أمراء كل البلاد يحضرون بأنفسهم للملك «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «رع ميس محبوب آمون» معطي الحياة. (١٠) ... ليحملوا ذهبهم، وليحملوا فضتهم، وليحملوا أوانيهم من الفيروزج؟ (١١) ... لابن الشمس «رع ميس» محبوب «آمون» معطي الحياة، وليحضروا قطعانهم من الخيل، وليحضروا قطعانهم من. (١٢) البقر، وليحضروا قطعانهم من الماعز، وليحضروا قطعانهم من الغنم، وقد كان أبناء عظماء أمراء بلاد «خيتا».

(١٣) ... هم الذين حملوها أنفسهم حتى حدود بلاد الملك «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس (رعمسيس محبوب آمون معطي الحياة) ... (١٤) ولم يكن من ذهب ليحضرها أميراً، ولم يكن جيش من الرجال قد ذهبوا لإحضارها، ولم يكونوا خيالة قد ذهبوا لإحضارها، ولم يكن ... قد ذهب لإحضارها، بل كان الإله «بتاح» والد الآلهة هو الذي وضع كل البلاد، وكل الممالك تحت قدمي هذا الإله الطيب إلى الأبد السرمدي.

والظاهر أن هذه النقوش كانت قصيدة مدح قيلت تمجيداً للإله «بتاح»، كما يدل منطقتها على أنها قد كتبت بعد انتصار «رعمسيس» على بلاد «خيتا» وحلفائها. ومن المحتمل جداً أن عبارة: «الذي أعطى الحياة لمصر مرة ثانية» تشير إلى مد سلطان مصر على البلاد الآسيوية التي كانت قد ضاعت منها في نهاية الأسرة الثامنة عشرة.

(٤٨-٦) نجع المدمود

أقيم في هذه البقعة معبد يرجع تاريخه إلى الدولة الوسطى والدولة الحديثة، وقد بني فوقه معبد في عهدي البطالمة والرومان، وتدل الكشوف الحديثة على أنه قد استعملت فيه أحجار يرجع تاريخها إلى حكم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني».^{٢٨٢} وكذلك عثر على عارضة باب من الجرانيت الأحمر باسم «رعمسيس»،^{٢٨٣} كما بنيت بوابة الإمبراطور «تيريوس» من أحجار عليها اسم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني».^{٢٨٤}

^{٢٨٢} Champ. Notices Desc. II, 290 راجع:

^{٢٨٣} راجع: Rapport Sur les Fouilles de Medamoud (1929) p. 117; & 1931 & 1932 fig. 36 راجع: p. 5 ff.

^{٢٨٤} راجع: Porter & Moss V, p. 37

(٤٩-٦) أرمنت

أقيم في هذا البلد العتيق معبد للإله «منتو»، والإلهة «رع توي» في عهد البطالمة والرومان، وقد وجد في أسس تلك المعابد أحجار، وبقايا تماثيل من عهود مختلفة منذ الدولة الوسطى وما بعدها، كما وجدت مبانٍ من عهود مختلفة، كما ذكرنا آنفاً. وقد وجدت فيها للفرعون «رعسيس الثاني» متون جاء فيها ذكر الأعياد الثلاثينية، واسم الوزير «نفرنبت» الذي ينسب إلى عهد «رعسيس الثاني»، كما ذكرنا آنفاً عند الكلام على هذا الوزير. وكذلك عثر على تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر لهذا الفرعون، وهو بالمتحف المصري الآن.^{٢٨٥}

كما وجد تمثال راعح يحمل^{٢٨٦} في يديه محراباً يعلوه رأس كبش لمدير بيت «آمون» الأعظم المسمى «أممأبت»، وقد نقش طغراء الفرعون «رعسيس الثاني» على جوانبه. أما النقوش التي أسفل فهي صيغة القربان يتلوها المدير الأعظم لبيت آمون «أممأبت».

(٥٠-٦) الكاب

أقام «أممأبت الثاني» في هذه البلدة معبدًا، وقد زاد فيه «رعسيس الثاني»، ونقش عليه اسمه في كل مكان، كما شوّه بعض الأعمدة التي أقامها «أممأبت» بكتابة اسمه عليها.^{٢٨٧} كما نشاهد بعض المناظر التي يظهر فيها الفرعون، وهو يجري ويتبعه ثور أمام قرد في محراب.^{٢٨٨}

وفي صخور «الكاب» في شرقي ردهة معبد البطالمة المنقور في الصخر نجد الجزء الأعلى من لوحة للفرعون «رعسيس الثاني»، يشاهد فيها أمام الإله «رع حور اختي»، والإلهة «نخب» إلهة تلك المنطقة،^{٢٨٩} وكذلك أقيم في هذه الجهة:

^{٢٨٥} راجع: Guide, (Cairo Museum) A Brief Description of the Principal Monuments (1932) p. 19.

^{٢٨٦} Rec. Trav. XIX, p. 14 راجع:

^{٢٨٧} J. E. A., Vol. VIII, p. 24 ff. راجع:

^{٢٨٨} Porter & Moss V, p. 175 راجع:

^{٢٨٩} L. D., III, 174 a cf. Text IV, p. 40 راجع:

محراب للإله «تحت» (ويسمى الحمام): نحتته «ستاو» نائب الملك في «كوش» في عهد «رعمسيس الثاني»، وعليه مناظر تمثل «ستاو»، و«رعمسيس الثاني» يتعبدان لآلهة مختلفة.^{٢٩٠}

(٥١-٦) جبل السلسلة

وفي مقصورة «حور محب» التي نحتها في صخر «جبل السلسلة» نجد بعض مناظر من عهد «رعمسيس الثاني»، فعند الباب الشمالي نشاهد مقصورة «لباسر» وزير هذا الفرعون، ونشاهد على شمال الباب لوحة على الجزء الأعلى منه لـ «رعمسيس الثاني»، ومعه كاهن، وتتبعه الملكة «إست نفرت»، والأميرة «بنت عنتا» يقدمون صورة العدالة للإله «بتاح»، والإله «نفرتم»، وفي الجزء الأسفل يشاهد الأميران «رعمسيس»، و«مرنبتاح»، وبقايا متن مؤلف من خمسة أسطر.^{٢٩١}

وفي ردهة هذه المقصورة صور «رعمسيس الثاني» على الجدران يتعبد إليه الكاتب الملكي، ومعه نقش بالهيرايقية مؤرخ بالسنة الخامسة.^{٢٩٢} وفي غرب السلسلة نجد له محرابًا مقطوعًا في الصخر،^{٢٩٣} وفي هذا المحراب يشاهد «رعمسيس» أمام الإله «أمون رع»، والإله «تحت» يكتب اسم الفرعون، وهو راعع أمام شجرة مواجهة للإله «بتاح»، والإله «رع»، والملك يقدم البخور للآلهة «أوزير»، و«إزيس»، و«مين كاموتف»؛ أي «مين» ثور أمه. وكذلك يقدم الملك البخور للإله «سبك»، والإلهة «تننت»، والإلهة «رعت توي»، والإلهة «حتحور».^{٢٩٤}

^{٢٩٠} J. E. A. VIII, p. 18; Porter & Moss V, p. 187-8 راجع:

^{٢٩١} Champ. Mon. C VII; L. D. III, 17 e راجع:

^{٢٩٢} Porter & Moss V, p. 210 راجع:

^{٢٩٣} Griffith, Notes on a Tour in Upper Egypt in P. S. B. A. XII, p. 49 راجع:

^{٢٩٤} Champ. Notices Desc. IV, p. 124 راجع:

(٥٢-٦) جزيرة إلفنتين

وجد اسم «رعمسيس» على قاعدة تمثال أسد في بناء المرسي،^{٢٩٥} وكذلك عشر على قطعة من لوحة زواج «رعمسيس الثاني» من بنت ملك «خيتا» في نفس بناء المرسي، كما ذكرنا آنفًا.

(٥٣-٦) أسوان

وفي أسوان عشر على الجزء الأعلى من تمثال موجود الآن «بالمتحف البريطاني»،^{٢٩٦} كما وجد له متن على قطعة حجر:^{٢٩٧} وعلى الطريق القديم الذي بين «الفيلة» «وأسوان» وجدت لهذا الفرعون لوحة منحوتة، يشاهد في الجزء الأعلى منها «رعمسيس»، والملكة «إست نفرت»، والأمير «زعمواست» أمام الإله «خنوم»، وفي الجزء الأسفل يشاهد الأمير «رعمسيس»، والأميرة «بنت عنتا»، والأمير «مرنبتاح» يتعبدون.^{٢٩٨}

(٥٤-٦) المتون المنقوشة في صخور جزيرة «سهيل»

يوجد في صخور هذه الجزيرة نقوش كثيرة لموظفين من عهد «رعمسيس الثاني»، يشاهد في أحدها «رعمسيس» يقدم خمراً للإله «خنوم»، والإلهتين «ساتت»، و«عنقت»، وفي أسفل يرى الموظف «حوي» يتعبد إليهم، وكذلك نشأه يتعبد لطحراء «رعمسيس الثاني».^{٢٩٩}

(٧) تماثيل «رعمسيس الثاني»

ذكرنا فيما سبق تماثيل عدة للفرعون «رعمسيس الثاني» في أماكنها، أو التي نُقلت إلى بعض المتاحف في جميع أنحاء العالم، والواقع أن ما ذكرناه هو قليل من كثير من تماثيل هذا الفرعون العظيم مما يضيق به بحثنا، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس» لم يتورّع

^{٢٩٥} L. D. Texte IV, p. 124 راجع:

^{٢٩٦} Budge, Guide to Sculp. (1909) p. 161 راجع:

^{٢٩٧} L. D. III, p. 52 راجع:

^{٢٩٨} Champ. Notices I, 230 راجع:

^{٢٩٩} De Morgan, Mon. 96 (153), 48 (8) راجع:

قط عن محو أسماء الملوك السابقين له من تماثيلهم، وكتابة اسمه عليها ونسبتها إليه، ومع ذلك نرى بعض التماثيل وإن كان عددها قليلاً يُعد من التحف الفنية ذات القيمة العظيمة، ونخص بالذكر من بينها تمثاله الجميل المصنوع من الجرانيت الأسود الذي يمثلُه جالساً، وبجانب ساقيه تمثالا لزوجه «نفرتاري»، وابنه آمون «حرخبشف»، وهذا التمثال يعد من التحف الفريدة بين الآثار الموجودة الآن بمتحف «تورين»،^{٣٠٠} وكذلك له تمثالان واقفان يحمل كل منهما رمزاً، وأخران قاعدان، وكلها من الجرانيت، وهي محفوظة بالمتحف المصري، وكلها من عمل «رعمسيس» نفسه.

ومما يلفت النظر بين صورته؛ تمثاله «المجيب» المصنوع من البرنز، والمحفوظ الآن بمتحف «باريس»، وسنتكلم عن فن نحت التماثيل في عهد «رعمسيس» في مكان آخر، ونذكر الكثير منها.

(٨) أسرة «رعمسيس الثاني»

لا غرابة إذا كان «رعمسيس الثاني» قد ضرب الرقم القياسي في إنجاب الذكور، ومن خلف وراءه من الإناث، والواقع أنه قد وُفق أكثر من كل من سبقه من الملوك في كل نواحي الحياة؛ فقد بزهم في المباني، كما وهب مدة حكم تربي على مدة أي فرعون آخر إذا استثنينا «بببي الثاني» أحد ملوك الأسرة السادسة، وكذلك كان له القدر العلي فيمن تركه خلفه من ذرية تُعد بالمئات.

وعلى الرغم مما لدينا من آثار عدة ومعلومات وفيرة عن أسرة هذا الفرعون الضخمة العدد، فإنه مع ذلك يحيطها شيء كثير من الإبهام والغموض، فنعرف من زوجاته على وجه التأكيد ثلاثاً، وهن: «نفرتاري»، و«إست نفرت»، و«مات نفورع»، كما نعرف أنه تزوج بثلاث من بناته، وهن: «بنت عنتا»، و«مريت آمون»، و«نبت تاوي»، أما باقي نسائه فلا نعرفهن على وجه التأكيد، ولا بد أنهن كنَّ كثيرات لأن قائمة العرابة قد عدت لنا ثلاثة وثلاثين ابناً واثنين وثلاثين ابنة.^{٣٠١} كما ذكرت لنا قائمة معبد «وادي السبع» أحد عشر ومائة ذكر، وإحدى وخمسين ابنة،^{٣٠٢} ولكن مما يؤسف له أن القائمتين كليهما ممزقتان،

^{٣٠٠} راجع: Lanzone, Turin. Cat. No. 1380.

^{٣٠١} راجع: Marieite Abydos II, pl. 14 p. 10.

^{٣٠٢} راجع: L. D. III, 179 b-d.

ولا نزاع في أن معظم هؤلاء الأولاد كانوا من حظيات أو زوجات ثانويات، ولكن زواجه من بناته الثلاث قد أنجب له ما يربى على اثني عشر ذكراً أو أنثى، ممن كان لهم الحق في ادعاء عرش الملك. ويدل ما لدينا من نقوش على أن كل أولاد هذا الفرعون الذين وصلت إلينا أسمائهم كانوا يشغلون وظائف هامة في الشؤون الحكومية والدينية، وسنجد فضلاً عن ذلك أن عدداً لا يستهان به من بينهم كان يقوم بأهم الوظائف في الدولة، وسنحاول هنا أن نذكر ما وصل إلينا — حتى الآن — من معلومات عن هذه الأسرة العجيبة في تاريخ الفراعنة.

(٨-١) زوجاته

(أ) الملكة «نفرتاري مرنموت»

كان «رعمسيس» قد تزوج من الملكة «نفرتاري» في السنة الأولى من حكمه المنفرد، كما يظهر هذا في قبر «نب ونبف»^{٣٠٢} الكاهن الأول للإله «أمون» في عهد «رعمسيس الثاني». غير أننا لا نعرف إلى أي سنة من سني حكمه عاشت هذه الملكة؛ لأننا لم نرها تظهر على تماثيل «رعمسيس» المؤرخة بأواخر سنيها، وإن كانت تظهر في نقوش معبد «بو سمبل» بصورة بارزة كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ومن أولادها — خلافاً لما ذكرنا من قبل — «سيتي» الابن التاسع بين أولاد «رعمسيس»، وآخر يُدعى «انبو إرخو»، وتلقَّب على آثار معبد «أبو سمبل» بـ«كاهنة الإلهة «حتحور»، والإلهة «موت»، والإلهة «عنقت»، كما كانت تحمل لقب الأميرة وارثة الجنوب والشمال؛ أي إنها كانت وارثة عرش الملك، وقد مثلت على تماثيل «رعمسيس» الضخمة في معبد «بو سمبل»، وفي معبد «الأقصر» كذلك على تمثاله الفذ الموجود في «تورين»، وهو المنحوت في الجرانيت الأسود، ويوجد لها كذلك تمثال جميل من الجرانيت في متحف «الفاتيكان»، غير أنه مما يؤسف له قد أُعيد صنعه. ونقرأ لهذه الملكة خطاباً أرسلته في السنة الحادية والعشرين لملكة «ختيتا» (ذكرناه فيما سبق) وقبرها يوجد بالقرب من دير المدينة في الجهة الغربية من «طيبة» في المكان المعروف الآن باسم «ببيان الحريم» عند العامة، وقد كُشف عنه وعن غيره من مقابر الملكات والأمراء الأثري «شابارلي» الإيطالي حوالي ١٩٠٣-١٩٠٥م، ومعظم هذه المقابر يرجع

^{٣٠٢} راجع: A. Z., XLIV, p. 30-5.



شكل ٢١: الملكة «نفرتاري» على تمثال لـ «رعمسيس الثاني».

عهدا إلى الأستين التاسعة عشرة والعشرين، ويمتاز قبر «نفرتاري» زوجة «رعمسيس الثاني» عن باقي قبور الملكات في ترتيبه وتنسيقه، ويلاحظ أن معظم القبور في هذه الجهة قد زينت جدرانها بالتصوير على طبقة من الطين ثبتت على الجدران، والصور التي نُقشت على جدران قبرها تعد من أجمل ما أخرجته يد المفتحن المصري في هذا النوع من التصوير، وإن كان بعضه قد طغت عليه الرطوبة، والزمن، وتساقط.^{٣٠٤} وصور الملكة تلفت النظر بوجه خاص لرشاقتها، كما أن سقف المقبرة يمثل القبة الزرقاء، وما فيها من نجوم لامعة. ويصل الإنسان إلى حجرة الدفن بوساطة سلم، فيقابله أولاً قاعة فيها منضدة ليوضع عليها القربان، وعلى جدران القاعة نقوش دينية من الفصل السابع عشر من كتاب الموتى، ويصحبه صورة الملكة ممثلة جالسة تحت قبة تلعب النرد، كما يشاهد

^{٣٠٤} راجع: Baedeker's Egypt (1929) p. 344.

روحها ممثلاً في صورة طائر له رأس إنسان يرفرف بجانبيها، ثم نشاهد الملكة راكعة تتعبد للشمس التي يحملها أسدان، كما يشاهد الإله «تحت» في صورة الطائر مالك الحزين، والمومية محمولة على سرير جنازي، وكذلك توجد آلهة مصورة على الجدران وعلى الجدار الذي على يمين القاعة نشاهد الملكة أمام الإله «أوزير» إله الآخرة، كما نشاهدها متعبدة لإله الشمس «حور اختي»، وإلهة الغرب. وفي منظر آخر نشاهد الإلهة «إزيس» تقودها أمام الإله «حبر» (إله الشمس) الممثل برأس جُعل، وفي الحجرة الجانبية نشاهد الإله «خنوم» تصحبه كل من الإلهتين «إزيس»، و«نفتيس»، كما ترى الملكة تتعبد للعجل المقدس، وللبقرات السبع الإلهية، وفي منظر آخر تقدم الملكة أدوات الكتابة للإله «تحت»، وتقدم الأضاحي للإله «بتاح»، وعلى الجدران الجانبية للسلم المؤدي للحجرة الثانية نشاهد الملكة في حضرة آلهة مختلفة، كما نشاهد «إزيس»، و«نفتيس» راكعتين في حزن، كما نشاهد على عتب الباب إلهة العدل في صورة طائر ناشر جناحيه، ثم نصل بعد ذلك إلى حجرة الدفن، وهي مقامة على أربعة عمد، ومعظم صورها قد هُشمت، وفي وسطها تابوت الملكة «خاو».

وهذه المقبرة تُعد من أعجب وأفخم المقابر التي عُثر عليها حتى الآن من هذا العصر الذي نحن بصدده، ومن أجل ذلك قد فصلنا فيها القول ببعض الشيء لنعطي صورة عن المناظر الجنازية الشائعة وقتئذ.

أما باقي الآثار التي ذُكرت عليها هذه الملكة فقد ذكرناها في مناسباتها في أثناء الكلام عن تاريخ «رعمسيس الثاني» وآثاره.

وفي متحف «بروكسل» توجد قطعة من تمثال لهذه الملكة نُقش عليها بعض ألقاب نادرة الوجود تشبه ألقاب الملكة «سات رع» أم الفرعون «سي تي الأول»، وهي: «الأميرة المدوحة كثيراً، سيدة الرشاقة، وراحة الحب، ووارثة الوجه القبلي والوجه البحري، وماهرة اليديين في الضرب بالصاجات، والحلوة الحديث والغناء، زوجة الملك العظيمة ومحبوبته، وزوجة الثور القوي «نفرتاري مرنموت» العائشة مثل الشمس أبدياً». ولا نزاع في أن بعض هذه الألقاب تشير إلى الدور الذي كانت تلعبه هذه الملكة بوصفها زوج الإله في

الأحفال الدينية،^{٢٠٥} وقد رُسم على هذه القطعة معها ابنها «مري أمون» ابن «رعمسيس الثاني» ولقب ببيكر أولاد الفرعون.^{٢٠٦}

(ب) الملكة «إست نفرت»

قد يلاحظ كثيراً فيما يكتبه المؤرخون أن الملكة «نفرتاري» كانت هي الزوجة الأولى الرئيسية للفرعون «رعمسيس الثاني»، وبخاصة أنها هي التي راسلت ملكة «خيتا» عندما كتبت إليها كتاباً تسألها فيه عن أحوالها، وترجو لها السلامة. غير أن بعض المؤرخين الذين فحصوا الموضوع عن كثب قد وضعوا أمامنا حقيقة هامة تستدعي الفحص من جديد؛ وهي أن «إست نفرت» كانت أم الأمراء الذين كان لهم حق وراثه العرش، ونجد في «كتاب الملوك» الذي كتبه «جوتيه» الآثار الخاصة بهذه الملكة، وكذلك عدد المستر «بتلر» في كتابه «ملكات مصر»^{٢٠٧} أولاد هذه الملكة، وهم: «رعمسيس» الابن الثاني للفرعون، و«خعمواست» الابن الرابع والوارث للعرش حتى مماته في السنة الخامسة والخمسين من حكم والده، ثم «مرنبتاح» الابن الثالث عشر، وخليفة والده على العرش، وأخيراً «بنت عنتا» كبرى بنات الفرعون وزوجه في آن واحد، وكذلك نجد أن «الأثرية» «مس مري» عند بحثها وراثه العرش في عهد الأسرة التاسعة عشرة^{٢٠٨} لم تتردد في جعل «إست نفرت» الزوجة الرئيسية لـ «رعمسيس الثاني». ولكن «كيث سيلى» يرى في بحثه الأخير عن وراثه العرش أن «نفرتاري» كانت هي الزوجة الأولى، كما ذكرنا من قبل، ويوجد في متحف «بروكسل» كذلك جزء من تمثال صغير لهذه الملكة مع ابنها «خعمواست»، وقد بقي على هذا الأثر بعض نعوت لهذه الملكة تكاد تكون فريدة في بابها، وهي على الجهة اليمنى: «وعندما تدخل في المقر المزدوج فإن قاعة الاستقبال في القصر تضوع بشذا عبيرها، وإنها لحوة الرائحة بجانب والدها الذي يبتهج عند رؤيتها، والزوجة الملكية ...» وعلى الجهة اليسرى: «حور» سيد القصر». ثم يأتي بعد ذلك: «التي تملأ قاعة الجلسة بعبيرها، وهي المنقطعة

^{٢٠٥} راجع: Chronique d'Egypte No. 33 Janv. 1924 p. 74.

^{٢٠٦} راجع: Gauth. L. R. III, 96-97.

^{٢٠٧} راجع بعض آثار هذه الملكة في Porter & Moss V, p. 74, 210, 217, 246.

راجع: The Queens of Egypt pp. 151 ff.

^{٢٠٨} راجع: Ancient Egypt (1925) pp. 100-104.

النظير بعطورها؛ إذ تعادل بلاد «بونت» بشذا أعضائها، الزوجة الملكية.» والواقع أن هذه النعوت النسوية الدالة على طيب العبير، وما يذوع منها من شذا العطور لم توصف به ملكة من قبل (Chronique Ibid. p. 76).



شكل ٢٢: الملكة «نفرتاري» أمام الإله «تحت».

«ج» الملكة «مات نفرو رع»

كانت الملكة «مات نفرو رع» كبرى بنات ملك «خيتا»، وقد أطلق عليها «رعمسيس الثاني» هذا الاسم عندما بنى بها (كما سبق شرحه)، وقد مثلها «رعمسيس» بصحبة والدها على اللوحة التذكارية التي نحتها تخليدًا لهذا الزواج في معبد «بو سميل»، كما مثلها معه على أحد التماثيل الضخمة في «تانيس»، ومعها بكر أولادها وهو «أمون حرخبشف» الذي نجده مذكورًا في القوائم الثلاث الهامة التي جاء عليها ذكر أولاد «رعمسيس الثاني»، وهي: قائمة «الرمسيوم»، وقائمة «الكرنك»، ثم قائمة «الذز»، كما جاء ذكرها على لوحة صغيرة عثر عليها في «تل اليهودية».^{٣٠٩}

^{٣٠٩} راجع: Petrie. History of Egypt III, p. 35, 83.

(د) الملكة «توي»

وجد هذا الاسم على قطعة من تمثال ضخم من الرمسيوم في طغراء، ويقول عنه «كارتر»: إنه اسم إحدى نساء «رعمسيس الثاني».^{٣١٠}

(٢-٨) أولاد «رعمسيس الثاني» الذكور

يعترض المؤرخ صعوبات جمة عندما يريد فحص أولاد «رعمسيس» الذكور، ويرتبهم ترتيباً تاريخياً، فعلى حسب نظرية الأستاذ «سيلي» يكون «رعمسيس» قد أنجب في أول حياته ولدين، وهما: الأمير «أمون حر ونمف»، ثم الأمير «خعمواست»، وأنهما ماتا في طفولتهما كما تثبته النقوش التي على معبد «بيت الوالي»، ويقول: إنه قد أنجبهما من الملكة «نفرتاري»، أما الابن المسمى «خعمواست الثاني» الذي نجده مذكوراً في كثير من آثار والده فهو ابن الملكة «إست نفرت».^{٣١١}

وقد كان ابن «رعمسيس» المسمى «أمون حرو نمف» يعد الوارث للعرش، وقد أراد «بتري» أن يوحده بالأمير «أمون حرخيشف»،^{٣١٢} وأن يجعله ابن الملكة «إست نفرت»، ولكن الواقع أنه ابن آخر لهذا الفرعون. أما ما يعترض به «بتري» من استحالة وجود ولدين بكرين للفرعون فأمر جائز في النقوش المصرية، وبخاصة عندما يكون للملك أكثر من زوجة واحدة، وأنجب من كل منهن ولداً بكراً.

ولدينا لأولاد هذا الفرعون ثلاث قوائم هامة، كما ذكرنا، هذا بالإضافة إلى ما جاء من الأسماء على التماثيل المختلفة، والمناظر التي على جدران المعابد، وسنحاول هنا أن نعدّد أولاد الفرعون الذكور بقدر ما تسمح به الآثار التي في متناولنا.

^{٣١٠} راجع: A. S. II, 194.

^{٣١١} راجع: The Coregency of Ramses II with Seti I, p. 34-8.

^{٣١٢} راجع: Petrie, Hist. III, p. 84.

Champ. Notices Desc. II, 122, 132, & Brugsch Recueil Mon. I, pl. 29 & Br. A. R. راجع:

.S. 350

فخلافًا للأميرين «أمون حرو نمف»، و«خعمواست» اللذين توفيا في طفولتيهما نذكر ما يأتي:

(١) «أمون حرخبشف»: تدل النقوش التي لدينا عن هذا الأمير أنه قد اشترك مع والده في موقعة «قادش»، وكان يلقب كاتب الفرعون، وقائد الجيش الأعلى، إذ نشاهده في مناظر مصورًا على الجدار الجنوبي لقاعة العمدة الكبرى «بالكرنك» مع والده مقدمًا أسرى من الخيتيين لثالوث «طيبة»، وهم من الذين أسروا في موقعة «قادش»؛ إذ نرى أربعة من أولاد الفرعون يسوق كل منهم صفاً من الأسرى خلف والده، وقد كان «أمون حرخبشف» المقدم عليهم، ويحمل لقب القائد الأعلى للجيش، أما الثلاثة الآخرون وهم: «خعمواست»، و«مري أمون»، و«سيتي»، فكان كل منهم يحمل لقب ابن الملك فحسب، وهذا دليل — على ما يظهر — على أنه كان أكبر أولاد الفرعون وقتئذ.

وكذلك نشاهد هذا الأمير وهو يهاجم العدو مع والده في عربته في مناظر معبد «أبو سمبل». ٣١٣ كما نجده كذلك مصورًا على تماثيل والده الضخمة في معبدي «أبو سمبل»، والكرنك، وعلى التمثال الجميل الموجود في «تورين» كما ذكرنا من قبل.

(٢) الأمير «رعمسسو»: هذا الأمير هو ابن الملكة «إست نفرت»، ونشاهده مصورًا مع والدته وأخيه «خعمواست» في مجموعة صغيرة «بمتحف اللوفر»، ٣١٤ كما نشاهده مصورًا مع والده «رعمسيس»، وأسرتة في نقش على الصخور الواقعة على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان»، وقد لقب هنا بقائد الجيش. ٣١٥

وفي متحف «فلورنس» توجد واجهة من مقبرة نُقش عليها: «ابن الملك الأمير الوريثي، والقائد الأعلى للجيش، ومدير جلالته «رعمسسو».» ٣١٦

وقد وجد اسمه في القوائم الثلاث السالفة الذكر، كما نشاهده في نقوش «أبو سمبل» يحارب بجانب والده، وقد أهدي له تمثال بعد موته في حياة أخيه «خعمواست»، أهده له ابن الأخير. ٣١٧

٣١٣ راجع: Champ. Monuments p. 14.

٣١٤ راجع: Pierret. Louvre Catal. Historique 633.

٣١٥ راجع: De Morgan. Cat. Mon. I, p. 41 (186).

٣١٦ راجع: Schiaparelli. Cat. Florence p. 332, 333.

٣١٧ راجع: Brugsch Recueil I, V, 2 Col. 2; A. Z. XXIII, p. 80.

وعثر له على تمثال «مجبب» في معبد «السرابيوم» (مدافن العجل أبيس) مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم والده، وهو لا يزال على قيد الحياة.^{٢١٨}

(٣) الأمير «بارع حرامنف»: كان هذا الأمير يحمل لقب رئيس الرماة في جيش والده، كما نقرأ ذلك على لوحة صغيرة نُقش عليها: «ابن الملك الذي وضعته الزوجة الملكية العظمى، ورئيس الرماة.»^{٢١٩} ولذلك نشاهده في مناظر «أبو سمبل» الحربية يحارب إلى جانب والده في عربته، كما وُجد مصورًا معه على تمثال في نفس المعبد.^{٢٢٠}

(٤) الأمير «خعمواست»: تدل الآثار التي وجدت لهذا الأمير على أنه كان أهم أولاد «رعمسيس الثاني»، وبخاصة أن والده قد فكر في السنة الثلاثين من حكمه بعد أن تخطى الخمسين في أن يُشركه معه في إدارة الملك، وهو على حسب قول «كيث سيلي» ثاني اثنين من أولاد هذا الفرعون بهذا الاسم، والأول قد توفي في طفولته كما ذكرنا، وقد اختاره الفرعون ليكون وارثه على عرش البلاد، وهو ابن الملكة «إست نفرت» كما قلنا؛ كما تدل على ذلك النقوش التي في «السلسلة». وقد شاهدنا من قبل أنه كان يكلف في غالب الأحيان بنحت النقوش التذكارية للأعياد الثلاثينية، والاحتفال بها، والظاهر أنه كان قد عُين الكاهن الأعظم للإله «بتاح»، وبذلك ضمن لنفسه دخل هذا الإله الذي كان يُعد أغنى الآلهة بعد الإله «آمون» إله الإمبراطورية الأعظم، ونجده يحمل هذا اللقب في عدة آثار أهمها:

تمثال عثر عليه في «سقارة» مهدى للعجل «أبيس»، ويشاهد في نقوشه واقفًا وممسكًا بمحراب صغير مثل فيه العجل «أبيس» برأس إنسان، وجسم عجل، ويحمل الألقاب التالية: الكاهن الأكبر «سم» للإله «بتاح»، ومطهر البيت العظيم، والكاهن «إيونموتف» — أي عمود أمه — ومدير الأرضين، ورئيس كل الفراء؛ لأن الكاهن «سم» كان يلبس جلد فهد.^{٢٢١}

وكذلك نجد هذا اللقب وغيره على جزء من تمثال وجد في قرية «الشيخ مبارك» قبالة مدينة «المنيا».^{٢٢٢}

^{٢١٨} راجع: Mariette Serapeum p. 13.

^{٢١٩} راجع: Newberry, Scarabs pl. XXXV, No. 20 p. 182.

^{٢٢٠} راجع: Petrie, Hist. III, p. 35.

^{٢٢١} راجع: A. S. XLI, p. 21 ff.

^{٢٢٢} راجع: A. S., XVI, p. 255.



شكل ٢٣: الأمير «خعمواست» بن «رعمسيس الثاني».

والظاهر أنه قد تقلد مهام هذه الوظيفة في السنة السادسة عشرة من حكم والده كما هو مدون على تمثال مجيب في مقبرة العجل رقم ٢، وهذه التماثيل كانت تقوم بدلاً منه في أداء الأعمال الصعبة بمثابة خدام للعجل «أبيس»، وقد وجدت مثل هذه التماثيل باسمه كذلك في مقبرة العجل رقم ٣ المؤرخة بالسنة السادسة والعشرين.

وفي السنة الثلاثين لم نجد له في مقبرة العجل الرابع تماثيل من هذا النوع، ولكن في مقبرة العجل التاسع لقب بالكاهن الأعظم. ومن السنة الثلاثين حتى السنة الأربعين كان هو المشرف على الأعياد الثلاثينية كما أسلفنا، وقد خلفه في وظائفه هذه أخوه «مرنبتاح» — الذي أصبح فيما بعد الفرعون «مرنبتاح» — في السنة الخامسة والخمسين من حكم

«رعمسيس»، وهو الذي نشاهده يقوم بدور الكاهن الأعظم على لوحة العجل العاشر،^{٣٢٣} وهي السنة التي توفي فيها «خعمواست».

وقد دفن الأمير «خعمواست» في جبانة «الجيزة»؛ حيث وُجد قبره في «كفر البطران»،^{٣٢٤} وقد عثر في هذا القبر على تماثيله المجيبة، كما عثر على بعضها في معبد «السرابيوم»،^{٣٢٥} ومن الأشياء التي عثر عليها في قبره كذلك أنية أحشاء،^{٣٢٦} كما عثر على أنية أخرى لأحشاء العجل رقم ٣ قام بصنعها «خعمواست». هذا إلى أنه دفن تعاويز أخرى مع العجل السادس، والعجل التاسع نقش عليها اسمه وألقابه. وقد وجدت حجرة دفن العجلين الثاني والثالث سليمة لم تمس بسوء؛ مما أدهش كاشفها العظيم «مريت باشا»؛ إذ عندما فتح التابوت الذي كان فيه العجل الثاني لم يجد فيه مومية العجل، بل وجد غطاء مجوفاً موضوعاً على الأرض على مادة قطرانية تحتوي على كمية عظيمة من شظيات العظام، كما وجد صدرية فخمة مصنوعة من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة، وكذلك ستة تماثيل مجيبة كل منها برأس ثور.

أما العجل الثالث فلم يوجد معه كذلك صندوق، بل وجدت حفرة تحت الغطاء الذي كان يغطي كتلة من القطران مختلطة بشظايا عظام عديدة جداً، ووجد معه كذلك خمسة عشر تمثالاً مجيباً، كما وجدت تماثيل أخرى مجيبة باسم الأمراء «خعمواست»، و«رعمسسو»، و«حوي» أمير «منف»، و«سوي»، و«حات عا»، و«بتاح نفر حر» كاتب «خعمواست»، وكذلك لامرأتين تدعيان «قدت»، و«حوي» هذا إلى تعاويز باسم «خعمواست»، وخمس صدريات للوزير «باسر»، وكذلك صدرية أخرى، ونسر برأس ثور من الذهب المرصع، وأوراق كثيرة من الذهب، ومن البدهي إذن أن العجل لم يكن يُحفظ، بل كان يؤكل لحمه تبركاً كما كان يؤكل لحم كبش «طيبة» الذي يمثل الإله «آمون».

^{٣٢٣} راجع: Maspero, The Struggle of the nations p. 426.

^{٣٢٤} راجع: Petrie Medum pl. XX.

^{٣٢٥} راجع: Mariette, Serapeum III, 10, 11, 13.

^{٣٢٦} راجع: Mariette, Monuments Divers 36 d.

وقد عثر له على تمثال محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني» رقم ٩٤٧، ٢٢٧ ولما كانت النقوش التي على هذا التمثال تثبت لنا بعض الشيء الشهرة الواسعة التي نالها «خعمواست» في عالم السحر، فإننا سنوردها هنا على الرغم مما بها من صعوبات لغوية جعلت فهم المتن من الصعوبة بمكان، وكأن كاتبها أراد أن يجعلها طلسماً سحرياً ليتفق مع شهرة هذا الأمير في هذا المضمار.

ويقال إن هذا التمثال الجميل عثر عليه في «أسيوط»، ولكنه في الأصل كان منصوباً في «العرابة» كما سنبين ذلك فيما بعد، ومادته من الطران (الصوّان) المختلف الألوان، والتمثال قد نقشت قاعدته من الجهات الأربع، وكذلك نقش العمود المستطيل الذي يرتكز عليه من جانبيه، كما نُقِشت العصوان اللتان كانا يمسك بهما في يديه كالعلمين، وهما الترجمة:

العلم الذي في اليد اليمنى على: الإله الطيب؛ رب الأرضين «وسر ماعت رع ستن رع» محبوب التاسوعين للذين في العرابة.

على العلم الذي في اليد اليسرى: ابن الشمس، رب التيجان «رعمسي»، محبوب «آمون»، محبوب «أوزير»، رئيس الغرب؛ أي الأموات.

النقوش التي على القاعدة: يا آمون، لبتك تعطي النفس لابن الملك الكاهن سم «خعمواست»، وهو ذلك النفس الحلو الذي في أنفك! وإن ابن الملك «خعمواست» صادق القول يتخذ مقعده على العرش العظيم الذي في «هرموبوليس» (أرمنت الحالية)، ابن الملك «خعمواست» يحرس بيضة الصائح العظيم (الإله «آمون» في صورة الأوزة)، وكما أنها ثابتة فإن ابن الملك «خعمواست» ثابت، والعكس بالعكس، وكما تعيش فإنه يعيش، وكما أنها تستنشق الهواء فإنه كذلك يستنشق الهواء.

النقوش التي على سطح القاعدة: لقد عمله ابن الملك «خعمواست» بمثابة أثره، وتمثاله لملايين السنين لأجل أن يبقى في العرابة أبدياً (?) على دائرة

(؟) رب الأبدية بمثابة مكان فاخر للقربان، والمحل العظيم لأرض الصدق، الإقليم المقدس لتقديم الشكر للكائنات الممتازة (أو التماثيل)؛ لأجل أن يفتح طريقه لهذا الروح الممتاز الذي يأوي إلى المكان الذي فيه تمثال أكبر أولاد الملك، ومحبوته الكاهن سم «خعمواست».

النقوش التي على العمود الخلفي: يا «أوزير»، يا أكبر الآلهة، ويا أفخر ممن

سواه، ليتك تشاهد ما يفعل ابن الملك الكاهن سم «خعمواست»، لقد عمل على أن يجعلك عظيم الشكل، وإنه يعيش بوساطتك يأبها الإله، وإنك تعيش بوساطته، ليتك تنصبه حاجبك الوحيد! وإنه حام يحوم حول الجبانة، وواحد (أي قائد) يعرف طريق المرور (؟)، وإنه قد رفع «حذن»، وحمى «نكن» (أي أوزير)، وإنه قد قوى من ينام على فخذه (أي الميت)، وقد ثبت «إي»، و«سنح»، وحمى «أشستانس» (؟)، وإنه يفتح فم «سكر» نفسه، وإنه قد خلق السحر في فرج «نوت»، وإنه يفتح المشيمة الملكية، وإنه قد جعل حنجرتك تتنفس، وإنه هو الذي يقبض على سواعد أعدائه كل يوم، ليتك تظهر بفخار بوساطته بمثابة رب «العرابة» بقدر ما تعطيه ثباتًا وفلاحًا وبقاء في معبدك لأنه ابنك وحاميك.

قربان يمنحه «أوزير» رئيس الغرب ... من سواه رحم أمه في أمان ونصر، فاخرًا في السماء، وقويًا على الأرض، والنجار الأول في حماية سيده، ومن على رأس الأزميل ومن يفتح الطريق العظيم لإقليم «العرابة» حتى يثوى في مكانها (؟) في كل عيد ... قاعة الصديقين في يوم حصر فضائل ابن الملك الكاهن «سم» الذي يقوم بدور «عمود أمه» «خعمواست». (عمود أمه = لقب كهانة).

ولا نزاع في أن لغة هذا المتن المعقدة تُظهر أن كاتبها قد قصد بها الغموض إذا ما قرنت بالمتون الأخرى، ومن ثم نفهم أن صاحبها كان من كبار رجال اللغة، والأمور الخفية؛ مما جعلنا في حيرة للوصول إلى كنه المتن، ومع ذلك يمكننا أن نفهم منه ما يأتي على وجه التقريب، فنعلم من مضمون المتن ومن العلمين اللذين كان يحملهما «خعمواست» أن الأمير قد نصب تمثاله في العرابة، ويحتمل أن ذلك كان في المعبد نفسه؛ حيث كان يمكنه أن يتسلم نصيبه من القربان المقدس، وعلى ذلك يكون المتن الأصلي خطابًا موجهاً للإله «أوزير» الذي كان يعده «خعمواست» حامياً له، غير أننا نلاحظ في



شكل ٢٤: صدرية باسم «رعمسيس الثاني».

صلاته له أنها لم تكن صادرة من شخص متواضع متضرع لإله، بل كانت طلباً من ساحر عظيم يعد نفسه مساوياً لإلهه، بل في الواقع كان يعد نفسه أنه هو الذي عمل على فخاره، ومما يلفت النظر في هذه المتون تعدد قوى «خعمواست» العظيمة. حقاً إن قائمة المخلوقات العجيبة التي ذكرها الساحر هنا لا نفهم منها شيئاً كثيراً، ولا يمكن تعريفها، غير أن العبارة التي جاءت في المتن القائلة بأن «خعمواست» يقوم بالاحتفال بفتح المشيمة الملكية لها أهمية عظيمة، فقد كتبت عنها «مس مري» مقالاً.^{٣٢٨}

ومهما يكن المعنى الأصلي لهذا الحفل الخفي، فإن «خعمواست» يعد من الأشخاص الذين كانوا يحملون هذا اللقب — الذي لا نعرف عنه شيئاً إلا في عهد الدولة القديمة — في عهد الأسرة التاسعة عشرة، هذا وكان أحب أولاد الفرعون إليه، والكاهن الأكبر للإله «بتاح». يضاف إلى ذلك أنه كان على اتصال وثيق بوالده؛ إذ كان هو الذي يقوم له بأحفال الأعياد الثلاثينية، وغيرها من مهام الأمور كما ذكرنا. وقد عثر له على تمثال آخر في متحف «فيينا» من الجرانيت (راجع (A. Z. XVIII, p. 49).

وهذا الأمير كان له شهرة عظيمة في المسائل اللاهوتية الخفية، وفي علم السحر، وقد عزت إليه التقاليد في العصور المتأخرة تأليف عدة كتب عن السحر تحوي إرشادات

^{٣٢٨} راجع: Ancient Egypt (1930) p. 65 ff.

لاستدعاء الأرواح والعفاريت الخاصة بهذا العالم وبالعالم الآخرة، وقد أصبح بطل قصة خرافية؛ ذكر فيها عنه كيف أنه لما سرق من مومية إحدى السحرة كتب الإله «تحتوت» أصبح فريسة غول تقمصه.^{٢٢٩}

وتدل شواهد الأحوال على أن «رعمسيس الثاني» قد خلص نفسه من أعباء الحكم عندما سلم مقاليد الأمور لابنه «خعمواست».

وقد كان أهم ما وجه «خعمواست» إليه عنايته، هو أن يحافظ بكل دقة وأمانة على القوانين الدينية، فاحتفل بأعياد الفيضان في جبل سلسلة في السنة الثلاثين، والرابعة والثلاثين، والسابعة والثلاثين، وكذلك في السنة الأربعين،^{٢٣٠} كما أشرف على الاحتفالات بتأليه والده وهو العيد الثلاثيني كما ذكرنا.

وقد كان قبل عهد «رعمسيس الثاني» يعبد العجل المقدس الذي ينتسب للإله «بتاح» في معبد خاص في «منف»، وكان لا يزال موجوداً حتى العصور المتأخرة، وكان هذا العجل يُدعى «أبيس»، وبعد موته أو ذبحه على رأي البعض كان يُحنط مثل آدميين، ويدفن باحتفال عظيم في الجبانة، ومنذ عهد «أمنحتب الثالث» — كما ذكرنا آنفاً — كانت مدافن العجول «أبيس» تشمل حجرة نُحِتت في الصخر تحت الأرض يصل الإنسان إليها بطريق منحدر، وفوق هذا المدفن كانت تقام مقصورة أو محراب أطلق عليه اليونان اسم «السرابيوم»، وكان لا يُدفن فيها إلا عجل واحد، فلما جاء عهد «رعمسيس الثاني» وأصبحت مقاليد الأمور في يد الأمير «خعمواست» نحت جبانة شاسعة الأرجاء تتألف من حجرة تحت الأرض، يبلغ طولها نحو مائة ياردة في عمق الصخر، وعلى كلا جانبي هذه الحجرة أعد لكل عجل حجرة دفن، وبعد الدفن كان البناءون يبنون الجدار ثانية. وقد تكلمنا فيما سبق عن العجول التي دُفنت في عهد هذا الأمير، وقد ظلت إدارة حكم البلاد في يده ما يقرب من ربع قرن من الزمان إلى أن توفي في العام الخامس والخمسين من حكم والده، وقد ترك لنا آثاراً عدة في طول البلاد وعرضها،^{٢٣١} وقد وصلنا تقرير وُجه إليه بوصفه حاكم «منف» عن ستة من العبيد الهاريين.^{٢٣٢} وإلى هذا الأمير تنسب كل

^{٢٢٩} راجع: Griffith. The Story of the High Priests of Memphis.

^{٢٣٠} راجع: The Struggle of the Nations p. 425 Note 5.

^{٢٣١} راجع: Wiedemann, Aegyptische Gesch. 464 ff.

^{٢٣٢} راجع: Leyden: Aegypt. Monuments p. 179; Chabas Melanges Egypte I, 3.

المجوهرات التي عثر عليها في مدافن العجل «أبيس» بسقارة، وهي التي نقلها مريت باشا إلى بلاده مع كل آثار هذه العجول التي تُعد بحق من أنفس ما تركه لنا قدماء المصريين، وتعد بألاف القطع.

(٥) الأمير «منتو حرشف»: ذُكر اسم هذا الأمير في القوائم الثلاثة الهامة التي ذُكر عليها أولاد «رعمسيس»، والظاهر أنه كان على رأس الفرسان والعربات مع والده في حصار «دابور»، ومعه خمسة من إخوته،^{٣٣٣} ويوجد جعل القلب الذي كان يوضع على صدر المومية باسمه بمتحف «برلين»، وكذلك عثرنا على صورة له في «تل بسطة» مغتصبة.^{٣٣٤}

(٦) الأمير «نب انخاروا»: ذُكر اسمه في القوائم الثلاثة، وفي حصار «دابور».^{٣٣٥}

(٧) الأمير «مري آمون»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما ذُكر في قائمة «الرمسيوم»، وكذلك في الكرنك.^{٣٣٦}

(٨) الأمير «آمون مويا»: ذُكر في القائمتين السالفتين، كما اشترك مع والده في حصار «دابور» (راجع L. D. III, p. 166).

(٩) الأمير «سي تي»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما ذُكر في الكرنك، وهو ابن الملكة «نفرتاري»، وقد ظل على قيد الحياة حتى العام الثالث والخمسين من حكم والده، غير أنه جاء ترتيبه العاشر في قائمة الأقصر.^{٣٣٧}

(١٠) الأمير «ستين رع»: اشترك مع والده في حصار «دابور» كما جاء ذكره في قائمة «الرمسيوم»، وترتيبه التاسع في قائمة الأقصر.^{٣٣٨}

(١١) الأمير «رع مري»: ذُكر في قائمة «الرمسيوم»، وفي معبد «العرابة المدفونة».^{٣٣٩}

(١٢) الأمير «حرحرونمف»: ذُكر هذا الأمير في قائمتي «الرمسيوم»، و«العرابة» (راجع L. D. III, p. 168).

^{٣٣٣} راجع: L. D. III, 166; Br. A. R. III, 361.

^{٣٣٤} راجع: Naville, Bubastis p. 43.

^{٣٣٥} راجع: L. D. III, p. 168.

^{٣٣٦} راجع: Ibid, 168; Champ. Notices II, 123.

^{٣٣٧} راجع: Rec. Trav. XVI, p. 31. & p. 65.

^{٣٣٨} راجع: Rec. Trav. Ibid. p. 31.

^{٣٣٩} راجع: Mariette Abydos I, 4.

(١٣) الأمير «مرنبتاح»: ابن الملكة «إست نفرت»، وقد اختاره والده بعد وفاة «خعمواست» في العام الخامس والخمسين من حكمه ليكون وارثه على العرش، ولذلك حمل كل الألقاب التي كان يحملها «خعمواست»، فكان يلقب الكاهن الأول للإله «بتاح»، ورئيس الأرضين، وكاتب الفرعون، والقائد الأعلى للجيش؛ مما سنفصل فيه القول فيما بعد.^{٣٤٠} (راجع أيضًا Petrie Hist. III, p. 36-7).

ومما يلحظ أن معظم الآثار التي نُكِر عليها كانت في الدلتا، ولم يذكر إلا مرة واحدة مع أسرته في لوحة منحوتة في صخور «أسوان»،^{٣٤١} وكذلك على لوحة أخرى في السلسلة؛ حيث كان يحمل الألقاب السالفة الذكر، بالإضافة إلى ابن الملك الكاهن «سم» من ظهره ومحبوبه.^{٣٤٢}

(١٤) الأمير «أمنحتب»: وقد جاء ذكره في قائمة «الرمسيوم» (راجع L. D., III, 168).
(١٥) الأمير «اتف آمون»: كذلك نُكِر في قائمة «الرمسيوم»، وفي ورقة العبيد الموجودة في «ليدن» السالفة الذكر (راجع Lyden, Aegypt Mon. 179).

(١٦) الأمير «مري آتوم»: هذا الأمير يحمل لقب حامل المروحة على يمين الفرعون، وكذلك لقب أكبر أولاد جلالته، وقد نُحت على جانب تمثال لوالدته الملكة «نفرتاري» عثر عليه في «الأقصر»، وهو موجود الآن «بمتحف بركسل»،^{٣٤٣} وقد جاء اسمه في قائمة «الرمسيوم»،^{٣٤٤} وكذلك في «الأقصر».^{٣٤٥}

(١٧) الأمير «حبن تانب»: جاء ذكره في قائمتي «الرمسيوم»، و«الأقصر».
(١٨) الأمير «مري رع»: كذلك نُكِر في القائمتين السالفتين، وقد ذكر هذان الأميران الأخيران على تمثال في معبد «أبو سمبل» (راجع Petrie Hist. III, p. 37).

^{٣٤٠} راجع: Schiaparelli. Cat. Florence p. 430 ff.

^{٣٤١} راجع: De Morgan, Cat. Mon. I, p. 41 (182).

^{٣٤٢} راجع: L. D., Texte p. IV, 85.

^{٣٤٣} راجع: Chronique, D'Egypte No. 33 Jan. 1942 p. 75 fig. 3.

^{٣٤٤} راجع: L. D., III, 168.

^{٣٤٥} Rec. Trav. XIV, p. 31.

(١٩) الأمير «امنمأبت»: (٢٠) والأمير «سنختن آمون». (٢١) والأمير «رعمسيس مرن رع». (٢٢) والأمير «تحتمس»؛ ذُكروا جميعاً في قائمة «الرمسيوم» وفي قائمة العرابة.^{٣٤٦} (L. D. III, 168).

(٢٣) الأمير «سمنتو»: وهو آخر قائمة «الرمسيوم»، وقد تزوج من امرأة تسمى «عريت» بنت ربآن سفينة سوري يُدعى «بنو عنتا» في السنة الثانية والأربعين من حكم والده «رعمسيس». وكذلك جاء ذكره على استراكون بمتحف «اللوفر» رقم ٢٢٦٢، ٣٤٧ ويحتمل أنه قبل السنة الثانية والعشرين من حكم هذا الفرعون.

(٢٤) الأمير «ست حرخبشف»: جاء ذكره في السنة الواحدة والخمسين من حكم والده، غير أن مكانه غير معروف بالنسبة لإخوته.^{٣٤٨}

(٢٥) الأمير «رعمسسو وسر بحتي»: جاء ذكره على لوحة صغيرة في مجموعة جعارين فريزر،^{٣٤٩} وترتيبه غير معروف كذلك بالنسبة لأسماء إخوته، وكذلك ذُكر على لوحة صغيرة أخرى في مجموعة جعارين نيو بري،^{٣٥٠} وقد كُتب على هذه اللوحة ابن الملك من صلبه ومحبو به «رعمسسو وسر بحتي».

(٢٦) الأمير «أنوب أرخو»: هذا الأمير من أولاد الملكة «نفرتاري»، وتمثاله بمتحف برلين رقم ٧٣٤٧، وترتيبه غير معروف.

(٢٧) الأمير «رعمسسو مرت ماعت رع»: وجد اسمه في قائمة «معبد السبوعة»،^{٣٥١} وكذلك في قائمة العرابة، وتنتهي قائمة السبوعة برقم ٧٩.

ولدينا بعض أسماء من أبناء هذا الفرعون وجدت متفرقة نخص بالذكر منها؛ الأمير «وسر ماعت رع»، وجد رسمه على جانب تمثال صغير للفرعون «رعمسيس الثاني» في خبيئة الكرنك،^{٣٥٢} ويحمل الألقاب التالية: حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب

^{٣٤٦} راجع: Mar. Abydos I, p. 4.

^{٣٤٧} راجع: Rec. Trav. XVI, p. 64.

^{٣٤٨} راجع: Ibid. p. 65.

^{٣٤٩} راجع: Fraser, Scarabs, 310.

^{٣٥٠} راجع: Newberry, pl. XXXV, No. 19 p. 182.

^{٣٥١} راجع: L. D., III, p. 179; Mar. Abydos I, p. 4.

^{٣٥٢} راجع: Legrain Stat. I, p. 4, 5 pl. II.

الفرعون الحقيقي ومحبوه، والبذرة المقدسة الخارجة من الثور القوي، ابن الملك من صلبه ومحبوه، والقائد الأعلى للجيش. وعلى الجانب الآخر من تمثال «رعمسيس» نشاهد صورة ملكة قد هُشم طغراؤها، ويظهر أنها للملكة «نفرتاري مرنموت»، والظاهر أنها أم هذا الأمير.

ومن بين الأسماء التي لا يُعرف ترتيبها في قائمة العرابة لتتبعها ما يأتي: «رعمسسوسي آتوم»، و«منتوحقو»، و«منتومواس»، و«سيأمون»، و«سبتاح»، و«رعمسسومري» ... و«رعمسسوسي خبري»، وغير ذلك من الأسماء المهشمة (راجع (Mar. Abydos, 1, 4).

الأمير «رعمسس مري-ست»: نقش اسم هذا الأمير على عارضة موجودة الآن بالمتحف المصري».^{٣٥٢}
الأمير «بارع حر أمنف»: وجد اسم هذا الأمير على لوحة صغيرة، وقد كتب عليها: ابن الملك الذي وضعته الزوجة العظيمة، رئيس الرماة «بارع حر أمنف».^{٣٥٤}

(٣-٨) بنات «رعمسيس الثاني»

وصلت إلينا بعض قوائم بأسماء بنات «رعمسيس الثاني» يظهر أنها رُتبت على حسب سنهن، هذا إلى بعض الأسماء الأخرى التي نقشت على جدران المعابد، وقد رسم معظمها مع الفرعون نفسه على تماثيله التي أقيمت في المعابد، أو على اللوحات التي أقامها في مختلف جهات القطر، وسنحاول هنا أن نذكر أهمهن على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا.

(١) الأميرة «بنت عنتا»: وتعد كبرى بنات الملك «رعمسيس الثاني»، وأمها الملكة «إست نفرت»، وقد ظهرت معها في منظر على صخور السلسلة،^{٣٥٥} وكذلك في نقش في أسوان، كما أنها كُتبت على رأس قائمة الأقصر. أما أهم الآثار التي وجدناها مصورة عليها فهي: عثر لها على تابوت من الجرانيت الوردي في هيئة جسم محنط، وهذا التابوت كان في الأصل لرجل، غير أنه على ما يظهر اغتصبه «رعمسيس» لابنته «بنت عنتا».^{٣٥٦} وكانت

^{٣٥٢} راجع: Petrie Hist. III, p. 37.

^{٣٥٤} راجع: Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 2 p. 182.

^{٣٥٥} راجع: L. D. III, p. 174 e.

^{٣٥٦} Ibid p. 175 h.

«بنت عنتا» أول ابنة من بناته تزوج بها على الطريقة الفارسية القديمة، وسُميت الزوجة الملكية والابنة الملكية، وقد ظهر اسمها — كما قلنا — في قائمة الأقصر بين أسماء بنات «رعمسيس»، وفي «بو سمبل»^{٣٥٧}، وعلى بردية أيضًا^{٣٥٨}. هذا وقد ظهر اسمها مع زوجها، أو مع أسرتها في أماكن عدة^{٣٥٩}.

وقبر هذه الأميرة والملكة يوجد في وادي مقابر الملكات «بطيبة الغربية»^{٣٦٠} والمناظر التي في قاعة هذه المقبرة نشاهد على جدرانها الملكة أمام الإله بتاح «سكر»، والإلهة «حتحور»، كما نشاهدها تقدم للإله «شو» بوساطة الإلهة «حتحور»، وكذلك تقدم للإله «أوزير» والإلهة «حتحور»، كما ترى في منظر آخر تقدم القربان للإله «بتاح»، وكذلك للإله «خبري» رب الوجود الذي يمثل الشمس في صورة جُعل، وفي كل هذه المناظر كُتب معها ألقابها، وفي الحجرة الأولى من هذا القبر نشاهد الملكة جالسة وأمامها الخبز وفي القاعة الداخلية نشاهدها تتعبد للإله «نو» — الذي يمثل الماء الأزلي — كما ترى مع أميرة تتعبد للإله «أوزير» في حين أن الأميرة كانت تتعبد للإلهة «نفتيس»، وفي منظر آخر كانت تتعبد لكليهما.

على أن ما يلفت النظر في قبر هذه الأميرة والملكة العظيمة ما نشاهده من اغتصاب «رعمسيس» تابوت رجل عادي لزوجة ملكية كريمة عزيزة عليه، هذا على الرغم من أنها كبرى بناته؛ ولذلك يخيل لي أن هذا الاغتصاب من جانب الملوك كان شيئاً عادياً، بل ربما كان شيئاً محبباً، ولعل السبب الذي دعا «رعمسيس» إلى ذلك هو أن موارد ثروته في أواخر حكمه قد قلت، وهذا شيء ملحوظ في مبانيه التي كانت كثيرة في بادئ حكمه، ثم أخذت تتضاءل في آخر أيامه كما سنتحدث عن ذلك بعد.

ومما يلحظ في قوائم أسماء بنات «رعمسيس الثاني» أنهن لم يكن يلقبن بنات ملك فحسب، بل كانت كل واحدة منهن لها وظيفة تقوم بها في المعابد المصرية، ولم تستثن واحدة منهن على حسب ما جاء في قائمة الأقصر، وعلى رأس هذه القائمة كانت الأميرة «بنت عنتا» تحمل لقب كبيرة نساء الإله «أمون»، وهذا أسمى لقب كهانة كانت تحمله امرأة في المعبد على ما يظهر.

^{٣٥٧} L. D. III, p. 186. راجع:

^{٣٥٨} راجع: Lepsuis Konigsbuch, XXII.

^{٣٥٩} راجع: Petrie Hist. III, p. 37.

^{٣٦٠} Porter & Moss I, p. 48; Gauthier L. R. III, pp. 102-3. راجع:



شكل ٢٥: صورة الأميرة «بنت عنتا» ابنة «رعمسيس الثاني» وزوجه.

- (٢) الأميرة الثانية: اسم هذه الأميرة على حسب قائمة «بو سمبل» وجد مهشماً.^{٣٦١}
- (٣) الأميرة «باكموت»: ذكر اسمها في قائمة «الدر». ^{٣٦٢}
- (٤) الأميرة «مريت آمون»: وتعد في قائمة «الأقصر» رابعة بنات «رعمسيس الثاني»،^{٣٦٣} وقد بنى بها والدها، فكانت تلقب الزوجة الملكية العظمى، وسيدة الأرضين. وقبر هذه الملكة في «وادي الملكات»، وقد نقش عليه كل ألقابها بوصفها زوج الفرعون العظمى، ونشاهدها في قاعة هذا القبر تتعبد للإله «أوزير»،^{٣٦٤} والإلهة «حتحور»، كما ترى مقدمة القربان للإله «بتاح سكر أوزير»، وكذلك للإلهين «خنوم»، و«حتحور»، وتابوتها محفوظ الآن «بمتحف تورين»، وقد نقش عليه اسمها وألقابها.^{٣٦٥}

^{٣٦١} L. D. III, p. 168 راجع:

^{٣٦٢} L. D. III, p. 184 راجع:

^{٣٦٣} Rec. Trav. XVI, p. 32 راجع:

^{٣٦٤} L. D. III, p. 174 راجع:

^{٣٦٥} Porter & Moss I, p. 47 No. 68 راجع:

وقد ظهرت في منظر على جدران معبد «بو سمبل»، وعلى أحد التماثيل كما صورت على تمثال في «تانيس»، ووجد لها جعارين باسمها.^{٣٦٦}



شكل ٢٦: الأميرة «مريت أمون» بنت «رعمسيس» وزوجه.

(٥) الأميرة «بيكاي»: وقد وجد اسمها مع أخرى مهشمة في قائمة «الأقصر». ^{٣٦٧}

(٦) الأميرة «نفرتاري»: ذكر اسمها في قائمة «بو سمبل». ^{٣٦٨}

(٧) الأميرة «نبت تاوي»: ظهرت مع الفرعون على أحد تماثيله الضخمة في معبد «بو

سمبل»، كما ذكرنا من قبل كما جاء اسمها في قائمة معبد «الدر». ^{٣٦٩}

وقد كانت تُدعى الزوجة الملكية العظمى، لذلك يحتمل أنها تزوجت من والدها

«رعمسيس الثاني»، كما يظن كذلك أنها تزوجت بعد ذلك أو قبل ذلك من أحد أفراد

الشعب؛ لأن ابنتها «استماخ» لم تدع ابنة ملك. ^{٣٧٠}

^{٣٦٦} راجع: Lepsius Konigsbuch, XXII.

^{٣٦٧} راجع: Rec. Trav. XVI, p. 32.

^{٣٦٨} راجع: L. D. III, p. 186.

^{٣٦٩} راجع: L. D. III, p. 184.

^{٣٧٠} راجع: Rec. Trav. XI, p. 81.

ولا بد أنها كانت قد تجاوزت الأربعين من عمرها عند موت «رعمسيس الثاني»، ولا يظن أنها قد تزوجت وقتئذ، ويقول الأستاذ «بتري»: إنها إما أن تكون قد تزوجت من أحد الرعايا بعد موت الملك، أو أن الخرزة المنسوبة إلى «استماخ» تشير إلى الأميرة «نبتا» بنت «أمنحتب الثالث» (راجع Petrie History III, p. 89).

وقبر هذه الأميرة في «وادي الملكات»،^{٣٧١} ونشاهدها على جدران قاعة هذا القبر، وهي تقدم القربان لصورة «ماعت»، كما نشاهدها في القاعة الداخلية، وهي تتعبد للإله «جب»، وكذلك للإله «حور اختي».

(٨) الأميرة «إست نفرت»: هذه الأميرة تزوجت من أخيها «مرنبتاح» الذي أصبح فيما بعد ملكاً على مصر بعد والده «رعمسيس الثاني»، وقد وجد اسمها في قوائم «الدر»، و«بو سمبل»، و«الأقصر».^{٣٧٢}

(٩) الأميرة «حنت تاوي»: وجدت صورتها على تمثال «رعمسيس الثاني» في معبد «بو سمبل»،^{٣٧٣} كما جاء ذكرها في قائمة «الدر»،^{٣٧٤} وكتب اسمها على خرزة من الكرنلين (أو حجر الدم) وجدت في معبد «السرايوم».^{٣٧٥}

(١٠، ١١) الأميرتان «ورنرو» و«ونزموت»: ذُكرتا في قائمتي «الدر»، و«بو سمبل».^{٣٧٦} وذكر «بتري» أسماء أخرى كثيرة من بنات هذا الفرعون.^{٣٧٧}

^{٣٧١} Gauth. L. R. III, p. 106; Porter & Moss I, p. 45. راجع:

^{٣٧٢} Champ. Monuments 114, 121. راجع:

^{٣٧٣} Baedeker's Egypt p. 377. راجع:

^{٣٧٤} L. D. III, p. 184. راجع:

^{٣٧٥} Pierret. Louvre Catalogue Sall. Historique 547. راجع:

^{٣٧٦} L. D., III, 184-6. راجع:

^{٣٧٧} راجع: Petrie History III, p. 38. نذكر منهن على حسب الترتيب: (١٣) «حتحور بنتأنت»، (١٤) «رنبت نفر» (١٥) «مريسنخت» (١٦) ... (راجع Rec. Trav. XVI, 32) (١٧) «موت تويا» (وقد وجد لها قطع من تمثال في معبد أوزير بالعرابة راجع Arundale & Boromi Gallery XXXIX) (١٨) «مري بتاح» (١٩) «بارع رنبت نفر» (راجع Rec. Trav. XVI, p. 32). وغير ذلك من الأسماء التي جاءت من غير ترتيب.

والواقع أنه لا يمكن حصر أسماء أولاد «رعمسيس الثاني» الذكور أو الإناث على وجه التأكيد؛ لأن هذه القوائم التي وصلت إلينا كُتبت في تواريخ مختلفة من حياته، وليس لدينا قائمة كاملة من أواخر حكمه يمكننا أن نعرف منها حقيقة عدد أفراد أسرته.

(٩) الموظفون والحياة الاجتماعية والدينية في عهد «رعمسيس الثاني»

كان عهد «رعمسيس الثاني» الطويل حافلًا بجلائل الأعمال التي تمت في أثناء حكمه، ولا غرابة إذن أن نجده قد استخدم في إنجاز أعماله والقيام بمهام الحكم في مختلف نواحي البلاد عددًا عظيمًا من كبار رجال الدولة الذين امتازوا بمهارتهم، وطول باعهم في مختلف الأعمال، ولسنا مبالغين إذا قررنا هنا أنه استخدم مدة انفراده بالحكم عددًا من الرجال في وظائف الحكومة وفي المعابد أكثر من أي فرعون آخر في التاريخ المصري، وسيرى القارئ أن حياة هؤلاء الموظفين ستكشف لنا عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية والصناعية في كثير من الأمور التي لم يدونها لنا «رعمسيس» على جدران معابده الخاصة ولوحاته التي تركها لنا، إذ سنرى من بين هؤلاء الرجال من سيوضح لنا تاريخ حياته بصور من الحياة المصرية لم نكن نعرف عنها شيئًا مما تركه لنا هذا الفرعون العظيم عن نفسه، أو من اتصل به في نقوشه الخاصة التي ملأ بها بلاد الوادي، وممتلكاته في آسيا.

ومما يؤسف له جد الأسف أن حياة بعض هؤلاء العظماء قد جاءت مبتورة، فإن ما وصل إلينا منها قليل جدًا، ولكن الأمل في ملء الفجوات في تاريخ حياتهم عظيم؛ لأن الكشوف الأثرية التي تظهر في مصر الآن تجيء متلاحقة يجري بعضها وراء بعض كل يوم، وتمدنا بالحقائق الجديدة عن تاريخ أولئك الرجال، كما تكشف لنا عن حياة غيرهم، مما لم نكن نعرف عنهم شيئًا، أو نعرف أسماءهم فحسب.

والذي يلفت النظر في هؤلاء الموظفين أنهم كانوا من أسر معروفة في مصر، وقد انحصرت الوظائف فيهم، وبخاصة أسرة الكاهن الأكبر «وننفر» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «أوزير» «بالعرابة المدفونة»، وأسرة هذا الكاهن قد ابتلع أفرادها، ومن ينتمون إليهم كل وظائف الحكومة تقريبًا في عهد هذا الفرعون، كما سنوضح ذلك بعد، وتدل شواهد الأحوال على أن كثيرًا من هذه الوظائف كان في معظم الأحيان وراثيًا في أفراد الأسرة الواحدة؛ مما يعضد رأي «هردوت» بعض الشيء عندما قال: «إن الوظائف والحرف كانت وراثية في مصر.» يضاف إلى ذلك أنه قد صورت أمامنا على مقابر هؤلاء

الموظفين بعض الظواهر الجديدة، التي لم تألفها في عهد الأسرة الثامنة عشرة، كما اختفت مناظر أخرى مما كنا نشاهدها مصورة قبل عهد الرعامسة؛ ولذلك لم نتردد في شرح مناظر كل مقبرة يبدو فيها شيء جديد كلما سنحت الفرصة، على الرغم مما فيها من تطويل للقارئ المعتاد.

(٩-١) وزراء «رعمسيس الثاني»

(أ) الوزير «باسر»

كان «باسر» من كبار رجال الأسرة التاسعة عشرة الذين عاصروا كلاً من الملك «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني»، وقد ترك لنا آثاراً عدة في طول البلاد وعرضها، وأهمها قبره الذي نحته في صخور «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٠٦).^{٣٧٨} ومن النقوش التي تركها لنا هذا الوزير نعلم أن جده كان يُدعى «تابايا»، وجدته تُدعى «تاتويا»، والديه يسمى «نبنترو» (تري).

وقد بلغ «باسر» أعلى مكانة في وظائف الحكومة، إذ كان رئيساً للوزراء في عهد كل من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وتدل الألقاب التي كان يحملها والده على أنه من أسرة عريقة في خدمة الفراعنة، فقد كان يحمل الألقاب التالية: القاضي، والكاهن الأكبر للإله آمون، والكاهن الأكبر للإله «بتاح»، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري، والأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، ورئيس أسرار المحاكم الست، والكاهن الأول لـ «أمون» في «عين شمس الجنوبية» (أرمنت)، وكذلك كانت أمه «مري رع» تحمل لقب رئيسة نساء «أمون» بالكرنك، ورئيسة نساء «أمون بمنف»، ومغنية «حتحور» سيدة «حتب» (مكان بالقرب من هليوبوليس).

^{٣٧٨} راجع: Champ. Notices Desc. p. 520 ff; L. D. Texte III, 254

ألقاب «باسر» ونعوته

وعلى حسب ما جاء على آثار هذا الوزير كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، ورئيس القضاة، ونائب «نخن» (الكاب)، وكاهن الإلهة «ماعت»، والكاهن والد الإله ومحبوه، وعمدة المدينة والوزير، والفم الذي يهدئ كل الأرض، والمعظم لدى الفرعون، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والكاهن الأول للإله «أمون» في «عين شمس الجنوبية» (أرمنت)، والكاهن الأول للإلهة «وازيت»، والكاهن الأول للإلهة «ورت حقاو»؛ أي العظيمة في فن السحر، وهو لقب يطلق على الإلهة «إزيس» أو الإلهة «بوتو»؛ أي «وازيت»، ورئيس أسرار بيت الإلهة «نيت»، وحاجب الفرعون لصورته المقدسة (؟)، ومهدئ قلب الأرضين، وليكه، وأذنا ملك الوجه القبلي في قصره، ورئيس التشريفاتية العظيم لرب الأرضين، والمشرف على الأعمال في بيت الأبدية (الجبانة)، والأمير الوراثي في بيت «جب»، وعينا الملك في الأرض قاطبة، ومن يدخل في حضرة ملك الوجه البحري، ومن يسر قلب رب الأرضين، والعظيم في بيت الفرعون، ومن يتقدم الأمراء في القصر، ومن يقال له ما في القلب (أي قلب الفرعون)، ومن لا يخفى عليه شيء، ومن يسر أذني «حور» بالعدالة، والذي يخرج من فمه ما يهدئ، ورئيس تشريفاتية رب الأرضين، وقائد أعياد «أمون»، وأول سُمّار القصر، ووزير العدل، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبوه، ومدير أعمال الآثار العظيمة، ومدير المديرين لكل بيوت صناعات الفرعون، وعظيم الحكام العشرة للوجه القبلي، وحاكم «بات» (العدالة) في معبد الإلهة «سخت» (القاضي)، والمشرف على كل الخزانات المالية الملكية، ومن يثبت الحدود، وقائد الشعب، والقاضي الراجح العقل، والمشرف على البيت العظيم، ورئيس الأرض قاطبة، والصادق مثل «تحت»، والمشرف على المحاكم الست العظيمة.^{٢٧٩} ومما يلفت النظر في هذه الألقاب لقب «الكاهن الأول للإله أمون» في «عين شمس الجنوبية» (أي أرمنت)، فقد وجد على قطعة من لوحة محفوظة الآن «بمتحف الفاتيكان»، وعليها النقش التالي: «الأمير الوراثي، والكاهن والد الإله، وعمدة المدينة «باسر» الكاهن الأول لـ «أمون» في «إيون».

والظاهر من ذلك أن الوزير «باسر» كانت له علاقة بعبادة «أمون»، ولكن المقصود هنا كما هو الظاهر هو «أمون» إله «إيون الجنوبية» (أي أرمنت) لا «أمون» إله «الكرنك».

^{٢٧٩} راجع: Weil, Die Viziere pp. 89–92; Rec. Trav. XIV, pp. 172–4.

ويتساءل الأستاذ «ليفير» عما إذا كان لقب الكاهن الأكبر لـ «أمون أرمنت» الذي وضع على غير العادة خلف الاسم يخص الوزير «باسر» حقيقة أم لا، ثم يقول: من الجائز أنه كان يوجد بين الاسم «باسر»، واللقب (الكاهن الأول) لفظة «ابن»، وعلى ذلك تكون العبارة: «باسر بن الكاهن الأول لـ «أمون أرمنت»..» والواقع أن «نبننترو» والد «باسر» كان الكاهن الأول لـ «أمون» في «أرمنت»، وهذا الرأي مقبول جداً، وبخاصة لأنه لا يوجد هذا اللقب على أي أثر من الآثار التي تركها لنا هذا الوزير،^{٢٨٠} ويجب هنا أن لا نخلط بين «باسر» هذا و«باسر» الكاهن الأول للإله «أمون»، الذي سنتكلم عنه في مكانه.

وقبر هذا الوزير في جبانة «شيخ عبد القرنة»، ويحتوي على ردهة عظيمة عارية من النقوش، وفوق مدخل الباب اسم الفرعون «سي تي الأول» ولقبه، ومتن يحتوي على أنشودة للإله «رع» عند شروقه ينشدها المتوفى ووالدته،^{٢٨١} وفي قاعة هذا القبر نرى على الجدار الأيسر من المدخل منظرًا فخماً يمثل الملك «سي تي الأول» في محراب، وأمام هذا المحراب «باسر» يقف مظهرًا السرور، إذ كان يقلده اثنان عقداً أنعم به عليه الفرعون، كما نجد في هذا القبر منظرًا يمثل النحاتين والصياغ، غير أنه مهشم. ولدينا منظر آخر يمثل نجارين يعملون، وصناع معادن وهم منهمكون في أعمالهم، ولكن يلفت النظر هنا صورة مثاليين معروفين في نقوش هذا العصر، وهما؛ الكاتب الأول «أمون وحسو»، فيرى وهو يلون وجه تمثال، في حين نشاهد المثال الآخر المسمى «حوي» يحضر التاج المزدوج، ويضعه على رأس «بولهول» الذي يمثل هنا الملك «سي تي الأول»، وهذا المنظر نصادفه كثيراً في هذا العهد عندما تُصنع عدة تماثيل عادية وتماثيل «بولهول»؛ إذ تعمل التيجان على حدة، ثم تثبت بالدر والجر، وهذان المثالان «أمون وحسو»، و«حوي» معروفان لنا من آثار أخرى.^{٢٨٢}

ومن المناظر الطريفة في هذه القاعة صورة إلهة تتقمص شجرة — وتكون عادة الإلهة «حتحور» أو الإلهة «نوت» — وتبرز من قلب الشجرة لتقدم الشراب للمتوفى وزوجه، (والشجرة شجرة الجميز).

^{٢٨٠} راجع: Lefebvre, Histoire des Grands Pretres pp. 136-137.

^{٢٨١} راجع: Dumichen. Hist. Insch. II, pl XLIII.

^{٢٨٢} L. D. pl. 132 r.

كما يوجد منظر يمثل الإله «آتوم» في سفينة الشمس، ومعه «سيتي الأول» يقدم قرباناً، وأمام هذه السفينة نشاهد أرواح بلدة «پ»، (أو «بوتو») وبلدة «نخن» (الملوك الغابرين)، وتستند القاعة على سبعة عمد نُقش على جوانبها صلوات للإله، وألقاب «باسر»، وألقاب «أوزير».

ونشاهد المتوفى كذلك يتعبد للإله «منتو»، ويقدم المديح للإله «سيتي». ومن أهم ما يلفت النظر في هذا القبر الصورة التي تمثل المتوفى يتعبد للملك «أمنحتب الأول»، وأمه الملكة «أحمس نفرتاري»، مقدماً البخور لهما، وقد رُسم باللون الأسود علامة على أنهما قد تُوفيا، وأصبحا مثل «أوزير». وعلى نقوش العمود السابع نشاهد المتوفى يتعبد للملك «سيتي الأول»، وقد كان مؤلهاً مدة حياته أيضاً — كما ذكرنا آنفاً. وعلى العمود الأول نقرأ أنشودة للملك «رعمسيس الثاني»، أما القاعة الداخلية في هذا القبر فنرى على جدرانها رسم نقل تمثال في محراب، غير أن المنظر هُشم تماماً.^{٢٨٢}

ويوجد للوزير «باسر» آثار عدة في مختلف جهات القطر أهمهما ما يأتي:

(١) المقصورة التي نحتها في الباب الشمالي لمقصورة «حور محب» العظيمة المنحوتة في صخور السلسلة، ويشاهد على عتب هذه المقصورة منظر مزدوج مثل فيه أولاً «باسر» يتعبد للإلهة: «بتاح»، و«تحوت»، و«ماعت»، وثانياً أمام «أمون رع»، و«منتو»، و«رع»، والإلهة «نيت»، وقد نقش على عارضتي الباب متون قربان في أسفلها صورة «باسر»، وعلى جدران المقصورة نفسها نُقشت أناشيد ثلاثة للإله «رع»، وفي أسفلها صورة «باسر». ^{٢٨٤} وفي صخور السلسلة نقش «باسر» لوحة يشاهد فيها يتعبد لطغراءين محيت نقوشهما، وكذلك نجد ثلاثة أسطر خلف «باسر»، ولكن دون أن يمس اسمه ولقبه بسوء، والظاهر أن المقصود بالأذى في هذه الحالة كان الفرعون، غير أننا لا نعرف من هو الملك هنا، هل هو «سيتي الأول» أو «رعمسيس الثاني»؛ لأن هذا الوزير قد عاصر كلاً منهما، هذا إلى أننا لا نعرف السبب في كلتا الحالتين سواء أكان «سيتي» أم «رعمسيس» ابنه هو المقصود. ^{٢٨٥}

^{٢٨٢} راجع: Champ. Notices Desc. II, pp. 520–26 & Schiaparelli Funerari. p. 298 (XXV) b

^{٢٨٤} راجع: Champ. Notices Desc. II, p. 544; Porter & Moss V, p. 210

^{٢٨٥} De Morgan. Cat. Mon. I, 97, 173

وفي «متحف بوستون» «بنويويورك» جزء من لوحة من الحجر الجيري الأبيض، وقد مثل عليه منظر يظهر فيه «باسر» يتبعه شخص آخر واقف خلف الفرعون «رعمسيس الثاني» الذي نشاهد الإلهة «حتحور» واقفة خلفه تحميه، ويحمل «باسر» في هذه اللوحة الألقاب التالية: «حامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، والوزير «باسر» المرحوم، ورئيس العمال في ...» ولا شك في أن «باسر» هذا هو «باسر» الذي نحن بصدد الكلام عنه، وعليه يمكن أن نضيف هذا الأثر الذي نحن بصده إلى آثاره الأخرى. وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نشير إلى وجود اسم «باسر» بين الوزراء وحكام بلاد النوبة في الدولة الحديثة، والواقع أن «فيل» قد دوّن في كتابه عن وزراء مصر وزيرين بهذا الاسم؛ الأول: في عهد الملك «آي»، والثاني: في عهد «رعمسيس الثاني» الذي نحن بصده الآن، وقد دون كذلك «ريزنر» عند كلامه على حكام بلاد النوبة نائبين لبلاد «كوش» بهذا الاسم؛ الأول: كان في عهد الملك «آي»، أو «حور محب»، والثاني: في عهد «رعمسيس الثاني».

ومن الواضح أن الوزير «باسر الأول»، ونائب الملك «باسر الأول» موحدان، وقد استقى كل من «ريزنر» و«فيل» حجته من مصدر واحد، وهو نقوش جبل الشمس؛^{٢٨٦} إذ إن كل الألقاب التي دونها كل منهما توجد هناك، غير أن «فيل» قد حذف لقب المشرف على كل الأراضي الأجنبية (أو الجبلية للإله «آمون»)، كما حذف «ريزنر» لقب «وزير العدل»، ولكن من جهة أخرى يجب أن نفهم هنا أن الوزير «باسر الثاني» ليس هو بعينه «باسر الثاني» نائب الملك في «كوش»؛ وذلك لأن الأول هو ابن «نبترو» على حين أن والد الآخر هو «منموسي».^{٢٨٧}

وقد دل البحث الذي قام به الأستاذ «أنتس»^{٢٨٨} على أن الوزير «باسر» كان يحمل لقب «الكاهن الأكبر للإله آمون» في «أرمنت»، كما كان يحمل لقب الكاهن «سم»، وأعظم الرائين في «طيبة»، والكاهن الأول للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وأنه ورث هذه الوظائف عن والده «نبترو»، وأن هذه الألقاب قد وجد بعضها في نقوش قبره، وعلى آثاره الأخرى،

^{٢٨٦} راجع: L. D. III, 114, e, f, h. Corrected in L. D. Texte V, 179-180.

^{٢٨٧} راجع: J. E. A. Vol. XXI, p. 147-148.

^{٢٨٨} A. Z., 67, pp. 2 ff.

هذا فضلاً عن أن بعض الوزراء السابقين كان يحمل هذه الألقاب مع بعض اختلافات بسيطة.

ومن الألقاب الهامة التي لم تذكر بعد في ألقاب هذا الوزير لقب «المشرف على كهنة كل الآلهة» في الوجهين القبلي والبحري، وهذا اللقب نعرفه في صورته المختصرة: المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري، وكان يحمله والد «باسر»؛ وقد ظن البعض أن هذه الوظيفة كان يشغلها الكهنة وغير الكهنة، وأنها وظيفة خاصة بإدارة الأطيان، وأن حاملها يعد بمثابة وزير الأوقاف الدينية، غير أن البحوث دلت على أن هذه الوظيفة في أصلها كانت ذات علاقة وثيقة بوظيفة الكاهن الأكبر للإله «آمون» في الكرنك، وقد بقيت في أيديهم ولم تخرج منها إلا في حالة خاصة حتى عهد «أمنحتب الثالث»؛ إذ نجد مثلاً أن «رع موسى» وزير هذا الفرعون كان لا يحمل غير لقب وزير وحسب، ولم تعد وظيفة «الكاهن الأكبر» لكهنة «آمون» (أي وزير الأوقاف) بعد إلى «طيبة» في «الكرنك»، بل نجدها حتى عهد «سيتي الأول»، كان يحملها الكاهن الأكبر لـ «آمون» في «أرمنت» مدة جيلين، ولما تولى «باسر» الوزارة كان يحمل هذا اللقب، وقد خلعه على خلفه الوزير «نفر رنبت»، وفي نهاية حكم «رعمسيس الثاني» عادت هذه الوظيفة إلى «الكرنك»، وكان أول من حملها «رومع روي» الذي ظل يشغلها حتى عهد «سيتي الثاني»، وقد بقيت هناك حتى النصف الثاني من الأسرة العشرين،^{٣٨٩} وقد حدثتنا الآثار عن ارتباط رئيس كهنة آمون بإدارة الأراضي الخاصة بالمعابد منذ الارتباك الذي حدث من جراء تولي الملك بعد عهد «تحتمس الأول»، وقد بقي كذلك حتى شعر «أمنحتب الثالث» بخطر الكهنة على أملاك الدولة، فقام لمحاربة رؤساء كهنة «آمون»، واستمر النضال منذ عهد «تحتمس الرابع»، وبلغ أشده في عهد «إخناتون» الذي قضى على الطائفة كلها، وقد بقيت الحال على ذلك حتى أوائل الأسرة التاسعة عشرة عندما بدأ رد الفعل يظهر، وأصبح رئيس الكهنة يحمل لقب وزير الأوقاف ثانية، وقد استمرت هذه الوظيفة في أيديهم حتى أواخر العهد الفرعوني، اللهم إلا فترة قصيرة جاءت في عهد «رعمسيس الثالث».

^{٣٨٩} راجع: A. Z., Ibid. p. 8.

(ب) الوزير «نفر رنبت»

لم يُعثَر على قبر هذا الوزير حتى الآن، غير أنه ترك لنا بعض آثار قليلة نقش عليها اسمه، وأسماء أفراد أسرته، والظاهر أن والده كان من الطبقة الوسطى، فكان يحمل لقب القاضي أو الوجيه (ساب)، وكان يسمى كذلك «نفر رنبت». أما والدته فكانت تحمل اللقب العادي الذي كانت تلتقب به كل سيدات الطبقة الوسطى، وهو «ربة البيت»، واسمها «كافيراياتي»، وكانت زوجه تُدعى «بييو»، وقد رُزقت منه غلامين وأربع بنات. أما هو فكان يحمل الألقاب العادية التي كان يحملها الوزير في هذا العهد، وغيرها من الألقاب العالية، والنعوت السامية، وهي:

الأمير الوراثي، رئيس الأرضين، والكاهن الأكبر للإله «بتاح»، والكاهن «سم»، والكاهن والد الإله ومحبوبه، ورئيس القضاة، ورئيس أسرار السماء والأرض والعالم السفلي، ونائب «نخن»، وكاهن الإلهة «ماعت» (العدالة)، ومدير كل الفراء (ملابس الكهانة)، والمشرف على كل كهنة الآلهة في الوجهين القبلي والبحري، والمدير العظيم لكل عمال الإله «بتاح» — أي الكاهن الأعظم للإله «بتاح»، والحاكم — وحامل المروحة على يمين الفرعون، ورئيس أسرار بيت «جب»، وكاهن أول أهل الغرب (أوزير)، وعمدة المدينة، والوزير «نفر رنبت». ٢٩٠

ومن الآثار التي خلفها لنا هذا الوزير النقش الذي دونه على بوابة معبد «أرمنت» في الجهة الشرقية من الباب، وهذا النقش من الأهمية بمكان؛ لأنه يحدد لنا الفترة التي كان يتولى فيها رئاسة الوزارة في عهد هذا الفرعون، كما يحدثنا عن بعض الأفعال بالأعياد الثلاثينية في هذا البلد المقدس، وقد تكلمنا عن هذه الأعياد الثلاثينية عند التحدث عن أعياد «رعمسيس الثاني». وفي المقصورة العظيمة التي حفرها «حور محب» في صخور السلسلة نجد منظرًا على الجدران الخارجية نقشه «رعمسيس الثاني»، ونرى فيه الوزير «نفر رنبت» يتبع سيده الذي كان يقدم صورة العدالة للإله «بتاح» في محراب صغير، وكذلك للإله «سبك». ٢٩١

٢٩٠ راجع: Weil, Die Viziere des Pharaonen pp. 94-5.

٢٩١ راجع: Rosellini, Mon. d. Culto XXXII (4).

وفي «الكاب» وُجد له قطعة من الحجر مبنية في أساس المعبد داخل السور العظيم، وقد جاء عليها النص التالي:

«وسر ماعت رع ستبن رع»، ابن الشمس محبوب «أمون» «رعمسيس الثاني»،
معطي الحياة أمر جلالته عمدة المدينة الوزير «نفر رنبت» ...

والظاهر من هذا النقش أن الفرعون قد كلف هذا الوزير إما بإقامة مبنى في هذه الجهة، أو الاحتفال بأحد الأعياد الثلاثينية.^{٣٩٢}
ومما جاء في نقوش الأعياد الثلاثينية التي وجدت في «أرمنت» نعرف أن هذا الوزير كان من الوزراء الذين عاصروا «رعمسيس» في آخر حياته.

(ج) الوزير «رع حتب»

كان الوزير «رع حتب» من وزراء الفرعون «رعمسيس الثاني» الذين لهم شهرة واسعة، ويدل ما لدينا من الآثار، وبخاصة لوحته المحفوظة في متحف «ميونخ»،^{٣٩٣} ولوحة أخرى عثر عليها في «العرابة»^{٣٩٤} على أن مقر وظيفته كان في شرقي الدلتا في عاصمة «رعمسيس» الجديدة المسماة «بررعمسيس»، ولكن من جهة أخرى وجدت له لوحة أخرى قيل إنها من «منف»، ومنها نستنبط أن مقر وظيفته كان في الأصل في هذه العاصمة القديمة، ثم انتقل فيما بعد إلى العاصمة الجديدة.

ولقد ظل قبر هذا الوزير مجهولاً إلى أن كشف عنه الأثريان «بيري»، و«برانتن» في بلدة «سدمنت» الواقعة عند مدخل مدينة «الفيوم»،^{٣٩٥} وقد بقي من هذا القبر حتى الآن بئران، وعدد عظيم من الحجرات شكلها غير منتظم،^{٣٩٦} أما البناء الذي كان مقاماً فوق حجر الدفن هذه فلم يبقَ منه شيء قط، وقد حفرت حجر الدفن إلى عمق يبلغ نحو خمسة أمتار ونصف متر تحت الأرض. وفي حجرة دفن هذا الوزير تابوتان متجاوران، أحدهما

^{٣٩٢} راجع: A. S., IX, p. 108.

^{٣٩٣} راجع: A. Z., 70 pp. 47 ff.

^{٣٩٤} راجع: Mariette Abydos No. 1138.

^{٣٩٥} راجع: Sedment II, 28 Tomb B, 201.

^{٣٩٦} راجع: Ibid. pl. 84.

للوزير «رع حتب» نفسه، والثاني للوزير «بارع حتب»، والظاهر كما يقول الأستاذ «شارف» أن مقرّ وظيفته كانت بلدة تسمى «بررعمسيس» غير العاصمة؛ وذلك لأن اسم «رعمسيس» في تركيب اسم هذه البلدة لم يكن محاطاً بطغراء، بل كان محاطاً برسم يعبر دائماً عن الحصن، وإن كان ذلك ليس ببرهان مقنع. وما وجدناه من نقوش يمكننا من إثبات الصلة التي بين الوزيرين بوضوح، فقد وجدنا على لوحة العرابة رقم ١١٣٨ أن أحد إخوة «رع حتب» كان يُدعى «بارع حتب»، غير أنه كان لا يحمل لقب وزير، ومن جهة أخرى نجد أن «بارع حتب» قد أقام لنفسه لوحة في العرابة (رقم ١١٦٠)، وقد ظهر فيها أمام «رع حتب» بوصفه متوفى، هذا إلى أننا نجد كلا الرجلين قد ذُكر اسمه على تمثال صغير عثر عليه «بثري» في «العرابة».^{٣٩٧} وهنا نجد أن «بارع حتب» كان قد أصبح إلهًا؛ أي توفي، أما «رع حتب» فلم يكن يحمل — على الأقل في النقوش الباقية على التمثال بعد — لقب وزير، وكان لا يزال يعمل في «منف» كما يدل على ذلك وجود اسم «بتاح» إله هذه البلدة في كثير من النقوش الخاصة به، ويجب أن ننوّه هنا بأن الأثري «لجران» لم يميز بين الرجلين، بل وحدهما في بحثه في نقوش هذه الأسرة، وتسلسل النسب فيها.^{٣٩٨} ومن أهم الآثار التي عُثر عليها باسم هذا الوزير لوحة محفوظة الآن في متحف «ميونخ»؛ إذ تكشف لنا عن صفحة شيقة في التقاليد الدينية، وبخاصة عبادة «رعمسيس الثاني» لنفسه، وعبادة الشعب له وهو لا يزال على قيد الحياة.

وجزاء هذه اللوحة الأعلى مستدير، وينقسم سطحها قسمين متساويين تقريباً، ففي القسم الأعلى نشاهد فرعوناً يتقدم وهو يطلق البخور، ويصب الماء نحو تمثال ملك أمامه مائدة قربان حافلة بألوان الطعام، ويشاهد خلف هذا التمثال أربع أذان ضخمة، وفي القسم الأسفل من اللوحة نشاهد مهدي اللوحة مرتدياً لباس الوزارة الرسمي، ورأسه عارٍ كما جرت العادة في عهد الدولة الحديثة، ويحمل هذا الوزير في يده اليسرى مروحة ومنديلاً، وينشد تضرعاً مؤلفاً من خمسة أسطر، وهو متجه نحو التمثال الموجود في القسم الأعلى من اللوحة، ومما يؤسف له أن أواخر الأسطر من هذا التضرع قد هُشمت تهشيمًا تاماً، ومع ذلك يمكننا أن نصل إلى فهم كنه محتويات هذا التضرع بوجه عام، وهما ما تبقى: «الصلاة لروحك (أي تمثال الملك «رعمسيس») الإله الأكبر الذي يسمع ...

^{٣٩٧} راجع: Petrie, Abydos II, 45, pl. 37.

^{٣٩٨} راجع: Rec. Trav. 32, p. 35 ff.

(أو الذي يرفع التضرع) الرجال، ليته يعطي الحياة والفلاح والصحة والفتنة والمديح و... إلى الأمير الوراثي، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، الوزير «رع حتب»... في «بررعمسيس» محبوب «أمون».

ونجد منقوشاً على التمثال الذي في القسم الأعلى ما يأتي: «رعمسيس» حاكم الحكام، والإله الأكبر، وسيد السماء مخلدًا. وقد ظهر في الصورة في الجزء الأعلى ملك يخطو إلى الأمام، وفي الجهة الأخرى مائدة القربان، ونشاهد الفرعون «رعمسيس الثاني» لابسًا قبعة الحرب وهو يقدم البخور، ويصب الماء لتمثاله، وقد نقش فوق صورته اسمه ولقبه، وعلى يمينه قرص الشمس يتدلى منه صلآن، وكذلك النقش التالي: «بحدتي الإله الأكبر». والواقع أن ما جاء على هذه اللوحة برهان على عبادة «رعمسيس الثاني» لنفسه بوصفه إلهًا في مدة حياته، والحث على هذه العبادة في صورة تمثاله كالتماثيل التي كانت تُنحت للآلهة.

وبهذه المناسبة نضع أمام القارئ بعض الأمثلة عن صور التضرع للملك المؤله دون أن ندخل في تفاصيل موضوع عبادة الملك «رعمسيس» بوصفه إلهًا، وهو في الواقع موضوع لا يزال يحتاج إلى إيضاحات كبيرة، ومن المدهش أن الأستاذ «موريه» في كتابه عن الملوك والآلهة لم يشر إلى هذا الموضوع إشارة صريحة.

(١) ففي معابد بلاد النوبة يظهر أمامنا «رعمسيس الثاني» نفسه مؤلهًا، وهو في كل حالة منها تكون صورته ممثلة كأبي إله آخر، غير أنه لم يظهر قط وهو مؤله في صورة تمثال، بل في صورة إله. فمثلاً: في معبد «بو سمبل» نراه في هيئة إله برأس صقر، أي إنه في هذه الحالة يمثل إله الشمس، ويُسمى «رعمسيس الإله الأكبر»،^{٣٩٩} وكذلك يظهر في صورة إنسان، ولكن على رأسه قرص الشمس، ويسمى «رعمسيس الإله الأكبر رب السماء»، وفي معبد «أكشه» ببلاد النوبة مثل في صورة إنسان، ولكن النقوش التي تتبعه تقول عنه: «وسر ماعت رع ستبن رع الإله الأعظم رب النوبة». أي إنه في كل هذه الحالات كان يعد إلهًا خاصًا لبلاد النوبة، وعلى ذلك نفهم من كل الأمثلة التي ضربناها أنها تتناول العلاقة التي كانت بين «رعمسيس الثاني» الملك، وبين صورته الخاصة بوصفه إلهًا.

^{٣٩٩} راجع: L. D. III, 191 ff.

راجع: L. D. III, 189 e.

^{٤٠٠} راجع: L. D. III, 191 n.

(٢) والواقع أن الصور التي على لوحة «رع حتب» تقرب من الصور التي ذكرناها؛ لأننا نشاهد هذا الوزير في هذه اللوحة يتعبد لـ «رعمسيس» كما يتعبد أي موظف لأي إله، وكما يتعبد كذلك لروح الملك «كا»؛ غير أن الروح كان لا يرسم قط، بل يستدل عليه من النقوش التي كانت تدون خلف الآلهة، مثال ذلك ما نجده في نقوش «السلسلة» في تعبيرات صيغ القربان فيقال مثلاً: «قربان يقدمه الملك والإله «حور اختي» إلخ، والنيل والد الآلهة، وروح الملك «مرنبتاح» حتى يمكنهم أن يعطوا إلخ لفلان.»^{٤٠١} وكذلك نجد بالعكس أن الآلهة كان يتضرع إليهم ليهبوا إلى روح الملك الحياة.^{٤٠٢} وفي مثل هذه الحالة قد يخالغ الإنسان الشك فيما إذا كان روح الملك هنا يمثل بكل بساطة الملك العائش، أو أن الآلهة قد وهبوا الملك المؤله — في صورة روح ملكي — الحياة الأبدية، ولكن لدينا نقش في «السلسلة» يقرب من النقش الذي على لوحة «رع حتب»، وهو على الجدار الخارجي لمقصورة «حور محب»؛ إذ نرى في هذا المنظر وزيراً يصلي لروح الإله «بتاح»، ولروح الملك «رعمسيس الثاني»، ويرى هنا الملك «رعمسيس الثاني» واقفاً بين الوزير المتضرع والإله «بتاح»، ولكن هذا الإله الذي يصلي له الوزير قد ولّاه ظهره، وقد عُرف الملك هنا بأنه: «الإله الطيب ابن الإله «بتاح» «رعمسيس الثاني»، وبذلك لم يكن يقوم بدور إله أو بدور الروح الملكي. والتفسير المعقول لهذا المنظر هو أن الوزير كان يوجه تضرعه بوساطة الروح الملكية إلى الإله «بتاح»، وبهذه الكيفية يصبح هذا التضرع له قيمته عندما ينقل الملك الحي للإله تضرع وزيره.

وعلى ذلك نعلم من هذه المجموعة أن تمثال الملك المؤله كان يلعب دوراً بجوار الملك الحي. ولدينا تمثال آخر يمكن الإدلاء به غير لوحة الوزير «رع حتب»، وهو لوحة عثر عليها في «هربيط»، وهي في نقوشها وتوزيع أشكالها تشبه لوحتنا، وصاحبها يُدعى «موسى».^{٤٠٣}

ومن ثم يمكننا أن نقرر هنا أن الصلاة التي على لوحة «رع حتب» كانت موجهة للروح «كا»، وللتمثال الملكي معاً؛ أي إن الروح يتقمص أو يسكن الملك المؤله. ولما كانت الصلاة التي على نقوش مقصورة «السلسلة» يوجهها الوزير للفرعون لأجل أن يوصلها

^{٤٠١} L. D. III, 200 a راجع:

^{٤٠٢} Ibid. 200. c راجع:

^{٤٠٣} A. Z., 61, pp. 62-3 راجع:

«بتاح» بدوره؛ صار من المسلّم به إذن أن الملك يقوم بالصلاة التي على اللوحة التي نحن بصددنا للإله «بتاح» بوصفه المحامي عن الوزير المتضرع، مطلقاً البخور لتمثال روحه هو «الملك»، ومن الجائز أن الآذان الأربع التي نشاهدها خلف التمثال؛ اثنتان منها للملك، واثنتان لتمثال الروح. وعلى أية حال فإن الأذن كان لها هنا نصيب في رفع هذا التضرع للإله، على أنه يمكن تفسير وقوف الملك أمام تمثال روحه بصورة أخرى؛ إذ قد يكون ما يتطلبه الوزير بتضرعاته فائدة مادية، أو حظوة خاصة، كما نشاهد ذلك فعلاً على لوحة «موسى» الأنفة الذكر. وعلى ذلك يمكن للإنسان أن يفهم أن رفع التضرع كان ينفذ بواسطة تمثال الروح المؤله، وأن الملك كان يشترك في إجابة تضرع الوزير، ولذلك نجد أن تمثال الروح، وصورة الملك قد رُسمَا في القسم الأعلى من اللوحة كما شرحنا، وإذا نظرنا بعين فاحصة وجدنا أن تقسيم اللوحة بهذه الكيفية قسمين له مدلوله المنطقي المتناسق، ففي القسم الأسفل من اللوحة من جهة اليمين نجد الوزير راکعاً يقرأ التضرع لأذني تمثال الروح، وفي أعلى اللوحة نشاهد صورة الملك الحي يحقق رجاء الوزير، كما نشاهد مثل هذا على لوحة «موسى».

ولدينا لهذا الوزير آثار أخرى وقفنا منها على ألقابه كلها، وأسماء أسرته.^{٤٠٤} وفي المتحف المصري نجد له لوحة عدّد في نقوشها كل الألقاب والنعوت التي كان يتحلّى بها،^{٤٠٥} وقد ظهر في الجزء الأعلى من هذه اللوحة بملابس الوزير، وفي إحدى يديه مروحة، أما الأخرى فقد رفعها تضرعاً للإله «بتاح» الذي كان يقف أمامه، وخلف «بتاح» نشاهد الإله «ست» واقفاً، وهاك ألقابه كما جاءت على هذه اللوحة:

الحاكم الوراثي، قائد العظماء، والوزير «رع حتب» المرحوم يقول: «إني وزير القطرين، وباب قصر الفرعون، والكاهن الأول، والمشرف على الكهنة، ومدير كل فراء (لقب كهنوتي)، وأعظم الرائيين، والرئيس الأعظم للصناع، والكاهن «سم» للإله «بتاح»، ومدير عيد من يسكن جنوبي جداره «بتاح»، والكاهن الأكبر للإلهة «وازيت»، ورئيس التشريعات الأعظم لرب الأرضين، ومدير الأعمال، ومدير الحرف، والمشرف على قوانين الإله الطيب (الملك) في ساحة العدالة، وفم

^{٤٠٤} راجع: Weil, Die Viziere p. 96 ff.

^{٤٠٥} راجع: Brugsch Thesaurus V, 950-1.

الملك وحاجب ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ومن يسر جلالته في قصره الفاخر، ومن يرفع سبيل العدالة لجلالته، والمقدم أمام كل الرجال، وحاسب كل جزية في الأرض قاطبة (أي المشرف على خزائن مصر) وعمدة المدينة، والوزير «رع حتب».

ونجد كذلك على هذا التمثال وغيره من الآثار التي تركها لنا الألقاب التالية:

رئيس الأرضين، وصندوق العدالة، وأعظم رجال المجلس الثلاثيني العظيم، ورئيس أسرار بيت الفرعون، ورئيس الأرض كلها، ووزير الشعب (أهل الوجه البحري)، ووزير أهل الشمس (الإنسانية)، ورئيس النحت لبيت «بتاح»، ومن يسر قلب «حور» في الأفق أبدياً، والكاهن الأول للإله «رع»، ورئيس الفرعون لبلاد «خيتا»،^{٤٠٦} وكاهن «أمون» ملك الآلهة، ورئيس أسرار بيت «رع»، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، ومن يحمل ميزان الأرضين، وفم الفرعون في كل أرض أجنبية، ومدير أعمال الفرعون للوجهين القبلي والبحري، والمدير لكفتي الأرضين، وباب نوت (السماء)، ومدير الأقاليم والمدن إلخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن «رع حتب» هذا هو نفس الرجل الذي يوجد تمثاله في «نورود سري» بإنجلترا، وقد مثل جالساً على كرسيه، ويحمل طغراء «رعمسيس الثاني»، وهو من أسرة عريقة في المجد، وهاك أفراد أسرته وألقابهم:^{٤٠٧}

- (١) والده يُدعى «باحم نتر»، ويلقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح».
- (٢) والدته تسمى «خعي نسوت»، وتلقب رئيسة نساء الإله «أنحور».
- (٣) وأخته تسمى «حنورا»، وتلقب رئيسة نساء الإله «حرشفي».
- (٤) وأخوه يسمى «منمسو»، ويحمل لقب الكاهن الأول للإله «أمون».

ويدل لقب رسول الفرعون لبلاد «خيتا» على أنه كان وزير الفرعون في السنة الحادية والعشرين من حكم «رعمسيس الثاني».

^{٤٠٦} Rénouf. P. S. B. A., XIV, p. 163. راجع:

^{٤٠٧} Ibid. 163. راجع:

(د) الوزير «با-رع حتب»

كان «با رع حتب» من أسرة عريقة في النسب، فقد كان والده «حورا» يلقب الوجيه، والكاهن الأول للإله «أنحور»، وكاهن الإلهة «ماعت»، كما كانت والدته «معاني» تحمل لقب مغنية الإله «أوزير»، ونعلم من الآثار التي خلفها لنا هذا الوزير أنه كان يدير زمام الأمور في البلاد بوصفه وزير القطرين في منتصف حكم «رعمسيس الثاني»، ولدينا لوحة مؤرخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون، وقد ذكر عليها سلسلة نسب هذا الوزير، وألقابه هي:

عمدة المدينة، والوزير، والأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري،
والسمير الأكبر، والوجيه، والرئيس عند الفرعون، ووزير الوجه القبلي والوجه
البحري.^{٤٠٨}

وقد عثر على قبر هذا الوزير، وهو القبر الذي دُفن فيه أخوه «رع حتب» في «سد منت»، غير أن صلة النسب بينهما ليست معروفة تمامًا، إذ إن كلاً منهما من أب مختلف على حسب ما نعلم حتى الآن.^{٤٠٩}
ولم يعثر في قبره إلا على بضع قطع من تابوته، وبضع قطع من أواني الأحشاء، كما وجدت له لوحة من البازلت، وقاعدتا تمثالين، وبعض نقوش. راجع كذلك ما كتبه لجران عن هذا الوزير،^{٤١٠} حيث تجد تضارباً في المصادر والآراء.

(هـ) الوزير «خعي»

يدل ما لدينا من نقوش على أن الوزير «خعي» كان يقوم بأعباء الوزارة في عهد «رعمسيس الثاني» منذ السنة الثلاثين حتى حوالي السنة الثانية والأربعين من حكم هذا الملك تقريباً كما يقول الأثري «لجران».^{٤١١}

^{٤٠٨} راجع: Weil Die Viziere pp. 99–101

^{٤٠٩} راجع: Petrie & Brunton Sedment pp. 28–31, Plan id, ib. pl. XXXIV, Upper Left

^{٤١٠} راجع: Rec. Trav. XXX II, p. 36

^{٤١١} راجع: Legrain Stat. II, pp. 32, 33, pl. XXIX

وقد عثر على قبره في معبد صغير للفرعون «رعمسيس الثالث» الواقع في الجنوب الغربي من معبد الوادي للملكة «حتشبسوت»، غير أنه لم يبقَ منه سوى نتف صغيرة تدل على اسم صاحبه.^{٤١٢}

هذا ولدينا لوحة له ذكر عليها الأعياد الثلاثينية الأربعة الأولى للفرعون «رعمسيس الثاني»، وقد تكلمنا عنها عند الكلام على أعياد هذا الفرعون، وقد ظهر على هذه اللوحة الملك يقدم الإلهة «ماعت» للإلهة «أمون رع»، و«حور اختي»، و«ماعت»، و«بتاح تنن»، و«سبك»، وأسفل هذا المنظر نشاهد «خعي» راكعًا، وقد نقشت معه الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والحاكم، ووالد الإله ومحبو به، ونائب «نخن»، وكاهن العدالة، ورئيس القضاة، وعمدة المدينة، والوزير.^{٤١٣}

وكذلك لدينا لوحة مؤرّخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون دُون عليها العيد الثلاثيني لهذه السنة، وقد جاء فيها ذكر «خعي»، وقد نقشت كذلك على مقصورة «حور محب» العظيمة «بالسلسلة».^{٤١٤}

وتوجد لوحة أخرى نقشت في نفس المقصورة صور عليها «رعمسيس الثاني» تتبعه الإلهة «ماعت»، ويقدم صورة العدالة للإله «أمون رع»، والإلهة «موت»، والإله «خنسو»، والإله «حور اختي»، والإله «سبك رع»، وقد أُرّخت بالسنة الرابعة والأربعين، ويحتمل السنة الخامسة والأربعين أو السادسة والأربعين، وهذا التاريخ — إذا صح — يناقض قول الأثري «لجران»، وقد ذكر عليها العيد الثلاثيني السادس، وبذلك يكون «خعي» قد بقي في الوزارة حتى هذا التاريخ الأخير.^{٤١٥}

ومن بين التماثيل التي عثر عليها «لجران» في خبيئة «الكرنك» تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الوزير، وقد نقش عليه غير الألقاب التي ذكرناها الألقاب التالية: الكاهن الأول لابن «رع»، ومدير البيت، وحاجب الفرعون، ووزير الوجه القبلي والوجه البحري، والحاذق في كل عمل.^{٤١٦}

^{٤١٢} راجع: Northampton, Spiegelberg & Newberry Theban Necropolis p. 39 fig. 31 pl. XVII.

^{٤١٣} راجع: Brugsch Thesaurus p. 1128.

^{٤١٤} راجع: Rec. Trav. XXVI, p. 219 Note 3.

^{٤١٥} راجع: Brugsch Thesaurus 1128.

^{٤١٦} راجع: Legrain Stat. pl. XXIX.

وكذلك عثر له على تمثال صغير من المرمر، ذكر عليه غير الألقاب السالفة لقب «رئيس أسرار بيت الفرعون». ^{٤١٧}

ووجدت قطعة من تمثال هذا الوزير عليها ألقاب جديدة غير ما ذكرنا، وهي:

«مدير عيد آمون»، وكاتب الفرعون، والمدير العظيم للبيت. هذا وله ألقاب أخرى عادية مثل: حامل المروحة على يمين الفرعون. ^{٤١٨}

وفي «قنتير» عثر على عتب باب ظهر عليه «خعي» يتعبد لظغراء «رعمسيس الثاني». ^{٤١٩}

(٢-٩) الكهنة في عهد «رعمسيس الثاني»

(أ) كهنة آمون

يدل ما لدينا من وثائق على أن كهنة «آمون» أخذ نفوذهم يزداد قوة، وسلطانهم رفعة أكثر مما كانوا عليه قبل عهد الإصلاح الديني الذي قام به «إخناتون»، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما أظهره الفرعون «حور محب» من غيرة وحماس لإعادة مجد الإله «آمون»، وما كان لكهنوته من نفوذ ومقام كريم بين أفراد الشعب المصري، والإمبراطورية المصرية جمعاء، وبخاصة الكاهن الأول للإله «آمون» الذي كان يعد المدير لشئون هذا الإله الدينية والدينيوية معاً. وإذا علمنا أن تنصيب هذا الكاهن العظيم كان لا يتأتى حينئذ إلا بوحى الإله نفسه، وأن الفرعون كان المنفذ لما يوحي به الإله «آمون» الذي كان يعده الفرعون — الآخذ بيده، والمناصر له في مواطنه كلها، وبخاصة في ساحة القتال — عرفنا مقدار ما كان لهذا الكاهن، وطاقته من سلطان، وجاه في أنحاء البلاد، وبخاصة في «طيبة»، مقر الملك الديني، يضاف إلى ذلك أن أملاك «آمون» كانت شاسعة، وتكاد تكون مستقلة عن أملاك الدولة لدرجة أنها كانت تعد شبه مملكة صغيرة داخل مملكة كبيرة، غير أن شواهد الأحوال تشعر بأن الفرعون كان — في الواقع — يشرف على تعيين الكهنة، كما كان يشترك في إدارة أملاك «آمون» بصفة غير مباشرة إلى حد ما.

^{٤١٧} راجع: Legrain Ibid. pl. XXX.

^{٤١٨} راجع: Weil Die Viziere p. 102.

^{٤١٩} راجع: G. W. Catalogue No. 157.

نب وونف الكاهن الأكبر للإله آمون

شاعت الصدف المحضة أن تضع بين أيدينا وثيقة عن تنصيب أول كاهن أعظم للإله «آمون» في عهد الفرعون «رعمسيس الثاني»، وتعد فريدة في بابها، بل نسيج وحدها في ذلك العهد، إذ تكشف لنا النقاب عن الخطوات التي كانت تتخذ لملء هذه الوظيفة الخطيرة الشأن، وما كان لها من هيبة وجلال، وقد عثر عليها في قبر هذا الكاهن.

ويقع قبر الكاهن «ونف» في جبانة «ذراع أبو النجا» (رقم ١٥٧)،^{٤٢٠} ونقوش هذا القبر لا تختلف كثيرًا عن مقابر عظماء الأسرة التاسعة عشرة، فهي تحتوي على مناظر جنازية، وليس فيها ما يلفت النظر، ويدعو إلى الاهتمام التام، إلا منظر واحد على جدار المدخل على يمين الزائر، إذ هو من نوع جديد لم يؤلف من قبل في مناظر قبور هذه الأسرة؛ إذ نشاهد فيه الملك «رعمسيس الثاني» يطل من شرفة قصره على صاحب المقبرة «نب وونف» الذي كان يسير وخلفه صف من حاملي الريش.

ويلاحظ أنه قد كتب على عمد القصر الملكي اسم الفرعون، واسم زوجه الملكة «نفرتاري مرنموت»، ويتبع هذه الصورة متن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون،^{٤٢١} وهذا المتن خاص بتنصيب «نب وونف» في وظيفة الكاهن الأعظم للإله «آمون» بالكرك.

فقد حدث في السنة الأولى من حكم «رعمسيس الثاني» أن أصبح كرسي الكاهن الأكبر للإله «آمون» خاليًا، وعندما احتفل جلالته بعيد الأقصر (إبت) العظيم في الشهر الثاني من هذه السنة كان هذا الفرعون بنفسه يدير شعائر هذا الحفل، فسار مع سفينة «آمون» التي كان يحملها ثلاثون كاهنًا على أعناقهم بهذه المناسبة، وكانوا يرتدون وجوه أرواح «بتوت»، ووجوه أرواح «هيراكنبوليس» (الكاب الحالية)، وكان الكاهن يرتدي وجه صقر، أو وجه ابن أوى.

والمواقع أنه كثيرًا ما كان يشترك الملك في الأعياد الدينية، فنعلم مثلاً أن «تحتمس الأول» اشترك في الحفل الذي أقيم لتنصيب ابنه ملكًا على البلاد، كما نشاهد كذلك في نقش

^{٤٢٠} راجع: A. S., XXX, p. 35.

^{٤٢١} راجع: Champ. Notices I, p. 535; L. D., texte III, p. 239; & A. Z. (1907) Vol. XLIV, p. 30.

بارز في «الكرنك» عندما كان «سيتي الأول» يشترك في موكب قارب «أمون»،^{٤٢٢} غير أننا نلاحظ هنا أن «رعمسيس الثاني» كان يقوم فعلاً بدور الكاهن الأول في عيد الأقصر فلم يكتفِ بلبس رداء الكهانة، وفيه الفراء الذي كان يُلبس فوق الملابس الملكية وحسب، بل أتى بعمل فذ في التاريخ المصري؛ وذلك بأن نقش على هذا المنظر العبارة التالية: «الكاهن الأول للإله «أمون» ملك الجنوب والشمال، «رعمسيس الثاني» معطي الحياة».^{٤٢٣}

ومع ذلك فإن الفرعون بعد أن أتم الحفل بهذا العيد أخذ يفكر جدياً في تنصيب كاهن أعظم جديد «بالكرنك»؛ ولذلك استشار الإله «أمون» رب هذا المعبد، فأوحى إليه هذا الإله بتفضيل الكاهن «نب وونف» على كل من سواه.^{٤٢٤}

ولما كان «نب وونف» هذا ليس من طائفة كهنة «أمون» في «طيبة» فيحتمل أن هذا الاختيار كان من جانب الملك الذي كان يترجم بمهارة عن إرادة الإله «أمون»، وكان الداعي له إما أسباب سياسية أو شخصية، فقد كان «نب وونف» قبل اختياره يشغل وظيفة كاهن أول للإله «أنوريس» (أنحور) بالعرابة، وكذلك الكاهن الأول للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة»، وكانت سلطته نافذة وقتئذٍ على كهنة ومعابد جزء من مصر الوسطى يبدأ من «طيبة»؛ حيث كان مقره حتى مدينة «حري حر أمون» الواقعة عند بوابات «طيبة» نفسها، وهذا الاختيار الجديد للكاهن «نب وونف» جعل «رعمسيس الثاني» يغادر عاصمة ملكه في الجنوب، ويقطع منحدرًا في النيل ليصل إلى عاصمته «بررعمسيس» في الشمال، بيد أنه رسا بسفينته في مقاطعة «طينة» ليزف الخبر للكاهن «نب وونف». وتقص علينا النقوش تعيين هذا الكاهن، وتعد الوثيقة التي تروي هذا الحادث، وهي التي كتبها «نب وونف» على جدران قبره، وكذلك الوثيقتان اللتان وصلتا إلينا عن تنصيب الكاهن «أمنمأبت»، والكاهن «باكنخنسو» من الوثائق الأصلية التي يعتمد عليها عند كتابة تاريخ الكهنة العظام للإله «أمون» «بالكرنك».

^{٤٢٢} راجع: Legrain B. I. F. A. O. T. XII, (1917) pl. III, 4.

^{٤٢٣} راجع: A. Z. 58, p. 54.

^{٤٢٤} راجع: Sethe A. Z., 44 p. 30.

وهاك ترجمة متن هذه الوثيقة كما نقله الأستاذ «زيتة»: ٤٢٥

السنة الأولى، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الأول عندما انحدر جلالته في النيل من عاصمة الجنوب حيث قرَّب القربان لوالده «آمون»، صاحب تيجان الأرضين، والثور القوي، وسيد تاسوع الآلهة، وكذلك الإلهة «موت» سيدة «أشرو» (معبد بجوار الكرنك)، والإله «خنسو» في طيبة «نفر حتب»، وتاسوع «طيبة» في عيده الجميل «بالأقصر». وقد ذهب من هناك في حضوة بعد أن تقبل ما قُدم لحياة وصحة وعافية ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس الثاني» ليته يعيش مخلدًا، وقد رسا في مقاطعة «طينة»، وأتى بالكاهن الأعظم للإله «آمون نب ونبف» المنتصر أمام جلالته، وكان لم يزل وقتئذ كاهنًا أولاً للإله «أنوريس»، والكاهن الأول للإلهة «حتحور» سيدة «ندرة»، ورئيس كل كهنة الآلهة في الجنوب حتى «حري حر آمون»، وفي الشمال حتى مدينة «طينة»، وعندئذ قال جلالته له: لقد أصبحت منذ الآن الكاهن الأعظم لـ «آمون»، وكذلك أصبحت خزائنه ومخازن غلاله تحت خاتمك، وصرت رئيس معبده، وكل خدامه تحت سلطائك، أما معبد «حتحور» سيدة «ندرة»، فإنه سيكون تحت إدارة ابنك، وكذلك موظفو آبائك، والمكان الذي كنت تحتله، وبقدر ما يحبني «رع» حقًا، وبقدر ما يمجديني والدي «آمون» جمعت له — أي لآمون — موظفي البلاط، ورؤساء الجيش، وكذلك جمعت له كهنة الآلهة، وعظماء بيته ليمثلوا أمام وجهه، فلم يظهر رضاه بأي واحد منهم إلا عندما ذكرت اسمك، فليكن العمل الصالح له لأنه حباك (باختياره)؛ أما عني فإني أعرف فضلك، فزد في ذلك حتى تثني عليك بروحه، وكذلك تمدحك حضرتي، ليته يجعلك تمكث في بيته، وليته يمنحك حراسة بيته، ويجعلك ترسو على أديم مدينته (الجبانة). ولقد سلمك أمراس مقدمة السفينة ومؤخرتها، وإنه يرغب فيك نفسه، وإنه لم يقل له شخص آخر هذا — أي إن اختيارك جاء من وحي الإله نفسه — وإنه منحك الغرب؛ لأن والدي «آمون» إله قوي، وليس له مثل إله يمتحن القلوب، ويجوس خلال الأرواح، وإنه الذكاء الذي يعرف دخيلة النفس، وليس في مقدور

٤٢٥ راجع: Sethe A. Z., 44 p. 30

إله أن يأتي بما يفعله، ولا يعارض إنسان مشروعاته، ويرتكز الإنسان على ما يخرج من فيه، وهو سيد التاسوع، وقد اختارك لكمالك، وأخذك لسموك.
وتأمل: لقد تمدح رجال البلاط، ومجلس الثلاثين معاً بطيبة جلالته، وسجدوا مرات عدة أمام هذا الإله الطيب مصلين له، ومرضين صلّه الذي على جبينه، ومتعبدين أمام وجهه، وقد مجدوا أرواحه حتى عنان السماء قائلين: أنت يا حاكم «أمون»، ويا من سيبقى حتى السرمدية، ومن أوجده بين الأجيال والأجيال! ليتك تحفل بأعياد ثلاثينية بالملايين، وليت سنك تكون عديدة مثل رمال شاطئ البحر، وإنك تولد كل صباح، وتجدد لنا مثل الشمس، وتصير صبيّاً كالقمر ... وإنك تحكم بوصفك ملكاً على الأرضين، والأقواس التسعة تحت أوامرك، ونهاية حدودك تمتد حتى حدود السماء، ودائرتها تحت سلطانك، وما تحيط به الشمس تحت نظرك، وما يغمره المحيط خاضع لك، وإنك على الأرض فوق عرش «حور»؛ حيث تظهر بوصفك رئيس الأحياء، وإنك تجند شباب مصر، وإنك تقهر أعداءك بوصفك سيداً ملكه ثابت مثل والدك «أمون رع»، وإنك تحكم كما حكم، وإنك على الأرض كقرص الشمس في السماء، ووجودك مثل وجوده، وإنه يمنحك الخلود بلا نهاية مجهزاً وممنوحاً الحياة والسعادة، أنت يأيها الرئيس الطيب محبوب «أمون» الذي سيبقى حتى نهاية الزمن. تأمل! فقد منحه جلالته خاتميّه اللذين صيغا من ذهب، وعصاه التي من السام، ثم نصب كاهناً أعظم لـ «أمون»، ومديراً لبيتى الفضة والذهب، ومديراً لمخزن الغلال، ومديراً للأعمال، ورئيساً لكل طوائف العمال أصحاب الحرف في «طيبة».

ثم أمر بإرسال بريد ملكي ليجعل كل مصر تعلم أن بيت «أمون» قد وكل أمره إليه، وكذلك كل ممتلكاته، وكل قومه ... بفضلك يا رئيس «أمون» الذي سيبقى إلى الأبد.

وهذه الوثيقة العظيمة تضع أمامنا كيفية تنصيب الكاهن الأكبر لـ «أمون»، والحالة التي كان الملك يعزز بها اختياره لهذا الكاهن بوحى إلهي على الرغم من أنه لم يكن من طائفة كهنة «أمون» في «طيبة»، إذ — كما نعلم — أن الكاهن الذي دعي لتولي هذا المنصب كان من أكبر رجال كهانة مقاطعة «طينة» التي كانت تعد أكبر موطن إلهي في البلاد بعد «طيبة» نفسها. وقد وصفت في هذه الوثيقة الأعياد التي أقيمت تكريماً لهذا الحادث بكل

تفصيل. ولما انتهى الحفل أرسل البريد في كل جهات القطر لإعلان اسم «نب وونف» كاهناً أعظم لـ «أمون»، وهذا يذكرنا بالاحتفال الذي أقيم عند تنصيب الملك «تحتمس الأول»، وإعلان اسمه في كل أنحاء القطر بمراسيم ملكية (راجع مصر القديمة ج٤)، وقد كان مَثَل «نب وونف» كَمَثَل كثير من أسلافه وأخلافه يقوم بعبء الأعمال الإدارية الخاصة بمعبد «أمون» كما فصلنا القول في ذلك، فقد عين مديراً للخزانة ومخازن الغلال للإله «أمون»، كما كان هو المشرف على ملاحظة طوائف الصناعات، وأصحاب الحرف في «طيبة»، ومن الجائز أنه — لهذا السبب — قد أقام على مقربة من معبد «سي تي الأول» «بالقرنة» مقصورة عثر «بترى» على قطع الودائع التي وُضعت في أساسها،^{٤٢٦} ويقول «بترى» في هذا الصدد إنه يحتمل أن «نب وونف» قد أقام هذه المقصورة لحسابه هو عندما كان يقوم بالملاحظة على بناء معبد «سي تي الأول». وهذه النظرية في حد ذاتها مقبولة، وبخاصة إذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» هو الذي قام بإتمام هذا المعبد، وأن قطع ودائع الأساس قد نقش عليها اسم «نب وونف» بلقبه الكاهن الأكبر لـ «أمون»، وبذلك تكون هذه المقصورة قد أقيمت في عهد «رعمسيس الثاني»، وهذا يتفق مع ما ذكرناه عن بناء معبد «سي تي» «بالقرنة».

ولما تسلم «نب وونف» عمله الجديد خلع على ابنه «سماتوي» وظائفه القديمة، فأصبح الكاهن الأول للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة». ومن الغريب أننا نجد في ودائع أساس مقصورة «القرنة» لقبه القديم، وكذلك حافظ على ذكره في نقوش قبره، يضاف إلى ذلك أننا نعرف من نقوش هذا القبر كذلك أن زوجه «تاخعت» كانت تُلقب رئيسة نساء حريم الإله «أمون».

وأهم ما يلفت النظر في مناظر قبره — غير ما ذكرنا — هو صورة رجل جالس يصطاد سمكاً، غير أن المنظر يدل على أن الصياد كان هاوياً لا محترفاً، ويلبس شعراً مستعاراً، وله لحية قصيرة، ويرتدي جلباباً طويلاً ذا تجاعيد، ويجلس على كرسي مدّ تحته حصيراً، وفي يده قضيب ذو خمسة خيوط، والبركة التي يصطاد فيها مزينة؛ يرفرف فوقها فراش. ويحتمل أن صيد السمك كان الهواية المحببة إلى نفس هذا الكاهن.^{٤٢٧}

^{٤٢٦} راجع: Petrie, Qurneh 1909 pl. XXXIII & XLVI, p. 18.

^{٤٢٧} راجع: Porter & Moss I, p. 147.

«وننفر» الكاهن الأكبر لـ «أمون»

على الرغم مما وصلنا من نقوش عن عظماء رجال عهد «رعمسيس الثاني»، فإنه لم يزل لدينا فجوات كبيرة ننتظر ملأها بما تجود به الكشوف، والحفائر التي يقوم بها العلماء في أنحاء وادي النيل، وهذه الفجوات تقف في وجه المؤرخ حجر عثرة لا تجعله يعرف تتبع سير الحوادث بصفة متصلة، فها نحن أولاء نعرف أول كاهن أكبر تربع على كرسي كهنة «أمون»، ولكن بعد ذلك لا نعرف من الذي خلفه، إذ تعوزنا الوثائق كلية إلا بعض إشارات لا تشفي غلة، ثم تستمر بنا الحال كذلك في عهد «رعمسيس الثاني» حتى العام السادس والأربعين من حكمه؛ حيث تطالعنا الوثائق بأن الذي كان يشغل هذه الوظيفة حتى نهاية حكم هذا الفرعون هو الكاهن الأكبر «باكنخنسو»، على أن ذلك لا يعني أننا لا نعرف أسماء أشخاص آخرين قد شغلوا هذه الوظيفة في عهد هذا الفرعون، بل على العكس نعرف منهم حتى الآن أسماء ثلاثة؛ وهم: «وننفر»، و«باسر»، ويحتمل كذلك «أمنحتب»، ولكننا لا نعرف ترتيب توليهم مهام هذه الوظيفة الخطيرة، وعلى ذلك فإننا إذا ذكرناهم هنا في أي ترتيب فإن ذلك مجرد تخمين قد تدحضه كشوف جديدة. وعلى أية حال فإن الظواهر تدل على أن كاهن «أمون» الأكبر الذي خلف «نب وننف» هو «وننفر».

وليس لدينا معلومات مباشرة عن حياة «وننفر» بوصفه كاهناً أكبر لـ «أمون» إلا ما نعرفه عنه وعن أسرته من الأثر الغريب المحفوظ الآن «بمتحف نابولي»، وهو يحتوي على سلسلة نسب هذا الكاهن، وقد أقيم تذكار لأحد أبنائه «أمنمأبت» رئيس الشرطة ومدير أعمال الآثار الملكية في عهد «رعمسيس الثاني»،^{٢٨} وكان لـ «وننفر» ولدان آخران، أحدهما يُدعى «حورا»، ولقبه مدير أعمال الكاهن الأعظم للإله «أنحور» (أونوريس)، أما بناته فكنن أربعة، وكان أحد أولاد أخيه «منموسي» يدعى «باسر»، وهو الذي كان نائباً للفرعون في بلاد «كوش»، وكانت «إزيس» زوج «وننفر» على حسب العرف تحمل لقب «رئيسة الحريم في معبد الإله أمون». وستتناول الحديث في موضوع هذه الأسرة فيما بعد.

^{٢٨} راجع: Brugsch Thesaurus p. 951-6.

«منموسي» الكاهن الأكبر لآمون

وكان «منموسي» كسلفه لا يحمل إلا لقب الكاهن الأكبر للإله «آمون»، ويرجع الفضل في معرفة لقبه هذا إلى أخيه «رع حتب» الذي كان يشغل كرسي رئاسة الوزارة، والذي كان قد أوفده «رعمسيس الثاني» في بعث رسمي لبلاد «خيتا» حوالي العام الحادي والعشرين من حكمه لتوقيع المعاهدة التي أبرمت بين البلدين كما تحدثنا عن ذلك من قبل، ومن المحتمل أن «منموسي» كان قد بلغ نهاية رقيه في سلك الكهانة في هذا الوقت؛ أي في النصف الثاني من عهد «رعمسيس». والواقع أن «منموسي» الكاهن الأكبر لـ «آمون»، و«رع حتب» الوزير الأول كانا ابني «باحنتر» رئيس كهنة الإله «بتاح» على حسب أحد الأقوال، وكانت أمهما رئيسة حريم الإله «أنحور» (أونريس)، وكانت زوج «رع حتب» تحمل لقب «رئيسة حريم الإله «حرشفي»»، وهو لقب نادر جداً، وهذا الإله هو معبود بلدة «أهناسيا المدينة».^{٤٢٩}

«باسر» الكاهن الأكبر للإله آمون

يجب ألا نخلط هنا بين هذا الكاهن وسميه الذي كان يحمل لقب الوزير في عهدي «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، وقد تكلمنا عنه فيما سلف. وكل معلوماتنا عن هذا الكاهن مستقاة من تمثاله الذي عثر عليه في خبيئة «الكرنك»،^{٤٣٠} وهذا التمثال منحوت في الجرانيت الرمادي، وقد مثل «باسر» راكعاً أمام رأس الإله «آمون» التي على هيئة كبش، ويرتدي ملابس الكهانة الخاصة بهذا العهد، وتتألف من الشعر المستعار ذي الخصل الكبيرة، وثوب فضفاض ذي ثنيات، وفوقه جلد فهد، وعلى فخذة الأيمن شارة الكاهن الأكبر للإله «آمون»، وهذه تشمل خمسة أغصان من زهرة البشنين تحمل قطعة مربعة نقش عليها طغراء «رعمسيس الثاني»، وينتعل حذاء ضخماً. وقد نقش على ظهر التمثال المتن التالي: «قربان يقدمه الملك لـ «آمون رع-حور أختي-آتوم»، سيد الكرنك الإله الأكبر الذي ولد نفسه، والذي لا نعرف جسمه، خالق كل كائن، وموجد كل موجود، محيي الآلهة والناس، ليته يجعل تمثالي يأوي ويبقى رائيًا «آمون» كل يوم؛ لأجل روح الكاهن الأول للإله «آمون» «باسر»».

^{٤٢٩} Lefebvre Histoires Des Grands Pretres 250 ff. راجع:

^{٤٣٠} Legrain. cat. gen. Statues. II. No. 42156 راجع:

وكذلك نقش حول قاعدة هذا التمثال متن جاء فيه: «لأجل روح الأمير الوراثي، والكاهن الأول لـ «أمون» «باسر» يقول: إني رجل يبجل إلهه، وينفذ قوانينه، ولقد حباني على الأرض بمشاطرة واجباته، ليته يمنحني أن أتمم في سعادة حياتي على حسب ما أمر لأجل روح «كا» الحاكم الوراثي، «رئيس كهنة كل الآلهة»، والكاهن الأول لـ «أمون» «باسر»».

وهذا المتن — كما يرى القارئ — لا يمدنا بشيء عن أسرته، كما لا يحدثنا عن مكانته ونفوذه في هذا العصر، هذا إذا نظرنا إلى أن لقب رئيس كهنة كل الآلهة في هذه الفترة لم يكن إلا لقب شرف وحسب — لا كما كان في عهد «تحتمس الرابع»، و«أمنحتب الثالث» — يدل على أن صاحبه ذو نفوذ وسلطان.

«أمنحتب» الكاهن الأول للإله أمون

لا نعلم عن هذا الكاهن أي شيء مباشر، كما أننا لسنا على ثقة من أنه كان في عهد «رعمسيس الثاني» على وجه التأكيد، فكل ما لدينا من معلومات عنه قد وصلت إلينا عن نقش لابنه «أمنمابت» رئيس الإصطبل الأعظم للفرعون «رعمسيس الثاني»، وهذا المتن نُقش على صخرة في جزيرة «سهيل»،^{٤٢١} ولا نعرف من أسرته إلا ابنه «أمنمابت» الذي كان يُلقب رئيس الإصطبل، في الإصطبل العظيم لـ «رعمسيس الثاني» في البلاط.

«باكنخنسو» الكاهن الأول للإله أمون

يعتقد الأستاذ «ليفبر» في كتابه الذي وضعه عن كهنة «أمون» العظام في خلال الدولة الحديثة^{٤٢٢} أنه كان يوجد ثلاثة كهنة عظام باسم «باكنخنسو»، ويقول: إن «باكنخنسو الأول» عاش في عهد «تحتمس الرابع»، و«أمنحتب الثالث»، أما «باكنخنسو الثاني» فقد عاصر «رعمسيس الثاني» ثم «مرنبتاح» ابنه، وبعد ذلك تولى هذه الوظيفة «باكنخنسو الثالث» الذي عاش في عهد الفرعونين «ستناخت»، و«رعمسيس الثالث». غير أن كلاً من الأثريين «انجليباخ»، و«فاري» قد تناول هذا الموضوع، ووصل إلى نتيجة تغاير رأي

^{٤٢١} راجع: Mariettes Monuments Divers pl. 72 No. 49 & p. 24; Brugsch Thesaurus 1215

^{٤٢٢} Histoires des Grands Pretres D'Amon de Karnak p. 127 Note 2

«ليفبر»،^{٤٣٣} ونعلم منها أنه لا وجود قط لكاهن أعظم يُدعى «باكنخنسو» في عهد «أمنحتب الثالث»، وقد تطرَّق «انجلباخ» في استنتاجه إلى حد أنه لا يوجد كاهن أعظم يُدعى «باكنخنسو الثالث»، بل الواقع أن «باكنخنسو» الكاهن الأكبر لـ «آمون» كان في كل ذلك واحدًا، ويستنبط أنه عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة، غير أنه لا يجزم بهذا الزعم الأخير، أما الأثري «فاري» فقد حصر بحثه في عدم وجود كاهن أعظم لـ «آمون» في عهد «أمنحتب الثالث» يدعى «باكنخنسو».

وسنورد هنا حياة «باكنخنسو» الذي عاش في عهد «رعمسيس الثاني» كما جاء على الآثار التي أُرخت بعهد هذا الفرعون. والمصادر الأصلية الهامة التي سنعتمد عليها هنا في بحثنا مصدران؛ أولهما: تمثاله المحفوظ الآن «بمتحف مونيخ»، والآخر: تمثاله الموجود «بمتحف القاهرة» الذي عثر عليه «لجران» في الكرنك عام ١٩٠٤م بالقرب من الباب الجرانيتي للبوابة السابعة، وهذان التمثالان من طراز واحد، ويمثلان «باكنخنسو» لابسًا الشعر المستعار الخاص بعصر الرعامسة، ويرتدي قميصًا ضيقًا، وقد مثل جالسًا القرفصاء على قاعدة منخفضة بذراعيه مطويتين على صدره.

نقوش تمثال «مونيخ»

النقوش التي على مقدمة التمثال:^{٤٣٤}

قربان يقدمه الملك لـ «آمون-آتوم حور اختي» الروح السماوي العائش في الصدق، والتمثال القاطن في وسط سفينته،^{٤٣٥} وللإلهة «موت» العظيمة كبيرة القطرين، وللإله «خنسو نفر حتب»؛ لأجل أن يعملوا على أن يخلد اسمي في «طيبة»، ويعيش مدة الأبدية؛ لأجل روح الأمير الوراثي رئيس كهنة كل الآلهة، والكاهن الأول لـ «آمون» في «الكرنك» المسمى «باكنخنسو»، يقول: يأيها الكهنة، ويآباء الآلهة، ويأيها الكهنة المطهرون في بيت «آمون»، قربوا أزهارًا لتمثالي، وماء لجسمي، وإني خادم نافع لسيدة رزين، وعادل ومحق ومبتهج بالصدق، وماقت العسف، ومقيم قوانين إلهه الكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو).

^{٤٣٣} A. S., XL, p. 507 & Ibid. p. 639 راجع:

^{٤٣٤} Brugsch Thesaurus p. 1240, Br. A. R. III § 561 ff. راجع:

^{٤٣٥} كان تمثال الإله يوضع في سفينة صغيرة في محراب فيها، ثم يوضع في قدس الأقداس بالمعبد.

النقوش التي على ظهر التمثال:

الأمير الوراثي والكاهن الأول لـ «آمون» (باكنخنسو) يقول: إني رجل عادل، ومحق ومفيد لسيدته، ومحترم خطط إلهه، وسائر على الطريق، ومنجز أشياء نافعة في معبده؛ لأنني المشرف الأعظم على الأعمال في بيت آمون، ومرضي سيدي إرضاء تاماً، فأنتم يأيتها الناس جميعاً أصحاب الروح اليقظ، وأنتم يا من يعيشون (فعلًا) على الأرض، وأنتم يا من سيأتون بعدي في ملايين ملايين السنين، بعد الشيخوخة والعمر الطويل، وأنتم جميعاً يا أصحاب العقل الفطن، الذي يفهم الفضل — إني سأحدثكم عما كنت عليه من خلق، عندما كنت — على الأرض — في كل الوظائف التي شغلتها منذ ولادتي: لقد أمضيت أربع سنوات طفلاً كاملاً، ومضيت اثنتي عشرة سنة صبيًا، كنت في أثنائها رئيس إصطبل التعليم في عهد الملك «من ماعت رع» (سيتي الأول)، وكنت كاهنًا مطهرًا للإله «آمون» مدة أربع سنوات، وكنت كاهن والد الإله مدة اثنتي عشرة سنة، ثم كنت كاهنًا ثالثًا للإله «آمون» مدة خمس عشرة سنة، ثم كاهنًا ثانيًا للإله «آمون» مدة اثنتي عشرة سنة، وقد كافأني الإله فميزني لفضلي، وعينني في وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون»، وقد مارستها سبعًا وعشرين سنة.

وقد كنت والدًا رحيماً بمرءوسي، فعلمت أناسيهم الصغار، ومددت يدي لمن كان تعسًا، وطمأنت أولئك المحتاجين على حياتهم، وقمت بعمل أشياء نافعة في معبده، بوصفي المشرف الأعظم على الأعمال في «طيبة»، لحساب ابنه الذي أنجبه من ظهره، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رعمسيس الثاني» معطي الحياة، ومؤسس الأوقاف الخيرية لوالده «آمون» الذي وضعه على عرشه.

ما عمل تحت إشراف الكاهن الأول «باكنخنسو»:

لقد عملت أشياء نافعة في بيت «آمون»؛ لأنني كنت المشرف على أعمال سيدي (الملك)، ولقد أقمت له معبدًا يُدعى «رعمسيس محبوب آمون» الذي يسمع التضمرات، عند الباب العلوي لبيت «آمون»، وقد أقمت فيه مسلات من حجر الجرانيت، وهي التي قد وصل جمالها إلى عنان السماء، وقد أقمت بوابة أمام المعبد من الحجر، مواجهة «لطيبة»، وكانت مغمورة بالمياه (أي إن أسفل البوابة كان مغمورًا بالماء الذي كان يُستعمل لرى الحقائق الممتدة أمام المعبد)، وكانت

الحدائق مغروسة بالأشجار، وقد صنعت أبوابًا غاية في العظم من السام، بهاؤها يصل إلى السماء، وقد نحت كتلاً غاية في الضخامة، وأقمتها على الساحة الفخمة المواجهة لمعبده، وبنيت سفناً عظيمة تسبح على النهر لـ «أمون»، و«موت» و«خنسو» بوساطة الأمير الوراثي الكاهن الأول لـ «أمون» (باكنخنسو).

النقش الذي حول القاعدة:

الأمير الوراثي والكاهن الأول لـ «أمون» «باكنخنسو» يقول: إنني رجل حازم عادل ومحق، ينفذ قوانين إلهه، ومستسلم لإرادته ... ورجل يداه تقبضان على عمود السكان، وشغل مدة حياته في وظائف نوتي «أمون»، وقد كنت سعيداً في هذا اليوم أكثر من أمس، وليت الإله يزيد في الغد كذلك في سعادتي! ولقد كنت منذ طفولتي المبكرة حتى شيخوختي، في بيت «أمون» خادماً له في صدق، وعيناي تريان صليبه، ليته يتم لي حياة سعيدة مداها عشر ومائة سنة.

تمثال المتحف المصري (راجع Legrain, Catal. Gen. No. 24155).

المتن الذي على مقدمة التمثال:

قربان يقدمه الملك للإله «أمون رع»، الذي كان في الأصل للأرضين — السيد المسيطر بالسلطان والقوة، والعظيم بالخوف الذي يبعثه، وللإلهة «موت» العظيمة «عين رع»، وللإله «خنسو-نفر حتب»؛ لأجل أن يعملوا على أن يكون اسمي ثابتاً بقوة في «طيبة»، وأن يعيش في الكرنك، وعلى أن كل ما يأتي من موائد قربهم يوضع أمام تمثالي — لروح والد الإله صاحب اليدين الطاهرتين — والكاهن الثالث لـ «أمون»، والكاهن الثاني لـ «أمون»، والمشرف على كل كهنة الآلهة، والكاهن الأول لـ «أمون»، «باكنخنسو» يقول: إنني المدير في «طيبة» لكل الأشغال الممتازة، وإنني رجل حاز ثقة سيده تماماً في إدارة كل طوائف الحرف في كل الآثار التي عملها لوالده «أمون».

النقوش التي على ظهر التمثال:

الكاهن والد الإله، والكاهن الأول لـ «أمون» «باكنخنسو» يقول: إني رجل طيبي المنبت أباً وأماً، وابن كاهن ثانٍ للإله «أمون» (بالكرنك)، وقد تخرّجت من مدرسة الكتابة الكائنة في «معبد سيدة السماء»، وكنت لا أزال صبيّاً كاملاً، وقد لقنت وظائف الكهانة في معبد «أمون»، كالابن تحت سيطرة والده، وقد أثنى عليّ «أمون»، وميزني لفضلي؛ وكنت متصلاً به بثقة، وعندما رُقيت كاهناً والد إله، رأيت كل مظاهره، وأنجزت أعمالاً نافعة في معبده، فقيمت بكل أنواع الأعمال الممتازة. وإني لم أرتكب خطيئة في معبده، ولم أهمل أوامري فيما يخصه، وسرت على أديمه، منحنياً ومظهرًا خوفي من بطشه، وإني لم أرهب خدمه، بل كنت لهم أباً، وقد قضيت للفقير مثل قضائي للغني، وللقوي مثل الضعيف، وأعطيت كل واحد ما يخصه؛ لأنني كنت لا أمقت إلا الشره، وقد ضمنت لمن لا خلف لهم جنازهم، وتابوتاً لمن لا يملك شيئاً، وحميت اليتيم الذي رجاني، وتعهدت بيدي مصالح الأرملة، وإني لم أطرده الابن من مكان والده، ولم أنتزع الطفل الصغير من والدته، وبسطت ذراعي، وحصلت على مؤن لمن لا يملك قوتاً، وغذاء لمن كان في فقر ... زاهباً نحو المتضرع (?). وفتحت أذني لمن يقول الصدق، وأبعدت عني من كانوا يحملون أوزاراً؛ لأجل روح الأمير الوراثي الكاهن الأول لـ «أمون» (باكنخنسو).

النقوش التي حول القاعدة:

الأمير الوراثي، ووالد الإله، ومحبوب الإله، رئيس الأسرار في السماء وفي الأرض، وفي العالم السفلي، والكاهن أعظم الرائين للإله «رع» في «طيبة»، والكاهن «سم»، والرئيس الأعظم لمصنع «بتاح»، والمشرف على كهنة كل الآلهة، والكاهن الأعظم للإله «أمون» (باكنخنسو) يقول: إني رجل حازم عادل محق، فاعل الخير بين الناس، أخاف الله، منفذاً قوانينه، مستسلماً لإرادته، وإني مختلط هنا بطائفة المدوحين من صاحب الاسم الخفي، ومطعماً نفسي من وجباته، وإني ذو شيخوخة غمرتها الحظوات التي يمنحها أصفياءه في أعماق معبده.

وإذا فحصنا نقوش هذين التمثالين معاً، أصبح من السهل علينا أن نستخلص منها حياة هذا الكاهن الأعظم، والواقع أن ما جاء عليهما يعطينا صورة صادقة عن حياته

وأعماله، كما دونها هو، وتتلخص فيما يأتي: كان «باكنخنسو» طيبى المنبت، وكان والده يعمل من قبله في معبد «أمون» ب «الكرك» كاهناً ثانياً لهذا الإله، غير أنه مما يؤسف له لم يذكر لنا اسم والده، وقد تعلم في صباه المبكر في مدرسة الكتبة التي كان يتخرج منها كل العظماء الذين يحذقون الكتابة، وكانت أمثال هذه المدارس في داخل المعبد نفسه، وقد أرسله والده في معبد الإلهة «موت» الذي كان ملاصقاً لمعبد «أمون» ب «الكرك»، وقد نبغ فيها لأنه كان طفلاً كاملاً، وقد دخلها بعد السنة الرابعة من عمره، وتركها في السنة التاسعة تقريباً، ثم يقص علينا بعد ذلك أنه قد أمضى اثنتي عشرة سنة رئيساً لإصطبل التعليم للملك «سيتي الأول»؛ أي إنه قد بقي في هذه الوظيفة حتى الحادية والعشرين من عمره، ومن ثم بدأت حياته الدينية في المعبد؛ حيث كان والده يرشده في خطواته الأولى في هذا السبيل، فسار فيها حتى وصل إلى نهاية المطاف، وبلغ أعلى رتبة يتوق إليها أي كاهن طموح.

(١) فكان كاهناً مطهراً مدة أربع سنوات؛ أي من السنة الحادية والعشرين إلى السنة الخامسة والعشرين.

(٢) ثم رُقي إلى وظيفة كاهن بلقب «والد الإله»، وبقي فيها اثنتي عشرة سنة؛ أي من السنة الخامسة والعشرين حتى السنة السابعة والثلاثين، وانتقل بعدها إلى مرتبة كاهن ثالث، ومكث فيها خمس عشرة سنة؛ أي من السنة السابعة والثلاثين حتى السنة الثانية والخمسين، ثم قفز بعدها إلى وظيفة الكاهن الثاني، وشغلها اثنتي عشرة سنة؛ أي من السنة الثانية والخمسين، حتى السنة الرابعة والستين.

وعلى ذلك لم يعين كاهناً أولاً للإله «أمون» إلا في السنة الرابعة والستين من عمره، وقد تربع على كرسي هذه الوظيفة العظيمة سبعمائة وعشرين سنة؛ ولذلك يكون قد بلغ وقتئذ من العمر الحادية والتسعين، وهي السنة التي نصب فيها تمثاله في معبد «الكرك»، حيث أصبح مختلطاً بطائفة الممدوحين، كما يقول هو في نقوشه، ولما كان كل من تمثاليه منقوشاً عليه لقب الملك «رعمسيس الثاني» دل ذلك على أن هذا الفرعون كان لم يزل حياً وقتئذ، ومن المحتمل أنه قد عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة، كما يستنبط ذلك «انجلباخ»، عندما خمن أنه لم يوجد إلا «باكنخنسو» واحد في تاريخ هذه الفترة.

وقد أمضى «باكنخنسو» نحو سبعين سنة في سلك الكهانة، وقد عاش على أقل تقدير نحو إحدى وتسعين سنة، كما يحتمل أنه ولد في عهد «حور محب»، وبدأ حياته في عهد

«سيتي الأول»، ثم رُقي كاهناً أول لـ «أمون»، قبل السنة الأربعين من حكم «رعمسيس الثاني» (حوالي ١٢٦٠ ق.م) والظاهر أنه على حسب رأي «ليفير»، قبل السنة السابعة والستين بقليل، وهي السنة الأخيرة من حكم هذا الملك المسنّ.

وقد طلب إحالته إلى المعاش بسبب تقدم سنه، ومن الجائز جداً أنه قد عاش حتى عهد «مرنبتاح»، ويذهب «انجلباخ» إلى أنه عاش حتى عهد «رعمسيس الثالث»، ومن أجل هذا لا يعترف إلا بوجود «باكنخنسو» واحد (راجع (A. S. XI., p. 507 ff.).

وقد تمدح «باكنخنسو»، بما له من صفات وهبها إياه إلهه، ومما لا شك فيه أن «رعمسيس الثاني» قد رقاها إلى وظيفة كاهن أول؛ لما لحظ فيه من فضائل أخرى، ولا يبعد أن مهارته في فن العمارة، هي التي لفتت نظر هذا الفرعون صاحب المباني العظيمة، وجعلته يرفعه إلى مرتبة الكاهن الأول، فقد رأينا أنه كان يشغل بإنجاز معبد الأقصر في عهد «رعمسيس الثاني» الذي زاد فيه — كما ذكرنا من قبل — ردهة وبوابة ضخمة. وتنسب إلى «باكنخنسو» بوجه خاص، إقامة المسلتين اللتين لا تزالان باقيتين حتى الآن، واحدة منهما في ميدان «الكونكرد» بباريس، والثانية في مكانها الأصلي بالأقصر.

ولا يبعد أنه قد مات بعد أن جاوز المائة، وقد دفن في قبره الذي نحته لنفسه في جوف «تل ذراع أبي النجا» رقم ٣٥، ويشمل هذا القبر قاعة في صور مدخل عظيم الحجم وممرًا، وقد زينتهما ستة تماثيل موزعة مثنى في أطراف الحجرة كلها، وعند ملتقى القاعة بالممر نقرأ الصلوات العديدة التي ذُكرت معها ألقاب المتوفى، وكذلك نشاهد مناظر لعبادة «أوزير»، و«بتاح سوكر»، و«نوبيس»، وفي إحدى هذه المناظر نشاهد «باكنخنسو» ممثلًا ومعه زوجه راكعين أمام الإله يقرآن هذا الدعاء، ليت «أنوبيس» المحنط يجعلني أجلس على عرشه الأبدية لأجل روح «أوزير» الكاهن الأول لـ «أمون» «باكنخنسو» وزوجه، ومحبوبته رئيسة حريم «أمون» «مریت سجر»، وهذه هي الوثيقة الوحيدة التي جاء فيها ذكر زوج «باكنخنسو»، وتابوت هذا الكاهن الأعظم المصنوع من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف «ليفربول»، ويحتمل كذلك أن التمثال الموجود الآن في «مونيخ» قد وجد في هذا القبر (راجع (Porter & Moss I, p. 67-8).

«رومع-روي» الكاهن الأول لـ «أمون»

تدل كل الوثائق التي في متناولنا حتى الآن على أن خلف «باكنخنسو» المباشر على كرسي الكاهن الأول للإله «أمون» هو «رومع-روي»، ولا بد أنه تسلم مهام وظيفته في نهاية حكم «رعمسيس الثاني»، وبقي يشغلها حتى عهد «سيتي الثاني». والآثار التي نستقي منها معلوماتنا عن الكاهن الأعظم «رومع-روي» أصبحت الآن عديدة (راجع Hist. Des Grands Pretres p. 256 ff.)، وتقدم لنا وثائق غاية في الأهمية. وقبل أن نتحدث عن تاريخ حياته وأعماله؛ يجب أن نحل اللغز الذي حيك حول اسمه؛ إذ كان من المعترف به حتى زمن قريب جداً أنه توجد شخصيتان متميزتان، وهما: الكاهن الأول «رومع»، والكاهن الأول «روي»؛ وقد حاول أصحاب هذا الرأي أن يوجدوا بينهما علاقة الابن بالأب. ولكن السؤال المهم هنا هو: من كان الأب، ومن كان الابن منهما؟

ومن المدهش أن المتون في ظاهرها لم تضع حدًا فاصلاً لهذه المسألة؛ مما خلق مادة لمناقشة علماء الآثار في هذا الصدد، كالتي يخلقها علماء الكلام والفقهاء لأمر تافه، فقد ظن «مسبرو» أن «روي» — وهو الأب على حسب رأيه — عاش في عهد «مرنبتاح»، وأن ابنه «رومع»، كان في عهد «سيتي الثاني» (راجع Momies Royales p. 666)، وكذلك يعتقد «لجران» أن «روي» كان والد «رومع» (راجع Rec. Trav. (1905), XXVII, p. 72)، وعلى العكس من ذلك نجد أن «فرشنسكي» قد وضع قائمته بأسماء الكهنة العظام للإله «أمون»، وقرر فيها أن «رومع» هو الابن، وأن «روي» هو الأب، وقد اتبع هذا الرأي «برستد» (Br. A. R. III, § 618)؛ ولذلك يعتقد أن «رومع» عاش في عهد «رعمسيس الثاني»، وأن «روي» ابنه كان في عهد «مرنبتاح»، والواقع أنه بعد فحص متني التمثالين اللذين عثر عليهما «لجران» في الكرنك في عام ١٩٠٤ اتضح جلياً أن الاسم «رومع»، و«روي» هما اسم واحد لشخص واحد بعينه، وكل من هذين التمثالين يصور لنا رجلاً قاعداً القرفصاء على وسادة، وجسمه مزمل في قميص ضيق مثل تمثال «باكنخنسو» بالضبط كما سبق. ومن العيب أن نفرض أن تمثالاً بعينه يمكن أن يكون صورة لشخصين مميزين، وقد وضع لإحياء ذكراهما، فإذا كان «رومع» شخصاً مميزاً عن «روي» فلا بد أن التمثالين يجب أن يكونا إما لاسم «رومع»، وإما لاسم «روي»؛ أي إنهما يكونان إما لـ «رومع» خاصة، أو لـ «روي» خاصة. والواقع أننا نجد على التمثال رقم ٤٢٦٤٢١٨٦ القرابين التي

٤٢٦ راجع: Legrain. Cat. Gen. II, No. 42185-6.

ذكرت في أحد نقوشه قد عملت لإله الكرنك؛ لأجل روح الكاهن الأول لآمون «رومع»، ومن جهة أخرى نجد أن خطاب المدح الذي نقرؤه في نقش آخر على نفس التمثال قد وضع في فم الكاهن الأول لـ «آمون» المسمى «روي». وكذلك نجد على التمثال رقم ٤٢١٨٥ نقشين آخرين على هذا التمثال يلفت تأليفهما النظر بوجه عام، وهما المتن الأول منهما:

قربان يقدمه الملك لـ «آمون رع» ملك الآلهة، وللإلهة «أمونيت» المبجلة في الكرنك، وللإلهة «موت» سيدة السماء، وملكة الآلهة، وإلى «خنسو في طيبة نفر حتب»؛ لأجل أن يجعلوا تمثالي يثوى ويبقى، ويتخذ مكاناً في الكرنك، مخلداً لروح الكاهن الأول لآمون «روي»، يقول: إني آتي إليك يا سيد الآلهة، يا «آمون» رئيس تاسوع الآلهة، إني أعبد جمالك كل يوم، وإني أشبع رغباتك، ارنُ إليَّ بوجهك الجميل؛ لأني عبدك المخلص الذي باركته، وحفظته على الأرض، وإني خدمتك باستقامة، وقد شخصت في بيتك مغموراً بنعمائك، وعيناى تريان صليكَ؛ لأجل روح رئيس كهنة كل الآلهة، والكاهن الأول لآمون «رومع».

ففي هذا المتن نرى أنه يبتدئ بصلاة «روي»، ثم يستمر متضرعاً من أجل «رومع»، وكذلك المتن الثاني، وهو المنقوش حول قاعدة هذا التمثال، فإنه يخلط الاسمين، ويحتوي أولاً على صلاة لروح الكاهن الأول «روي»، ثم صلاة أخرى لأجل الكاهن الأول «رومع»، على أن هذه الظاهرة نجدها كذلك في المتون التي على جدران معبدي «الكرنك»، و«السلسلة»، ففي «الكرنك» نجد أن المتن التذكاري المنقوش على الجدار الشرقي^{٤٣٧} للبوابة الثامنة يبتدئ بصلاة موجهة لـ «آمون رع» من الكاهن الأعظم «رومع»، وتنتهي بصلاة من أجل الكاهن الأعظم «روي»، وكذلك الحال في نقوش «السلسلة»، فإننا نجد القرايين قُدمت على التوالي إلى «روي»، و«رومع».

وهكذا يرى الإنسان — على نفس التمثال، وفي نفس النقش، بل وفي جمل وضعت جنباً لجنب — الاسمين «رومع»، و«روي» مستعملين الواحد بدلاً من الآخر بلا تمييز، ومن ثم نستنبط على وجه التأكيد أن الاسمين لشخص واحد يسمى «رومع»، ومصغره «روي».

^{٤٣٧} راجع: L. D. III, p. 237.

أما موضوع تبادل هذين الاسمين بهذه السهولة، وحلول الواحد منهما مكان الآخر، فليس بالأمر المدهش، أو الغريب؛ إذ لدينا أمثلة تشبه ذلك كثيراً في الآثار المصرية، فنجد مثلاً اسم «أمنحتب» قد حل محله الاسم المصغر «حوي»، كما ذكرنا ذلك آنفاً. وإذا كان هذا التبادل المفاجئ الذي نراه في النقوش المصرية لم يميزه المصري القديم قط، فإنه كان في الواقع موضع دهشة وحيرة عند علماء الآثار الأحداث، حتى إن بعضهم قد حاد عن الصواب وأخطأ الفهم، وجعل من الاسم والتصغير اسمين مختلفين، فنجد مثلاً أن نائب الفرعون في بلاد «كوش» المسمى «أمنحتب» كان ينادى باسمه المصغر «حوي»، وقد عجز الأثريون عن فهم كنه هذا الاسم المزدوج؛ ولذلك اخترعوا طريقة لحل هذا اللغز، فقالوا: إن «أمنحتب» اسم على حدة، و«حوي» اسم آخر، وأنها زميلان أو أخوان (راجع Sethe A. 1907) p. 89، وعلى هذا النمط أرادوا تفسير اسم «روم-روي»؛ وذلك لعجزهم عن التمييز بين الاسم الكامل، والاسم المصغر لنفس الشخص عند المصريين، إلى أن حل هذه المعضلة الأستاذ «زيته»، وبهذه النتيجة التي وصلنا إليها في تحقيق شخصية هذا الكاهن الأعظم سقطت نظرية الأستاذ «برستد»، وهي التي على حسبها كانت وظيفة الكاهن الأعظم لـ «أمون» في هذا العهد وراثية؛ وذلك لأن «روم» كما يسميه «برستد» لا يمكن أن يورث وظائفه لـ «روي» للأسباب التي ذكرناها، ومن جهة أخرى لم يخلف الكاهن الأكبر «روم-روي» بوصفه الرئيس الأعلى لكهنة «أمون» بالكرنك، ابنه «باكنخنسو» الذي لم يتجاوز ترقيه وظيفته الكاهن الثاني لـ «أمون». والواقع أن المتن الذي حدا بالأستاذ «برستد» للأخذ بهذه النظرية هو قول «باكنخنسو» الكاهن الأكبر للإله «أمون» في أحد نقوشه ما يأتي: «ليت ابني يكون في مكاني، وأن يكون شرف مقامي في يديه — وأن ينتقل هذا — من الأب للابن حتى الأبدية». والواقع أن هذا التمني لم يكن حقيقة واقعة، بل كان مجرد رجاء ودعاء نقرأ أمثاله كثيراً في كل عصور التاريخ المصري، وبخاصة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وقد دعا به «روم-روي» لنفسه في مكان آخر طالباً أن يعمر عشر ومائة سنة. أما القول بأن «روي» يمكن أن يكون حفيد «باكنخنسو» الكاهن الأول لأمون السالف الذكر؛ وذلك لأن ابن «روي» هذا كان يُسمى «باكنخنسو» — ومن ثم يستنبط أن رئاسة الكهنة كانت وراثية منذ عهد «باكنخنسو» في حكم «رعمسيس الثاني» — فإنه قول لا يعتمد عليه للأسباب التاريخية التي ذكرناها.

وحقيقة الأمر، أننا لا نعرف شيئاً البتة عن أصل والدي «روم-روي»، ولكننا نعرف الكثير عن مجال حياته من النقوش التي تركها لنا، فقد عني بترجمته لنفسه عناية

عظيمة،^{٤٣٨} فاستمع لما يقصه عن نفسه على أحد تماثيله: «لقد وصلت إلى سن الحُلم في بيت «أمون»، وقد كنت وقتئذ كاهناً مطهراً كاملاً، وكان عقلي متيقظاً، وفضيلتي ممتازة، وخططي تسير إلى هدفها، ولما كنت قد انتُخبت لأعمال الطيبة في معبده، وكذلك وعدت بأن أكون «والد إله» لأجل أن أجيب نداء روحه المفخم «كا»، وأشبع رغباته، فإنه — أي أمون — قد كشف عن صفاتي، وكافأني لفضيلتي، وجعل الملك يعرفني، ويذكر اسمي أمام رجال البلاط، وقد عمل مرسومي لكل وظيفة عالية شغلتها عند نفس الفرعون «رعسيس الثاني» بن «أمون» من صلبه، وقد كافأني «أمون» من جديد بسبب امتيازي، ونصّبني كاهناً ثانياً، ولما كانت خزينته ومخزن غلاله دخلهما مفيد لصلاح معبده، فإنه أضافهما إلى أعمالي، فضلاً عما أغدقه عليّ من خير. ونصّبني رئيساً أعلى في معبده بوصفي الكاهن الأول لـ «أمون»..»

وعلى الرغم مما في هذا المتن من الغموض في بعض نواحيه، فإنه يكشف لنا عن معلومات غاية في الأهمية؛ فالفرعون الوحيد الذي ذكر فيه هو «رعسيس الثاني»، ولم يلمح هنا بأي تغيير في عرش الملك قط؛ ولذلك يمكننا أن نستنتج بحق أن «رومع-روي» قد وصل إلى قمة رقيه في عهد هذا الفرعون المسن؛ أي قبل موته بزمان قليل، وأنه قد خلف «باكنخنسو» مباشرة على كرسي رئاسة الكهانة لأمون في «الكرنك»، أما تدرج «رومع-روي» في وظائف الكهانة فقد وصفه لنا هو بدقة أيضاً بعد تلاوة صلاة نُقشت على تمثال آخر له (راجع Legrain Catal. Gen. No. 42 185; Lefebvre Insc. No. 4)، فيعدد لنا ألقابه فيقول: إنه كان كاهناً مطهراً أمام «أمون»، ووالد إله لـ «أمون»، ثم كاهناً ثالثاً لـ «أمون»، وكاهناً ثانياً لـ «أمون»، ومدير خزانة «أمون»، ومدير مخازن غلال «أمون»، ورئيساً لكهنة كل الآلهة في «طيبة»، وكاهناً أول لـ «أمون-رومع».

وقد امتدت خدمة هذا الكاهن الأكبر إلى عهد الفرعون «مرنبتاح» (حوالي ١٢٣٣-١٢٢٣ ق.م) إذ وجدنا اسمه منقوشاً بوضوح على أحد تماثيل هذا الكاهن الأكبر المحفوظة «بالمتحف المصري» (راجع Journal D'Entrée No. 37874; & A. S. XXIV p. 134 (1924))، وكذلك على لوحة جبل السلسلة (راجع L. D. III, p. 200 a). وقد كتب على هذه الآثار ألقاباً جديدة لهذا الكاهن من بينها: «المشرف على كهنة كل الآلهة في الوجهين القبلي والبحري. وهذا اللقب لم يكن يُمنح إلا نادراً لرئيس كهنة «أمون» في

^{٤٣٨} راجع: Legrain Cat. Gen. No. 42185 42186; Lefebvre Insc. No. 10

خلال الأسرة التاسعة عشرة، وهذا اللقب يقابل لقب «المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري» الذي كان يحمله الكاهن الأول، وغيره في خلال الأسرة الثامنة عشرة، ولم نجد من كان يحمله من بين الكهنة الأول في عهد الأسرة التاسعة عشرة إلا الكاهن الأول لـ «أمون» «نبنرتو» في عهد «سيتي الأول».

وقد عرف «رومع-روي» كيف يستغل ضعف «مرنبتاح» ليقوي مركزه الشخصي، ويمكنه من التمتع بالسيادة التي كان يتمتع بها الكاهن الأول لـ «أمون» قبل قيام «إخناتون» بحركته الدينية المعروفة. والواقع أنه قد أفلح في ذلك فلاحاً عظيماً لدرجة أنه تمكن من نقش اسمه وصورته على أحد جدران معبد «الكرك»، وقد كان هذا امتيازاً مقصوراً حتى الآن على الفرعون وحسب، ولم يكن في استطاعته اتخاذ هذه الخطوة التي كانت تعد في نظر الكهنة الأول في عهد الأسرة الثامنة عشرة انتهاكاً لحرمة القداسة الملكية، إلا عندما شعر بضعف سلطة الملك الدنيوية وقتئذ؛ أي عندما أخذ يشعر بضعف الفرعون في حكم البلاد، وقلة نفوذه فيها؛ فقد وجدت على الجدار الشرقي للبوابة الثامنة بالكرك ثلاثة متون مدونة على عارضتي وعتب باب صغير يؤدي إلى السلم في داخل هذا الجدار؛ ثم نجد على اليمين مباشرة من الجهة الشمالية لهذا الباب لوحة عظيمة تحتوي على النقش العظيم الذي أطلق عليه الأثري «ليفبر» «النقش التذكاري»، وهذه المتون كلها كانت مؤرخة، غير أنه مما يؤسف له كثيراً وجود التاريخ مهشماً، ولم يبق منه أي شيء يرشدنا عن عصره إلا طغراء يحتوي لقب «سيتي الثاني»، يضاف إلى ذلك أننا نرى فوق عتب الباب المذكور لوحة تمثل «سيتي الثاني» يتعبد أمام الإله «أمون»، ويقدم له قربان ملكية، وهنا نلاحظ أن طغراءي الملك كانتا سليميتين.

وهكذا نرى أن «رومع-روي» الذي بدأ يشغل وظيفة رئيس كهنة «أمون» بالكرك في نهاية عهد «رعمسيس الثاني» ظل في حظوة خلفه «مرنبتاح» عشرة أعوام، ثم مر بسلام مدة الاضطرابات التي وقعت في عهد كل من «أمنموسس»، و«سبتاح»، ليشهد كذلك تربع «سيتي الثاني» (حوالي ١٢١٤ ق.م) على عرش الكنانة مدة عشرين سنة، وكان في كل هذه الأوقات يشغل وظيفة الكاهن الأكبر بالكرك، وقد ارتفع إلى سن الشيخوخة مغموراً بأفضال «أمون»، وإنعاماته، يحيط به أولاده وأحفاده، متقلدين كلهم وظائف كهانة في

معبد الكرنك؛ ولدينا أنشودة على أحد تماثله المحفوظة «بالمتحف المصري» (التمثال رقم ٤٢١٨٥) يتمدح فيها بفضل الآلهة عليه، فاستمع لما جاء فيها:

إني رجل باسل يقظ نافع لسيدة، أقمت له الآثار في بيته بقلب محب، ولبي يشتغل في كل الأعمال، ويبحث عن كل نافع لإلهي السامي، وقد كافأني على كل ما عملته؛ لأنني كنت مفيداً له، ولقد مكّنتني بوصفي الرئيس الأعظم على رأس بيته، وهكذا قد وصلت إلى الشيخوخة وأنا في خدمته مغموراً بإنعاماته، وأعضائي لم تزل مملوءة صحة، وعيناي تريان، والأطعمة المفيدة لم تزل باقية في فمي، في حين أن نعم الفرعون تصيبني بفضل «أمون».

وقد منحني «أمون» أحياناً من أولادي مجتمعين أمامي يؤدون وظائف الكهنة المكلفين بحمل تماثله، وبينما كنت الكاهن الأول بفضل «أمون» إذ كان ابني يسكن بجانب كاهناً ثانياً لـ «أمون»، وابني الثاني كاهناً مطهراً في المعبد الملكي في غربي طيبة، وابن ابني الكبير؟ كاهناً رابعاً يحمل «أمون» رب الآلهة، وابن ابني الآخر والدًا له، وكاهناً مرتلاً ذا يدين طاهرتين لصاحب الاسم الخفي «أمون».

ليته يجعل اسمي يبقى على تماثلي بجانب هذه الأوقاف الخيرية التي عملتها في هذا البيت، وأن يخلد ذكرى اسمي عليها في المستقبل سرمدياً، وليت الأجيال المقبلة تمدحني لأعمالي الصالحة لأنني كنت رجلاً مقداماً.

وتدل شواهد الأحوال على أن التمثالين اللذين عثر عليهما «لجران» في خبيثة الكرنك، وهما اللذان يحملان رقمي (٤٢١٨٥، ٤٢١٨٦) لم يكونا منصوبين في مكانهما الأصلي، ومن المحتمل جداً أنهما كانا معروضين في الأصل بجانب أحد الآثار التي أقامها «رومع روي» في معبد «أمون»، كما يدل على ذلك المتن السابق. والواقع أن «رومع روي» هذا كان مهندس عمائر مثل معظم الكهنة العظام لمعبد «أمون»، ولا بد أنه لهذا السبب قد ذهب إلى محاجر «السلسلة»، وعلى الرغم من أنه لم يبق هناك ضريحاً على غرار ما فعله معظم أسلافه هناك، فإنه ترك لنا عوضاً عن ذلك تذكراً لزيارته، وهو لوحة تمثله واقفاً بجانب الفرعون «مرنبتاح» يتعبد أمام الإله «أمون» (راجع L. D. III, 200 a)، وقد نقش عليها صيغة القربان المزدوجة التي يدعى فيها تارة «رومع»، وتارة أخرى «روي»، ويتبعها صلاة لأجل روح «كا» الأمير الوراثي، ووالد الإله، وصاحب اليدين الطاهرتين، ورئيس

الأسرار في السماء، وفي الأرض، وفي العالم السفلي، ومضحي ثور أمه، ورئيس جند «أمون»، والمشرف على الذهب والفضة في بيت «أمون»، ومدير الأعمال الخاصة لكل آثار جلالته، والكاهن الأول لأمون «روي».

ويحدد لنا أحد النقوش التي على تمثاله المحفوظ «بمتحف القاهرة» (رقم ٤٢١٨٥) أنه كان مدير الأعمال في الكرنك، وأنه هو الذي كان يعطي كل التعليمات للصناع وأصحاب الحرف؛ كما نجده يفتخر في النقوش التي على التمثال رقم ٤٢١٨٦ بأنه بجده ومهارته قد أقام آثارًا مختلفة في بيت «أمون» باسم سيد الأرضين، وتشمل تماثيل من فضة وذهب مشغول ومطروق، ثم محرابًا مجهزًا ببابين عظيمين من الذهب المرصع بكل أنواع الأحجار الغالية (الحقيقية)، وكذلك يتحدث عن مبنى كان قد وسع أبوابه، ونقش عليه اسم سيد التيجان، وأخيرًا يذكر لنا سفنًا جارية في النهر لـ «أمون»، و«موت»، و«خنسو» (ثالوث طيبة).

والواقع أن البناء الذي وجه إليه معظم عنايته لم يكن معبدًا ولا مقصورة، بل كان مسكن الكهنة العظام، وهذا المسكن كان يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ضيعة «أمون» على ربوة خارج الردهة التي تمتد بين البوابتين السابعة والثامنة على حافة البحيرة المقدسة العظيمة. والواقع أن المعبد المقام من حجر المرمر — وهو الذي وجد عليه «مريت باشا» نقشًا للكاهن الأعظم «أمنحتب»، وكذلك الجدار الذي يوصله بالمباني المصنوعة من اللبن التي هدمت الآن، والذي نُقش عليه «رومع-روي»، ومن بعده «أمنحتب» متناً — يدل على ما قاما به من إصلاح، كان يتألف منها جميعاً مسكن الكهنة العظام ومقصوراتهم الخاصة (راجع Maspero Momies Royales p. 670). وهذه المؤسسة الدينية يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الثانية عشرة؛ وقد كان الكهنة العظام من حين إلى حين يصلحون من شأنها كلها، أو جزء صغير من أجزائها على حسب الأحوال (راجع L. D. III, p. 237 & Lefebvre Insc. § XI). وكان الجزء الذي شرع «رومع-روي» في إصلاحه في هذا البناء هو المكان المخصص للخبازين، وصانعي الجعة. وبهذه المناسبة نقش على البوابة الثامنة على يمين الباب الصغير الذي يؤدي إلى السلم؛ النقش التذكاري المشهور الذي أشرنا إليه. ونلاحظ أن «رومع-روي»، قد تجاسر هنا، وأمر برسم صورته واقفاً مرتدياً ثوبه الشفيف الفضفاض، مكشوف الرأس حليقاً، ويحلي جيده عقد، وخلفه ابنه «باكنخنسو»، وهو الذي خلفه في منصب الكاهن الثاني للإله «أمون» عندما رُقي هو لمنصب الكاهن الأول. ويلاحظ أن الكاهن الأعظم في هذا المنظر كان رافعاً يده تضرعاً وخشياً. والواقع أن المتن يبتدئ بأنشودة تضرع للإله «أمون رع»، وبعد أن طلب «رومع-روي» إلى ربه

أن يمنحه حياة مديدة سعيدة، وأن يحفظ عليه صحته حتى المات، وأن يضمن له أبدياً توريث أولاده، وأحفاده من بعده في وظائفه، عدّد لنا مناقبه حيث يقول:

أنتم يأيها الكهنة المطهرون، ويا كتبة بيت «أمون»، ويأيها الخدم الممتازون للقربان المقدسة، ويأيها الخبازون، وصانعو الجعة، وصانعو الحلوى، وخبازو الرغفان (المسماة) «سنت»، و«بيت»، و«بسن» الذين يقومون بأداء واجباتهم نحو سيدهم، والذين سيدخلون في هذا المصنع الذي في بيت «أمون»، عليكم أن تنطقوا باسمي كل يوم، مانحين إياي ذكرى حسنة، وعليكم أن تفخمونني لأعمالي الصالحة؛ لأنني كنت رجلاً مقداماً.

لقد وجدت هذا المكان آثاره دارسة تماماً، وجدرانه ساقطة، وخشبه متآكل، وإطاراته التي كانت من الخشب قد اختفت، وكذلك الألوان التي كانت تغطي النقوش البارزة قد أعدتها ووسعت ... بأحسن ما يكون، وقد صنعت الإطارات من حجر الجرانيت، وركبت له أبواباً من خشب الأرز الحقيقي، وأقمت فيه مصنعاً مريحاً للخبازين، وصنّاعي الجعة الذين يسكنونه، وقد عملت هذا بصناعة أحسن من ذي قبل؛ محافظة على موظفي إلهي «أمون» سيد الآلهة.

وتدل النقوش على أن برجى البوابة الثامنة كانا بمثابة ملحق لسكن الكهنة العظام على الأقل في عهد «روم-روي»، إذ قد عثر الأثري «ليفبر» على نقشين في أحد الجدران في الجزء الأعلى من السلم المؤدي للبرج، والنقش الأول الذي على اليمين هو منظر محاط بسطرين من النقوش الهيروغليفية السريعة، وقد مثل في المنظر شخص صغير يقف ورافعاً يديه تعبدًا، أما الكتابة فتقول: «عمله رئيس تشريفات بيت «أمون»، ورئيس إدارة الكاهن الأول لـ «أمون رومع»، والمسمى «أمنمأبت».» ثم يأتي بعد ذلك عمود خالٍ من النقش «ونقاش معبد «أمون» «باكنورل» بن «حاو نفر»، والنقش الثاني نُحت على مخرج السلم على الجدار الذي يحمل العتب، وهو: كاوي ملابس بيت «أمون»، وحارس حجرة الكاهن الأعظم لأمون «روي» المسمى «سمنتاوي».

ونفهم في الحال أهمية هذين النقشين، إذ يدلان على وجود إدارتين في داخل البوابة الثامنة في عهد الكاهن «روم-روي» بالقرب من المباني الخاصة بمسكن الكهنة العظام، وكذلك نعلم أن تشريفي «روم-روي»، وهما «أمنمأبت»، وتابعه «سمنتاوي» كانا يترددان على هذه الأماكن للقيام بخدمات لسيدهم.

وتدل النقوش على أن «روم-روي» لم يصل إلى رتبة كاهن أول للإله «أمون» إلا في سن مرتفعة جداً، وقد مكث يشغلها مدة طويلة ومات معمرًا، وقد كان منتهى أمله، وما تتوق إليه نفسه أن تمتد به السنون إلى العاشرة بعد المائة، إذ نجده في نقوشه قد تضرع إلى ربه راجيًا أن يُمنح هذا العمر المديد الذي كان يطمح إلى بلوغه كل مصري. وقد دُفن «روم-روي» في قبره بجبانة «ذراع أبو النجا»، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذا القبر لم يبقَ منه إلى يومنا هذا إلا دمنه التي تحدّث عن موقعه، ووجد له في بقاياها تمثال صغير من الجرانيت، وقطع مختلفة من الحجر كُتِب عليها اسمه المزدوج «روم-روي» (راجع The Museum Journal, Philadelphia March 1924, p. 41).

«ونتوات» الكاهن الأول لـ «أمون خنوم واست»

ذكرنا فيما سبق الكهنة الأول للإله «أمون» في الكرنك في عهد «رعمسيس الثاني»، غير أن بعض علماء الآثار قد ظن أن الكاهن «ونتوات» كان ضمن هؤلاء الكهنة، فمن ذلك أن «لجران» الذي عثر على تمثال فريد لهذا الكاهن قال: إنه للكاهن الأول لـ «أمون» (راجع Legrain, Cat. Gen. No. 42158)، معتمدًا في استنباطه على ملبسه؛ إذ يرى في شعره المستعار المجعد، وجلبابه الطويل ذي الثنايا والكُمين الملتويين أنه من عصر «رعمسيس الثاني»، وقد استند — فضلًا عن ذلك — على رأي العالم «مسبرو» الذي قال عن هذا التمثال: إن صاحبه عاش في أواخر عهد «رعمسيس الثاني»، (راجع Maspero Momies Royales p. 747)، وقد قفا الأثري «فرشنسكي» رأي «مسبرو»، غير أنه لم يفهمه تمامًا؛ إذ قال: إن هذا الكاهن عاش في العصر الأثيوبي (راجع Wreszinski, Die Hohenpriester No. 70). ولكن من جهة أخرى تدل البحوث على أن اللوحة التي اعتمد عليها «مسبرو» في تقرير رأيه ليست قديمة إلى الحد الذي يعتقد، بل إنها في الواقع من عهد الأسرة العشرين، ومن جهة أخرى قد أصبح من المؤكد أن «ونتوات» الذي كان يشغل وظيفة نائب الملك في بلاد النوبة كان يشغل حقًا وظيفة الكاهن الأول، غير أنها لم تكن لـ «أمون رع» ملك الآلهة بالكرنك، بل لـ «أمون رعمسيس»، «وأمون خنوم واست» (راجع Grand Temple de Ramses II à Gourneh; Lefebvre Grands Pretres D'Amon. (De Karnak. P. 160-61).

كهنة «آمون» الثانويون، وموظفوه في مختلف الأعمال

وقد عثرنا على أسماء بعض كهنة «آمون» في عهد «رعمسيس الثاني» من درجات مختلفة نذكر منهم:

زت: الكاهن الثاني لـ «آمون»، وقد عثر على تمثال مجيب باسمه في جبانة «ذراع أبو النجا»، وهو الآن «بالمتحف المصري» (راجع Petrie Hist. III, p. 96).

وسرمنتو: ويحمل لقب «خادم آمون»؛ أي كاهن آمون، وقد جاء اسمه على قطعة من بردية عثر عليها في «سقارة»، ويدل ما تحويه على أنها كُتبت في «طيبة»، وهي من الأهمية بمكان؛ إذ تحتوي على موضوع قضية أقامها كاتب الأطعمة المسمى «نفر عابو»، وأخته بسبب قطعة أرض من أملاك معبد الإلهة «موت»، وكانا قد حُرما تثميرها مدة طويلة، على الرغم من أنها كانت هبة لهما، وعندما أراد أن يستردها هذا الكاتب ويستولي على محصولها، عارضه في ذلك «وننفر» كاهن معبد الإلهة «موت» قائلاً: إن هذه الأرض قد أصبحت ملكاً لمعبد الإلهة «موت» منذ زمن بعيد، ولكن المحكمة بعد فحص الدعوى حكمت للمدعي بالحق؛ وهذه من القضايا النادرة التي صادفناها في تلك الأزمان القديمة.

وقد كان «وسرمنتو» ضمن القضاة المحكّمين في هذه القضية، وعددهم تسعة، ويلحظ أن ستة منهم كانوا من كهنة معبد «آمون»؛ مما يدل على ما كان لهذا الإله من السلطان في «طيبة»، وفي تشكيل رجال المحكمة، وقد كان على رأسها الكاهن الأكبر «باكنخنسو» للإله آمون. وقد كتبت الورقة في السنة السادسة والأربعين من عهد الفرعون «رعمسيس الثاني». وهاك الجزء الأول منها الذي لم يصبه تهشيم كبير:

السنة السادسة والأربعون، الشهر الثاني من فصل الزرع، اليوم الرابع والعشرون في عهد جلالة ملك رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع بن رع» رب التيجان «رعمسيس» محبوب «آمون»، حاكم «هليوبوليس» المحبوب من «آمون رع» ملك الآلهة، معطي الحياة مخلدًا وسرمدياً. في هذا اليوم في قاعة العدل للفرعون في المدينة الجنوبية المسماة «التي تنتشر بالعدالة عند البوابة لرعمسيس الثاني»، ومحكّمو هذا اليوم هم:

(١) الكاهن الأول لآمون «باكنخنسو».

- (٢) كاهن آمون «وسرمنتو».
- (٣) كاهن آمون «رومع».
- (٤) كاهن معبد «موت» «وننفر».
- (٥) كاهن معبد «خنسو امنمئيون».
- (٦) الكاهن والد الإله لمعبد آمون «أمنمأبت».
- (٧) الكاهن المطهر والمرتل لآمون «أمنحتب».
- (٨) الكاهن المطهر والمرتل لآمون «أني».
- (٩) الكاهن المطهر لمعبد آمون «حوي».
- (١٠) كاتب الحسابات لقاعة العدل «حوي».

وبعد تعداد المحكّمين يقدم المدعي دعواه، ومما يؤسف له أن المتن مهشم، ولكن أمكن فهم مغزى القضية على وجه التقريب، والواقع أن هذه الورقة تقدم لنا عددًا لا بأس به من رجال الكهانة في هذا العهد، وكيفية تشكيل المحكمة. ولا نزاع في أن الأمر هنا كان خاصًا بأُملاك المعبد؛ ولذلك نجد أن المحكمة شكّلت من أعضاء كلهم من الكهنة عدا الكاتب الذي كان بيده حساب هذه القضية على ما يظهر.^{٤٣٩}

حريم «آمون» ومغنياته

ذكرنا فيما سبق ما نعرفه عن حياة الكهنة الأول لمعبد «آمون» بالكرنك، ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر الدور الذي كانت تقوم به أزواج هؤلاء الكهنة وبناتهم وغيرهن في خدمة الإله العظيم وغيره، والوظائف التي كانت تسند إليهنّ. والواقع أن كل المعابد كانت تشمل ضمن موظفيها عددًا عظيمًا جدًّا من الموسيقيات والمغنيات، وكانت وظائفهن سهلة بسيطة في ذاتها؛ إذ كانت تنحصر في الغناء أو الضرب بالصاجات في الأعياد، ولا شك في أن حضورهن كان يزيد في أبهة المحافل ورونقها. وكذلك كما يقول الأثري «بلكمان» كانت النساء على وجه التقريب اللائي كُنَّ يسكنن في «طيبة»، أو ما جاورها في معابد الدولة الحديثة يقمن بوظيفة كاهنات مغنيات (راجع، J. E. A. VII, p. 9)، ويجدر بنا هنا أن نذكر أن عملهن هذا كان يقابل عمل الرجال العاديين الذين كان

^{٤٣٩} راجع: Erman A. Z. XVII, p. 72; Peet. J. E. A. Vol. X, p. 118 & Bahor. A. S. XLVIII, p. 477

يحمل كل منهم لقب «مغني آمون» (راجع Pierret Louvre I, p. 98 etc.)، ويكفي أن نشير هنا إلى أن بنتي الكاهن «حبوسنب» الذي عاش في عهد الملكة «حتشبسوت»، وكذلك بنات «بتاحمس» الخمس، وزوج «روم-روي» كن مغنيات الإله «آمون»، وتدل الوثائق — على ما يظهر — على أن هؤلاء الكاهنات كن كباقي أفراد كهنة «آمون» الصغار ينقسمن طوائف كهانة منذ الأسرة الثامنة عشرة. والواقع أنه يوجد لدينا تمثال من الكرنك من هذا العهد نُقش عليه لقب مغنية «آمون» من الطائفة الثانية (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42122 d, 11)، وكذلك نقرأ على لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة» اسم مغنية من الطائفة الرابعة (راجع Lacau Cat. Gen. No. 34117) وقد بقيت الحال كذلك إلى عهد الأسرة الثانية والعشرين حينما ظهر لقب موسيقارة «آمون رع» (أخت آمون رع) (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42189 & 42213 ff.)، ومن المحتمل أن هؤلاء المغنيات كن ضمن كهنة «آمون»، وهن غير المغنيات اللائي كن خارج هذه الهيئة، ونعلم أنهن كن ينقسمن أربع طوائف (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42211 e).

وقد كان ضمن كاهنات «آمون» ما نسميه حريم «آمون»، أو حظياته، وهؤلاء كذلك كن مقسمات طوائف كهانة، وكان على رأس كل طائفة رئيسة، كما يدل على ذلك لقب رئيسة حريم «آمون» من الطائفة الثالثة (راجع Wreszinski Die Hohenpriester § (XX-XXII Dyn?) 57). ومن المحتمل أن هؤلاء الحظيات كن يُنتخبن من بين المغنيات؛ إذ وجدنا أن إحدى هؤلاء الرئيسات التي كانت تلقب رئيسة الحريم مغنية لـ «آمون» (راجع Mariette Cat. des Mon. D'Abydos No. 1137).

ونعلم مما سبق أن «تويا» حماة «أمنحتب الثالث» كانت كذلك رئيسة حريم، وفي الوقت نفسه مغنية «آمون» (راجع الجزء الخامس)، ومن ثم نعلم أن هذه الوظيفة كان في الإمكان إسنادها إلى نساء عظيمات ممن ينتسبن للأسرة المالكة، وعلى وجه عام كانت زوج الكاهن الأكبر،^{٤٤٠} أو إحدى^{٤٤١} بناته هي التي تقوم بأعباء هذه الوظيفة، وأحياناً كانت تسند إلى زوج الكاهن الثاني لـ «آمون».^{٤٤٢}

^{٤٤٠} راجع: Histoire des Grands Pretres p. 248-9, 255.

^{٤٤١} Ibid. p. 247.

^{٤٤٢} Ibid. p. 25 note 3.

وإننا نجهل الدور الذي كانت تقوم به هؤلاء الكاهنات اللائي لم يكنن قاصرات على خدمة الإله «أمون»، بل كان للآلهة والإلهات الأخرى خادمت من النساء، كما سترى بعد. ويعتقد الأستاذ «مسبرو» أن هؤلاء النسوة كن على ما يظهر يؤلفن طائفة حظيات مقدسات، شبيهات بالطوائف الفينيقية، والسورية، والكلدية (راجع Maspero Guide p. 276). ومن المحتمل أنهن كن يؤلفن حاشية فقط، أو ضيفات شرف لدى زوج الإله، التي كان يعتقد أنه كان لها اتصال جسمي مع الإله؛ ولذلك كان يظن أنها تقوم على الأرض بالدور الذي كانت تقوم به الإلهة «موت»، التي كانت تُدعى «الزوجة الإلهية للإله أمون»، وهذا الدور في الأصل كانت تقوم به الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع». وقد انتحل «أمون» لنفسه صفة «رع» عندما علا نجمه في عهد الدولة الحديثة (راجع Blackman Ibid. p. 14). وكانت تلقب زوج الإله كذلك «اليد الإلهية»،^{٤٤٣} أو المتعبدة الإلهية لـ «أمون»، وهذا الدور الهام الذي كانت تقوم به زوج الإله الدنيوية، كانت تقوم بأدائه بطبيعة الحال الملكة؛ إذ كان المفروض أن «أمون» يتقمص الفرعون الحاكم، وكان هذا الإله أحياناً يتفضل بمباشرة الملكة لتنجب؛ وكان الغرض الوحيد من ذلك هو تخليد سلسلة نسب ملوك مصر الإلهية. وقد كانت أمثال هذه الظاهرة تحدث لضرورات سياسية داخلية (راجع Moret du Caractere Religieux de la Royaute Pharaonique, Chap. II).

وقد ذكرنا آنفاً أولئك الملكات اللائي كن يحملن هذا اللقب في عهد الأسرة الثامنة عشرة، أما في عهد الأسرة التاسعة عشرة فلم نجد من زوجات الملوك من كن يحملن هذا اللقب إلا زوج «رعمسيس الأول»، وزوج «سيتي الأول»، ثم زوج الملك «سبتاح»، ثامن ملوك الأسرة التاسعة عشرة (راجع L. R. III, p. 9, 29, 145).

وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن زوج الإله «أمون» كان لها الحق في إدارة كل شئون الكاهنات في معبد الكرنك، وأنها كانت المشرفة عليهن في وقت الأفعال، وكانت تقوم بدور الضرب بالصاجات، وتغني لتسر الإله، وتحمل له الأزهار (راجع A. Z. 35, 92 p. 85, 1905; A. S. V, p. 17). وكان لها بيت خاص، يديره موظف لقبه: مدير بيت الزوجة الملكية، كما كان لها موظف يحمل لقب المدير العظيم للبيت، يضاف إلى ذلك أنه كان في حيازتها معامل للصناعة، يديرها موظف لقبه: المشرف على مصانع زوج

^{٤٤٣} المقصود هنا أن اليد كانت تستعمل لاستمئاء الرجل، كما استعمل الإله «أتوم» يده في إحدى الروايات عند برء الخليقة.

الإله (راجع Maspero Momis Royales p. 539; Urk IV, 403, 2; Daressy Recueil (Cones No. 247).

وسنذكر فيما يلي بعض هؤلاء النسوة اللاتي كن يحملن هذه الألقاب الدينية:

نفرت موت: رئيسة حريم «أمون» (راجع Lieblein Dic. Noms. 2052).

تيي: مغنية بيت الفرعون، ورئيسة حريم «أمون»، وهذه المرأة كانت ابنة الوزير «باسر»، الذي عاصر كلاً من «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني» (راجع Champ. Notices I, p. 523).

أما النساء اللاتي كن يحملن لقب مغنية «أمون» فهن كثيرات في عهد «رعمسيس الثاني»، وسنذكر بعضهن على سبيل المثال، ونخص بالذكر:

تاكمعي: مغنية «أمون»، ثم «تيا»، و«تويا»، و«باكأمون»، و«يي»، و«ويا»، وكلهن من أسرة واحدة (راجع Mariette Cat. Abydos No. 1128). وكذلك «حنت محيت»، و«نفرتاري»، و«ياي»، والظاهر أن كل هؤلاء من أسرة واحدة، وهي أسرة رئيس الشرطة «أممأنت» (راجع ص و Brugsch Thesaurus p. 951 ff.).

وقد كان لمعبد «أمون» طائفة خاصة من الموظفين، نذكر منهم على سبيل المثال في عهد «رعمسيس الثاني» ما يأتي:

ستاو: المشرف على خزينة «أمون» ومدير أعياده، يوجد لهذا الموظف لوحة في المتحف البريطاني (No. 566)، وقد مثل عليها «ستاو» يتعبد للإلهين «رع»، و«إزيس»، وفي منظر آخر يقدم البخور، وماء الطهور للإله «أوزير»، وعلى حافة اللوحة نقشت صلوات للإله «رع حوب مأخت»، و«حتحور»، و«أنوب»، و«وبوات»، و«تحت»: رجاء أن يقدموا للمتوفى قرباناً (راجع Budge. Sculptures p. 189).

نخت تحوتي: المشرف على عمال بناء السفن للبحرية الشمالية، والمشرف على صياغ الذهب في ضيعة «أمون»، وقبر هذا الموظف «بالعساسيف» (راجع Gardiner & Weigall Cat. No. 189).

«مس» (موسى): المشرف على أعمال رب الأرضين، في كل أثر لـ «أمون»، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٣) (راجع G. W. Cat. No. 137).

أمون واح سو: كاتب النقوش المقدسة في ضيعة «أمون»، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١١١) (راجع Ibid. No. 111).

مري خنوم: رئيس الكتبة في معبد «أمون»، والمشرف على المدينة في الأراضي الأجنبية الجنوبية، عثر لهذا الموظف على لوحة منقوشة في صخور جزيرة «سهيل»، وقد مثل فيها واقفًا يتعبد أمام «رعمسيس الثاني» الجالس على عرشه (راجع De Morgan (Cat. Mon. I, p. 99 (No. 197).

(ب) موظفو معبد «الرمسيوم»

يدل ما لدينا من آثار باقية على أن «رعمسيس الثاني» قد رصد لمعبده الجنائزي الذي أقامه لعبادته هو ولعبادة الإله «أمون» موظفين وعمالاً، وحبس عليه الأوقاف الكثيرة. وسنذكر بعض هؤلاء الموظفين، ومما يلفت النظر أن هؤلاء الرجال كانوا يقومون بأعمال حكومية أخرى، ومن المحتمل أن عملهم في هذا المعبد كان إضافياً أو عملاً فخرياً كانوا يتقاضون عليه أجرًا وڤيرًا، مما كان يحبس عليه من أموال طائلة، وأراضٍ شاسعة، وهذا ما يقابل في عصرنا تعيين نظار الأوقاف العظيمة التي يتقاضى القائمون عليها مبالغ ضخمة، وهذا المعبد كان يُسمى قديمًا: معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت «أمون». **نزم:** كاتب الفرعون، ومدير معبد «الرمسيوم»، وجد اسمه على مجموعة مؤلفة من تمثالين مهشمين، عثر عليها في «العراية المدفونة». (راجع Petrie Abydos II, pl. XXXVIII, p. 36).

نب نختوف: مدير الأعمال في «الرمسيوم»، وحاكم البلاد الأجنبية في الشمال، ورئيس شرطة الصحراء «مازوي»، وسائق عربة جلالته، ورسول الفرعون في كل بلد أجنبي، وجد لهذا الموظف لوحة يظهر عليها «رعمسيس الثاني»، وقارب الإلهة «إزيس» المقدس، يحمله كهنة على أكتافهم (راجع Petrie Koptos p. 15-16 pl. XIX)، وقد وقف «رعمسيس» في المنظر، مقدمًا البخور «لإزيس» الكبرى، أم الإله، وقد كتب النقش التالي: «رعمسيس» يطلق البخور لوالدته «إزيس».» وتدل شواهد الأحوال على أن «نب نختوف» قد قص على هذه اللوحة أحواله، وما أصابه من ظلم. وهاك ما تبقى من المتن المهشم: «مدير الأعمال في معبد «وسر ماعت رع» «نب نختوف» الذي وضعته ... المرحومة يقول: الصلاة لك يا «إزيس» ... يا صاحبة الوجه الجميل في سفينة معزت (سفينة النهار)، يا صاحبة الشجاعة العظيمة ... أذرعًا ماحية الشجار ومُعيدة ... ومخلصة الضعيف من المتوحش ... على الأرض، ومدينتك ... (٧) ... (٨) أنا على مصر،

وإني قد وقفت بين ... (٩) الأشراف، بوصفي رئيس شرطة الصحراء ... (١٠)، وهذا الخادم المتواضع — يقصد نفسه — قد وصل إلى مدينته ليقدم الثناء لـ «إزيس»، وليمجد الإلهة العظيمة (١١) في كل يوم، وقد وضعتني بجانبه، وقد تعبدت إليها قائلاً (١٣): إنك قد خلصت «نب نختوف»، وإنك ستخلصين ... (١٤) ... وإنك ستجعلين ... تأملي، لقد عملت لوحة مثلها ... (١٥)، وكل طرقها قد مكنت تماماً، ويدها لم توقف ... (١٦) تأمل، إن ما قدم له عمل لي، ولقد عملت بوصفي حاكم البلاد الأجنبية في الأراضي الشمالية، وعملت بوصفي رئيس المازوي، وكذلك بوصفي سائق عربة جلالته، والسفير الملكي لكل أرض، والمشرف على الأعمال في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في معبد «أمون» (الرمسيوم)، بوصفي خادم مفيد مثل نفسي، وإن «إزيس» قد منحتني ...» ومما بقي من هذه اللوحة المهشمة نعلم أن «إزيس» كان لها مكانة عظيمة في هذه الجهة، ولا غرابة في ذلك، فقد كانت منذ الدولة الوسطى تُدعى أم الإله «مين»، أعظم المعبودات في هذه البلدة، وكذلك نستنبط أن «نب نختوف» قد جاء لزيارتها في «قفط» مسقط رأسه على ما يظهر، وأنه قد شكَا إليها من شيء قام عليه نزاع بينه وبين فرد آخر، وقد قضت له «إزيس» بوساطة إشارة (وحي) من تمثالها، تدل على أنه هو المحق. وما جاء على هذه اللوحة يذكرنا بما جاء على لوحة أخرى، أقامها شخص يُدعى «باسر» في جبانة «مكان الصدق» في «دير المدينة»، وقد تحدثنا عنها (راجع مصر القديمة الجزء الرابع).

رعمسيس نختو: مدير معبد «وسر ماعت رع ستبن رع» في بيت «أمون» على الجهة الغربية من «طيبة» (الرمسيوم)، يوجد في متحف «بروكسل» قطعة من الحجر عليها منظر يمثل «رعمسيس نختو»، وأمامه شخص آخر يحرق البخور، وخلفه زوجه ربة البيت، ومغنية «حتحور»، سيدة الجميزة «توي» المرحومة (راجع P. S. B. A. Vol. XI, p. 261-2)، وقد كُتِبَ على هذه القطعة من الحجر ألقاب هذا الموظف.

خنوم محاب: المشرف على خزانة الرمسيوم في ضيعة «أمون»، وقبره «بجبانة العساسيف»، وقد وجد على جدرانها فضلاً عن لقبه السالف الألقاب التالية: «كاتب الملك الحقيقي، ومحبوبه، وقائد جيوش رب الأرضين في قصره...»^{٤٤٤}

^{٤٤٤} راجع: G. W. Cat. No. 126 & L. D. Texte III, 249

نب سومنو: المدير العظيم للبيت، ومدير البيت في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع»، وقبره في «الخوخة» رقم ١٨٣. ٤٤٥

محو: وكيل بيت «وسر ماعت رع ستبن رع» (الرمسيوم) في ضيعة «أمون» في غربي «طيبة»، وقبره «بالعساسيف» رقم ٢٥٧، وهذا القبر قد اغتصبه «محو» هذا من موظف آخر عاش في عهد كل من «تحتمس الثالث»، و«أمنحتب الأول» يُدعى «نفر حتب»، كان يلقب «الكاتب حاسب حبوب أمون». ٤٤٦

والمنظر الهام فيه هو صورة المتوفى واقفاً أمام تمثال الإله «تحتوت» في هيئة قرد على رأسه صورة قرص القمر والتاج، وفوق التاج صورة الهلال يتعبد إليه بوصفه رب «الأشمونين»، والكاتب الحقيقي للتاسوع، وكان يحمل لقب كاتب القرابين المقدسة لأرباب «طيبة»، ٤٤٧ ويوجد لهذا الموظف لوحة في «تورين» ٤٤٨ أيضاً.

«نب محيت» كاتب المجندين في «الرمسيوم»: وقبر هذا الموظف في جبانة «ذراع أبو النجا» رقم ١٧٠. ٤٤٩

نزم جر: المشرف على الحديقة في «الرمسيوم» في بيت «أمون»، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ١٣٨، ٤٥٠ وليس في نقوش قبره ما يلفت النظر إلا منظر إلهة الجميزة تقدم طعاماً لزوج المتوفى، ومنظر حساب الآخرة، وله لوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وهي مؤرخة بالسنة الثانية والستين من حكم «رعمسيس الثاني». ٤٥١

بتاح مويا: المشرف على ماشية «معبد الرمسيوم»، والكاتب الملكي للقرابين الإلهية لكل الآلهة، وقد وجدت هذه الألقاب على تمثال له عثر عليه في «العرابة»، ٤٥٢ وكذلك عثر له على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني».

٤٤٥ راجع: G. W. Cat. No. 183.

٤٤٦ راجع: Engelbach Supplement to Topographical Catal. of private Tombs No 257.

٤٤٧ راجع: L. D. Texte III, p. 25.

٤٤٨ راجع: Lanzzone. Cat. Turin 1465.

٤٤٩ راجع: G. W. Cat. No. 170.

٤٥٠ راجع: Porter & Moss I, p. 138.

٤٥١ راجع: Petrie Hist. III, p. 97.

٤٥٢ راجع: Petrie Abydos I, p. 45 pl. LXVII.

«بتاح مويا» كاتب حجرة الفرعون: وفي المتحف البريطاني لوحة باسم شخص يُدعى «بتاح مويا»، غير أنه يحمل ألقاباً أخرى غير التي يحملها سميهِ السابق، وهي: المشرف على الإصطبلات الفرعونية، وكاتب حجرة الفرعون، والرسول الملكي للأراضي الأجنبية، ويشاهد في أعلى هذه اللوحة الشمس المجنحة التي تتدلى منها يدان بشريتان تحتضنان اسم «رعمسيس الثاني»، كما يشاهد في أسفلها المتوفى يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس»، و«حور»، ويقدم المتوفى القربان لأجداده الذين صفت صورهم في ثلاثة صفوف.^{٤٥٢}

نفر رنبت: رئيس النساكين في «الرمسيوم» في ضياع «أمون» غربي «طيبة»، وقبر هذا الموظف في «جبانة شيخ عبد القرنة رقم ١٣٣»، وقد وجد على السقف: أنه يحمل كذلك لقب المشرف على نساكي رب الأرضين، ويرى على جدران قاعة مزار هذا القبر النساجون، وهم يؤدون عملهم.^{٤٥٤}

رعمسسو: الكاهن المطهر، والمرتل لمعبد «الرمسيوم»، عثر على هرم من الحجر الجيري، وهو الآن «بمتحف فينا»،^{٤٥٥} وقد نقش على وجوهه الأربعة صلوات للشمس المشرقة، وللشمس الغاربة، وقد مثل الشمس المشرقة هنا «أمون رع حور اختي»، ومثل الشمس الغاربة «أوزير خنت أمنتتي». وقد كان «رعمسسو» صاحب هذا الهرم الكاهن المطهر، والمرتل لمعبد الرمسيوم، كما كان مدير القربان لمعبد الملك، والإله «سوكار» في «خنوم واست»، والكاهن والد الإله لـ «أمون خنوم واست» أيضاً، هذا إلى أنه كان الكاهن المطهر الأول للإله «بتاح» في «الرمسيوم».

باكا: كاتب معبد «الرمسيوم». ^{٤٥٦}

باسر: حارس البيت في «الرمسيوم»،^{٤٥٧} وقبره بجبانة «العساسيف».

باكنخنسو: الكاهن المرتل الأول للإله «بتاح» في معبد «الرمسيوم». ^{٤٥٨}

^{٤٥٢} Budge, Guide to Sculptures p. 169. راجع:

^{٤٥٤} Porter & Moss I, p. 143; & A. S. VI, 84. راجع:

^{٤٥٥} Rec. Trav. IX, p. 51. راجع:

^{٤٥٦} Petrie Hist. III, p. 97. راجع:

^{٤٥٧} Ibid. III, p. 98. راجع:

^{٤٥٨} Rec. Trav. IX, p. 51. راجع:

بياي: كاتب مخازن «الرمسيوم»، وقبر هذا الموظف في جبانة «ذراع أبو النجا»، وكان يلقب كذلك «كاتب مخزن آمون خنوم واست». ^{٤٥٩}

بارع محب: المشرف على ماشية معبد «الرمسيوم» في ضيعة «آمون»، لم نعثر على اسم هذا الموظف إلا على تمثال مجيب من الخشب محفوظ الآن بمتحف «روان Rouen». ^{٤٦٠}

أيوبيا: مدير بيت معبد «الرمسيوم»، وقبر هذا الموظف غير معروف، ولكن وجدت له عدة آثار في متاحف العالم، منها تمثال من الحجر الجيري محفوظ بالمتحف المصري، وقد كُتِبَ على كتفه اسم الفرعون «رعمسيس الثاني»، والإله «بتاح»، وزوجه «سخت»، والإله «تحوت»، وزوجه «نحمت عواي»، وكتب على عمود التمثال صوت لألهة مختلفة، وألقابه هي: كاتب الفرعون الحقيقي ومحبوه، ومدير البيت، والمشرف على الخزانة، والمشرف على مخازن الغلال، والكاهن الماهر في عيد «آمون»، ومدير البيت في معبد «الرمسيوم». ^{٤٦١}

وفي «متحف بروكسل» يوجد تابوته، ^{٤٦٢} وقد وجدت عليه الألقاب التالية: مدير الأعمال على آثار سيده، ومدير عيد «آمون»، ومدير بيت «الرمسيوم» لمالية «آمون»، وكذلك عثر له على تمثال من الجرانيت الأسود في مجموعة (ميو Meux)، ^{٤٦٣} هذا إلى لوحة في «متحف تورين». ^{٤٦٤} وكذلك تمثال في «متحف اللوفر». ^{٤٦٥}

(ج) كهنة «أوزير» في العرابة المدفونة

ذكرنا فيما سبق أن كهنة «أوزير الأول» الذين عاشوا في عهد كل من «سيتي الأول»، وابنه «رعمسيس الثاني» كانوا أصحاب نفوذ وسلطان بما كان في أيديهم من قوة روحية على

^{٤٥٩} راجع: Engebach. Ibid. No. 263.

^{٤٦٠} راجع: Rec. Trav. II, p. 151.

^{٤٦١} راجع: Borchardt Stat. II, p. 117-18.

^{٤٦٢} راجع: Speelers. Rec. Insc à Bruxelles p. 67.

^{٤٦٣} راجع: Meux Budge Eglyp. Antiq in the Possession of Lady Meux p. 105.

^{٤٦٤} راجع: Lanzone. Cat. Turin 1465.

^{٤٦٥} راجع: Pierret Rec. Insc. Louvre II, 11.

كلا الفرعونين، وقد تطورت هذه السلطة من روحية إلى مادية حتى إنهم أصبحوا هم المشرفين على إقامة المعابد في هذه الجهة، ثم أوغلوا في شؤون الدولة نفسها ووظائفها حتى أصبح أفراد أسرتهم وفروعها يشغلون معظم الوظائف الرئيسية في الدولة من دينية وسياسية وحربية، وقد تركوا آثاراً عظيمة تحدثنا عن مقدار نفوذهم، وشغلهم لكل الوظائف العليا، وأهم متن وصل إلينا — يبين لنا تلك الفترة من تاريخ البلاد، ومقدار سلطان هذه الأسرة — هو الأثر الذي تركه لنا «أمنأنت» رئيس الشرطة، وهو ابن الكاهن الأول للإله «آمون» المسمى «وننفر». وتدل شواهد الأحوال على أن «أمنأنت» قد أقام هذا الأثر ليكون عنواناً للخلف يقرءون عليه مقدار ما كان لهذه الأسرة من قوة وبطش مدة حكم «رعمسيس الثاني»، وهذا التذكار العظيم محفوظ الآن «بمتحف نابلي»،^{٤٦٦} وسنورد هنا أولاً النص الذي جاء عليه، ثم نتحدث عن كهنة «أوزير» في «العراية».

وقد بدأ «أمنأنت» مقيم هذا الأثر بالمقدمة التالية، وهي:

أنتم يأيها الكهنة خدام الإله، ويأيها الكهنة المطهرون، قدموا لي ماء، وضمخوني بالعطور الفاخرة؛ لأنني قد عملت كل ما فيه خير للآلهة، وأنا على الأرض كما فعل والذي لأسرته جميعاً، ولقد كان أعلى موظف في «أرمنت» عليكم مثلي أمام سيدي.

وعلى إطار هذا الأثر نقرأ:

رئيس الشرطة «أمنأنت» المرحوم يقول: أنتم يا نواب رؤساء الشرطة العظماء، وكل شرطي من هذه البلدة، قدموا ماء وطعاماً (?) لاسمي؛ لأنني كنت أفعل الخير عندما كنت على الأرض: إلى روح «أمنأنت».

وبعد ذلك تأتي صور الأفراد الذين يتألف منهم أعضاء أسرته، ومن يتصل بها، وقد شفع كل اسم بوظيفته، وهاك الأسماء على حسب ترتيبها التاريخي:

(١) «وننفر»: الكاهن الأول لـ «آمون» المسمى «وننفر»، وهو والد «أمنأنت» رئيس الرماة.

^{٤٦٦} راجع: Brugsch Thesaurus p. 953 ff.

- (٢) «حورا»: مدير الأعمال، والكاهن الأول للإله «أنحور» المسمى «حورا»، وهو الأخ الأكبر لـ «أمنمأنت».
- (٣) «أمنمأنت»: الكاهن أعظم الرائيين في بيت «رع» — وهذا أكبر لقب كان يحمل في «عين شمس» — الذي على عرش رب الأرضين، «أمنمأنت» أخو «أمنمأنت».
- (٤) «باسر»: ابن الملك حاكم «كوش» المسمى «باسر» أخو رئيس رماة الجيش «أمنمأنت».
- (٥) «منموسي»: الكاهن الأول للإله «مين»، و«إزييس» المسمى «منموسي»، وهو أخو والده «وننفر».
- (٦) «بن نسوت توي»: رئيس رماة بلاد «كوش» المسمى «بن نسوت توي»، وهو أخو والده (أي والد أمنمأنت).
- (٧) «خعمواست»: كاتب الكتاب الإلهي في بيت «آمون» المسمى «خعمواست» أخوه من أم واحدة.
- (٨) «ماعت رومع»: كاهن «عين»، و«إزييس» المسمى «ماعت رومع»، وهو أخو أمه (أي خاله).
- (٩) «إزييس»: أمه، كبيرة مغنيات «آمون» المسماة «إزييس».
- (١٠) ...: أخته من أم واحدة زوجة مدير بيت «آمون».
- (١١) الحظية في بيت الملك: ... من أم واحدة.
- (١٢) «حنت محيت»: أخته من أم واحدة المسماة «حنت محيت» زوج مدير بيت «بتاح».
- (١٣) ...: أخته من أم واحدة ... زوج رئيس الرماة الخيالة.
- (١٤) «أمنمأنت»: رئيس شرطة الصحراء (المازوي)، ومدير الأعمال لآثار جلالته المسمى «أمنمأنت».
- (١٥) «منموسي»: الكاهن «سم» في معبد سكر «منموسي» والد زوج «أمنمأنت».
- (١٦) «أمنمأنت»: سائق عربية جلالته «أمنمأنت»، وهو أخو زوجه.
- (١٧) «حاتيائي»: الكاهن الأول للإله «منتو»، «حاتيائي»، وهو أخو زوجه.
- (١٨) «ثاو»: رئيس رماة جيش المشاة «ثاو» أخو والدة زوجته.
- (١٩) «بياي»: رئيس رماة الخيالة «بياي»، وهو أخو زوجه.
- (٢٠) «سونرا»: المشرف على الكهنة «سونرا»، وهو أخو زوجه.
- (٢١) «حنت محيت»: والدة زوجه مغنية «آمون» «حنت محيت»، وزوج «ستم».

- (٢٢) «وياي»: زوجه مغنية آمون «وياي» بنت «ستم».
- (٢٣) «نفرتاري»: زوجه مغنية آمون «نفرتاري» بنت «ستم».
- (٢٤) ... أخت زوجه من أم واحدة ... بنت «ستم».
- (٢٥) «نفرتاري»: أخت زوجه «نفرتاري» وزوج سائق عربية جلالته.

وقد عثر على آثار بعد ذلك نعلم منها على وجه التأكيد أن كهنة الإله «أوزير» كانوا ينحدرون من نسل «وننفر» الكاهن الأول لـ «آمون»، غير أن علماء الآثار وبخاصة الذين فحصوا نسب كهنة «أوزير الأول» في «العرابة المدفونة» قد اختلفوا في كيفية تفرُّع هذا النسب.^{٤٦٧} ومهما يكن من خلاف فإننا نعلم أنه كان لكهنة «أوزير الأول» شأن عظيم في تسيير أمور الدولة في هذا العهد، ويعتقد كل من «بتري»، و«ويجول»، و«فيل» أن صلة النسب بين أسرة «وننفر» كاهن «آمون الأول» قد جاءت عن طريق «حورا» بن «وننفر» كاهن «آمون» الأعظم، وذلك بزواجه من امرأة تُدعى «معيناني»،^{٤٦٨} غير أن «لجران» ينكر هذا الزواج، مع أنه في الوقت نفسه يعترف بصلة أسرة «وننفر الثاني» «بحورا بن وننفر» الذي كان الكاهن الأول للإله «آمون»، وعلى أية حال سنورد هؤلاء الأفراد الذين شغلوا هذه الوظيفة، وما عثر عليه من آثار لهم.

وننفر: ذكرنا في عهد «سي تي الأول» أن «مري» كان الكاهن الأكبر للإله «أوزير»، وأن والدته كانت تُدعى «معيناني»، وزوجته تُدعى «تي»، وقد رُزق منها ولدًا يدعى «حورا» ورثه في وظيفته هذه بعد وفاته. وكان «وننفر» هذا يحمل الألقاب التالية: الكاهن الأول لأوزير، والمشرف على كل كهنة آلهة «العرابة»، وكاتم السر، وكاهن «حور» حامي والده، وكاهن الساحرة العظيمة، وكاهن الإلهة «وازيت»، والكاهن الأول في «العرابة المدفونة»، والمشرف على كهنة «العرابة»، والكاهن «سم» في معبد الإله «سكر»، والمشرف على مجلس قضاة الجبانة، ومدير بيت «أوزير». وقد ترك لنا عدة آثار دُكر عليها اسمه، واسم أفراد أسرته ونسبتهم إليه، وبخاصة المجموعة التي تمثله هو ووالده «مري» المصنوعة من الجرانيت الرمادي، وهي الآن بمتحف «أثينا»، وكذلك مجموعة

^{٤٦٧} راجع: Legrain. Rec. Trav. XXXI, p. 201; Weil, Die Viziere p. 100 ff. حيث قد ذكر سلسلة نسب هذه الأسرة وارتباط بعضها ببعض في حين تجد لجران يناقضه في ذلك.

^{٤٦٨} راجع: Petrie Hist. III, p. 90.

أخرى «بمتحف القاهرة» تمثله هو ووالده ووالدته وزوجه،^{٤٦٩} وقد كان له من الذكور خمسة، وكلهم كانوا يشغلون وظائف كلها خاصة بالكهانة إلا واحدًا، وهم:

- (١) «رعمسسو»: رئيس الإصطبل.
- (٢) «يويو»: كاهن «إزيس».
- (٣) «سإست»: الكاهن الثاني لـ «أوزير».
- (٤) «وتي»: الكاهن المرتل لـ «أوزير» (Ibid. 208).
- (٥) «مري الثاني»: الكاهن المرتل لـ «أوزير».

حورا الثاني: ويدل ما لدينا من نقوش على أن «حورا» بن «وننفر» هو الذي خلف والده في وظيفة رئاسة الكهانة في «العرابة المدفونة»، فقد وجد له تمثال «في العرابة»،^{٤٧٠} ومن نقوشه نعلم أنه كان يلقب: الكاهن حامي والده، ووالدته تُدعى «تي» رئيسة مغنيات «أوزير»، وكذلك وجد له لوحة من الحجر الجيري، ويدل ما عليها من نقوش على أنها كانت قد أهديت له عندما تولى رئاسة كهانة «أوزير» خلفًا لوالده وننفر الثاني، وقد مثل عليها واقفًا مرتديًا لباس رئيس الكهنة، ويقدم الاحترام والخشوع لكل من «أوزير»، وزوجه «إزيس»، وقد لقب عليها الكاهن الأول لـ «أوزير»، وتشريفي رب الأرضين. وكذلك لدينا لوحة صغيرة «بمتحف القاهرة» تحمل في نقوشها هذا اللقب، وعليها طغراء «رعمسيس الثاني» (Ibid. 214).

«يويو» الكاهن الأول لـ «أوزير»: وجد لهذا الكاهن تمثال من الجرانيت الوردي، وهو محفوظ الآن «بمتحف اللوفر»، وقد مثل وهو راکع، وبين يديه محراب صغير فيه تمثال «أوزير»، وقد نقش على التمثال: الكاهن الأول لـ «أوزير» المسمى «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول «وننفر»، والذي وضعته مغنية «أوزير» «تي». وبذلك نعلم أنه كان مثل والده كاهنًا أول للإله «أوزير»، كما كانت والدته مخصصة نفسها لعبادة هذا الإله أيضًا، وكذلك وجد له لوحة محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»^{٤٧١} من الحجر الجيري، وقد مثل في الجزء الأعلى من هذه اللوحة شخص راکع

^{٤٦٩} راجع: Rec. Trav. XXXI, pp. 204-5.

^{٤٧٠} راجع: Ibid. p. 213.

^{٤٧١} راجع: Boreux, Guide-Cat. I, p. 82-3. C. 218.

مرتدًا ثوبًا مثنى وعليه فراء فهد، ويتعبد للإلهة «أوزير»، و«حور بن إزييس»، ومعه النقش التالي:

الكاهن الأول للإله «أوزير» «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول «وننفر» المرحوم.

وفي الصف الثاني من اللوحة نقراً:

الكاهن الأول للإله «إزييس» «وننفر» المرحوم ابن الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو».

ومن ذلك نفهم أن «وننفر» المذكور هنا هو «وننفر الثاني» الذي سيصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لـ «أوزير» بعد والده، وأنه يذكر لنا هنا الخطوة التي نالها من الآلهة في «العرابة» بمنحه كاهن الإلهة «إزييس».

هذا وقد وجد في «العرابة» صقر كان «أمنحتب الثاني» قد أهده، والظاهر أن الكاهن الأول للإله «أوزير» قد وجد أن هذا الأثر قد أصابه بعض العطب بتقادم الزمن فأصلحه، وقد وجد النقش التالي على يسار القاعدة:

جدد لهذا الإله في بيت الذهب بوساطة الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» المرحوم.

وعلى اليمين:

أنه ابنه الذي يريد أن يحيي اسمه الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» المرحوم ابن الكاهن الأول لـ «أوزير» «وننفر» المرحوم.^{٤٧٢}

«وننفر الثاني» الكاهن الأول لأوزير: وهو ابن «يويو»، يوجد لهذا الكاهن لوحة من الحجر الجيري «بمتحف اللوفر»،^{٤٧٣} وقد نقش عليها صلاة لكل من ثالوث العرابة «أوزير»، و«إزييس»، و«حور» يقدمه الكاهن الأول للإلهة «إزييس وننفر» ابن الكاهن

^{٤٧٢} راجع: Les Nouvelles Fouilles, D'Abydos p. 169 & 172.

^{٤٧٣} راجع: Pierret, Recueil D'Insc. II, p. 54.

الأول لـ «أوزير» «يويو»،^{٤٧٤} وكذلك أهدى هذا الكاهن محرابًا لوالده الكاهن الأول لـ «أوزير» «يويو» «عمله ابنه ليجعل اسمه يحيا، كاهن «أوزير» المرحوم ...» وتدل الشواهد على أن كاهن «أوزير» هذا هو نفس «وننفر الثاني» بن «يويو»، والظاهر — على حسب ما لدينا من الآثار عن هذا الكاهن — أنه تولى مناصب الكهانة التالية على التوالي — كاهن «حور بن إزييس»، وكاهن «أوزير»، وأخيرًا الكاهن الأول لـ «إزييس» في «العرابة» كما يقول «لجران».^{٤٧٥}

إخوة وأخوات «وننفر» الكاهن الأول للإله «أوزير»

اتضح أمامنا من الوثائق الخاصة بالكاهن الأول «وننفر» في «العرابة» أن له إخوة وأخوات كثيرين، غير أن بعض علماء الآثار يريد أن يفهم كلمة أخ، وكلمة أخت بمعناها الحقيقي مثل: «بثري»، و«ويجل»، والبعض الآخر يريد أن يفهمها بمعناها الروحي فقط مثل «لجران». وقد ترتب على ذلك أن الفريق الأول جعل «معيناني» تتزوج من الكاهن «حورا» بن «وننفر» كاهن «أمون الأول»، وأنهما أنجبا «منمس»، و«بارع حتب»، ثم تزوجت «معيناني» ثانية من «مري»، وأنجبت منه «مري»، وبذلك يكون «ويجل» قد استعمل على حسب زعمه هذا وثيقة سلسلة النسب المحفوظة الآن في «نابلي»، وهي التي ذكرنا أسماء أفرادها فيما سبق، وربط الأسرة بعضها ببعض. وقد نشر الأثري «ويجل» نقوش تمثال للكاهن «منمس» بن «حورا» الكاهن الأول للإله «أنحور» بالعرابة، ثم أشار الأثري «فيدمان» في مقال له إلى أن «حورا» هذا هو نفس «حورا» الذي نجده في وثيقة «نابلي»، وبذلك تكون هناك رابطة بين أسرة «وننفر»، وأسرة «أممنانت».^{٤٧٦} والظاهر أن هذا هو الذي دعا «ويجل» أن يجعل حبل النسب بين أسرة «وننفر»، وأسرة «حورا»، ومن يتصل به رابطة إخاء حقيقية تشبه التي تربط «وننفر» بإخوته

^{٤٧٤} راجع قائمة النسب التي نشرها الأثري «فيل» في كتابه عن وزراء مصر Weil, Die Viziere p. 100.

^{٤٧٥} راجع قائمة النسب التي نشرها الأثري «فيل» في كتابه عن وزراء مصر Weil, Die Viziere p. 100.

^{٤٧٦} راجع: Rec. Trav. XXXI, p. 209.

راجع: P. S. B. A. (1901) p.13.

الأربعة وأخته، غير أن «لجران» يدعي أنه لا توجد صلة بين الأُسرتين إلا في شخص «حورا»، الذي يمكن توحيدِه مع «حورا» الذي نجده في وثيقة «نابلي»، وأن الأشخاص الآخرين ليست لهم أية صلة، وأن «معيناني» لم تتزوج قط من «حورا»؛ إذ ليس لدينا مستند واحد يثبت ذلك حتى الآن، وعلى أية حال فإننا سنتحدث عن أولئك الأشخاص هنا بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، وبخاصة ما جمعه «لجران» من معلومات عنهم (راجع (Rec. TRav. XXXI, p. 209 ff).

«منمس» الكاهن الأول للإله «أنحور»: يدل ما جاء على لوحة «وننفر» المصنوعة من الحجر الجيري السيليسي، والمحافظة «بالمتحف المصري» على أن «منمس» كان أختا «وننفر»، وكذلك جاء ذكره بهذه الصفة على تمثال «وننفر» المصنوع من الديوريت، والمحفوظ الآن بمتحف «الوفر» (A 66) (راجع (Rec. Trav. Ibid. p. 210).

منمس الثاني: ويحمل الألقاب التالية: الكاتب الملكي، والمرتل الأول لرب الأرضين، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت» ابن الكاهن الأول للإله «أنحور»، وكذلك ذكر لنا «فيدمان» Ibid. p. 250 تمثالا آخر لـ «منمس» بن «حورا»، ويظن أنه كاهن «أنحور الأول» بن «حورا» الموجود ضمن أسماء الأثر الموجود في «نابلي»؛^{٤٧٧} يضاف إلى ذلك أن «بترى» يقول: إن «منمس» كاهن «ماعت»، وابن كاهن «ماعت» «حورا»، هو «منمس» الذي نحن بصده.^{٤٧٨} وأخيراً نجد أن «منمس» يلقب كاهن «ماعت» على نقش وُجد في «العرابة»،^{٤٧٩} وعليه طغراء «رعمسيس الثاني»، وكذلك على آنية وجدت في «العرابة» نقرأ عليها:

عمله كاهن «ماعت» «منمس» أخوه، وابنه عمدة المدينة، ووزير الوجهين القبلي والبحري «بارع حتب».

والظاهر أن «منمس» هو والد «بارع»، ويقول «لجران»: إن «منمس» هذا ليس هو الذي يعنينا هنا، بل إنه شخص آخر كان يحمل اللقب «الكاهن الأول» للإله

^{٤٧٧} Brugsch. Thesaurus p. 951-5.

^{٤٧٨} Petrie Hist. III, p. 95.

^{٤٧٩} Rec. Trav. XXIV, p. 164.

«أنحور» لا لقب كاهنة الإلهة «ماعت»،^{٤٨٠} ويجب أن نبحت عنه في آثار أخرى، وقد وجد له فعلاً تماثيل مجيبة، وعليها الألقاب التالية: الكاهن الأول لـ «أنحور»، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت»، ونقش على أكتاف هذه التماثيل: «ابنه الكاهن الثاني للإله «أنحور»، كما نقش اسم زوجه كذلك ربة بيته كبيرة حريم «أنحور» «نسوت خعي». وقد وجد لقب زوجه هذا في نقوش الحفائر التي قام بها «أميلينو»؛^{٤٨١} إذ وجد اسم «منمس». وقد استنبط «لجران» من بعض قطع أثرية عثر عليها «أميلينو» أنه كان يوجد كاهنان باسم «أممنس»، واحد منهما ابن امرأة تدعى «يوا»، والثاني ابن امرأة تدعى «أنبت»، وبذلك رفض النظرية التي تقول إن «معينى» قد تزوجت من «حورا»، وأنجبت «منمس»،^{٤٨٢} ويعزز هذا الرأي ما جاء على تمثال في «متحف القاهرة» من الجرانيت الوردي باسم «منمس» من عهد «رعمسيس الثاني»، والنقوش التي على هذا التمثال تمدنا بألقابه التالية: الأمير المشرف على كهنة الآلهة كلهم في «العراية»، ومن في حجرة «شو»، و«تفنت»، والكاهن الأول للإله «أنحور» «منمس»، ابن الكاهن الأول «حورا» الذي وضعته «إنبت»، وعلى ذلك يكون «منمس» هذا هو «منمس الثاني».

«رع حتب» و«بارع حتب»: الوزيران، وقد تكلمنا عنهما فيما سلف.

نب آمون: الوزير، وهو أخو «وننفر» أيضاً، وقد تحدثنا عنه.

«مري» (أخو «وننفر»): ولكنه على الآثار ابن «رعمسيس شري»، ونستخلص مما ذكره «لجران» أن الأفراد الذين يطلق عليهم لفظة «أخ» في الآثار ليسوا في الحقيقة إخوة، بل إن لفظة «أخ» تستعمل بمعناها الروحي، وبخاصة بعد فحص الأشخاص الذين نسبوا إلى «وننفر» الكاهن الأول لـ «أوزير»، ووجد أنهم ليسوا إخوته من الدم، وهذا الاستعمال شائع في مصر؛ إذ نجد الأفراد يستعملون لفظة أخ بمعناها المجازي أو الروحي.

«سا أست» الكاهن الأول لأوزير: عثر له على مجموعة في «العامرة»، و«العراية».^{٤٨٣}

^{٤٨٠} Rec. Trav. XXXI, p. 31 راجع:

^{٤٨١} Amelieneau Nouvelles Fouilles p. 40 راجع:

^{٤٨٢} Rec. Trav. Ibid. p. 32 راجع:

Rec. Trav. XXXI, p. 33 راجع:

^{٤٨٣} Petrie Hist III, p. 102 راجع:

نبماعت: كاهن «تاور»^{٤٨٤} (مقاطعة طينة والعرابة)، وحامل الخاتم المقدس في المعاملات العظيمة (?)، والتشريقي، وكاهن «أوزير»، وقد كان لعبد «أوزير» عمال وموظفون ذكرنا بعضهم فيما سبق، ومنهم كذلك:

«**تورى**»^{٤٨٥}: مدير بيت «أوزير»، وقد عثر على تمثال في «نجع مشيخ»، وهو الآن في «متحف القاهرة»، وكان يحمل الألقاب التالية: تابع الفرعون، ومدير بيت «أوزير»، وكاتب الفرعون، وقد كان معظم أزواج كهنة «أوزير الأول» يعملن مغنيات، أو رئيسات حريم في معبد هذا الإله، وكذلك كن يعملن لزوج الإله «إزيس»، فنجد «است» مغنية «إزيس»، وقد جاء ذكرها على لوحة أخيها «حورا»، وهي المحفوظة الآن «بالمتحف البريطاني» رقم ١٣٢، وكان «حورا» هذا يحمل لقب المشرف على عطور رب الأرضين. «منت» رئيسة حريم «إزيس»: وقد وجد اسمها ولقبها على جعران.^{٤٨٦}

(د) كهنة الإله «مين»

(راجع ما كُتِبَ عن لوحة «نابلي») (رومع ومنمس).

(هـ) كهنة الإلهين «موت» و«خنسو»

«توي» مغنية الإلهتين «حتحور» و«موت»: وجد لها لوحة في «العرابة المدفونة».^{٤٨٧}

أمنمئيون: كاهن معبد الإله «خنسو».^{٤٨٨}

وننفر: كاهن معبد الإلهة «موت».^{٤٨٩}

^{٤٨٤} راجع: Petrie Abydos II, p. 36, 45 pl. XXXVII.

^{٤٨٥} راجع: Borchardt. Stat. IV; 1141 p. 78.

^{٤٨٦} راجع: Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 18 p. 182.

^{٤٨٧} راجع: Lieb. Dic. Noms, No. 967; Mariette. Cat. Abydos No. 1128.

^{٤٨٨} راجع: A. Z., XVII, p. 72.

^{٤٨٩} Ibid. p. 72.

(و) كهنة الإله «أنحور»

ذكرنا فيما سبق أن «حورا» هذا هو ابن «وننفر» الكاهن الأول للإله «أوزير»، وكان يحمل لقب مدير الأعمال، والكاهن الأول للإله «أنحور».

وسخت: كاهن «أنحور» و«أمون» وجد له لوحة في «العرابة المدفونة». ^{٤٩٠}

أنحرمس: الكاهن الأول للإله «أنحور»، وقد عثر له كذلك على تمثال في «العرابة». ^{٤٩١}

نب وننف: الكاهن الأول للإله «أنحور».

(ز) كهنة الإله «بتاح»

كانت عبادة الإله «بتاح» منتشرة في أنحاء البلاد، وبخاصة أن الأسرة المالكة كانت من أهل الدلتا، وكانت «منف» تعد مقراً ثانياً لهم، وكان إلهها الأعظم «بتاح» القديم يعد في نظرهم من أعظم آلهة الدولة؛ ولذلك نجد العناية كانت عظيمة بمعابده في هذه البلدة وغيرها، وكان للكهنة شأن عظيم، فقد أقاموا لأنفسهم المقابر الضخمة في هذه الجهة، وسنحاول فيما يلي سرد ما وصل إلينا غير ما ذكرناه عن كهنة هذا الإله وموظفيه.

حوي: الكاهن الأكبر في «منف»، وجد لهذا الكاهن تمثال مجيب في «السرابيوم» مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من عهد «رعمسيس الثاني». ^{٤٩٢}

بتاح معي: رئيس الكهنة المطهرين للإله «بتاح»، ^{٤٩٣} وقد عثر له على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني» (رقم ٧٢)، وعلى تمثال في «برلين» (رقم ٢٢٩٧)، ولوحة في «تورين»، ^{٤٩٤} وزوجه تلقب مغنية «أمون»، والمدفوحة من سيد السماء، المحبوبة، وحلوة الحب «حتشبست» ربة البيت، ^{٤٩٥} وابنه «رعمسسو»، ويلقب وكيل القصر — له الحياة

^{٤٩٠} راجع: Lieblein Dic. Noms. No. 2130.

^{٤٩١} Ibid. No. 2130. راجع:

^{٤٩٢} Mariette Serapium III, 10. راجع:

^{٤٩٣} Lieblein, Dic Noms. 811. راجع:

^{٤٩٤} Lanzone. Cat. Turin 1572. راجع:

^{٤٩٥} Roeder. Berlin Insch. II, No. 2297. راجع:

والفلاح والصحة — وابنته «حنت رميت»، وتلقب سيدة البيت، ومغنية «أمون»، وهذه الابنة هي التي أهدت اللوحة لوالدها، وابنته الثانية تُدعى «أنيوهاي»، وتلقب وصيفة القصر الفرعوني — له الحياة والفلاح والصحة.

بتاح مس: المدير العظيم لبيت ... «رعسيس» محبوب «أمون» في بيت «بتاح»، وكاتب الفرعون،^{٤٩٦} وله لوحة «بالمتحف المصري».

بتاح مس: حارس معبد «بتاح»، والكاتب، وله لوحة مقدمة للعجل «أبيس الرابع» في السنة الثلاثين من عهد «رعسيس الثاني»،^{٤٩٧} وكذلك وجد اسمه على تعويذة في مجموعة «بترى».^{٤٩٨}

نختسو: المشرف على مخازن «بتاح» ذكر اسمه على لوحة للعجل الرابع.^{٤٩٩}

نفررنبت: المشرف على مخازن «بتاح»، وقد وجد اسمه على اللوحة السالفة.

بتاح مس: الكاهن الأكبر «لبتاح» العظيم، ولعبد «رعسيس الثاني» في «معبد بتاح»، كان «بتاح مس» هذا من أكبر الموظفين في عهد «رعسيس الثاني»، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يعيش في «منف» لصلته الكبيرة بالإله «بتاح»، وقبره كان في «سقارة»، غير أن موضعه الأصلي ليس معروفًا لنا حتى الآن، وتوجد منه أحجار عدة، وتمائيل منقوشة في مختلف متاحف أوروبا، وبخاصة في «فلورنس»، و«ليدن»، و«مونيخ»، و«برلين»، و«القاهرة»؛^{٥٠٠} ومن كل أيضًا هذه الآثار التي تركها؛ نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية خلًا للقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، الكاتب في معبد «بتاح»، والأمير الوراثي، والحاكم، والمدير العظيم لبيت «بتاح»، والحاكم العظيم في «نب حر» (منف)، ومدير البيت، ووالد الإله، والمدير العظيم للبيت، وحامل خاتم ملك الوجه البحري محبوب رب الأرضين، والحاكم العظيم في «حكبتا» (منف)، ومدير كل أعمال الآثار لجلالته، والذي يملأ كثيرًا قلب الإله الطيب، ومن يفرح الناس عند سماع صوته، والمدير اليقظ

^{٤٩٦} راجع: Lieblein, Ibid. No. 883.

^{٤٩٧} راجع: Mariette, Ibid. III, p. 18.

^{٤٩٨} راجع: Petrie Hist. III, p. 100.

^{٤٩٩} راجع: Mariette, Ibid III, p. 18.

^{٥٠٠} Porter & Moss Memphis p. 192.

على حراسة رب الأرضين، والسمير الوحيد، وعينا ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، والمشرّف على الخزانة، والقائد الأعلى لجيش معبد «بتاح»، والحاكم المحبوب كثيراً من الإله الطيب، وكاتب الفرعون الحقيقي ومحبّوبه، والمدير العظيم للبيت في بيت «رعمسيس مري أمون» في معبد «بتاح».

أما أسرة «بتاح مس» فهي:

يويو: الكاهن والد الإله (والده).

موت نفرت: ربة البيت (أمه).

تامى: ربة البيت (زوجه).

يويو: الكاهن رئيس المطهرين (ابنه).

نافي: ربة البيت (ابنته).

ساوا: (ابنته).

حورا: الكاهن المطهر، وكاتب معبد «بتاح» (ابنه).

موت خعتي: (ابنته).

أنونهت: (ابنته)، و«نمنتي» مرضعة «إنونهت».

ناممنتو: (ابنه).

تاميو: (ابنه).

إيا: مطهر «بتاح» (ابنه).

يوسى: والد الإله، والمطهر الأول في معبد «بتاح».

بتاح مريت: (ابنته).

والقطع التي بقيت من قبر هذا الموظف الكبير معظمها يمثل مناظر جنازية، وكذلك يوجد له تماثيل تمثله هو وزوجه، والمحتمل أنها كانت منصوبة في مزار قبره، وقد عثر على واحد منها مستعمل في «دير جرماية»^{٥٠١} وكذلك يوجد له في

^{٥٠١} راجع: Porter & Moss. III, p. 193.

«متحف مونيخ» تمثال يمثله جالسًا، وآخر يمثله متربعًا، وقد كتب على كتفه طغراء «رعمسيس الثاني»، ويحمل في يده صورة الإله «بتاح».^{٥٠٢}

تحتمس: المرتل الأول في بيت التحنيط، دُكر على لوحة مقدمة للإله «للعجل أبيس» السنة من (٢٠-١٦)، ومؤرّخة بالسنة الثلاثين من «رعمسيس»، وقد اشترك معه فيها «ريا». **ريا:** المرتل والمحنط في «البيت الجميل» (برنفر)، وقد وجد اسمه على لوحة مهداة «للعجل أبيس» في «السرابيوم»، ومؤرّخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني».^{٥٠٣}

بتاحي: الكاهن المطهر في «البيت الجميل» — أي بيت التحنيط — (Ibid. 12)، وكذلك كان يحمل لقب التشريفي في بيت العجل «أبيس»، والذي في حجرة العجل «منفيس». **رعمسيس:** المسمى كذلك «تحتمس» المرتل الأول في بيت التحنيط (Ibid. 71)، وكل هؤلاء الكهنة كانوا يقومون بعملية فتح الفم للعجل «أبيس».^{٥٠٤}

(ح) كهنة الإله «مين»

حور نخت: كاهن معبد «مين»، وجد اسمه على لوحة أخيه «حورا»، وهي الآن بالمتحف البريطاني.^{٥٠٥}

ماعت رومع: كاهن «مين»، و«إزيس» (راجع Thesaurus p. 951).

(ط) جبانة خدام مكان الصدق (أو عمال الجبانة الملكية)

كان أول ظهور طائفة عمال «مكان الصدق» في هذه الجبانة على الأرجح في عهد «أمنحتب الأول» كما ذكرنا في الجزء الرابع، وقد استمر هؤلاء العمال في عبادتهم الخاصة لهذا الفرعون عدة قرون، وقد عثرنا على بعض أسماء منهم من عاشوا في عهد «رعمسيس الثاني»، وخلفوا لنا آثارًا في هذه الجبانة.

^{٥٠٢} Ibid. p. 193 راجع:

^{٥٠٣} راجع: Chassinat. Rec. Trav. XXI, p. 72-3.

^{٥٠٤} Ibid. p. 72 راجع:

^{٥٠٥} Leiblein Dic. Noms. No. 890 راجع:

«كاسا» و«بنبوي»: خادما مكان الصدق على الضفة اليمنى لـ «طيبة»، وقبرهما المشترك في دير المدينة،^{٥٠٦} وكان «بنبوي» يلقب حاجب كبير البلاط في مكان الصدق، ويشاهد في الكوة الداخلية من هذا القبر (المحراب) على اليمين في الصف الأعلى «رعمسيس الثاني» يقرب للإله «بتاح» وإلهة، وقد لونا باللون الأحمر، وخلف الملك يأتي المتوفى ورجل آخر. وفي الصف الثاني تحت هذا المنظر يحضر المتوفى وأخوه إلى سلسلة من الملوك القرابين، وهؤلاء الملوك هم: الملك «أمنحتب الأول»، والملكة «أحمس نفرتاري»، و«رعمسيس الأول»، و«حور محب»،^{٥٠٧} وفي آخر صف نشاهد المتوفى واقفاً لابساً جلد فهد، ويأتي بعد ذلك «كاسا» وأخوه «باي» أمام «حور». وأسفل هذا في الصف الثاني يشاهد «كاسا» وابنه أمام الملوك «سي تي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، و«حور محب»، وفي آخر صف من أسفل يظهر «كاسا»، وابنه أمام الإله «تحت»، ونشاهد هنا ثانية «رعمسيس الأول»، و«حور محب» مرتبط بعضهما ببعض كارتباط الابن بالأب. وقد تكلمنا عن علاقة الملكين معاً فيما سبق. وفي «متحف تورين» محراب صغير من أعجب الآثار التي وجدت في هذا العهد باسم «كاسا»، وهو مصنوع من الخشب الملون، الغرض منه العبادة المنزلية. وقد كان المفروض أن يشمل ثعباناً.^{٥٠٨} والنقوش التي على مصراعي باب المحراب تعرّفنا أنه كان للإلهة «عنقت» ربة السماء وسيدة الآلهة كلهم، وأمام باب المحراب بوابة مقامة على عمودين نقش عليها صيغة قربان للإله «خنوم» رب منطقة الشلال، وعلى مصراعي الباب ثلاثة صفوف من النقوش، ففي الصف الأعلى ترى سفينة الشمس، وقد وجدت فيها الإلهة «عنقت»، وفي الصف الثاني نشاهد قارباً فيه أربعة يجدفون ومعهم بحار، ويرى على اليايسة رجلان كل منهما متجه نحو القارب مقدماً القربان على مائدة، وواحد منهما هو «كاسا». وفي الصف الثالث نشاهد أسرة «كاسا» وأخاه راكعين، وقد ذكرت أسماءهم، وعلى عارضة المحراب اليمنى صفان أسفلهما ثالوث «أسوان»، وهم «خنوم» الإله الأكبر في «إلفنتين» محبوب «ساتت»، و«عنقت». وعلى جدران المحراب الخارجية دعاء يقدمه

^{٥٠٦} راجع: Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh (1923-4) p. 61-4, G. W. Cat. No. 10 L. D.

Texte III, p. 290

^{٥٠٧} راجع: L. D. III, p. 173 c

^{٥٠٨} لم يزل الثعبان يعد عند العامة حارس البيت، ويعتقد البعض أن لكل بيت ثعباناً حارساً.

«كاسا» للإلهة «عنقت» ربة الآلهة؛ لتمنحه الحياة والعافية والصحة، وأن يدفن دفناً جميلاً بعد حياة طويلة، ثم يقول: «أنتم يأيها الآلهة، يا أرباب «إلفنتين»، وأنتم يأيها التاسوع العظيم، يا آلهة مسقط رأسي، امنحوني الحظوة حتى يكون فمي صادقاً، وحتى ترى عيناى «آمون» في كل أعياده، فهو الإله المحبوب الذي يسمع البائس، ويقدم يد المساعدة للتعس، وينهض العاجز، والذي يعطي أجلاً ممتازاً من الحياة، ويقضي على هذه الأرض.»

والواقع أن النقش الذي على هذا المحراب يقدم لنا صفحة من حياة الطبقة الوسطى، فأصحابه قد صنعوه لعبادة الإلهة «عنقت» التي كانت تمثل في صورة ثعبان، ولا نزاع في أن هذه الأسرة كانت من أهالي أسوان، وقد نزح أفرادها إلى هذه الجهة للعمل في مقابر الملوك كما ينزح أهل الصعيد الآن إلى مختلف جهات القطر للعمل فيه، ولكنهم لم ينسوا «شيوخهم»^{٥٠٩} الذين يعتقدون في بركاتهم، ولهذا نراهم يتعبدون لثالث «أسوان»، وهم: الإله «خنوم» بارئ الخلق على عجلته، وزوجته «عنقت»، و«ساتت»، وقد يعزى تعبد هؤلاء الرؤساء إلى آلهة الجنوب، وبخاصة «خنوم»؛ لأن مصانع «رعمسيس الثاني» كان الكثير منها هناك لعمل التماثيل الضخمة لـ «رعمسيس»، وقد نقلوا عنهم عبادة هؤلاء الآلهة، ويمكن أن يعزى ذلك لسبب آخر، وهو: لما كان الإله «بتاح» سيد الحرف في الدلتا فقد كان الإله «خنوم» يعادله في هذا العمل في الجنوب؛ ولذلك كان يمثل أحدهما في المقبرة في ذلك العهد الذي كانت فيه المناظر الدينية صاحبة الشأن، والمطمع الوحيد في كل زينة القبور.^{٥١٠}

غير أن أصحاب هذه اللوحة كانوا يعلمون تمام العلم أن صلاتهم لهذه الإلهة لا تجدي نفعاً إلا إذا شفَعوا لهم عند الإله الأعظم رب الكون وقتئذ، وهو الإله «آمون رع» الذي كان يأخذ بناصر الضعيف، ويعين من أقعده العوز، وهكذا تمثل أمامنا صورة قديمة من عبادة الشعب لآلهتهم المحلية نراها الآن عند عوام الشعب المصري ماثلة أمامنا.^{٥١١}

^{٥٠٩} الواقع أن فكرة التوحيد كانت في مصر منذ القدم، أما الآلهة الأخرى التي نشاهدها فتعادل في معتقدنا «المشاخ».

^{٥١٠} راجع: Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh 1923-4 p. 21.

^{٥١١} راجع: Rec. Trav. II, p. 197-8.

وازمس: خادم مكان الصدق، وجد له لوحة محفوظة الآن بمتحف «تورين» رقم ٣٠١ يشاهد في الجزء الأعلى المستدير منها إلهان لم يعرف كنههما بعد، الأول: يسمى «نت» العظيم الذي يفعل الصدق، ويمكن الأرضين، والآخر: يسمى رب العدالة الإله الأكبر «مري ماعت»، وقد مثل كل منهما في صورة رجل، وفي الجزء الأسفل نقراً صيغتي قربان وهما: «أقدم التحيات للإله» العظيم ليعطي الحياة والعافية والصحة لروح خادم مكان الصدق «وازمس». وعلى اليمين نجد الصلاة التالية: «أقدم التحيات لرب العدالة ليعطي الحياة والصحة والعافية لخادم مكان الصدق «وازمس»، وكذلك نجد «وازمس» هذا قد اشترك مع والده «حوي». ففي الجزء الأعلى نشاهد صورة الفرعون «رعمسيس الثاني»، وهو غض الإهاب واقفاً، يضع البخور على المجرمة أمام الإلهة «حتحور» ساكنة «طيبة»، وربة السماء، وسيدة الآلهة كلها.

وفي الجزء الأسفل نجد كلاً من «حوي» خادم مكان الصدق، و«نب دواي» خادم رب الأرضين، و«وازمس» خادم مكان الصدق ابن «حوي»، وكذلك وجد اسمه على تمثال جنازي للملكة «أحمس نفرتاري»، قدمه لها «وازمس» بوصفها إلهة لتمنحه الحياة والعافية والصحة.^{٥١٢}

ومن نقوش «وازمس» ووالده نفهم أولاً؛ أنه كان يتعبد لإلهين محليين لا نعرف كنههما حتى الآن، وثانية أن عبادة الملكة «أحمس نفرتاري» كانت شائعة في عهد الأسرة التاسعة عشرة، كما تكلمنا عن ذلك في مكانه.

رعمسيس: الكاتب في مكان الصدق، وقبر هذا الكاتب في «جبانة» دير المدينة رقم ٧،^{٥١٣} ومن أهم مناظر هذا القبر منظر مثل فيه «رعمسيس الثاني» يتعبد لثالوث «طيبة»، وهم: «أمون»، و«موت»، و«خنسو»، ويتبعه الوزير «باسر» الذي يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري ... وعمدة المدينة، والوزير «باسر»، ويأتي خلفه «رعمسيس» صاحب المقبرة، وأسفل هذا المنظر نشاهد المتوفى في حضرة آلهة الموتى،^{٥١٤} ويحتوي هذا القبر على منظر يتعبد فيه الفرعون «رعمسيس الثاني» لبقرتين في هيئة «حتحور» (Ibid. 229)، كما يشاهد المتوفى يتعبد للطاثر «بنو»، وهو

^{٥١٢} راجع: Ibid. p. 171-2 & 188.

^{٥١٣} راجع: Porter & Moss I, p. 55; G. W. Cat. No. 7.

^{٥١٤} راجع: P. S. B. A., VIII, p. 229.

الذي يتقمص صورة إله الشمس بمثابة روح، وهو المعروف عند الإغريق بلفظة «فنكس»^{٥١٥} المحرّفة عن المصرية، وقد عثر على مائدة قربان لابن «رعمسيس» مهشمة في القبر المجاور لقبره (رقم ٢١٦).^{٥١٦}

نفر حتب: رئيس العمال في مكان الصدق؛ قبره في جبانة دير المدينة، وابنه «نب نفر» يحمل نفس هذا اللقب، وهذا القبر له ردهة واسعة، وفي الجدار الخلفي يشاهد على اليسار بجوار الباب «رعمسيس الثاني» يقدم القربان للإله «أمون» ملك الآلهة، وفي الحجرة الوسطى من القبر بقايا تمثالين للمتوفى وزوجه، وقد كتب على تمثال المتوفى: لقبه واسمه كبير العمال، ومدير الأعمال «نفر حتب».

نب نفر: المشرف على العمال في مكان الصدق، وزوجه تدعى ربة البيت «إبي»، وقد عثر له على لوحة في «متحف كوبنهاجن»، ويشاهد في أعلاها متعبداً لكل من «أمنحتب الأول»، وأمه «أحمس نفرتاري» المؤلهين، والظاهر أن «نب نفر» اغتصب هذه اللوحة من آخر كان يحمل نفس ألقابه.^{٥١٧}

قن: نحات «أمون» في مكان الصدق، قبره في «دير المدينة»^{٥١٨} (رقم ٤)، وزوجه تدعى ربة البيت «حسي ان حتحور»، وابنه «مري مري»، ويحمل لقب نحات أيضاً، ويشاهد في قبر هذا النحات كوة في المحراب، صور فيها منظر يمثل صورة «أمنحتب الأول» «حتحور» برأس بقرة، كما نشاهد صورتني والملكة «أحمس نفرتاري»، وتحمل هنا لقب الزوجة الإلهية لـ «أمون»، وأخت الملك «مريت أمون» التي يندر وجود صورتها في المناظر التي يؤله فيها «أمنحتب الأول»، ولكن عبادتها بقيت حتى نهاية عهد الرعامسة،^{٥١٩} وفي مدخل الباب على الجدار الجنوبي مثل المتوفى وزوجه على يمينه واقفين، وهذه المجموعة منحوتة في الصخر وملونة مثل كل المزار، وقد وضعت في هذا الوضع على العارضة الجنوبية ليتعبدا للشمس المشرقة التي كانت ترسم ملونة في هذا المكان، وبذلك كانت

^{٥١٥} راجع: A. Z. 45. P. 85.

^{٥١٦} راجع: Fouilles de Dier el Medineh (1923-4) p. 46.

^{٥١٧} راجع: Rec. Trav. II, p. 180-2.

^{٥١٨} راجع: G. W. Cat. No. 4.

^{٥١٩} راجع: L. D. III, 2, a; Champ. Notices p. 864-6.

تحل محل لوحة الهرم، وعلى الجدار الشمالي الغربي نجد منظرًا يمثل «أوزير» والمتوفى راکعًا أمامه خائفًا على شريط من الرمل، وخلفه شجرة الجميز المورقة، والمحملة بالفاكهة، والإلهة «نوت» تخرج منها لتقدم الماء للمتوفى، وبين الشجرة، و«أوزير» نشاهد مقعدًا لصورة صغيرة للإله «تحت» في هيئة الطائر مالك الحزين، وأربعة عقارب واقفة، وبهذا نجد القربان الجنازي ممثلًا أمامنا، والآلهة الذين كانوا يقومون بأدائه، وأخيرًا نجد صورة صغيرة تمثل لنا عادة من عادات القوم الشائعة في منظر المسلة الملونة المرسومة على الجدار الجنوبي؛ إذ نشاهد أمام الثيران التي تجر الزحافة بنتًا صغيرة تحمل طفلًا رضيعًا في قطعة نسيج بيضاء، ربطتها حول كتفيها لتؤلف منها كيسًا لحمل الطفل.

وألقاب «قن» الكاملة هي: نحات «أمون» في مكان الصدق، نحات «أمون» في الكرنك، ونقاش «أمون»، وخادم مكان الصدق، وخادم «أمنحتب الأول». أما زوجه فتسمى أخته ربة البيت «نفرتاري»، وتوجد له آثار أخرى.^{٥٢٠}

حوي نفر: الخادم في مكان الصدق، له لوحة في «المتحف البريطاني»^{٥٢١} (٣٢٨)، ومن المحتمل أنه هو نفس الشخص الذي مثل في لوحة «تورين» (١٦٩)؛ حيث نجده يقدم قربانًا لوالده الذي يحمل نفس اللقب، ويسمى «كارس».^{٥٢٢} وفي لوحة «المتحف البريطاني» يشاهد «رعمسيس الثاني»، وحاكم «طيبة»، والوجيه «كارس»، وابنه «حوي نفر»، وكلهم يتعبدون إلى «بتاح» رب الصدق، وملك الأرضين.^{٥٢٣}

إبي: نحات أمون، في مكان الصدق تقع مقبرة «إبي»^{٥٢٤} في منحدر التل الواقع بعد «معبد دير المدينة»، وفي ردهة هذا القبر خصص مكان ليكون حديقة للمتوفى، ينعم فيها

^{٥٢٠} Bruyère Fouilles 1224-5 p. 179 ff; figs 120-2; Porter & Moss I, p. 55 راجع:

^{٥٢١} Rec. Trav. II, p. 188 راجع:

^{٥٢٢} Ibid. p. 196 راجع:

^{٥٢٣} Budge, Guide to Sculptures p. 168 (609) راجع:

^{٥٢٤} تشمل مقبرة هذا الموظف عدة مناظر طريفة تقدم لنا صورة عن هذا العصر وقد آثرنا التوسع في وصفها وقد كتب عنها ديفز مقالًا ممتازًا (راجع) The Tomb of Apy. Two Ramesside Tombs at (Thebes p. 33 ff).

بكل أشجارها، وماء بركتها، وكذلك يوجد في جنوب المدخل منضدة للقريان، ومصطبة مستطيلة الشكل، والدخول إلى قاعة القبر بممرٍ مقبب في وسط خارجة الباب، أما المزار فمخفض بعض الشيء عن الممرِّ، ويحتوي على حجرة كانت ملونة، ومنها يصل الإنسان إلى الحجرات الأخرى.

المنابر التي على جدران المزار: الجدار الغربي، وسنحاول هنا أن نصف ببعض الاختصار المناظر الباقية في هذا القبر؛ لما لها من أهمية من الوجهة الفنية، والدينية، والاجتماعية، والصناعية.

فعلى الجدار الغربي للمدخل من الخلف نشاهد «إبي»، وزوجه يتعبدان للآلهة، وعلى الجانب الشمالي من المدخل إلى القاعة الداخلية مثل «إبي» رافعاً إحدى يديه يتعبد أمام محراب، ويصب بأخرى ماء الطهور على كومة من الحبوب البيضاء المغطاة بالأوراق، ويرتدي جلد فهد مزيناً بنجوم العالم السفلي، وعلى هذا الجلد نقش طغراء «أمنحتب الأول»؛ مما يدل على أن «إبي» كان خادماً يقوم بوظيفة كاهن جنازي لهذا الملك المؤله، وتحمل زوجه في يدها رأساً مصنوعاً من البردي ملفوفاً عليه نبات، وإناء واسع الرقبة سد بحزمة من الأوراق المنسقة، ويحلى جيدها بالعقود، ويلاحظ أنها حافية القدمين مثل النساء الأخريات اللائي رُسمن في هذه المقبرة، وفي المحراب يشاهد إلهان، وهما: «أنوبيس»، و«بتاح».

وعلى الجانب المقابل من المدخل نرى «إبي» يحمل موقداً للإلهة، وعليه حمام، وخبز، وشحم، ويلاحظ أن الدخان الأزرق كان يتصاعد من هذا الموقد من قطع الفحم الأربع السوداء التي وضعت عليه، وكان «إبي» يلبس في هذا المنظر ملابس الكاهن، وأمامه طبق كُدست عليه الأزهار والفاكهة، أما زوجه فكانت تحمل عقد مناة، وبصحبتها ابنتها الرشيقة القوام، والهندام «أما محاب» حاملة قرناً أيضاً. والإلهان اللذان كانا في المحراب المقام على عمد كثيرة الزخرفة على هيئة حزمة البردي فهما: «أوزير خنتي أمنتى» الإله العظيم رب العدالة، و«حتحور» سيدة الجبانة الغربية، ويقف «أوزير» على قاعدة زرقاء اللون ملفوفاً في رداء أبيض بوجه أخضر يحرسه صلآن حول رقبتة لينفث السم على العدو الذي يقترب منه، وقد كان مديناً بسعاده في الآخرة، كما كان في الحياة الدنيا — لإخلاص المرأة — فكما كانت «إزيس» تسهر على راحته في عالم الدنيا نجد أن «حتحور» تسهر على سعاده هنا في عالم الآخرة وتحرسه. وقد لبست على رأسها علامة الغرب المميزة لها، وهي «الصرقر».

أما صفوف الأقارب الذين نجدهم عادة في مقابر عهد الرعامسة فيشغلون في هذا القبر ثلاثة جدران من الأربعة الباقية، والظاهر أن كل صف كان يبتدئ بصاحب المقبرة وزوجه، ويلاحظ أن كل سيدة كانت تضم زوجها كأنها تريد ألا يفلت منها إلى الأبد. وقد خفف ما يشعر به الإنسان من سامة لتكرار نفس المنظر صورة طريفة فيها شيء من المداعبة اللطيفة؛ إذ نشاهد تحت كرسي آخر لسيدة جالسة على الجدار الشمالي طائرًا قام بينه وبين قط شجار، ولا بد أن هؤلاء الضيوف كانوا مشتركين في عبادة الإلهين السابقين.

الجدار الجنوبي — وليمة المتوفى: ويشغل الجزء الأعلى من الجدار الجنوبي صف من الضيوف الذين ذكرناهم فيما سبق، وقد أفلح المثأل في إخراج هذا المنظر العادي بطريقة شيقة (P. L. XXV)، فعلى الجهة اليسرى نشاهد المتوفى وزوجه يتقبلان الطعام، وعلى اليمين المقربين للطعام والأزهار. ويحدثنا المتن عما في المنظر فيقول مقدم القربان: «تقبل طاقة أزهار قد أُهديت في معبد «آمون بالكرنك»؛ لأنك من رعايا رب الفضل، ليتك تتسلم أرغفة وأنفك يتمتع برائحة البخور بأيها النحات «إبي».» وقد كتب فوق زوجة: «زوجه المحبوبة ربة البيت، وابنته «إما محاب»، وابنه «مري مس».» ونقش على الذين يقومون بالخدمة: «على يدك ابنك المحبوب «نب نخت» ابن ابنك المحبوب النحات «آني»، وابنته المحبوبة «ورنر».» وهذان الشخصان يقدمان إناءين مُحليين بالألوان فيهما ماء، وقد سُدت فوهتهما بالأعشاب النضرة ذات الألوان المختلفة المنسقة. ويلفت النظر هنا ملابس الرجال والنساء البيضاء؛ إذ قد لُوئت بمادة حمراء مائلة إلى السمرة امتدت حتى ما بعد الركبتين، وهذه الظاهرة تشاهد في ملابس النصف الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة على ملابس الأعياد والولائم، وتفسير ذلك أن هذه الملابس البيضاء قد لُوئت بالزيوت التي كانت تسيل من القمع المملوء بالعطر الذي كان يوضع فوق الرأس لنشر العطور في كل أجزاء الجسم، ولم يكن المفتن يفكر عندما رسم الرداء بهذه الصورة أن يجعله ملوئًا، بل ليظهر للناظر إليه أن الجسم الذي يستره هذا الرداء كان معطرًا؛ ولذلك لم يكن همه أن يلون البقع إظهارًا لحقيقة واقعة، بل ليظهر بجلاء أن عطر الوليمة الذي قدمه المضيف كان غزيرًا حتى إنه غمر ثياب الضيوف. ولما كان هذا برهانًا على

الكرم والسرور العظيم، فإنه غطى على قبح منظره على الملابس؛ وذلك لأن الرائحة الذكية، وما تحدّثه في الحواس لها قيمتها في البلاد التي جلود أهلها جافة.^{٥٢٥} وهذه العادة قد بقيت مرعية إلى عهد الرعامسة، ولكن في صورة جديدة، وكل الدلائل تشعر بأن استعمال الزيوت العطرة كان مستمرًا في الرأس على الأقل، وهذا التلوّث الذي كانت تسببه عطور اللوائم والأفراح قد بولغ فيه في هذا العهد حتى نتج عنه أن أصبح الرداء الذي بهذه الصفة يعد ملونًا، ومن ثم أصبح الثوب الملوّث بالاعطور لا يقتصر على اللوائم، بل كان شائع الاستعمال.

مناظر الجدار الشرقي — الجانب الجنوبي: ولدينا منظر يشابه الذي على جدران مقبرة «وسرحات» الذي عاش في عهد «سي تي الأول» (p. LXIII)؛ حيث نجد أن صاحب المقبرة — على ما يظهر — قد ادعى رضاء الملك عنه في الحياة، والآلهة بعد الموت لما قام به من خدمات، وما اتصف به من فضائل، ففي النصف الأعلى من المنظر الذي سنصفه هنا صدق من عهد «إخناتون» عندما كان مصير الموظفين الذين اعتنقوا مذهبه متوقفًا على مصيره هو في الحياة، وفي الممات، فقد ظهر فيه استمرار تقاليد عصره؛ إذ نشاهد بقاء ردهة القصر التي كانت تعد المكان العام للأعمال الملكية والمراسيم في عهد «إخناتون»، وهذا الشعور بالاتصال الوثيق بين الملك والشعب الذي كان يبرز بأجل مظاهره في عهد «إخناتون» نجده واضحًا في مناظر المقابر التي أقيمت بعد عهده، ولم يكن ذلك قاصرًا على مناظر تمثل عبادة الفراعنة السابقين والحاضرين وحسب، بل كانت تشمل كذلك مناظر الشرفات التي كان يطل منها الفرعون مغدقًا الهبات على المخلصين من موظفيه، هذا بالإضافة إلى متون من التي كانت تستعمل في مثل هذه الأحوال في عهد «إخناتون».

وتدل شواهد الأحوال على أن الشخص الذي كان يقدمه الوزير هنا للفرعون «رعمسيس الثاني» في الشرفة هو «إبي» النحات، وقد ظهر وهو يمد مروحته أمام وجه الفرعون، على أنه لم يكن هو الفرد الوحيد في هذا المنظر الذي يكافئ في هذه الفرصة؛ إذ نشاهد أن الأفراد الذين كانوا يتبعونه كان ينظم هندامهم خادم، وكانوا

^{٥٢٥} ومن الطريف أننا نجد ما يشبه ذلك في الأرياف الآن، إذ نشم رائحة اللحم المطبوخ في أيدي بعض الأشخاص الذين أكلوه ولم يغسلوا أيديهم عمدًا ليعرف من يخالطهم أنهم أكلوا لحمًا.

يلبسون كذلك أطواقًا من الذهب، ويدل المتن المهشم على أن هؤلاء كانوا كتبة وجنودًا وخدام معبد، ولا شك في أن «إبي» كان أرقاهم في نظر الفرعون، فنرى «إبي» والوزير يتبعهما أولًا حاملًا مروحتيهما، ثم اثنا عشر رجلاً يسيرون ثلاثًا، وكلهم قد منحوا أطواقًا من الذهب، وجرايات من القصر، وقد أظهروا سرورهم برفع أيديهم بالدعاء، وظهر في جزء علوي من هذا المنظر هدايا أخرى منها سبعة أطواق من الذهب، وقفازان للوزير وأتباعه، وكذلك ثلاثة أكياس من الكحل، وتسعة «طشوط»، هذا إلى أربعة ثيران وخمس عشرة سمكة، وأربع موائد خبز، وأواني للشراب. كل هذه قد أحضرت من المخازن الملكية لإقامة وليمة، ويشاهد كاتب يدون المطلوب، وستة من رجال البلاط ينتظرون أوامر الفرعون.

موكب دفن «إبي»: أما الجزء الثاني من هذا الجدار (pl. XXIII)، فقد مثل فيه موكب دفن «إبي»، وقد سار من اليمين إلى الشمال؛ أي من مكان التحنيط؛ حيث كانت المومية قد أحضرت استعدادًا لحملها في الموكب الجنائزي الذي كان سيسير إلى القبر الواقع في الغرب، ويرى في المكان الذي وضع فيه التابوت نائحتان تمثلان «إزيس»، و«نفتيس»، وهما أخت المتوفى وزوجه، وكذلك شخص آخر معه صندوق الأحشاء، وقد نقش على كل من التابوت والصندوق اسم «إبي».

وعندما حل وقت الدفن شاهدنا تابوت «إبي»، وكذلك تابوت زوجه (باعتبار ما سيكون) منصوبين يقرأ عليهما الكاهن المرتل الصلاة التقليدية أمام أهل المتوفى الذين كانوا ينثرون التراب على رؤوسهم علامة على مقدار حزنهم، ومصابهم الفادح، ومع ذلك فإنهم كانوا في الوقت نفسه يحملون سيقان بردي رمزًا لما يأملونه للمتوفى من السعادة الأبدية في عالم الآخرة، وبعد ذلك نشاهد التابوت يوضع في قارب حمل على زحافة يجرها أربعة رجال متجهين نحو القبر، في حين كان الكاهن ومساعداه يحفظان المتوفى طاهرًا بإطلاق البخور، ورش اللين أمامه، وكانت النسوة يصحن حزنًا وحسرة وتألماً عند اقتراب وضع المومية في القبر المنحوت من الصخر. أما الأثاث الذي كان سيوضع مع المتوفى في قبره — إذا صدقنا ما في الصورة — فكان محمولاً أمام الموكب، ويشمل ما يأتي:

صندوقًا، وأدوات كتابة، وكرسيين، وصندوقين، وكرسيين قابلين للطي، وإناءين على كرسي منجد، وزوجين من الأحذية، وسريراً، ومخدة، ومنشنتين، ثم سريراً يحمله «آني»، ويحتمل أنه ابن «إبي»، وخلفه جماعة من أقاربه الذكور، هذا إلى عصا، وصندوقين، وكرسي.

بيت «إبي»: ويشاهد في الصف الأوسط بيت مجهز بالخدم والحشم، وفي الجهة اليمنى منه جزء من مجزرة قد بقي من منظر مهشم، ويشاهد فيه قطع من لحم غريبة الشكل، وكذلك «كرشة» معلقة على قطع خشب، والخدم يزنون لحمًا بميزان يدوي لشخص أتى لتسلمه، ولا يمكن أن نفسر هذا المنظر بأنه حانوت — لأن المعاملات كانت بالتبادل — بل لا بد أن المنظر يمثل صرف جرايات أهل المنزل، فقد كان لكل نصيب معين (راجع ج ٣).

ويلفت النظر هنا جمال صورة بيت «إبي» حيث نجده بعيدًا عن التنسيق التقليدي المبالغ في نظامه، فالمنظر هنا طبيعي، ويقرب من الحقيقة. والواقع أن صورته تعد قطعة من الفن الرفيع بالنسبة لما حوله؛ ولذلك يظهر بين مناظر هذا الجدار — وهي التي رُسمت على حسب التقاليد الجامدة المرعية وقتئذ — كأنه جوهرة في وسط عقد من الخرز، ومن المحتمل جدًا أنه كان يظهر في أعين أهل هذا العصر على عكس ما نراه في وسط تلك المناظر المألوفة له، ولا نزاع في أن هذا من أثر فن عهد «إخناتون» الرفيع، فالبيت والجوسق الذي يتألف منه الجزء الأوسط من الصورة يختلف عن المساكن المصرية التي حفظت لنا حتى الآن؛ وذلك لأنه صُوِّر بصورة كاملة بدلًا من صورة جانبية، وهو في الواقع يتفق مع صور البيوت التي نشاهدها مصورة على جدران مقابر «تل العمارنة» في أن له واجهة ضيقة، ولكن يختلف عن البيوت الحقيقية التي كانت في مدينة «إخناتون» التي كانت تظهر واجهتها مربعة.

البركة والشادوف: ولما كانت بركة المنزل قد ظهرت في الرسم، فإن البيت قد رفع في الصورة بمستوى ارتفاع البركة نفسها، ولكن لا يحتمل أنه كان على مستوى أعلى من الأرض، هذا إلى أن الدرج الذي نشاهده هو المؤدي إلى حافة الماء، ولكن لما كانت بيوت «إخناتون» الكبيرة ترسم مرتفعة عن سطح الأرض، ويصل إليها الإنسان بمرقاة أو مرقاتين، فمن الجائز أن هذه الفكرة قد استعملت في «طيبة» وذلك حماية من الحشرات والرمال التي تحملها الرياح والفيضان، ومن جهة أخرى كانت مياه النيل تنخفض دائمًا بعد الفيضان، ويتبعها في ذلك مجاري المياه فتتخفض مياه البركة تبعًا لذلك في الغالب، فلا تصل إلى رقعة الحديقة، ولذلك كان يستعمل (الشادوف) الذي نرى منه اثنين بجوار البيت. ومما يلفت النظر هنا صور الفلاحين؛ إذ قد صوروا بصور طبيعية، وأشكالهم القصيرة الممتلئة على عكس صور علية القوم

ذوي الأجسام النحيلة، والسيقان الطويلة (راجع pl. XXVII)، وبخاصة عندما نقرن كتلة الشعر التي على رؤوسهم ولحاهم المهملة بالصفائر المنمقة، التي نشاهدها في رؤوس أسيادهم أهل اليسار وأصحاب الأموال والضياع الشاسعة، ويلبس الفلاح جلدًا لُف على وسطه مغطيًا ساقيه ليتحمل مشاق الامتياح «بالشادوف»، والكلب الذي بجانب كل من الماتحين بالشادوف يصور لنا نفسية المثال، وفهمه ما يحيط به من حياة ريفية؛ لأن ذلك لا يضيف للمنظر شيئاً سوى صدق التعبير، ومظهر الحياة الحقيقية؛ إذ إن الفلاح الذي يشكو في أيامنا قلة الخبز لا يحلم يوماً ما بأنه يستغني عن حماره أو كلبه؛ إذ هما من أهم أدوات حياته.

الحديقة: أما حديقة المنزل فقد غرست بالأشجار والأزهار، ففيها الرمان، والصفصاف، وأبو النوم، ويلحظ أن رسم هذه الأشجار قد ظهر على نقيص رسم الأشجار التي كانت تصور حسب قواعد تقليدية معينة؛ إذ نشاهد هنا أن فروعها تنمو طبيعية لا تنسيق فيها، وتتمايل مع الريح، ولا تقف جامدة كما هي الحال في المناظر التقليدية، هذا إلى أن سطح البركة كان مغطى كالعادة بأزهار البشنين المفتحة الأكمام.

منظر غسيل الملابس: نشاهد هنا رجلاً قد أمسك بدلو شادوف، وآخر قد وضع إناء كبيراً على قطعتين من الحجر، في حين كان آخرون يعصرون الملابس، أو يضرّبونها على حجر، ثم ينشرونها في الشمس لتجف، وهذه ظاهرة نادرة جداً في المناظر المصرية القديمة؛ لأن هذا كان من عمل النساء داخل البيوت؛ ولذلك يعد المنظر ممتعاً غريباً، وعلى يمين هذا المنظر نشاهد أسرة «إبي» تقدم قرباناً على مائدة بجانب النهر إلى ثلاثة قوارب مقدسة زين مؤخر كل منها برأس كبش يرمز للإله «أمون رع»، وهذه ظاهرة مألوفة في مقابر عصر الرعامسة. ويلحظ أنه قد رسم في كل قارب محراب صغير للإله في صورة معبد صغير تام بمسلاته وأعلامه، وقد وضع فيه كذلك تمثال «بولهول» — الذي يمثل الفرعون — على قاعدة في هذه القوارب؛ مما يدل على ارتباط المعبد بالحكومة، وكذلك اسم الملك الحاكم يحميه ملاك، وقد نقش ولون على جدران المحراب، وبذلك أصبح تاريخ هذا القبر ينسب لعهد «رعمسيس الثاني» العظيم. على أن تمثيل هذا المنظر هنا ليس ظاهراً تماماً، فوجود المائدة وقارب «أمون» لا يمكن أن يتمشى مع استقبال قارب «إبي» الجنازي بأسرته الباكية، وعلى أية حال فإن القاريين الآخرين اللذين كانا يتبعان قارب «إبي»، يحتمل أنهما كانا يحملان



شكل ٢٧: الشادوف (من مقبرة «إبي»).

محرابين، أحدهما لـ «أمنحتب الأول» المؤله، والثاني لأمه «أحمس نفرتاري» المؤلهة، وهذا المنظر له نظائر في المقابر المصرية (راجع Two Ramesside Tombs at Thebes pl. XVI & p. 55).

الجدار الشرقي — الجهة الشمالية — الحياة الريفية (pls. XXXI): الزرع والحصاد تبتدئ هنا قصة الزراعة السنوية التي نشاهدها مصورة على كثير من مقابر عظماء الدولة الحديثة في الصف الأعلى من هذا الجدار، فعلى اليسار نشاهد محصول كتان ناضج يحصده كل من «إبي» وزوجه، وبعد ذلك نشاهدهما يجهزان الحقل لزرع القمح، غير أن المثال هنا قد أخطأ في وضع هذا المنظر في موضعه الزمني؛ إذ نجد منظرًا يمثل كيل القمح قبل فصله من سنابله، والمشرف على هذه العمليات هنا هو «إبي» نفسه، وكان يعاقب بيده المذنين، ويتسلم قائمة الأجور من رئيس العمال، ثم نشاهد عملية تذرية القمح يقوم بها رجال وعذارى، والظاهر من المنظر أن القمح كان قد كيل ووُضع في مخازنه، ومما يلفت النظر؛ الحفل الذي أقيم

ابتهاجًا بالحصاد بذبح شاة، وبتقريب قربات أخرى يحتمل أنها قد قدمت للإلهة «رنوت» التي تمثل في صورة حية، وتعد إلهة الغذاء والكثرة (يكثُر وجود الثعابين وقت الحصاد).

توزيع غلال المحصول: وكان بعض هذا المحصول لازماً لصاحب الحقل، والبعض الآخر كان يحمله إلى السوق ليبادل به سلعةً أخرى مما يحتاج إليها، وقد مثلت لنا كل هذه العملية على جدران المقبرة، فنشاهد المحصول يُحمل في سفن تسير في النيل، أو في ترع، كما تدل على ذلك الأشجار المطلة على الترع. ويلاحظ في المنظر أن المثال قد اقتصد في صورته؛ إذ نشاهد صور عملية الشحن والتفريغ في آن واحد للقاربين الراسيين جنباً لجنب عند الشاطئ، فالعملية الأولى في المؤخرة، والأخرى في المقدمة، وقد أحضرت الغلال من الحقول على ظهور الحمير والرجال، ونشاهد فضلاً عن ذلك في السفينتين ما يحتاجه أهل الحضر من الأزهار، وحزم الخضر، فها هو ذا شاب يحلي أذنه قرط يحمل طاقة أزهار ضخمة أكبر من جسمه.

ومما يلفت النظر أن الملاحين كانوا يستبدلون — بما يأخذونه من الحصاد أجراً لهم — أشياء أخرى كانت معروضة على الساحل، فنشاهد امرأة في كوخ من القصب وأمامها إناء ضخم من النبيذ، وآخر من الجعة، ويلحظ أنها كانت تفرغ النبيذ أو الجعة بوساطة غابتين على هيئة زاوية قائمة؛ حتى تأمن عدم وقوع أي قاذورة في سلعتها، ويخيل إليّ أن المفتن هنا كان على علم تام بأن الملاحين لا يهتمهم تقديم حقيبة قمح بأكملها مقابل فطيرتين حقيرتين، أو سمكة صغيرة أو خيارة؛ معتقدين أنهم قد غبنوا البائع. وعندما تصل السفن إلى مقرها محملة بالغلال لتخزن في مخازنها تحمل الحقائب على أكتاف العمال، وفي المنظر صبي عند المقدمة ينادي بالعدد للرجل المكلف بالمخزن الذي كان يتألف من ردهة مكشوفة الجدران عالية توضع فيها مختلف أنواع الحبوب، ولذلك نشاهد طفلاً يطرد الطيور التي كانت تنزل على عرم القمح فيه، ولم ينسَ المثال هنا أن يجعل للمعبودة نصيباً؛ فقد حفظ مأوى في هذا المحراب لإلهة الحصاد «رنوت»، وقد وضع أمامها إناء مملوء بالحبوب، وحزمة سنبل، وخبز مغمس فاحت رائحته حتى وصلت إلى أنف هذه الإلهة.

لقط ما تبقى من الحصاد: وقد كانت العادة بعد أن ينتهي الحصاد حتى يومنا هذا، أن يتبقى في حقل القمح بعض فضلات من السنابل، كما كانت تتخلف بعض

الحيوب في مكان الدرس، وقد كان من دواعي سرور الطبقة الدنيا أن يسوقوا ما عزمهم إلى أرض الحصاد للقط ما تخلف من المحصول، فتنشر الحيوانات في أرجاء الحقل باحثة عما تجد في تلك الأرض التي حُرمت الرعي مدة طويلة، فنشاهد التيس في المقدمة يقود الأجداء الصغيرة، وهي تمرح وتلعب حينما تجد مكاناً فسيحاً، وكان يقوم على حراستها أربعة من الصبية مجهزون بكل ما يلزمهم طيلة اليوم، فواحد منهم في يده عصا الرعاية، ويتبعه كلبه، ومعه قربة ماء، ويحمل حقيبة أخرى وصفارته في كنانتها، ونشاهد آخر ينفخ في صفارته يمسكها بيد واحدة، والماعز أمامه ترتع كيف شاءت، وأكثر ما نشاهدها تأكل من ورق الشجر، وعندما كانت تأكل كل ما يمكنها أن تصل إليه من هذه الأوراق يقوم راعوها بهش الأشجار بعصيمهم لتأكل منها غنمهم. ونشاهد بين هذه الماعز ألواناً من الأحمر والأسود والأبيض، وكذلك نتاجاً مختلفاً، كما نشاهد في رقاب بعضها الزائدين اللتين نشاهدهما تحت الرقبة في الماعز الآن (pls. XXX).

منظر محصول المستنقعات: صيد السمك على الشاطئ: يشاهد على الجدار الشمالي (pls. XXXVII) المنظر العادي لصيد السمك، وقد حلي برسم الأشجار رسماً طبعياً، وكذلك بعض تفاصيل خارجة على التقاليد القديمة الجامدة. حقاً نشاهد الرجال يجرون الشبكة إلى الشاطئ بما فيها من سمك كالمعتاد، غير أننا نرى في الوقت نفسه شاباً برأس حليق يلتفت إلى آخر يناديه، كما نشاهد شاباً ثالثاً عاري الجسم، يلتقط السمك من الشبكة واحدة واحدة، ثم نشاهد السمك يكوم في مكان واحد، ويضعه رجال ونساء في أكياس، ويحملونه إلى السمك المسمى «نيا»، وهنا نجد رجلاً آخر ينظفها. هذا ولدينا منظر آخر لصيد الأسماك في القوارب ممثل كالمعتاد (Pls. XXXV).

صيد الطيور بالشبك: ويفصل منظر صيد السمك في القوارب عن صيد الطيور بالأحبال (بعض سيقان البردي)، وهنا نشاهد الصياد مختبئاً بين الأعشاب ينادي رفاقه ليجرّوا الشبكة حين وقع فيها الطير، وفضلاً عن ذلك نجد أن المثال قد صور لنا صيد الطيور في قارب من البردي حيث نجد — كما جرت العادة — الرجل وزوجه يصطادان الطيور برشقها بالعصي، ويلفت النظر في هذا المنظر القطة التي كانت تأتي لصاحبها بالطير عندما يقع، وكذلك صورة البومة التي رُسمت بمثابة تمثال لإغراء الطير عندما يقع، وكذلك صورة البومة التي رُسمت بمثابة تمثال لإغراء الطير

في هذا المكان ليقع في الشرك، وقد كتب على الصور التي في القارب المتن الثاني: «إبي» نحات «أمون» في مكان الصدق في غربي «طيبة»، وزوجه ربة البيت «دواماست». وكذلك نشاهد هنا منظر جمع الكروم، وعصير العنب، وصنع النبيذ.

الجدار الشمالي: أثاث ملكي خاص (pls. XXXXI)، يوجد على هذا الجدار منظر صنع جهاز جنازي في المصانع، وهذا الأثاث لم يكن لاستعمال «إبي» فحسب، بل لدينا فيه قطعتان كبيرتان تمثلان محرابين، وعليهما طغراءان لـ «أمنحتب الأول» الذي كان قد مضى على وفاته — بالنسبة «لإبي» — ما يقرب من ثلثمائة سنة، ولا بد أنهما كانتا لمعبده أو لقبره؛ لأنه كان يُعبد في هذه الجبانة بوصفه إله العمال.

والآن يتساءل الإنسان عن المناسبة التي جعلت «إبي» يرسم هذا المنظر في قبره، وهل يمكننا أن نعرف من الرسم المكان الذي حُصص لهاتين القطعتين؟ والواقع أننا نعلم مما لدينا من الوثائق التي ترجع إلى عهد الفرعون «حور محب» أنه قام بإصلاح عام لكل المعابد في البلاد، وبوجه خاص نعلم أنه قام بإصلاح مقبرة الفرعون «تحتمس الرابع» (راجع مصر القديمة ج ٥).

وتدل الأحوال على أن هذا الإصلاح لم ينقطع سببه بل استمر؛ ولذلك لا يبعد عنا أن ما فعله «حور محب» لأجل «تحتمس الرابع» كان هو نفس ما فعله «رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول» لمقبرة «تحتمس الأول» (راجع pls. XVI)، ولمقبرة «تحتمس الثالث»، كما نشاهد في المقبرة رقم ٣١، وما فعله «رعمسيس الثاني» لقبر «أمنحتب الأول»، كما نشاهد في مناظر قبر «إبي»، وفي مناظر القبر رقم ١٩ في هذه الجبانة أيضًا.

وعلى أية حال فإن تحضير هذا الجهاز الجنازي سواء أكان لأجل قبر هذا الفرعون أو لمعبده، فإن «إبي» قد اتخذ من ذلك فرصة مناسبة لعمل جهازه الجنازي هو أيضًا.

صورة المحرابين: مثل أمامنا في الصورة محرابان يبلغ ارتفاع الواحد منهما ثلاثة أضعاف طول الرجل، ولا يمكننا — بعد أن رأينا المحاريب التي كانت في مقبرة «توت عنخ آمون» — أن نقول إن المحرابين المذكورين هنا ضخمان، وأولهما قد لُون باللون الأسود؛ مما يوحي بأنه من الأبنوس، غير أنه في العادة كان يصنع من الخشب العادي، ثم يلون بالقطران تقليدًا للأبنوس، وقد زين جداره بصورة وحدة مصر، فنشاهد الإلهين «حور» و«ست» ممسكين بساقين من النباتات، يرمز أحدهما للوجه

القبلي والآخر للوجه البحري ، وفي الوسط يرى الملك راکعاً على علامة الوحدة (سما ) بين إلهتي الوجه القبلي والوجه البحري، وهما «نخبت»، و«وازيت»، وفوقه قرص الشمس الممجنح الذي يضيء الجنوب والشمال معاً، وفي أسفل نشاهد علامة بني الإنسان ممثلة في صورة الطائر «رخيت»، وقد نقش على العمودين اللذين يكنفان المحراب طغراء «أمنحتب الأول»، ويشاهد حفارون من الخشب يصنعون التفاصيل النهائية الخاصة بزينة هذا المحراب، وقد بقي لنا متن نُقش عمودياً على جانبي المحراب، ويشمل ألقاب هذا الملك المؤله وهو:

على الجانب الأيمن: الإله الطيب الشجاع ابن «أمون» ... أرباب «طيبة» ملك الوجهين القبلي والبحري ... ابن الشمس محبوب الآلهة «أمنحتب»، معطي الحياة محبوب «أمون رع»، رب تيجان الأرضين في الكرنك.

على الجانب الأيسر: الإله الطيب ابن «أمون» الذي وضعته «موت» الواحدة العظيمة سيدة «أشرو» ملك الجنوب والشمال، وحاكم الأجانب سيد الأرضين «زسر كارع» محبوب «رع»، وابنه من ظهره «أمنحتب»، معطي الحياة محبوب «أمون رع» رب تيجان الأرضين الإله العظيم.

المحراب الثاني: حجرة النوم: أما المحراب الثاني فيظهر بمحتوياته في صورة مكان للنوم قد وضع على طوار يصل إليه الإنسان بسلم، وعلى الرغم من أن حجرة النوم هذه مقببة فإنه على ما يظهر لم تكن في الأصل مخصصة لنوم الملك المتوفى، بل كان بمثابة نعش يمكن حمله ويوضع فيه المتوفى، وعلى هذا الزعم يكون الطوار الذي تحته مصنوعاً من الخشب كبقية النعش، أما القسمان اللذان يشاهدان فوق هذه الحجرة فيختلفان في وضعهما، ويمكن اعتبارهما بمثابة حلية، ولأجل التهوية. وتحتوي حجرة النوم على سرير عالٍ أمامه درج للصعود فوق السرير، ومخدة ومرآة من النحاس، ومائدة عليها عنقود من التين، ويلاحظ أن المخدة قد وضع على جانبيها رمزا العافية.

وصور العمال الذين كانوا يقومون بصنع هذه الحجرة التي تظهر كأنها مقامة من مواد غاية في المتانة على جانب عظيم من الأهمية، فعلى الرغم من عدم وجود متن يحدثنا عن حركات أولئك الصناع وسكناتهم، وما يقومون به من عمل، فإن

نفس أوضاعهم تحدثنا بصراحة عن الدور الذي كان يقوم به كل واحد منهم، وهذه الظاهرة من مميزات فن هذا العصر عندما يكون المفتن ماهراً.

فكما نشاهد في أيامنا الحلاق يخلق للعمال على قارعة الطريق، أو في أثناء عملهم، فكذلك نرى هنا الرجل الذي يزجج العيون بالكحل قد أخذ يكحل نجاراً بمروده الخاص. ويشاهد بجوار هذا المكحل آلات التكحيل، وتتألف من أسطوانتين في إحدهما مرود، هذا إلى كيس من مسحوق الكحل، وزجاجة لخلط الكحل المجفف، وصندوق توضع فيه كل هذه الأدوات، وفوق هذا المنظر نشاهد رئيس عمال يعطي الأوامر بصوت عالٍ، أو ينذر بوصول المشرف على العمل — نجاراً كان يستعمل إزميلاً كبيراً لدق دسار لا داعي له.

وعلى سقف هذا المبنى نرى نجاراً يصقل الألواح بقطعة من الحجر الرمي، وبجواره أدواته البسيطة، وتحتوي على منشار من النحاس وثلاثة مناقير للثقب والحفر، وفي هذا المكان المنعزل نرى عاملاً قد اضطجع ليغفو قليلاً، غير أن «إبي» صاحب المقبرة قد لمح فصح موجهاً إليه اللوم، وعندئذ أسرع أحد زملائه لإيقاظه قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه. ويلاحظ أن العمال الذين كانوا يعملون في الجهة التي أتى منها سيدهم أظهروا نشاطاً وجداً في العمل. وعلى أية حال يظهر أن هاتين القطعتين من الأثاث كان موطنهما النهائي في معبد الملك الجنازي، فإحدهما هي الناووس الذي كان يوضع فيه المحراب، والثانية هي النعش الذي عمل على هيئة حجرة نوم ليحل محل الذي عمل وقت الدفن، أو ليستعمل عند تكرار عملية الدفن في الاحتفال السنوي بيوم دفن الفرعون.

جهاز «إبي» الجنازي: الصف الذي فوق هذا المنظر يبدو أنه ليحل قائمة تعدد لنا مواد الأثاث التي كانت مجهزة «لإبي» نفسه، فنشاهد على اليسار المحراب الموضوع في السفينة، وهو الذي كان مخصصاً لوضع المومية فيه، غير أن تفاصيله النهائية لم تكن قد تمت بعد، فنرى عاملاً يركب حلية مؤخر السفينة، وثانياً ينشر الزائد من دسار تركه زميله، وثالثاً يركب الخيط الذي يثبت الحبل المستعمل لجر السفينة، ورابعاً قد بدأ يجهز الرموز التي كانت توضع في إطاراتها، ويرى كذلك اثنان أو ثلاثة من العمال في الصورة يقومون بتلك العملية، وبجوار ذلك يوجد التابوتان المعدان لموميتي «إبي»، وزوجه، وبجوار التابوت نشاهد رجلاً يقطع شجرة جميز إشارة إلى أن التابوتين قد عملا من خشبها، وعلى مقربة من ذلك شاب ينفخ النار

تحت إناء فيه غراء للصلق النسيج المقوى على المومية، يضاف إلى ذلك أن المثال لم يفتَ أن يضع في صورته إشارة إلى الغرض من صنع هذه القطع من الأثاث، فنشاهد مساعده ممسكاً من أسفل بالتابوت المنصوب كأنه مشيع للجنائز، على حين كان ابن «إبي» الأكبر المسمى «آني» يقرأ شعيرة فتح الفم كما كان سيفعل يوم الدفن، هذا بالإضافة إلى وجود كل الآلات اللازمة لمراسيم فتح الفم أمام التابوت.

ويشاهد خلاف ذلك مساعد يضع طبقة من الألوان على وجه صورة التابوت، وبعد ذلك نجد مخزناً يحوي قطع أثاث تام الصنع، منها كرسيان وثلاثة عصي للمشي، وصندوقان صغيران وكرسيان يطويان، وصندوقان فيهما أدوات كتابة، ومخدتان.

أما أثنى قطعة في هذا الجهاز فيظهر أنها كانت «صدرية»، قدمها «نب نخت» لوالده «إبي»، وبعد ذلك نشاهد بقية الأثاث، ويشمل ثلاثة صناديق، وأربع قارورات من العطور مصنوعة من زجاج، أو خشب يشبه الزجاج، وكرسيًا عليه نعلان، وطستًا وسريرًا عليه مروحة ومخدة، وتحت هذا إناء فيه عطور للرأس وزجاجة ماء موضوعة على قاعدته، ومن أراد أن يرى أمثال هذا الأثاث الجنائزي رأي العين فليذهب إلى متحف «تورين» بإيطاليا، حيث يشمل قطعاً من هذا النوع استخرجت من قبر في هذه البقعة بعينها.

«بامنو» المثال الأول (٣-٩)

وجد اسمه في النقش الذي خلفه لنا «معي» على الصخور القريبة من الهرم الثاني بالجيزة (راجع L. D. III, 142. i)، وقد نطق «بتري» هذا الاسم «باشما» (راجع Petrie Hist. III, p. 98).

«أمنحتب» (حوي ددي) (٤-٩)

سائق عربية جلالته (راجع Budge Guide to Sculp. P. 169)، وله لوحة جنائزية أعلاها مستدير «بالمتحف البريطاني» أقامها لنفسه، وهو ابن «هاو نفرو»، ووالدته تُدعى «رع مريت»، وقد نقش على الجزء الأعلى من هذه اللوحة اسم «رعمسيس الثاني» وألقابه، كما يشاهد «حوي» يقدم قرباناً لأجداده الذين مثلهم في أربعة صفوف على اللوحة، والمتن الذي

أسفل هذا يشمل صلاة للآلهة «أوزير»، و«حور» حامي والده، و«إزيس»، و«أنوب»، وآلهة آخرين من أجل قربان جنازي. وكان «حوي» قد أقام هذه اللوحة تذكراً لوالده، ووالدته، وإخوته، وكل أجداده الذين نُقشت أسماءهم عليها كما دعا لهم أن يعيشوا مما يعيش عليه الآلهة. وتدل النقوش على أن إخوة «حوي» هذا كانوا من المقرّبين لدى الفرعون، وبخاصة في قيادة عربته، وملاحظة إصطبلاته، ونخص بالذكر منهم الآتين: (١) «بتاح معي»: رئيس الإصطبل. (٢) «باري»: سائق العربة. (٣) «سوي»: سائق العربة. (٤) «بتاح مع»: سائق العربة. (٥) «أبوي»: رئيس البنائين. (٦) «بانحسي»: سائق العربة (راجع Liebig. Dic. Noms. No. 888).

(٥-٩) بتاح مويا

المشرف على الإصطبلات الملكية، وكاتب حجرة الفرعون، ورسول الفرعون إلى الأراضي الأجنبية، وله لوحة «بالمتحف البريطاني»، وقد نقش في أعلاها قرص الشمس الممجنح، تتدلى منه يدان تضمان اسم «رعمسيس الثاني»، وقد مثل على اللوحة «بتاح مويا» يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس»، و«حور»، كما نشاهده يقدم القربان لأجداده الذين مثلت صورهم في ثلاثة صفوف (راجع Budge. Ibid. p. 169).

(٦-٩) باك عا

رئيس الإصطبل، ووالده هو المستشار «هاونفر» الذي مات في السنة الثامنة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، وتوجد «لباك عا» لوحة «بالمتحف البريطاني» (راجع Budge. Ibid. 169-70)، ولوحة نقش عليها تاريخ السنة الثامنة والواحدة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، كما نقش عليها صورة الإلهين «بوات الشمال»، و«بوات الجنوب»، و«جلد الثور «تكن»،^{٥٢٦} ثم اسم «رعمسيس الثاني» ولقبه، وكذلك مثل عليها المتوفى يتعبد لعشرة آلهة وإلهات مقدماً لها القربان، وأخيراً نقش عليها أنشودة، وصلاة للإله «أوزير».

^{٥٢٦} راجع: Davies & Gardiner. The Tomb of Amenemhet., p. 50 ff.

(أ) أمنمأبت

رئيس الإصطبل، نحت لنفسه نقشًا في صخور «أسوان» مؤرخًا بالسنة الثالثة والثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني»، وقد جاء فيه أنه رئيس الإصطبل «أمنمأبت» بن الكاهن الأول للإله «أمون» صاحب الإصطبل العظيم للقصر، ورسول الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — وقد كتب هذا النقش بمناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثيني للفرعون في العام المذكور (راجع De Morgan. Mon. Cat., I, p. 88 (No. 63)).

(٧-٩) ثاثا

رئيس الإصطبل، وهو ابن الوزير «باسر» الذي تحدثنا عنه فيما سبق (راجع Champ. Notices. I, p. 523).

(٨-٩) باك

السائق الأول لجلالته، وجدت له لوحة مؤرخة بعهد «رعمسيس الثاني» (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 897).

(٩-٩) حور

رئيس إصطبل مقر الفرعون. جاء اسمه على لوحة أخيه «حورا» الذي كان يلقب المشرف على الأراضي الزراعية لرب الأرضين، ونشاهد عليها «حورا» هذا وزوجه «تنت باتا» يتعبدان للآلهة «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، و«تحوت»، كما نشاهد «حورا» يقدم لوالده «رع مري»، ولوالدته «إبي» القربان. ويرى كذلك على اللوحة أخوه.

(١٠-٩) باكن آمون

الذي يحمل لقب المشرف على خيل «رعمسيس» في بيت «أمون»، يقدم له ولزوجه القربان، وكذلك نجد على اللوحة خمسة من إخوته وأختين يتعبدون له، ومعظم أفراد هذه الأسرة يحملون ألقابًا عالية، وقد ذكرنا بعضهم، وهاك البعض الآخر:

(١) «مري»: حامل المروحة.

(٢) «نفرر نبت»: كاتب مخازن الغلال.

(٣) «حور نخت»: كاهن معبد «مين».

(٤) «إزيس»: مغنية الإلهة «إزيس» (راجع. Budge. Ibid. p. 188; Lieb. Dic. Noms. راجع.

(No. 890).

(١١-٩) حح

سائق جلالتة الوحيد، ورسول الملك لكل أرض، أقام هذا السائق الفرعوني لوحة لوالده المسمى «نسو توي محب» الذي كان يلقب السائق الأول لجلالتة، ويعد الأستاذ «بتري» اسم هذا الرجل الذي يعني «الملكين في عيد» برهاناً على اشتراك «رعمسيس الثاني» مع والده في حكم البلاد (راجع (Petrie Tombs. Of the Courtiers. P. 11, 12 pl. XXXI).

(١٢-٩) مرنبتاح

سائق الفرعون، وكاتب الملك، وجد له تمثال بالحجم الطبيعي في بلدة نبيشة، ووالده يدعى «با إمرا إحو»، ويلقب الوجيه والمشرف على البلاد الصحراوية، كما يلقب ابنه «ساوزيت» الكاهن الأول للإلهة «وازيت»، كما كانت زوجه تلقب رئيسة حريم الإلهة «وازيت» (راجع (Petrie Tell Nebesheh pl. XI).

(١٣-٩) نخت مين

و «من خبر» يوجد بين نقوش «جزيرة سهيل» نقش دون عليه اسما هذين الرجلين، ويلقب الأول رسول الملك في كل أرض أجنبية، ورئيس الرماة لرب الأرضين، أما الثاني فكان يحمل لقبى: رسول الملك لكل الأراضي الأجنبية، ورئيس الخيل لرب الأرضين، وقد أرخت اللوحة بطغراء «رعمسيس الثاني» (راجع L. D. III, 175 L, K.; Lieb Dic Noms. (I, No. 900).

(١٤-٩) نزم

المشرف على أسفار الفرعون، ذكر اسمه على لوحة صغيرة في مجموعة «بثري» (راجع Petrie Hist. III, p. 97).

(١٥-٩) مري أتوم

وكيل إصطبل (خيل) رب الأرضين، ورسول الفرعون إلى البلاد الأجنبية، وقد جاء ذكره على قطعة حجر محفوظة بمتحف «هنوفر» بألمانيا (راجع A. Z. L XXII, p. 97. pl. VIII).

(١٦-٩) حوي

مدير أعمال كل آثار جلالته، ورئيس شرطة الصحراء، ومدير معبد «رعمسيس الثاني»، محبوب «أمون» في «برنب نهيت» — أي بيت ربة الجميزة، وهذا الاسم يطلق على حي في «منف» كان خاصاً بعبادة البقرة «حتحور» (راجع Gauthier. Dic. Geog. II, p. 92)، والمشرف على «برن-بارع نرعمسيس» محبوب «أمون» جنوبي «منف» — وهو اسم محراب أسسه «رعمسيس الثاني» في جنوب «منف»، وقد سمي به الحي الذي فيه المحراب، (ومعناه: بيت رع لرعمسيس الثاني) (راجع Ibid. II, p. 77).

(١٧-٩) نس حتب

القائد الأعلى لجيش رب الأرضين، وجد اسم هذا القائد على لوحة في «وادي حمامات»، وكان قد أرسله الفرعون إلى جبال بخن (وادي حمامات) لإحضار مواد لإقامة آثار لجلالته، وقد وجد على النقش الألقاب التالية: ... الوجيه، والكاتب الملكي، والقائد الأعلى لجيوش رب الأرضين^{٥٢٧} (راجع A. S. XXXVIII p. 133).

^{٥٢٧} وتوجد «في متحف تورين» ورقة عليها مصور جغرافي بـ «وادي الحمامات»، وما فيها من مناجم لقطع الأحجار، غير أنها مما يؤسف له ممزقة، ولكن ما بقي منها يدلنا على أنها خاصة بقطع الأحجار في «وادي الحمامات» (راجع A. S. XXXVIII, p. 133 fig. 12).

(١٨-٩) نخت مين

رئيس الرماة وقد وجد اسمه على تعويذة من الزجاج الأحمر محفوظة الآن في مجموعة «بترى» (راجع Petrie Hist. III, p. 97)، وكذلك نقش لنفسه لوحة على صخور «أسوان»، نشاهده فيها راعيًا متعبًا أمام «رعمسيس الثاني» الجالس على عرشه، وفي يده مروحة، وقد كُتِبَ أمامه: «حامل المروحة على يمين الفرعون»، وخلفه: «رسول الفرعون لكل الأرض». (راجع De Morgan. Mon. Cat. I, 14 (no. 65)). والظاهر من معظم النقوش التي كانت تكتب على الصخور في «أسوان»، وغيرها من الجهات الجنوبية أن أصحابها كانوا يدونونها تذكيرًا لرحلاتهم التي كان يكلفهم الفرعون القيام بها لأداء مهام خاصة، سواء أكانت سياسية أم حربية؛ ولذلك نجد معظم هؤلاء الذين دونوا أسماءهم على هذه الصخور من رجال الجيش، أو مكلفين ببعوث فرعونية، أو حكام في الجنوب، وكذلك تدل ألقابهم على أنهم ممن كانوا مقربين لشخص الفرعون.

(١٩-٩) أنخرنخت

رئيس الرماة، وحامل المروحة، والمشرّف على البلاد الأجنبية، وله لوحة منقورة في صخور جزيرة سهيل» (راجع Ibid. I, 88 no. 61). وكذلك نجده يقاسم فردًا آخر يدعى «أمنأبت» نقوش لوحة في نفس المكان، ويلقب فيها: مفتش أراضي «كوش» (?). (Ibid. I, 88 No. 63).

(٢٠-٩) منمس

حامل المروحة، وله تمثال وجد في «نجع المشيخ» من الجرانيت، وهو محفوظ «بالمتحف المصري» (راجع Borchardt. Stat. II, pl. 91).

(٢١-٩) كُتَّاب الفرعون

كان للفرعون كُتَّاب كثيرون، والواقع أن كل الكُتَّاب وغيرهم من الموظفين في طول البلاد وعرضها كانوا تابعين للفرعون بوصفه هو المالك لكل أرض مصر، وممتلكاتها في الخارج، غير أن كُتَّابه الخاصين كانوا يميزون بنعت «كاتب الملك»، كما كان الكتاب المتصلون

بالفرعون مباشرة يُنعتون «كتاب الفرعون الحقيقيين». وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الوظيفة كانت من أرقى وظائف الدولة، وأن حاملها كان يقوم بأعمال خطيرة في شئون الحكومة، وسنذكر طائفة من هؤلاء الكتاب الذين خدموا «رعمسيس الثاني» على سبيل المثال:

خعي: كاتب الفرعون الحقيقي ومحجوبه، وله تمثال وجد في «منف»، وهو محفوظ «بالمتحف المصري»، وكان يحمل فضلاً عن وظيفة كاتب الفرعون الوظائف التالية: المشرف على خزانة معبد ملايين السنين ملك الوجهين القبلي والبحري «رعمسيس الثاني» في ضيعة «أمون»، ومن يثني عليه الإله الطيب كثيراً (راجع Borchardt, Stat. الثاني) في ضيعة «أمون»، ومن يثني عليه الإله الطيب كثيراً (راجع Borchardt, Stat. II, p. 154, 156; De Rouge Etudes Egypt. P. 30; Champ. Mon. p. 63 ff).

ونفر: كاتب الفرعون الأول، وجد له تمثال في معبد الكرنك، ولا يحمل من الألقاب على هذا التمثال إلا لقب «كاتب الفرعون الأول»؛ مما يدل على ما كان لهذا اللقب من الأهمية العظيمة لدى الفرعون — كما ذكرنا، وأنه لم يكن يحمله إلا من كان مقرَّباً من الفرعون جداً، ويلحظ في النقوش المصرية عادة أن حامل هذا اللقب كان يحمل ألقاباً أخرى خطيرة (راجع Legrain, Stat. p. 37. II. Pl. XXXIV).

بانحسي: كاتب الفرعون، والمشرف على المالية، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمشرف على مخزن الذهب من السودان، والمراقب على الهدايا والجزية التي يدفعها رؤساء السودان، وقد عاش «بانحسي» هذا في عهد «رعمسيس الثاني»، يدل على ذلك وجود اسم هذا الفرعون على الكتف الأيمن لتمثال «بانحسي» المحفوظ «بالمتحف البريطاني». وقد مثل ممسكاً بمحراب صغير أمامه نحت فيه صور «أوزير»، و«إزيس»، و«حور» (راجع Budge, Guide to Sculp. P. 165-166). ويقول «بتري»: إن «بانحسي» هذا هو الذي أصبح فيما بعد وزيراً في عهد «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» (راجع Petrie Hist III, p. 97).

منمس» المسمى «كانرا»: كاتب الملك ورئيس الأسرار على الأرض وفي العالم السفلي، ورئيس الأسرار في مكان الصدق، وكاتب الملك في بيتي الجنوب والشمال، وحاسب الضرائب، وصانع تماثيل كل الآلهة، والكاتب الحقيقي لمكان الصدق.

وقد نقشت هذه الألقاب على لوحة له محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»، وقد صور في أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير»، و«حور»، و«إزيس»، و«تفتيس»، و«بتاح»، و«تحت»،

وفي الجزء الأسفل من اللوحة يرى ابن المتوفى الذي يدعى كذلك «كانرا» يقدم القربان لوالديه، ولخمسة آخرين من أقاربه، وتحمل والدته «أنيت» لقب «حاملة صاجات الإلهة إزيس».

(راجع (T. S. B. A. VIII, p. 336 & Pierret. Rec. Insc. II p. 134).

«حم» و«أمنمأبت»: ذُكر هذان الموظفان على لوحة محفوظة «بالمتحف المصري»، ومؤرخة بطغراء «رعمسيس الثاني»، ويلقب «حم» كاتب الملك، ومدير البيت، أما «أمنمأبت» فيلقب كاتب الملك وحسب (راجع (Lieb. Dic. Noms. 2098).

تحتوي محب: كاتب الملك، ذُكر اسمه على لوحة مهداة للعجل «أبيس الرابع»، وهو الإله الذي كان له صلة بالإله «بتاح»، كما كان العجل «مرور» (منفيس) له صلة بالإله «رع»، واللوحة مؤرخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني» (راجع (Mariette, Serapeum III p. 17; Lieb. Dic, Noms. No. 884).

ثيا: كاتب الفرعون الحقيقي المحبوب، وجد له بعض آثار في «سقارة»، أهمها لوحة محفوظة الآن «بمتحف فلورنس» (Schiaparelli Florence, 324)، دون عليها الألقاب والنوعت التالية: الممدوح من الإله الطيب، والمحبوب من جلالاته يومياً، وكاتب الفرعون المحبوب منه حقاً، والمشرف على مالية الرمسيوم، والمشرف العظيم على ماشية «أمون» ملك الآلهة، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، والمشرف على المالية، والمشرف على مالية رب الأرضين، وله غير هذه اللوحة أخرى صغيرة في مجموعة «روجرس» نقش عليها الألقاب التالية: كاتب الفرعون، ومعلم جلالاته، ومرابي سيد الأرضين، وهو في البيضة، والمشرف على ماشية الإله «أمون»، ولكننا لا نعلم أي ملك كان ينشئ (راجع (A. Z. XIX. 117-118).

سا إست: كاتب الفرعون، والمشرف على غلال الوجه القبلي والوجه البحري، له تمثال محفوظ الآن بمتحف «فيينا»، وقد نقش عليه اسم كل من «رعمسيس الثاني»، وابنه «مرنبتاح». وقد دون على التمثال صلاة للإله «وبوات»، كما كتب عليه دعاء على كل من يتعدى على تمثاله، ويصيبه بضرر ما بأن يحاكم ويعاقب على فعلته؛ وذلك لأنه كان رجلاً طيباً لم يأتِ سوءاً في حياته، ولم يرتكب خطيئة مع أي إنسان، وكذلك يناشد كهنة معبد الإله «وبوات» على اختلاف أنواعهم أن يقدموا له قرباناً (راجع (Rec. Trav. XII, p. 3-4).

بياي: كاتب الفرعون، والمستشار والمشرف على الخاتم، له تمثال من الحجر الجيري الأبيض «بالمتحف البريطاني»، وقد نقش على الجزء الأمامي منه صلوات للإلهة «أوزير»، و«أنوب»، و«بتاح»، و«سكر» ليقدّموا له قرباناً (راجع Budge, Guide to Sculp. P. 170; Lieb. Dic. Noms. No. 887).

مري بتاح: كاتب الوثائق الفرعونية، والمشرف على ماشية بيت «رعسيس الثاني»، وله لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة»، ولكنها اشترت من «أخميم»، واللوحة مقسمة قسمين عليهما منظران، ففي القسم الأيمن الإله «حور اختي» جالساً على عرشه يتقبل تحيات شخص راكع، ونُقش فوقه: «إني أقدم التحيات لـ «رع» لأجل روح كاتب الملك لوثائق القصر — له الحياة والفلاح والصحة — «مري بتاح» صادق القول، وسيد الاحترام بجانب الإله العظيم». وعلى اليسار نشاهد «مري بتاح» راكعاً أمام أوزير، وفوقه النقش التالي: «الدعاء لأوزير لأجل روح المشرف على الماشية في معبد «وسر ماعت رع ستبن رع بتاح».» (راجع Rec. Trav. IX, p. 90).

ساري: كاتب الفرعون، له تمثالان وُجدا في خبيثة الكرنك من الجرانيت (راجع Legrain Stat. II, p. 34 pl. XXXI & p. 35, 36, pl. XXXII)، وقد كتب اسم الفرعون «رعسيس الأول» على الكتف الأيمن للتمثال الأول. والنقوش التي على التمثالين كلها تمنيات للمتوفى ليوهب الحياة في الآخرة، كما كان في الحياة الدنيا، وذلك بأن يوهب ثانية استعمال كل أعضائه، ويتنفس الهواء العليل، ويتمتع بكل ملاذ الآخرة.

بياي: كاتب الملك، والكاهن المرتل الأول، والمشرف الأول على الكهنة المطهرين، والمشرف على القربات الإلهية، والمشرف على التحنيط، وموزع القران. وجد اسم «بياي» هذا مع اسم موظف آخر يُدعى «تحتمس»، أو «رعسيس»، ويلقب الكاهن المرتل الأول في البيت الجميل — أي بيت التحنيط — على لوحة تحمل ثلاثة تواريخ من عهد الفرعون «رعسيس الثاني»، وهي السنة السادسة عشرة، والسنة السادسة والعشرون، والسنة الثلاثون، واللوحة من الحجر الجيري الأبيض، ومقسمة قسمين، وهي خاصة بالعجل «أبيس الرابع» في عهد «رعسيس الثاني».

ففي الجزء الأعلى منها نشاهد ثورين مضطجعين متقابلين، وقد كتب أمام واحد منهما: «السنة السادسة عشرة، وصول جلالة العجل «أبيس»»، وكتب أمام الثاني: «السنة السادسة والعشرون، وصول جلالة العجل «منفيس»»، ونقش أمامهما سوياً^{٥٢٨} طغراء «رعمسيس الثاني».

وتحت هذا نشاهد محراباً فيه العجل «أبيس»، وأمام المحراب مائدة قربان، وكاهن يقرأ صيغة القربان من إضمامة، وآخر يقدم إناءين، وفوقهما نقش خاص بشعيرة فتح الفم، وألقاب كل من «بياي»، و«تحتمس».

وفي الجزء الأسفل من اللوحة نشاهد شخصين واقفين بملابس فضفاضة، وفي يد كل منهما آلة لفتح الفم، وقد كتب أمامهما نقش يبتدئ بالسنة الثلاثين من حكم «رعمسيس الثاني»، وهو خاص بفتح الفم للعجل «أبيس»، والظاهر أن هذه اللوحة قد اشترك في عملها الكاهن المطهر، والمرتل في بيت التحنيط، والتشريف في بيت العجل أبيس، ومن في حجرة بيت العجل «منفيس» «بتاحي» المرحوم، والمشرف على بيت التحنيط المرحوم «رعمسيس»، والكاهن المطهر والمرتل في بيت الفرعون «إبي» (راجع Rec. Trav. XXI, p. 70. ff).

ريا: الكاهن المطهر والمرتل في بيت التحنيط المزدوج، وله لوحة مؤرخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثاني» في السرايوم «بسقارة»، وهي خاصة بدفن العجل الرابع أيضاً، وقد جاء ذكر الكاهن «بياي» السالف الذكر عليها بألقابه (راجع Rec. Trav. XXI p. 72-3).

باخري خع: كاتب مائدة الفرعون: له تمثال «بمتحف اللوفر»، وقد نقش عليه اسم والده «إزيس محب»، ومعنى الاسم «إزيس في عيد» (راجع Lieb. Dic. Noms No. 894).

^{٥٢٨} ومما تجدر ملاحظته هنا أن العلاقة بين العجل «أبيس»، والإله «بتاح» إله الأرض، وكذلك العلاقة بين العجل «منفيس»، وإله الشمس كانت مختلفة؛ فلم نجد قط الإله «بتاح» مصوراً في صورة عجل، أو كان يعتقد أنه يتقمص عجلًا، بل كل ما نعرفه أن العجل أبيس كان يسمى «أبيس» الحي حاجب «بتاح»، ومن يحمل الصدق إلى أعلى لصاحب الوجه الجميل، وكذلك كان العجل «مرور» (منفيس) كان يحمل لقبًا مماثلًا بالنسبة لرع (راجع (H. Frankfort, Ancient Egyptian Religion p. 10).

بن نستاوي: كاتب مائدة نائب «كوش»، وقد جاء ذكره ولقبه مع أشخاص آخرين على لوحة «ستاوي» نائب «بلاد كوش» في عهد «رعمسيس الثاني» (راجع مصر القديمة جزء ٥).

كاثا: الكاتب المشرف على عبيد الأرضين في الأرض الجنوبية، له لوحة منقورة في صخور «فرس» عند الحدود الجنوبية، وقد جاء فيها ذكر والده «تحتمس» (راجع Champ. Notices 1 p. 40).

خعمأبت: كاتب كتاب الإله لرب الأرضين، وكاتب تواريخ كل الآلهة في بيت الحياة (الجامعة)، ووالد الإله للإله «رع-آتوم»، وكاتب الملك والمدير الملكي، وله لوحة محفوظة الآن بمتحف «ستوتجارت» بألمانيا، يشاهد في أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس» و«حور»، و«طغراء» «رعمسيس الثاني»، وفي الجزء الأسفل نشاهد ابنه «منتوحتب» كاتب معبد «منتو» رب «أرمنت» يخاطب أفراد أسرته الجالسين أمامه، وهم:
بكت ورنورا: زوجة ربة البيت، ومغنية «آمون».

آمون واح سو: والده كاتب كتاب الإله، هذا وقد ذكر اسما والدته، وزوج والده بدون ألقاب (راجع Spiegelbrg & Portner Aegyptische Grabstien und (Denkstein Aus Suddeutschen Sammlungen. I, pl. XVIII).

حورا: كاتب الخزانة (راجع Pleyte. Pap. Turin 41, pl. XXIX).

رعمسيس نختو: كاتب قوائم الجنود، له تمثال محفوظ الآن بمتحف «برلين» نقش على كتفه طغراء «رعمسيس الثاني» (Insch. Berlin. II, p. 72).

حور مين: كاتب القصر، عثر له على تمثال في «منف»، وهو محفوظ الآن بمتحف «ليدن» (راجع Leyden Aegypt Mon. II, IX, D. 38).

باسحاتا: كاتب المعبد، له بعض الآثار منها لوحة من «العرابة» (راجع Abydos Cat. 1131-1132)، ويحمل لقب كاتب معبد الإلهين «بتاح» «أنحور»، وزوجته تدعى ربة البيت «تاكد»، وابنه يلقب الكاتب «نخت»، وولده هو الكاتب «رومع» (راجع De. Rougé. Insc. Hierog I, pl. XXXII).

أمنمأبت: كاتب وثائق الفرعون، وله تمثال في متحف «سنبتيترزبرج» (راجع Lieblein. St. Petersburg Agyp. Denkmaler, 4; Papayri At Turin Pleyte Pap. de. Turin, 9).

أمنمس: الكاتب الملكي لمائدة رب الأرضين، وكاتب الملك، له تمثال من الحجر الجيري الصلب من خبيثة الكرنك، وذلك يدل على أنه كان صاحب مكانة عظيمة؛ لأنه لم يكن يوضع في معبد «أمون» إلا تماثيل عظماء القوم، وقد جاء ذكر اسم والديه على تمثاله هذا، فوالده يسمى «بن زرتي»، ووالدته «موتمأنت»، وكذلك كان يشترك «أمنمس» مع كاتب آخر في لوحة وهو:

وررشبو: الكاتب الملكي ومدير البيت، وقد مثل هذان الكاتبان على هذه اللوحة وأسرتها في ثلاثة صفوف، وكلهم يتعبدون إلى العلم، وهو الشارة التي وضعت على قمة الصندوق الذي كان يحتوي على حسب زعم القوم على رأس الإله أوزير، وعلى أحد جانبيه صورة الإله «حور»، وعلم برأس كبش، وعلى الجانب الآخر الإلهة «إزيس»، وعلم برأس كبش (راجع Budge, Guide to Sculpt. P. 205).

أمنمحب: كاتب المائدة الملكية، وجد له لوحتان في العرابة، وجد إحداهما «مريت» (راجع Mariette. Cat. Abydos No. 1128)، والثانية عثر عليها «فرنكفورت»، وهي موجودة الآن بمتحف «سدني»، ويحمل فيها الألقاب التالية: قائد أعياد أوزير، والكاتب الملكي، كاتب مائدة القربان (راجع J. E. A. XIV, p. 243-4).

بري نفر: كاتب المائدة الملكية، ذكر اسمه على بعض الآثار، منها لوحة عثر عليها في «العرابة المدفونة» (راجع Mar. Cat. Abydos no. 1128)، ولوحة محفوظة في معبد «بولوني» من أعمال فرنسا (راجع Wiedemann Gesch p. 56; Lieb, Dic. Noms Fo. 736). ويلاحظ أنه قد ذكر على لوحة «العرابة» عدة رجال ونساء يعملون في وظائف مختلفة، منهم الكاتب، والمغني، والضابط، كما كانت النسوة يعملن مغنيات للإله «أمون»، ومن بينهن مغنية للإلهة «حتحور» (Boulaq. Stele No. 807).

مري بتاح: كاتب المائدة، له تمثال راعه في «المتحف البريطاني» (راجع Arundale & Bonomi Gallery pl. 54).

نفر حر: كاتب وثائق القصر، وله لوحة محفوظة الآن «بالمتحف البريطاني»، وتلفت النظر بما عليها من نقوش هامة؛ فعلى الجزء الأعلى منها دونت السنة التي توفي فيها، وهي الثانية والستون من عهد «رعمسيس»، ونجد أسفل ذلك صاحب اللوحة راعكاً أمام الإله «أوزير» متعبداً، وخلف هذا الإله تقف أخته «إزيس»، و«نفتيس»، ثم «حور» بن «إزيس»، وفي الصف الثاني نشاهد «نفر حر» واقفاً أمام صف من أهل أسرته، مقدماً

لهم البخور، والنبيد، والقربان على مائدة، وفي آخر صف نجده كذلك واقفاً يحمل طبقاً عليه قربان، وأمامه مائدة قربان، كذلك يقدم لطائفة من أهله، وكلهم إخوته قرباناً كما تقول النقوش (راجع Lieb. Dic. Budge, Guide to Sculp p. 175. pl. XXIII; Noms. No. 889).

بنتاور: الكاتب، وهو الذي نسخ بخطه قصيدة ملحمة «رعسيس الثاني»، التي نقشها على جدران معابده العظيمة، في طول البلاد وعرضها، وقد أسهبنا القول فيها، وقد نسب إليه بعض كتاب عصرنا خطأ أنه هو الذي ألّف هذه القصيدة (راجع Pefrie, Hist III. p. 30)، والواقع أنه كتبها بخط يده فقط.

أمنمويا: كاتب رب الأرضين، جاء ذكر هذا الكاتب مع سائر أفراد أسرته على لوحة محفوظة الآن «بالمتحف المصري» (no. 807) (راجع Mar. Cat Abydos no. 1128)، وتدل النقوش التي عليها على أن معظم أفرادها كانوا يشغلون وظائف حكومية في ذلك العهد، وسلسلة نسب هذه الأسرة هي: الوجه «بتاح مس»، وزوجه «تنت إبت»، وقد أعقبا: (١) «بري نفر»: الكاتب الملكي لمائدة رب الأرضين. (٢) «تنرو»: الكاتب. (٣) «خعي»: كاتب القربان. (٤) «أمنمويا»: كاتب رب الأرضين. (٥) «إيا»: صف ضابط. (٦) «نفر حتب»: صف ضابط. (٧) «بنياتا»: كاتب بيت رب الأرضين. هذا بالإضافة إلى اثنتي عشرة بنتاً، تسع تحمل كل منهن لقب مغنية «أمون»، وثلاث تحملن لقب مغنية الإلهة «حتحور».

حور نخت: الكاتب، ذكر هذا الكاتب على لوحة مؤرخة بعهد «رعسيس الثاني»، ومعه عدة أشخاص آخرين، ثلاثة منهم كتبه، وملاحظ واحد، غير أن صلة النسب بينهم لم تفسر في النقوش (راجع Lieb. Dic. Noms No. 903 & L. D. III p. 114).

وسر ماعت رع: الكاتب الذي يدون لرب الأرضين، له لوحة رسم عليها متعبد لطغراء «رعسيس الثاني» (راجع Newberre Scarabs pl. XXXV. P. 20).

نفر حتب: كاتب مائدة رب الأرضين، له لوحة في متحف «اللوفر»، والنقوش التي عليها تلفت النظر بعض الشيء؛ إذ نجد الإله «أوزير» مصوراً عليها في هيئة الصندوق الذي كان يظن أنه يحتوي على رأس هذا الإله المدفون في «العرابة»، وهذا الأثر تحرسه هنا الإلهتان «إزيس»، و«نفتيس»، ويكتفه الرمزتان الدالان على الإله «خنوم»، وخلفهما من الجهة الشمالية رسمت الإلهة «ماعت»، والإله «وابوات» (ابن أوي)، وعلى اليمين

الإلهان «حور»، و«تحت»، وكذلك نجد على اللوحة مصورًا «رعمسيس الثاني» المؤله، والإله «حور».

وقد ذكر لنا «نفر حتب» اسم جده من جهة أمه، وهو سمي، وجدته من جهة أمه، وتُدعى «تاخعت». كما ذكر اسم والده:

راع آوي: سائق عربية جلالته. أما والدته فكانت تسمى:

نبت نسوت حنت: مغنية الإله «سبك»، وتُدعى زوجه:

تاميو: ربة البيت، ومغنية «أمون»، وقد نقش على اللوحة أنشودة للإله «أوزير» حمدًا وتعبدًا (راجع Petrie Scarabs 1601 & Boreux, Cat. Guide I, p. 78-79).

بامعي: كاتب المائدة، وله لوحة صغيرة محفوظة بمتحف «تورين» (راجع Petrie Scarabs 1601).

خعمواست: كاتب العمال، له تمثال مجيب مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم «رعمسيس الثاني» (راجع Mariette Serapeum II, p. 14).

(٢٢-٩) باك ور

الحارس الأول لمخزن الغلال، عاش في أواخر عهد «رعمسيس الثاني»؛ إذ توجد له لوحة مؤرخة بالسنة السادسة والستين من حكمه، وقد عثر عليها في «قفط»، والجزء الأعلى منها مفقود، وتدل نقوشها على أنها قد أقيمت بسبب هبة من الأرض (راجع Rec. Trav. IX, p. 100).

(٢٣-٩) أمنمس

رئيس العمال، ذكر اسمه على لوحة صغيرة (راجع Champ. Mon. p. 191, 4).

(٢٤-٩) معي

والده «باكتامون»، كان «معي» المشرف على الأعمال في عهد «رعمسيس الثاني»، وهو الذي أشرف على بناء معبد «هليوبوليس» على حسب أمر سيده مستعملًا على ما يظهر أحجار معبد «خفرع» الجنائزي لبنائه؛ مما يدعو لدهشتنا من جهة، وعدم اكترائه من جهة أخرى بتخريب الأماكن الأثرية، وقد ترك لنا منظرين حفرهما في الصخرة المقابلة للجهة الشمالية والغربية من الهرم الثاني تبتئان بوجوده في هذه المنطقة، ومعه رئيس المثالين، والنقش الذي في الجهة الشمالية هو:^{٥٢٩} المشرف على أعمال معبد «رعمسيس» الذي يضيء في البيت العظيم للأمير «معي» المرحوم ابن المشرف على الأعمال «باكتامون الطيب»، رئيس المثالين «بامنو» المرحوم، والمشرف على الأعمال في بيت «رع» «معي».

والنقش الذي في الجهة الغربية هو: المشرف على أعمال بيت «هليوبوليس» «معي»، ويقول «بيكي» (راجع Egyptian Antiquities in the Nile Valley p. 134): إن والده «معي» كان يقوم بنفس التخريب في «طيبة» المليكه. وعلى الرغم من كل ذلك نجد أن «معي» هذا قد أهدى لوحة للإله «بولهول»، ومما يؤسف له أنه لم يبقَ منها إلا جزء من الجهة اليسرى، وما بقي منها يشعر بأنها كانت مقسمة قسمين، فالقسم الأعلى كان فيه صورة «بولهول» جاثمًا على قاعدة، وتحتة متن لم يبقَ منه إلا ثلاثة أسطر تبتدئ بصلاة لـ «بولهول»: صلاة لروحك يا «حور اختي» لروح مدير الأعمال لبيت «رع»، ورئيس المثالين في ... «رعمسيس الثاني».

وهذه اللوحة لا بد أنها تعزى إلى نفس «معي»، ومن ذكر معه على النقش الذي تركه لنا على الصخر في هذه الجهة.

هذا وقد وجد له أذن جنازية مهداة لـ «بولهول» باسم «حور»، وقد كتب عليها: صنعها «معي»، وهي في الواقع تعد أكبر أذن جنازية عثر عليها في الحفائر التي قمنا بها في هذه الجهة (راجع [فصل: وزراء رعسميس الثاني] عن الأذن، ووظيفتها).

^{٥٢٩} راجع: Brugsch Thesaurus p. 1243.

(٢٥-٩) ثونوري

المشرف على أعمال كل أثر ملكي، وقبره كان في «سقارة» غير أن موضعه بالضبط لا يزال مجهولاً، ولدينا منه بعض أحجار نقش عليها قائمة بأسماء الملوك المشهورين حتى عهد «رعمسيس الثاني»، وقد تحدثنا عنها سابقاً (راجع مصر القديمة الجزء الأول) (راجع (Mariette Mon. Divers pl. 58 p. 19).

(٢٦-٩) أمنمابت

مدير الأعمال في البرجين (؟)، وله تمثال من الحجر الرملي محفوظ الآن «بالمتحف البريطاني» (راجع (Borchardt, Stat. IV p. 47).

(٢٧-٩) رعمسيس عشاوحب

مهندس بناء معبد «بو سمبل» جاء ذكره في نقوش إهداء هذا المعبد، وكذلك حفر لنفسه لوحة في صخور «بو سمبل» (راجع 2, Champ Mon. IX)، وقد تحدثنا عنه فيما سبق.

(٢٨-٩) بنمر

المشرف على الخزانة، ومدير كل الأعمال الملكية، وجد له تمثال في خبيئة «الكرنك»، وقد مثل حاملاً أميرة صغيرة تُدعى بنت الملك، ومحبوبته «مريت آمون»، وكان كذلك يلقب: الأمير الوراثي، والحاكم، والसार قلب الملك بآثاره الجميلة، ومن في قلب الإله الطيب (أي موضع ثقته)، والمشرف على بيت الذهب المزدوج — أي رئيس خزانة القطرين (راجع (Legrain, Stat. II p. 37, 38).

(٢٩-٩) رعمسيس-وسر-حر-خبش

المشرف العظيم على المالية في الوجهين القبلي والبحري، وجد له حتى الآن لوحة صغيرة فقط محفوظة في مجموعة «بتري» (راجع (Petrie Hist III p. 101).

(٣٠-٩) إتي

حامل الخاتم، نقش اسمه على آنية محفوظة الآن «بمتحف اللوفر» (راجع Pierret, Louvre Salle Historique p. 370).

(٣١-٩) حورمس

رئيس الحراس المالية لمعبد الملك «بطيبة» الغربية، يقع قبره في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وليس له رقم خاص على ما نعلم، ويحتمل أنه يقع بين مقبرتي «إبي»، والقبر رقم ٢١٧، وقد تزوج من امرأة تدعى «موت موميا»، ورزق منها ولداً يدعى «كامواست»، وكان يشغل وظيفة كاتب، ومن أهم المناظر التي تركها لنا في قبره مشهد يُرى فيه وهو يتعبد للقارب المقدس للإله «سكر أوزير»، وقارب آخر يزين مقدمته رأس ملك (راجع Champ. Notices I p. 517). ويرى على جدران هذا القبر كذلك صف من الملوك قد هشمت طغراءاتهم، غير أنه يمكن قراءة بعضها مثل «تحتمس الأول»، و«تحتمس الثاني»، و«تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثالث»، و«حور محب» (راجع Champ. Notices. I, 518). والواقع أن كتابة أسماء هؤلاء الملوك على هذا الترتيب من الأهمية بمكان من الوجهتين الدينية والتقليدية؛ إذ إن هذا يبرهن لنا على أن «رعمسيس الثاني» كان يعتنق مذهب عبادة ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام الذين أراد هو أن يعيد مجدهم الغابر في آسيا، هذا إلى أنه من جهة أخرى أنكر حقيقة وجود «حتشبسوت» على عرش الملك؛ لأنها امرأة، ويجب ألا تتولى عرش مصر، كما أنكر حقيقة «إخناتون»، وأخلافه من الملوك الزائفين؛ لأنهم قضوا على عبادة «أمون»، وغيره من الآلهة الذين كانوا محبين للشعب، ولا شك أن في هذا بُعد نظر من جانب «رعمسيس» مما جعل الشعب يلتف حوله.

(٣٢-٩) باكنأمون

حارس القصر، له لوحة صغيرة محفوظة ضمن مجموعة «بترى» (راجع Petrie Hist. III, p. 92).

(٣٣-٩) سحتب أتون ختف

ربان القارب، جاء اسمه على لوحة محفوظة «بمتحف اللوفر» (راجع Pierret. Les Insc. (Louvre II, I. & C. 95).